

# كتاب التحف

كتاب إنجيل العرش



كتاب التحف



كتاب التحف

# حِمَّةُ الْعَقْوَلِ

فَسَرِّحْ أَجْهَارَ آلِ الرَّسُولِ

تألِيفُ

الْعَالَمُ شِيخُ الْإِسْلَامِ الْمَوْلَى الْجَمِيلُ  
جَمِيلُ الْمَجْلِسِ (ص)

تَسْلِيمٌ

شِيخُ الْبَكَافِ لِثَقَالَةِ الْإِسْلَامِ الْكَلِيْدَةِ المُتَوَفِّ فِي هـ ٢٠٩

الْجَزْءُ السَّابِعُ

حقوق الطبع محفوظة

للتبا شر

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ

١٣٧٥ هـ

- \* نام کتاب: مرآة العقول جلد ۷
- \* تأليف: علامه مجلسی
- \* ناشر: دارالكتب الاسلامیه
- \* تیراز: ۱۰۰۰ نسخه
- \* نوبت چاپ: سوم
- \* چاپ از: خورشید
- \* تاریخ انتشار: ۱۳۷۰

# حِلَةُ الْعُقُولِ

اِخْرَاجٌ وَمَقَابِلَةٌ وَتَصْحِيفٌ  
السِّيَّدُ هَشَّامُ السُّوَّا

بِنَفْسِهِ  
دَارُ الْكِتَبِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
لِصَاحِبِهِ الشَّيخِ مُحَمَّدِ الْأَجْمَعِيِّ

تهران - بازار سلطاني

٥٢٠٤١٠ تلفن

حمدأً خالداً لو لي النعم حيث أسعدي بالقيام بنشر  
هذا السفر القيم في الملاً الثقافى الدينى بهذه الصورة الرائعة .  
ولروً أدى الفضيلة الذين وازرورنا فى انجاز هذا المشروع المقدس  
شكراً متواصل .

الشيخ محمد الاخوندى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[ كتاب الإيمان والكفر من كتاب الكافي ]

[ تصنیف الشیخ أبی جعفر محمد بن یعقوب الكلینی ( ره ) ]

### ﴿ باب ﴾

#### ﴿ طینة المؤمن والکافر ﴾

١ - علیؑ بن ابراهیم ، عن ابیه ، عن حماد بن عیسی عن ربعیؑ بن عبد الله عن دجل ، عن علیؑ بن الحسین علیه السلام قال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّبِيِّينَ مِنْ طِينَةِ رَجُلٍ

الحمد لوليته والصلوة على خير البرايا يا مُحَمَّد وعترته ، وبعد : فهذا هو المجلد الرابع من كتاب مرآة العقول لبيان ما في الكافي من أخبار آل الرسول مما ألهه أفترى العباد إلى غفران ربهم الغنى : مُحَمَّد باقر بن مُحَمَّد تقى عفى الله عن جرائمهما .

قال قدس الله روحه أو بعض رواة كتابه : كتاب الإيمان والكفر من كتاب الكافي تصنیف الشیخ أبی جعفر مُحَمَّد بن یعقوب الكلینی رضی الله عنه وأرضاه .

أقول : تلك الفقرات لم تكن في بعض النسخ ، والظاهر أنَّه من كلام رواة الكافي وقد مَالَ الإيمان على الكفر لأنَّه الأصل والاهم أبو لانه وجودي كما في القاموس كلين كأمير قرية بالرىٰ منها مُحَمَّد بن یعقوب الكلینی من فقهاء الشيعة ، انتهى . وقد يقال : كلين كز بير أيضًا قرية بالرىٰ ، ومُحَمَّد بن یعقوب منها ، كذا سمعت بعض المشايخ يذكر عن أهل الريٰ .

« باب طینة المؤمن والکافر »

الحاديُثُ الْأَوَّلُ : مرسلاً .

عليين : قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين : قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن هنَا يصيب المؤمن السيدة ومن هنَا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحنُّ إلى ما خلقوا منه و

قوله : خلق النبئين ، الخلق يكون بمعنى التكوين وبمعنى التقدير ، وفي النهاية : طين عليه اي جبل ويقال : طانه الله على طينته ، اي خلقه على جبلته وطينة الرجل خلقه وأصله ، وقال : عليهم إسم للسماء السابعة وقيل : اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، وقيل : أراداً على الامكنته وأشرف المراتب واقربها من الله تعالى في الدار الآخرة وتعرّب بالحرف والحرفات كقنسرين وأشباهها على أنه جمع أوراحد ، انتهى .

وإضافة الطينة إما بتقدير اللام أو من أوفي « قلوبهم وأبدانهم » بدل النبئين . ويحتمل أن يراد بالقلب هنا العضو المعروف الذي يتعلق الروح أولًا بالبخار المنبعث منه ، فلا ينافي ما مر في باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عליين وأدراهم مخلوقة من فوق ذلك على أنه لو أريد به الروح أمكن الجمع بجعل الطينة مبدأ لها مجازاً باعتبار القرب والتعلق ، أو بتخصيص النبئين بغيره صلى الله عليه وسلم .

ويؤيده خبر ابن مروان ، وفي القاموس : سجين كسكن موضع فيه كتاب الفجادر واد في جهنم أو حجر في الأرض السابعة ، وفي النهاية إسم علم للنار . فقيل من السجن .

قوله : فخلط بين الطينتين ، اي في بدن آدم عليه السلام فلذا حصل في ذريته قابلية المربتين واستعداد الدرجتين « ومن هنَا يصيب المؤمن السيدة » لخلط طينته بطينة الكافر ، وكذا العكس « فقلوب المؤمنين تحنّ » اي تميل وتشتاق ، قال الجوهري : الحنين الشوق و توقان النفس « إلى ما خلقوا منه » اي إلى الاعمال المناسبة لما خلقوا منه

قلوب الكافرين تحنٌ إلى مخلقوها منه .

المؤدية إليها أو إلى الأنبياء والأوصياء المخلوقين من الطينة التي خلق منها قلوبهم ، وكذا الفقرة الثانية تتحتمل الوجهين .

وقال بعضهم في تأویل الخبر : المراد بعلیین أشرف المراتب وأقربها من الله تعالى ، وله درجات كما يدل عليه ما ورد في بعض الأخبار الآتية من قولهم أعلى علیین وكما وقع التنبيه عليه في هذا الخبر بنسبة خلق القلوب والأبدان كليهما إليه مع اختلافهما في الرتبة ، فيشبهه أن يراد به عالم العبروت والملکوت جيماً اللذين فوق عالم الملك أعني عالم العقل ذات النفس ، وخلق قلوب النبيين من العبروت معلوم ، لأنهم المقربون وأماماً خلق أبدانهم من الملکوت فذلك لأنّ أبدانهم الحقيقة هي التي لهم في باطن هذه الجلود المدببة لهذه الأبدان ، وإنما أبدانهم العنصرية أبدان أبدانهم لاعلاقة لهم بها فكانوا هم في جلابيب من هذه الأبدان ، قد نفثوها وتجزّدوا عنها لعدم ركونهم إليها وشدة شوفهم إلى النشأة الآخرى ، ولهذا نعموا بالوصول إلى الآخرة ومقارقة هذا الآخرى ، ومن هنا ورد في الحديث : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وإنما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلك لأنّها من رغبة من هذه ومن هذه لتعلقهم بهذه الأبدان العنصرية أيضاً ما داموا فيها ، وسجين أحسن المراتب وأبعدها من الله سبحانه فيشبه أن يراد به حقيقة الدنيا و باطنها التي هي مخبأة تحت عالم الملك أعني هذا العالم العنصري ، فإن الأرواح مسجونة فيه ، ولهذا ورد في الحديث : المسجون من سجنته الدنيا عن الآخرة ، وخلق أبدان الكفار من هذا العالم ظاهر .

إنما نسب خلق قلوبهم إلى الشدة ركونهم إليه واحتلاطهم إلى الأرض ، وتناقلهم إليها ، فكأنّه ليس لهم من الملکوت نصيب لاستغراقهم في الملك ، والخلط بين الطينتين إشارة إلى تعلق الأرواح الملکوتية بالأبدان العنصرية ، بل نشوها منها شيئاً فشيئاً فكلّ من النشأتين غلت عليه صار من أهلها ، فيصير مؤمناً حقيقياً أو كافراً حقيقياً

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبد الففار الجازى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنَّ اللهَ عزَّ وَ جَلَ خَلْقَ الْمُؤْمِنِ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَ خَلْقَ الْكَافِرِ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ؛ وَ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عزَّ وَ جَلَ بَعْدَ خَيْرًا طَيْبَ رُوحَهُ وَ جَسَدَهُ فَلَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا عَرَفَهُ وَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرِ إِلَّا أَنْكَرَهُ ؛ قَالَ وَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ : الطَّينَاتُ ثَلَاثٌ : طِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُؤْمِنِ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ إِلَّا أَنْ أَنْبِيَاهُمْ مِنْ صَفَوْتَهَا ، هُمُ الْأَصْلُ وَ لَهُمْ فَضْلُهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ الْفَرعُ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ . كَذَلِكَ لَا يَفْرُقُ

أو بين الأمرين على حسب تدارك مرائب الإيمان والكفر ، انتهى .  
وقال آخرون : إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ تَأْلِمْ فِي الْأَرْوَاحِ الَّتِي تَخْتَارُ الْإِيمَانَ بِاخْتِيَارِهَا وَ الَّتِي تَخْتَارُ الْمُعْصِيَةَ بِاخْتِيَارِهَا ، سَوَاءً خَلَقُوا مِنْ طِينَةِ عَلَيْتِينَ ، أَوْ مِنْ طِينَةِ سَجِينَ فَلَمَّا عُلِمَ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَبْدَانَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي عُلِمَ أَنَّهُمْ يَخْتَارُونَ الْإِيمَانَ كَيْفِيَةَ عَلَيْتِينَ لِلْمُنْاسِبَةِ وَ أُعْطِيَ أَبْدَانَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي عُلِمَ أَنَّهَا تَخْتَارُ الْكُفْرَ بِاخْتِيَارِهَا كَيْفِيَةَ السَّجِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْأَمْرِيْنِ مَدْخُلٌ فِي اخْتِيَارِهِمُ الْإِيمَانُ وَ الْكُفْرُ ، وَ خُلُطَ بَيْنَ الطَّينَيْتَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ الْخُلُطُ مَدْخُلٌ فِي اخْتِيَارِ الْحَسَنَةِ وَ السَّيِّئَةِ ، فَمَنْ فِي قَوْلِهِ :  
من هذا ومن هيئنا ، للعلية المجازية .

الحديث الثاني : مجہول .

« مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ » أَيْ مِنْ طِينَةِ يَعْلَمُ حِينَ خَلَقَهُ مِنْهَا أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ طِينَةِ مِنْ جَحَّةِ الْأَعْمَالِ تَصِيرُ سَبِيلًا لِ الدُخُولِ الْجَنَّةَ لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرًا » أَيْ حَسَنَ عَاقِبَةَ وَ سَعَادَةَ « طَيْبَ رُوحَهُ » بِالْهَدَىيَاتِ الْخَاصَّةِ وَ الْأَلْطَافِ الْمُرْجِحَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ حَسَنِ اخْتِيَارِهِ وَ مَا يَعُودُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : « مِنْ طِينٍ لَازِبٍ » <sup>(١)</sup> قَالَ الْبَيْضاوِيُّ : هُوَ الْحَاصلُ مِنْ ضُوبِ الْجَزْءِ الْمَائِيِّ إِلَى الْجَزْءِ الْأَرْضِيِّ وَ فِي الْقَامُوسِ : الْلَّزُوبُ الْلَّصُوقُ وَ الشُّبُوتُ ، وَ لَزُوبُ كَرْمٍ لَزُوبًا وَ لَزُوبًا دَخْلٌ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ وَ الْطَّينُ لَزْقٌ وَ صَلْبٌ ، انتهى .

(١) سورة الصافات : ١١ .

الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم؛ وقال : طينة الناصب من حما مسنون وأما المستضعفون فمن تراب ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نفسه والله المشيئة فيهم .

أقول : ويمكن أن يكون على هذا التأويل للأية الكريمة المراد باللزوب لصوقيم بالائمة والكتاب ولصالزمتهم لهم، فقوله : كذلك لا يفرق الله ، الخ . وفي بعض النسخ بذلك، أي للزوبهم ولصوقيم بأئمتهم ولصوقيطينتهم بطيئتهم ، لا يفرق الله بينهم وبينهم . أولئك منهم من فرع تلك الطينة لا يفرق الله بينهما في الدنيا والآخرة ، لأن الفرع ملحق بالأصل وتابع له .

قوله يَعْلَمُ : من حما مسنون ، إشارة إلى قوله تعالى : « و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حما مسنون » <sup>(١)</sup> والصلصال الطين اليابس تسمع له عند النقر سلسلة أي صوت ، وقيل : طين صلب يخالطه الكثيب ، وقيل : منتن ، والحماء : الطين الاسود ، والمسنون المتفيسر المنتن ، وقيل : أي مصبووب كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة ، وقيل : أنه الرطب ، وقيل : مصوّر عن سبويه ، قال : أخذ منه سنة الوجه ، والحماء المسنون : طين سجين .

قوله : فمن تراب ، أي خلقوا من تراب غير ممزوج بما عذب زلال كما مزجت به طينة الأنبياء والمؤمنين ، ولا بماء آسن أجاج كما مزجت به طينة الكافرين ، فلا يمكنون من هؤلاء ولا من هؤلاء ، ولعل هذا وجده جمع بين الآيات الكريمة ، فان ما دل على أنه خلق من حما مسنون فهو في الناصب ، وما دل على أنه خلق من طين لازب فهو في الشيعة ، وما دل على أنه خلق من تراب فهو في المستضعفين ، فيحتمل حينئذ أن يكون المراد إدخال تلك الطينات جميعاً في بدن آدم لتحصيل قابلية جميع تلك الأمور والاقسام في أولاده وأن يكون المراد خلق كل صنف من تلك الطينة بادخال ذلك الطين في النطفة أو بحصول تلك النطفة من هذه الطينة .

والاوسيط أظهر ما رواه الشيخ في مجالسه باسناده عن عبيد بن يحيى عن يحيى

ابن عبد الله بن الحسن عن جده الحسن بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : إن في الفردوس علينا أحلى من الشهد وألين من الزبد وأبرد من الثلج وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عز وجل منها ، وخلق شيعتنا منها فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منها ولا من شيعتنا وهي الميثاق الذي أخذ الله عز وجل على ولاده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال عبيد : فذكرت لمحمد بن الحسين هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبد الله هكذا أخبرني أبي عن جدي عن أبيه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال عبيد : قلت : أشتهد أن تفسر لنا إن كان عندك تفسير ؟ قال : نعم أخبرني أبي عن جدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال : إن الله ملكا رأسه تحت العرش وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلية ، بين عينيه راحة أحدكم فإذا أراد الله عز وجل أن يخلق خلقاً على ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمي بها في النطفة حتى تسير إلى الرحم ، منها يخلق وهي الميثاق .

قوله : ولله المشيئة فيهم ، أي في المستضعفين والمعذيبين بعيد .

وقال بعضهم : في قوله عليه السلام : المؤمنون الفرع من طين لازب ، لأن الجبروت صفوة الملوك وأصله ، والملكون فرع الجبروت ، واللازم اللازم للشيء اللاصق به ، وإنما كانت طينتهم لازبة للزوجها طينة أئمتهم ولصوتها بها لخلطها بها وتركتها من العالمين جميعاً ، لأنترى إلى شوفهم إلى أئمتهم وحنيفهم إليهم ، وكما أن الأمر كذلك كذلك لا يفرق الله بين أئمتهم وبينهم ، والعاجم الطين الأسود وهو كنایة عن باطن الدنيا وحقيقة تلك المجوزة الشوهاء ، وأماماً خلق المستضعفين من التراب أعني ماله قبول الأشكال المختلفة وحفظها ، فذلك لعدم لزومهم لطريقة أهل الإيمان ، ولا لطريقة أهل الكفر وعدم تقييدهم بعقيدة لاحق ولا باطل ، ليس لهم نور الملكون ولا ظلمة باطن الملك ، بل لهم قبول كل من الأمراء بخلاف الآخرين فأنهم لا يتحولون لأن عما خلقوا له ، وأماماً قوله : ولله المشيئة فيهم ، فهو رد لتوهم الإيجاب في

٣ - على<sup>ؑ</sup> بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب . عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن فقال : من طينة الأنبياء ، فلم تنجس أبداً .

٤ - محمد بن يحيى وغيره ، عن أ Ahmad بن محمد وغيره ، عن محمد بن خلف ، عن أبي نهشل قال : حدثني محمد بن إسماعيل ، عن أبي حزة النمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عَلَيْنَا وَخَلَقَ قُلُوبَ شَيْعَتْنَا مَمَّا خَلَقَنَا مِنْهُ وَخَلَقَ أَبْدَانَنَا مِنْ دُرَنِ ذَلِكَ ، وَقَلُوبَهُمْ تَهُوَى إِلَيْنَا لَا نَتَّهَا خَلَقَنَا مَمَّا خَلَقَنَا مِنْهُ فَمَّا تَلَاهَذَتِ الْآيَةُ كَذَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لِفِي عَلَيْنَِ<sup>\*</sup> وَمَا أَدْرَاكُ مَا عَلَيْنَِ<sup>\*</sup> كِتَابَ

فعله سبحانه ، وفيه إشارة إلى قوله عز وجل : « ولو شاء لهديكم أجمعين » <sup>(١)</sup> .  
 الحديث الثالث : ضعيف .

« فلن تنجس أبداً » <sup>(٢)</sup> بمجاسة الشرك والكفر وإن نجست بالمعاصي فتظهر بالتوبة والشفاعة ، وقيل : لن يتعلق بالدنيا تعلقاً ركون وإخلاد يذهبه عن الآخرة .  
 الحديث الرابع : مجهول .

وقد من بيته في باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وقال بعض أرباب التأويل : كل ما يدركه الإنسان بحواسه يرتفع منه أثر إلى روحه ، ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركته ، وكذلك كل مثقال ذرة من خير أو شر يعمله يرى أثره مكتوباً ثمة ، ولا سيما مارسخت بسبب الهيئات ، وتأكدت به الصفات وصار خلقاً وملكة ، فالافتاعيل المتكررة والمقاييس الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش الكتائية في الالواح ، كما قال الله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » <sup>(٣)</sup> وهذه الالواح النفيسية يقال لها صحف الاعمال ، وإليه الاشارة بقوله سبحانه : « وإذا الصحف نشرت » <sup>(٤)</sup> وقوله

(١) سورة التحل : ٩

(٢) كذلك في جميع النسخ وفي المتن « فلن تنجس ... »

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٤) سورة الاسراء : ١٣ .

مرقوم يشهد المقربون ، وخلق عدو نا من سجينين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية : « كلام إن كتاب الفجئار لفي سجينين وما أدرك ما سجينين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذب بين » <sup>(١)</sup> .

عز وجل : « وكل انسان ألازمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه منشوراً » <sup>(٢)</sup> فيقال له : « قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصركاليوم حديد » <sup>(٣)</sup> « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنما كننا نستنسخ ما كنتم تعملون » <sup>(٤)</sup> فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت معلوماته أموراً قدسية وأخلاقه زكية وأعماله صالحة فقد أوتي كتابه بيمينه أعني من العجانب الاقوى الروحاني ، وهو جهة علیيin وذلك لأن كتابه من جنس الالواح العالية والصحف المكرمة المرفوعة المطهرة بأيدي سفرة كرام بررة يشهد المقربون ، ومن كان من الاشياء المردودين وكانت معلوماته مقصورة على الجرميات وأخلاقه سيئة وأعماله خبيثه فقد أوتي كتابه بشماله أعني من جانب الاضعف الجسماني وهو جهة سجين ، وذلك لأن كتابه من جنس الاوراق السفلية والصحائف الحسيّة القابلة للاحتراق فلا جرم يعذّب بالنار وإنما عود الارواح الى ما خلقت منه كما قال سبحانه : « كما بدأكم تعودون » <sup>(٥)</sup> « كما بدأنا أوّل خلق نعيده » <sup>(٦)</sup> فما خلق من علیيin فكتابه في علیيin ، وما خلق من سجين فكتابه في سجين .

(١) سورة المطففين ٧ - ١٠ .

(٢) سورة الاسراء ١٣ : .

(٣) سورة ق : ٢٢ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٩ .

(٥) سورة الاعراف : ٢٩ .

(٦) سورة الانبياء : ١٠٣ .

٥ - عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، عَنْ الْحُسَينِ بْنِ الْحَسَنِ جَعِيفاً ، عَنْ تَمَّادِ بْنِ أَوْرَمَةَ ، عَنْ تَمَّادِ بْنِ عَلَىٰ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ يَوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كِيسَانَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَلْتُ لَهُ : جَعَلْتَ فَدَاكَ أَنَا مَوْلَاكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كِيسَانَ ، قَالَ : أَمَا النَّسْبُ فَأَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتَ ، فَلَسْتَ أَعْرِفُكَ ، قَالَ : قَلْتُ لَهُ : إِنِّي وَلَدْتُ بِالْجَبَلِ وَنَشَأتُ فِي أَرْضِ فَارَسَ وَإِنِّي أَخْالَطُ النَّاسَ فِي التَّجَارَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَأَخْالَطُ الرَّجُلَ ، فَأُرْأَى لَهُ حَسْنُ السُّمْتِ وَحَسْنُ الْخُلُقِ وَ[كُثْرَةٌ] أَمَانَةٌ ، ثُمَّ أَفْتَشَهُ فَأَبْيَسْتُهُ عَنْ عَدَاوَتِكُمْ وَأَخْالَطُ الرَّجُلَ فَأُرْأَى مِنْهُ سُوءُ الْخُلُقِ وَقُلْةُ أَمَانَةٍ وَزَعْرَةٌ ثُمَّ أَفْتَشَهُ فَأَبْيَسْتُهُ عَنْ لَايَتُكُمْ ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : أَمَا عَلِمْتَ يَا ابْنَ كِيسَانَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْذَ طِينَةً مِنَ الْجَنَّةِ وَطِينَةً مِنَ النَّارِ ، فَخُلْطُوهُمَا جَعِيفاً ، ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ؛ وَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ فَمَا رَأَيْتَ مِنْ أَوْلَئِكَ مِنَ الْأَمَانَةِ وَحَسْنِ الْخُلُقِ وَحَسْنِ السُّمْتِ فَمِمَّا مَسْتُهُمْ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى مَا خُلُقُوا مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتَ مِنْ هُؤُلَاءِ مِنْ قُلْةِ الْأَمَانَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَزَعْرَةِ ، فَمِمَّا مَسْتُهُمْ مِنْ

#### الحديث الخامس : ضعيف .

« فَلَسْتَ أَعْرِفُكَ ، أَيِّ بِالتَّشْيِيعِ « فَأَفْتَشَهُ عَنْ عَدَاوَتِكُمْ » التَّعْدِيَةُ بَعْنَ لِتَضْمِينِي مَعْنَى الْكَشْفِ ، وَالسُّمْتُ : الطَّرِيقُ وَهِيَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ ، وَزَعْرَةُ بِالْزَّاءِ وَالرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ وَقَدْ يَخْفَفُ الشَّرَاسَةُ وَسُوءُ الْخُلُقِ ، وَفِي بَعْضِ النَّسْخِ بِالْمَدَالِ وَالْعَيْنِ وَالرَّاءِ الْمُهَمَّلَاتِ وَهُوَ الْفِسَادُ وَالْفَسْقُ وَالْخَبِيثُ . « فَخُلْطُوهُمَا جَعِيفاً » أَيِّ فِي صَلْبِ آدَمَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَوْا مِنْ أَصْلَابِ أُولَادِهِ ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ : ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ إِذَا يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ مِنْ صَلْبِ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ مِنْ صَلْبِ الْمُؤْمِنِ وَجَلَ الْخُلُطُ عَلَى الْخَلَطَةِ فِي عَالَمِ الْاجْسَادِ وَاِكتِسَابِ بَعْضِهِمُ الْأَخْلَاقِ مِنْ بَعْضِ بَعْدِهِ جَدَّاً .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ - إِلَى آخِرِهِ - مَعْنَاهُ أَنَّهُ نَزَعَ طِينَةَ الْجَنَّةِ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ، وَطِينَةَ النَّارِ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ بَعْدِ مَا مَسَّتْ إِحْدِيهِمَا الْآخِرِيَّ ، ثُمَّ خَلَقَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ ، وَخَلَقَ أَهْلَ النَّارِ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ، وَأَوْلَئِكَ إِشَارةٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ

طينة النّار وهم يعودون إلى ما خلقوا منه .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أَمْمَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ . عن مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ ، عن صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ  
قال : قلت لـ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى : الْمُؤْمِنُونَ مِنْ طِينَةِ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قال : نعم .

٧ - عَلَىٰ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عن صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ ، عن الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدٍ ، عن الْمُحَمَّدِ  
ابْنِ عَلَىٰ بْنِ أَبِي حَزَّةٍ ، عن إِبْرَاهِيمَ ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
لَمْ أَرَدْ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ تَعَالَى بَعْثَ جَبَرِيلَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجَمْعَةِ ،  
فَقَبضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً ، بَلَغَتْ قَبْضَتَهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّابِعةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا ، وَأَخْدَى مِنْ

وَهُؤُلَاءِ إِلَى الْأُولَى ، وَمَا خَلَقُوهُ مِنْهُ فِي الْأَوَّلِ طِينَةُ النّارِ فِي الثَّانِي طِينَةُ الْجَنَّةِ .

الحاديـث السادس : ضعيف . والمراد فضل طينتهم .

الحاديـث السابـع : ضعيف .

قوله : في أَوَّلِ سَاعَةٍ «الخ» قيل : لِمَ كَانَ خَلْقَ آدَمَ تَعَالَى بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ضَرِورةً تَقْدِيمَ البَسيطِ عَلَى الْمُرْكَبِ ، وَكَانَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَفْوَاتِهَا  
فِي سَتَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْأَسْبُوعِ وَقَدْ جَمِعَتْ جِيعَانًا فِي الْجَمْعَةِ صَارَ بَدْوُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِيهِ ،  
وَالْمَرَادُ بِكَلْمَتِهِ جَبَرِيلُ لِأَنَّهُ حَامِلُ كَلْمَتِهِ أَوْ لَا هُدَى لِلنَّاسِ بِهِ كَاهِنَدَاهُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ  
أَوْ لِكُونِهِ مُخْلوقًا بِكَلْمَةِ كَنْ بِلَا مَادَةٍ ، وَقَيلَ : الْمَرَادُ بِالسَّمَاوَاتِ درجاتِ الْجَنَّةِ وَبِالْأَرْضِ  
دُرَكَارَتِ سَجَّيْنِ لِيُطَابِقَ الْأَخْبَارِ الْآخِرِ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَخْذُلَهَا مِنْهُمَا مَعًا ، وَقَيلَ : كَانَ الْمَرَادُ  
بِالْتَّرْبَةِ مَا الْمَدْخَلُ فِي تَهْيَةِ الْمَادَةِ الْقَابِلَةِ لِأَنَّ يَخْلُقَ مِنْهَا شَيْءًا فَيُشَعِّلُ الطِينَةَ بِمَعْنَى الْجَبَلَةِ  
وَآتَادَ الْقُوَى السَّمَاوِيَّةَ الْمَرِيَّةَ لِلنَّطْفَةِ ، وَبِالْجَمْلَةِ مَا الْمَدْخَلُ فِي السُّبُّ الْقَابِلِيِّ ،  
انتهى .

وَقَيلَ : اطْلَاقُ التَّرْبَةِ عَلَى مَا أَخْذَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مِنْ قَبْيلِ مَجَازِ الْمَشَارِفَةِ أَيْ مَا  
يَصِيرُ تَرْبَةً وَيَنْتَلِبُ إِلَيْهَا ، وَالْفَصْوَى مَؤْنَثُ الْأَقْصَى أَيْ الْأَبْعَدُ ، وَيَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ  
سَبْعَ طَبَقَاتٍ كَالسَّمَاوَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

كلَّ سماء قربة وبقى قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى فأمر الله عزَّ وجلَّ كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله، فخلق الطين فلقتين فذرًا من الأرض ذراؤاً ومن السماوات ذراؤاً فقال للذى يمينه : منك الرَّسُولُ وَالْأَنْبِياءُ وَالْأَوْصِياءُ وَالصَّدِيقُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالسَّعَادُاءُ وَمَنْ أُرِيدَ كِرَامَتُهُ فَوْجِبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ وَقَالَ لِلذِّي بِشَمَالِهِ : مِنْكُمُ الْجَبَارُونَ

مثلهنَّ » <sup>(١)</sup> .

قوله بِكَلَّ الْأَرْضِ : فخلق الطين فلقتين، ضميراً فلق إماماً راجع إلى الله أو إلى جبرئيل ، وكذا قوله : فذرًا ، وفي القاموس فلقه يفلقه شفته كفلقه وفالق الحب خالقه أو شاقه باخراج الورق منه ، وقال : ذرت الريح الشيء ذراؤاً وأذرته وذرته أطارته وأذهبته وذراؤاً هو بنفسه .

أقول : الكلام يحتمل وجهاً « الاول » ، أن يكون قوله : فخلق تفريعاً وتأكيداً لما مضى ، أي فصار يقبض بعض الطين باليمين وبعضه بالشمال الطين صفين ، ففرق من الأرض أي مكان في يده من طين الأرض ، وكذا الثاني فقال الله أو جبرئيل للذى يمينه قبل الذرَّ أول الذي كان يمينه بعده .

الثاني : أن يكون المعنى فخلق كلَّ طين من الطينين فلقة أي جعل كلاًّ منهما حصتين ففرق من كلَّ طين حصة ليكون طينة للمستضعفين والأطفال والمجانين ، وقال ما بقى في اليمين : منك الرسل « الخ » ، وما بقى في الشمال : منك الجبارون « الخ » وعلى هذا لعل إرجاع الضمائير إلى الله تعالى أولى ، فيقرأ أريد في الموضعين بصيغة المتتكلِّم ، وعلى الوجه الآخر يقرأ بصيغة الغائب المجهول .

الثالث : ما ذكره بعض الأفضل حيث قال : كان الفلق كنایة عن إفراد ما يصلح من العادات في خلق الإنسان ، وإنما ذراؤاً من كلِّ منها ما ذراؤاً لأنَّه كان فيما ماليس له مدخل في خلق الإنسان وإنما كان مادةً لسائر الأكون خاصَّةً .

والمسركون والكافرون والطواحيت ومن أربد هوانه وشقوته ، فوجب لهم ما قال كما قال ، نَمَّ إِنَّ الطَّينَتَيْنِ خَلَطْتَنَا جَمِيعاً ، وذلك قول الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ فَالْحَبُّ وَالنَّوْيٌ »<sup>(١)</sup> فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمى النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه وقال الله عز وجل : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَمُخْرِجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ »<sup>(٢)</sup>

قوله ﷺ : نَمَّ إِنَّ الطَّينَتَيْنِ خَلَطْتَنَا ، أي ما كان في اليدين أو جميع الطينتين المذروء منها وغير المذروع ، وقوله ﷺ : فَالْحَبُّ طينة المؤمنين ، هذا بطن من بطون الآية وعلى هذا التأويل المراد بالغلق شق كل منها وإخراج الآخر منه أو شق كل منها عن صاحبه أو خلقهما « من أجل أنه نأى » لأن مناسبة نأى ونوى من جهة الاشتقاء الكبير المبني على توافق بعض حروف الكلمتين فإن الأول مهموز الوسط والثاني من المعتل ، ويحتمل أن يكون أصل المهموز من المعتل أو بالعكس ويؤيد أنَّ صاحب المصباح المنير والراغب في المفردات ذكرها نأى في باب النون مع الواو ، أو يقال ليس الفرض بيان الاشتقاء بل بيان أن النوى بمعنى البعد ، وذلك نأى لتناسب المفظين فإنَّ الواوى أيضاً يطلق بهذا المعنى ، قال في القاموس : النية الوجه الذي يذهب فيه والبعد كالنوى فيهما « انتهى » .

والآية في سورة الانعام هكذا : « إِنَّ اللَّهَ فَالْحَبُّ وَالنَّوْيٌ » قال في مجتمع البيان : أي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منه النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل و الشجر ، وفيه : معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما ، وفيه : المراد به ما في الحبة والنواة من الشق ، وهو من عجيب قدرة الله تعالى في إسوانه .

« يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَمُخْرِجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ » ، أي يخرج النبات الغض

**فالحي** : المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميّت الذي يخرج من الحي : هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي : المؤمن، والميّت : الكافر وذلك قوله عز وجل : «أو من كان ميتاً فأحييناه»<sup>(١)</sup> فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر

**الطري** الخضر من الحب اليابس ، وبخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمى الشجرة مادام غصاً قائماً بأنه حي ، فإذا يبس أو قطع أو قلع سمه ميّتا .

وقيل : معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ، ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وغيره ، وهذا أصح ، وقيل : معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي ، وقيل : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . ثم قال سبحانه في هذه السورة أيضاً : «أو من كان ميتاً فأحييناه فجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» .

قال الطبرسي : أو من كان ميتاً أي كافراً فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس وغيره ، شبه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة ، وقيل : معناه من كان نطفة فأحييناه وجعلنا له نوراً ، المراد بالنور العلم والحكمة أو القرآن أو الإيمان ، وبالظلمات ظلمات الكفر ، وإنما سمي الله الكافر ميتاً كأنه لا ينتفع بحياته ولا ينتفع غيره بحياته فهو أسوء حالاً من الميّت إذ لا يوجد من الميّت ما يعاقب عليه ، ولا يتضرر غيره به ، وسمى المؤمن حيّاً لأنّه له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمي الكافر ميتاً والمؤمن حيّاً في عدة مواضع ، مثل قوله : «إِنَّكَ لَا تسمع الموتى»<sup>(٢)</sup> و«لَتَنذَرُ مَنْ كَانَ حَيّاً»<sup>(٣)</sup> وقوله : «وَمَا يُسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ»<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الانعام : ١٢٢ .

(٢) سورة الروم : ٥٢ .

(٣) سورة يس : ٢٠ .

(٤) سورة فاطر : ٢٢ .

وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة

وسمى القرآن والعلم والإيمان نوراً لأن الناس يبصرون بذلك ، وبهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلال ، كما يهتدى بسائل الانوار ، وسمى الكفر ظلماً لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر أمر شدته « انتهى » .

وأقول : على التأويل المذكور في الخبر وأكثر التفاسير المذكورة قوله تعالى : « يخرج الحي » بيان لقوله « فالق الحب » .

قوله : حين فرق الله بينهما بكلمته ، أي بقدرته أو بأمر كن ، أو بجبرئيل ، والتفريق في الميلاد أو في الطينة ، والأول أظهر ، فقوله : كذلك ، تشبيه الالخاراج من الظلمات إلى النور وبالعكس باخراج الحي من الميت وبالعكس ، في أن المراد فيما إخراج طينة المؤمن من طينة الكافر وبالعكس ، وليس المراد تأويل تسمة تلك الآية أعني قوله سبحانه : « أو من كان ميتاً » « الخ » فإنه لم يذكر فيها إخراج الكافر من النور إلى الظلمة ، بل فيها أنه في الظلمات ليس بخارج منها بل هو إشارة إلى قوله تعالى : « الله ولِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرُجُوهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » الآية<sup>(١)</sup> ، ولا ينافي قوله عليه السلام : ويخرج الكافر ، مع أن في الآية نسب الالخاراج إلى الطاغوت لأن لخدلانه سبحانه مدخلاً في ذلك ، مع أنه يمكن أن يقرأ على بناء المجزد المعلوم ، أو على بناء المجهول ، وما قيل : من أنه يظهر من هذا الحديث أن إخراج المؤمن من الكافر وبالعكس في وقتين تفريق الطين و وقت الولادة فليس بظاهر كما عرف .

نعم أستشهد<sup>عليه السلام</sup> لاطلاق الحياة على الإيمان أو كونه من طينة مقر به له بقوله سبحانه : « لينذر من كان حيَا » أي كان من طينة الجنّة على تأويله عليه السلام ، قال الطيرسي : أي أنزلناه ليخوض به من معاصي الله من كان مؤمناً لأن الكافر كالميت بل أقل من الميت أو من كان عاقلاً كما روى عن علي عليه السلام وقيل : من كان حي القلب

بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل : « لينذر من كان حيَا ويحقُّ القول على الكافرين » <sup>(١)</sup>.

حيَّ البصر « ويحقُّ القول على الكافرين » أي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بکفرهم .

وأقول : على تأويله <sup>عليه السلام</sup> يحتمل أن يكون المراد بالقول ما مرَّ من قوله سبحانه : منك العجَّارون والمشركون والكافرون « النَّعْ » . فذلكة

إعلم أنَّ ما ذكر في هذا الباب وفي بعض الأبواب الآتية من متشابهات الأخبار ومعضلات الآثار، وممَّا يوهم الجبر ونفي الاختيار ولا صحاحاً بنا رضوان الله عليهم فيما سالك : الأول : ماذهب إليه الخبراريون وهو أنَّا نؤمن بها مجملًا ونعرف بالجهل عن حقيقة معناها وعن أنها من أي جهة صدرت ونرد علمه إليهم <sup>عليه السلام</sup> .

الثاني : أنها محمولة على التقييّة طوافتها لروايات العامة وماذهب الأشاعرة الجبرية وهم جلهم .

الثالث : أنها كنایة عن علمه تعالى بما هم صائرون فأنَّه سبحانه لما خلقهم وكان عند خلقهم عالماً بما يصيرون إليه فكانَه خلقهم من طينات مختلفة .

الرابع : أنها كنایة عن اختلاف استعداداتهم وقابليتهم وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره ، فأنَّه لا يريب عاقل في أنَّ النبيَّ <sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابلية ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف فإنَّ الله تعالى كلف النبيَّ <sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> بقدر ما أعطاهم من الاستعداد والقابلية لتحصيل الكمالات وكلفه ما لم يكُفُّ أحداً مثله ، وكلف أبو جهل ما في وسعه وطاقته ، ولم يجبره على شيء من الشر والفساد .

الخامس : أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً في الذر وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشر باختيارهم في ذلك الوقت ، وتفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلت عليه بعض الأخبار فلا فساد في ذلك .

## ﴿ باب آخر منه ﴾

### ﴿ وفيه زيادة وقوع التكليف الاول ﴾

١ - أبو علي الأشعري و محمد بن يحيى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن الحكم عن أبيان بن عثمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان ، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماءاً

### باب آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف الاول

أقول : إنما أفرد لتلك الأخبار بباباً لاشتمالها على أمر زائد لم يكن في الاخبار السابقة رعاية لضبط العنوان بحسب الامكان .

الحديث الاول : موئذن كالصحيح .

« لما اختلف اثنان ، <sup>(١)</sup> أى في مسألة الاستطاعة والاختيار والجبر ، أو ما تنازع اثنان في أمر من أمور الدين لاختلف أهلهم وقابلياتهم وطينهم ، ولما بالغوا في هداية الخلق « كن ماءاً عذباً » أمر تكويني أو استعارة تمثيلية لبيان علمه تعالى باختلاف مواد الخلق وإستعداداتهم وما هم إليه صارون وفي الفاءوس : ماء أحاج ملح مسّ ، وقال أديم النهار عاتمه أو بياضه ، ومن الضحى أو له و من السماء والارض ما ظهر وقال : عركه دلكه و حركه حتى عفاته وقال : الذر صفار النمل و ماء منها زنة حبة شعير ، الواحدة ذرة ، وقال : دب يدب دبباً و ديبباً : مشى على هنية ، وقال : أفتنه فسخته ، واستقاله : طلب إليه أن يقيله ، وقال : هابه يهابه هبياً و مهابه : خافه .

وقال السيد رضي الله عنه في نهج البلاغة : روى اليهاني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن بزيyd عن مالك بن دحية قال : كننا عند أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس ، قال : إنما فرق بينهم مبادي طينهم ، و ذلك أنهم قد كانوا فلقة من سبع أرض وعدبها و حزن تربة و سهلها فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون ،

(١) وفي المتن « ما اختلف ... » بدون اللام .

عذباً أخلاق منك جنتي وأهل طاعتي وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي  
ثمَّ أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ثمَّ أخذ طيناً

و على قدر إختلافها يتفاوتون ، فتامَ الرداء ناقص العقل ومادَ القامة قصير الهمة و  
ذاكى العمل قبيح المنظر وقريب الفخر بعيد السير ومحروم الضريبة منكر الجلية وقائه  
القلب متفرق اللبْ وطريق المسان حديد الجنان .

وقال ابن ميثم في قوله ﴿إِنَّمَا فَرَقَ بَيْنَهُمْ «الخ» أَى تقاربهم في الصور و  
الأخلاق تابع لتقارب طينتهم وتقارب مباديه وهي السهل و الحزن ، والسبخ و العذب  
وتقاويمهم فيها لتفاوت طينتهم ومبادئه المذكورة وقال أهل التأويل : الاضافة بمعنى  
اللام أى المبادى لطينتهم كنهاية عن الاجزاء العنصرية التي هي مبادى المركيبات ذوات  
الامزحة ، أو السبخ كنهاية عن الحار اليابس والعذب عن الحارِ الربط والسهل عن البارد  
الربط ، والحزن عن البارد اليابس ، انتهى .

وأقول : لا يبعد أن يكون اماء العذب كنهاية عما خلق الله في الإنسان من  
الداعي إلى الخير والصلاح كالعقل والنفس المطلقة ، واماء الاجاج عمما ينافي ويعارض  
ذلك ويدعوا إلى الشهوات الدينية واللذات الجسمانية من البدن وما ركب فيه من  
الداعي إلى الشهوات ، ويكون مز جهمـ كنهاية عن تركيبهما في الإنسان ، فقوله : أخلق  
منك ، أى من أجلك جنتي وأهل طاعتي ، إذ لو لا ما في الإنسان من جهة الخير لم يكن  
لخلق الجنة فائدة ولم يكن يستحقها أحد ، ولم يصر أحد مطيناً له تعالى ، وكذا قوله:  
أخلق منك ناري إذ لو لا ما في الإنسان من دواعي الشر و لم يكن يعصي الله أحد ، ولم يتحقق  
إلى خلق النار للزّ جر عن الشر ونم لاظهار إحاطة علمه بما سيقع من كل فرد من أفراد  
البشر للملائكة لطفاً لهم ولبني آدم أيضاً بعد اخبار الرسل بذلك جعلهم كالذرّ ، وميز  
من علم منهم الإيمان ومن علم منهم خلافه ، وكلّهم بدخول النار ليعلموا قبل التكليف  
في عالم الأجساد أنَّ ما علم منهم مطابق للواقع « فشم ثبتت الطاعة والمعصية » وعلم  
الملائكة من يطيع بعد ذلك ومن يعصي وأثبت ذلك في الألواح مطابقاً لعلمه تعالى .

من أديم الأرض فعر كأ شديدأ فإذا هم كالذر يدبون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر نارا فأسرعت فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها فيها بوها ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها فقال : كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً فقال أصحاب الشمال : يا رب أفلنا فقال قد أفلتكم فادخلوها فذهبوا فيها بوها ، فثم ثبت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء

وقوله : فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر ، أي لاجل ما قرر في الإنسان من جهتي الخير والشر ترى الأب يصير تابعاً للعقل ومقوياً للداعي للخير وزاجرًا للشهوات فيصير من الأ الخيارات ، والابن يتبع الهوى والشهوات ويسلطها على العقل فيصير من الاشارات مع نهاية الارتباط بينهما .

وقوله : ولا يستطيع هؤلاء ، أي لا يختلف ما علم الله تعالى منهم ، لكن لا يختارونها إلا باختيارهم وإرادتهم واستطاعتهم .

هذا ما خطر بالبال على وجه الاحتمال والله يعلم غوامض اسرارهم كذلك .  
وقال بعض أهل التأويل عَبْر عن المادة نارة بماء وأخرى بالتربة لاشتراكيما في قبول الاشكال ، ولا جتماعهم في طينة الانسان وتركيب خلقته ، وأديم الأرض وجهها وكأنه كنایة عما ينبع منها مما يصلح أن يصبح غذاء الانسان ويحصل منه النطفة أو تربى به ، والعرك : الدلك وكأنه كنایة عن مزجه بحيث يحصل منه المزاج ويستعد للحياة ، والذر : النمل الصغار وجه الشبه الحسن والحركة وكونهم محل الشعور مع صغر الجنة والخفاء ، وهذا الخطاب إنما كان في عالم الأمر ولشدة إرتباط الملك بالملائكة وقوامه به جاز إسناد مادته إليه وإن كان عالم الأمر مجرداً عن المادة واجتماعهم في الوجود عند الله تعالى إنما هو لاجتماع الأجسام الزمانية عنده تعالى دفعه واحدة في عالم الأمر وإن كانت متفرقة مبوطة متدرجة في عالم الخلق ووجودهم في عالم الأمر وجود ملكوني ظلي ينبع من حقيقة هذا الوجود الخلقي الجسماني وهو صورة علمه سبحانه بها وعبر عنه بالظلال في حديث آخر ، وأمره تعالى إياتهم

أَن يَكُونُوا مِنْ هُؤُلَاءِ؛ وَلَا هُؤُلَاءِ مِنْهُؤُلَاءِ.

٢ - عَلَيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ ابْنِ أَذِينَةَ، عَنْ زِدَارَةَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : « وَإِذْ أَخْذَ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ نَظَهُورِهِمْ ذَرْيَتْهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِيٌّ - إِلَى آخر الآية»<sup>(١)</sup>

إِلَى الْجَنَّةِ وَالثَّارِهِ دِهَائِتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى سَبِيلِهِمَا ، ثُمَّ تَوفِيقُهُ أَوْ خَذْلَانَهُ ، وَلَعِلَّ الْمَرَادُ بِالنَّارِ الْمَسْعُرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ التَّكَالِيفِ الشَّرِيعَةِ وَتَحْصِيلِ الْمَعْرِفَةِ الْمَحْرَقَةِ لِلْقُلُوبِ لِصَعْوَدَةِ الْخَرْجِ عَنْ عَهْدِهِنَّا وَاسْتِقْدَالَةِ أَصْحَابِ الشَّمَالِ كُنْيَاتِهِمْ عَنْ تَمْنِيَّهُمِ الْإِطَاعَةِ وَعَدْمِ فَدْرِهِمْ التَّامَّةِ عَلَيْهَا لِغَلْبَةِ الشَّفْوَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَوْنِهِمْ مَسْخَرَةً تَحْتَ سُلْطَانِ الْهُوَى كَمَا قَالُوا « وَبِنَا غَلَبْتَ عَلَيْنَا شَفَوْتَنَا وَكَنَا قَوْمًا ضَلَّلَنَا ، اتَّهَىٰ .

وَالاجْتِرَاءُ عَلَىِّ نَكْلِ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْأَخْبَارِ جَرَأَةٌ عَلَىِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَخْيَارِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَىِّ سَبِيلِ الْاحْتِمَالِ ، لَكِنْ بَعْدَ ثَبَوتِ مَا بَنَوْا عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنَ الْمَقْدِمَاتِ الَّتِي لَمْ تَثْبِتْ بِالْبَرْهَانِ وَالْيَقِينِ بِلَ بَعْضُهَا مَنَافِطُهَا تَبَثَتْ فِي الدِّينِ الْمَبِينِ .

**الْحَدِيثُ الثَّانِي :** حَسْنٌ كَالصَّحِيحِ .

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي زَمْنِ أَبِيهِ وَهُوَ حَاضِرٌ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْهُدْ إِدْرَاكَ زِدَارَةِ عَلَيِّ بْنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَوْيُ ذَلِكَ عَنِ الرَّجُلِ السَّائِلِ وَلَمْ يَكُنْ زِدَارَةُ حَاضِرًا عِنْدَ السُّؤَالِ ، مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ إِدْرَاكَهُ زِعَانُ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدْمِ رَوْيَتِهِ عَنْهُ وَلَذَا لَمْ يَعْدْ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَفِي تَفْسِيرِ العِيَاشِيِّ هَكُذا عَنْ زِدَارَةِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ إِلَى آخرِ الْخَبَرِ ، وَهُوَ أَصْوبٌ .

« وَإِذْ أَخْذَ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ نَظَهُورِهِمْ » قَالَ الْبَيْضَاطِيُّ : أَيْ أَخْرَجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَسْلَهُمْ عَلَىِّ مَا يَتَوَدَّنُ فِرَنَّا بَعْدَ فَرَنَّ ، وَمِنْ نَظَهُورِهِمْ بَدَلَ مِنْ بَنِي آدَمَ بَدَلَ الْبَعْضُ ، وَفَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍ وَابْنَ عَامِرٍ وَيَعْقُوبَ ذَرِيَّاتِهِمْ « وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىِّ أَنفُسِهِمْ أَسْتَ بِرَبِّكُمْ » أَيْ نَصَبَ لَهُمْ دَلَائِلَ رِبْوَيَّتِهِ وَرَكَبَ فِي عَقُولِهِمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَىِّ الْأَقْرَادِ

فقال وأبوه يسمع **يَقِنَّا** : حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم **تَبَلَّطَ** فصب عليها آماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها آماء الماء الحال الأجاج فتركتها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فصر كها عركاً شديداً فخرجوها كالذر من يمينه وشماله وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل

بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألسْت بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى ، فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكّنهم منه منزلة الشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ، ويدل عليه قوله : « قالوا بلى شهدنا أن نقولوا يوم القيمة » اي كراهة أن تقولوا « إِنَّا كُنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » لم تتبّه عليه بدليل « أَوْ نَقُولُوا » عطف على أن تقولوا « إِنَّا أَشْرَكْنَا مَا بَأْتُنَا مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا ذَرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ » فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن مع العلم به لا يصلح عذراً « أَفَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ » يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك ، وقيل : لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحيائهم ، وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك ، لحديث رواه عمر ، انتهى .

وقال بعض المحققين لعل معنى إشهاد ذريةبني آدم على أنفسهم بالتوحيد بإستطاف حقائقهم **بِالسَّنَةِ قَابِلِيَّاتِ جَوَاهِرِهَا وَالسِّنِّ إِسْتَعْدَادَاتِ ذَوَانِهَا** ، وأن تصدقهم به كان بلسان طباع الامكان قبل نصب الدلائل لهم أو بعد نصب الدلائل ، أو أنه نزل تمكينهم من العلم وتمكّنهم منه بمنزلة الشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل نظير ذلك قوله عز وجل : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ » <sup>(١)</sup> النج ، وقوله عز وجل : « فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهَا قَالَتْنَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » <sup>(٢)</sup> ومعلوم أنه لا قول ثمرة وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى ، ويحتمل أن يكون ذلك النطق باللسان الملكوني الذي به يسبّح كل شيء بحمد ربّه ، وذلك لأنّهم مفظورون على التوحيد .

قوله **تَبَلَّطَ** : من تراب ، التربة هذا من قبيل إضافة الجزء إلى الكل ، قوله :

(١) سورة النحل : ٤٠ .

(٢) سورة فصلت : ١١ .

أصحاب اليمين ، فصارت عليهم بردًا وسلامًا وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

٣ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أَمْمَادِ بْنِ مَعْدُونَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ ، عن أَبْنَانَ بْنَ عُثْمَانَ عن مَعْدُونَ بْنِ عَلَى الْحَلَبِيِّ ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ تَعَالَى أَرْسَلَ إِلَيْهِ الطِّينَ ، ثُمَّ قَبضَ قِبْضَةً فَعَرَكَهَا ثُمَّ فَرَّقَهَا فَرَقْتَيْنِ يَبْدِئُهُ ثُمَّ ذَرَاهُمْ فَإِذَا هُمْ يَدْبَّوْنَ ، ثُمَّ رُفِعَ لَهُمْ نَارًا فَأَمْرَأَ أَهْلَ الشَّمَاءِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فَدَهْبَوْا إِلَيْهَا فَهَبَّوْهَا فَلَمْ يَدْخُلُوهَا ثُمَّ أَمْرَأَ أَهْلَ الْيَمِينِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فَدَهْبَوْهَا فَأَمْرَأَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِنَّا نَارًا فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بِرْدًا وَسَلَامًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلَ الشَّمَاءِ قَالُوا : رَبِّنَا أَفْلَانَا ، فَأَقَالَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : ادْخُلُوهَا فَدَهْبَوْهَا فَقَامُوا عَلَيْهَا وَلَمْ يَدْخُلُوهَا ، فَأَعَادُهُمْ طَيْنًا وَخَلَقَ مِنْهَا آدَمَ تَعَالَى وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى : فَلَنْ يَسْتَطِعَ هُؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هُؤُلَاءِ وَلَا هُؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هُؤُلَاءِ . قَالَ : فَيَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى مِنْ دَخْلِ تَلْكَ النَّارِ فَلَذِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : « قُلْ إِنْ كَانَ لِرَبِّنَ حَنْ وَلَدٌ فَإِنَّا

من يمينه وشماله ، الضميران راجعان إلى الملك المأمور بهذا الامر كجبرئيل أو العرش أو إلى التراب فاستعاد اليمين للجهة التي فيها اليمن والبركة ، والشمال للآخرى ، أو اليمين لصفة الرحمانية والشمال لصفة الفهاربة ، فالضميران راجعان إلى الله تعالى كما في الدعاء : الخير في مديك ، أي كلما يصدر منك من خير أو شر أو نفع أو ضر فهو خير ، ومشتمل على المصالح الجليلة .

**الحديث الثالث :** حسن موئق كال صحيح .

قوله : فيرون ، أي أهل البيت تَعَالَى « قُلْ إِنْ كَانَ لِرَبِّنَ حَنْ وَلَدٌ » الآية ، قيل في تفسير الآية وجوه :

« الأول » فأنا أدل العابدين منكم ، فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لا يصح له ، وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه ، ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ، ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له ، فإن المحال قد يستلزم

أوّل العبادين» .<sup>(١)</sup>

## ﴿ بَابُ آخِرٍ مِنْهُ ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ ، عَنْ عَلَىٰ بْنِ الْحَكْمَ ، عَنْ دَاوُدَ الْعَجْلَى ، عَنْ زِرَادَةَ ، عَنْ حِرَانَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حِبْطَ خَلْقِ الْخَلْقِ خَلْقَ مَاءً عَذْبَىٰ وَمَاءً مَالْحَا اجْجَاجًا ، فَامْتَزَجَ الْمَاءَ اثَانِ ، فَأَخْذَ طَيْنًا مِنْ أَدِيمَ الْأَرْضِ فَعَرَكَ شَدِيدًا ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالَّذِينَ يَدْبَّوْنَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : «أَلَستَ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا :

المحال ، بَلْ الْمَرَادُ نَفِيَّهُمَا .

وَالثَّانِي : أَنَّ مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فِي زَعْمِكُمْ فَإِنَّا أَوْلَىٰ بِالْعَابِدِينَ لِهِ الْمُوَحَّدِينَ لَهُ .

الثَّالِثُ : أَنَّ الْمَعْنَى إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوْلَىٰ بِالآنْفِينِ مِنْهُ أَوْ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ

وَلَدٌ ، مِنْ عَبْدٍ يَعْبُدُ إِذَا اشْتَدَ أَنْفُهُ .

الرَّابِعُ : أَنَّ كَلْمَةَ إِنْ نَافِيَةٌ أَيْ مَا كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوْلَىٰ بِالْمُوَحَّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

أَفْوَلُ : وَبِنَاءُ الْخَبْرِ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ ، إِذَا يَظْهُرُ مِنْهُ أَنَّهُ ظَالِمٌ كَانَ مُبَادِرًا

إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَسُعَادٍ وَإِطْاعَةٍ ، فَلَا يَبْدُ أَنَّ يَكُونَ مُبَادِرًا فِي دُخُولِ النَّارِ عِنْدَ الْأُمْرِ بِهِ .

## باب آخر منه

الحاديُّثُ الْأَوَّلُ : مجهول .

«فَأَخْذَ طَيْنًا» ، أَيْ مِزْجَهُ بِالْمَائِنِ لِيُحَصَّلُ فِيهِ اسْتِعْدَادُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا فَيُصَحِّ التَّكْلِيفُ «إِلَى الْجَنَّةِ» ، أَيْ امْضُوا إِلَى الْجَنَّةِ سَالِمِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ ، أَوْ إِلَى مَا يُوجَبُ الْجَنَّةُ سَالِمِينَ مِنْ شَبَهِ الشَّيَاطِينِ وَسَاوِسَهُمْ «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ» ، يَعْنِي فَعْلُ ذَلِكَ كَرَاهَةً أَنْ تَقُولُوا ، وَفِي أَكْثَرِ النَّسْخِ أَنْ تَقُولُوا بِصِيغَةِ الْخَطَابِ كَمَا فِي الْقِرَاءَاتِ

بلى شهدنا أن نقولوا يوم القيمة إننا كنا عن هذا غافلين ، ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ألسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّهُ هَذَا مَهْدُ رَسُولِي ، وَأَنَّهُ هَذَا عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قالوا : بلى فثبت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولى العزم أنتي ربكم ومحمد رسولي وعلى أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولادة أمري وخران علمي - عليكم السلام - وأن المهدى أنتصربه لدعيني وأظهر به دولتي وأنتفم به من أعدائي وأعبد به طوعاً وكرهاً قالوا : أقررتنا يا رب وشهدنا ، ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدى ولم يكن لآدم عزم على الاقرار به وهو قوله عز وجل : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » <sup>(١)</sup> قال : إنما هو : فترك ، ثم أمر ناراً فاجتاحت

المشهورة ، فيكون ذكر تتمة الآية إستطراداً ، والأصوب هنا أن يقولوا بصيغة الغيبة موافقاً لقراءة أبي عمرو في الآية .

قوله عليكم السلام : ثم أخذ ، لعل كلمة ثم هنا وفيما سيأتي للتراخي الرتبى لا الزمانى ، لما بين الميثاقين من التفاوت ، وإلا فالظاهر تقدم أخذ الميثاق على النبيين على غيرهم ، وكذا أخذ الميثاق على أولى العزم وغيرهم لما سيأتي ، وأريد بأولى العزم نوح وابراهيم وموسى ويعسى ومحمد عليهم السلام ولا ينافي دخول الاقرار بنبوة عليهم السلام فيما عهد إليهم دخوله عليهم السلام في المعهود إليهم ، فييل : وطنما كانوا معهودين معلومين جاز أن يشار إليهم بهؤلاء الخمسة مع عدم ذكرهم مفصلاً ، وإنما زاد في أخذ الميثاق على من زاد في رتبته وشرفه لأن التكليف إنما يكون بقدر الفهم والاستعداد ، فكلما زاد زاد ، وإنما يعرف مراتب الوجود من له حظ منها وبقدر حظه منها ، وأما آدم فلما لم يعزم على الاقرار بالمهدى لم يعد من أولى العزم ، وإن عزم على الاقرار بغierre من الأوصياء .

« إنما هو فترك » يعني معنى فنسى هيئنا ليس إلا فترك ، ولعل السر في عدم عزم آدم على الاقرار بالمهدى استبعاده أن يكون لهذا النوع الانسانى إتفاق على أمر

فقال لاً صحاب الشمال: أدخلوها فهابوها، وقال لاً صحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردًا وسلامًا، فقال أصحاب الشمال: يا رب أفلنا، فقال: قد أفلتكم إذهبوا فادخلوها، فهابوها، فتم ثبتت الطاعة والولایة والمعصية.

٢ - محمد بن يحيى، عن أَمْرَاءِ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ وَعَلَيْهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْحَسْنِ ابْنِ مُحْبُوبٍ، عَنْ هَشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ حَبِيبِ السِّجْسَتَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ الْكَلَّا  
يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَخْرَجَ ذَرَيْتَهُ آدَمَ عَلَيْهِ الْكَلَّا مِنْ ظَهِيرَةِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ  
بِالرَّبُوَيْةِ لَهُ، وَبِالنَّبُوَّةِ لَكُلِّ نَبِيٍّ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخْذَهُمُ الْمِيثَاقَ بِنَبْوَتِهِ تَمَّ مُحَمَّدٌ  
عَبْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَّا ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَآدَمَ: أَنْظِرْ مَاذَا تَرِي، قَالَ: فَنَظَرَ آدَمَ عَلَيْهِ الْكَلَّا إِلَى  
ذَرَيْتَهُ، وَهُمْ ذَرَّ قَدْ مَلَأُوا السَّمَاءَ، قَالَ آدَمَ عَلَيْهِ الْكَلَّا: يَارَبُّ مَا أَكْثَرُ ذَرَيْتَيْ وَلَا مَرْ مَا  
خَلَقْتَهُمْ فَمَا تَرِي مِنْهُمْ بِأَخْذِكَ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ

واحد، انتهى .

وأقول: الظاهر ان المراد بعدم العزم عدم الاهتمام به وتذكرة ، او عدم التصديق اللساني حيث لم يكن ذلك واجباً لعدم التصديق به مطلقاً ، فإنه لا يناسب منصب النبوة ، بل ما هو أدون منه .

وقوله: إنما هو فترك ، اي معنى النسيان هنا الترك ، لأن النسيان غير مجوز على الانبياء علیهم السلام ، او كان في قرائتهم علیهم السلام « فترك » مكان « فنسى » او المعنى ان العزم انما كان ما ذكر ، اي العزم على الاقرار المذكور ، فترك آدم علیه السلام او كان المطلوب الاقرار التام ولم يأت به ، او عزم أو لا ثم ترك والاول اظهر .

وفي القاموس الأنجيج تلهب النار كالتأرجح ، وأرججتها تأجيجاً فتراجحت .

الحديث الثاني : حسن .

قوله: فكان ، ونم قال ، وفنظر ، الكل معطوف على أخرج ، وقوله: قال آدم ، جواب لما ، و « لاً مَا » اي لا من عظيم قوله: يعبدونني ، اي اريد منهم ان يعبدونني ، وقوله: لا يشركون بي شيئاً ، حال او استئناف ي يأتي قوله: وكذلك

بِي شَيْئاً دَيْؤُمُنُونَ بِرَسْلِي وَيَتَّبِعُونَهُمْ ، قَالَ آدَمَ عَلَيْهِ الْكَفَلَةُ : يَا رَبَّ فِعْلَى أُرْدِي بَعْضَ الْذَّرِّ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُهُمْ لَهُ نُورٌ كَثِيرٌ وَبَعْضُهُمْ لَهُ نُورٌ قَلِيلٌ وَبَعْضُهُمْ لَيْسَ لَهُ نُورٌ ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كَذَلِكَ خَلْقُهُمْ لَا يُبَلُّو هُمْ فِي كُلِّ حَالَاتِهِمْ ، قَالَ آدَمَ عَلَيْهِ الْكَفَلَةُ : يَا رَبَّ فَتَذَنْ لِي فِي الْكَادِمِ فَأَكُلُّمْ ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَكَلُّمْ فَابْنَ رُوحَكَ مِنْ رُوحِي وَطَبِيعَتِكَ [ مِنْ ] خَلَافَ كِينُونَتِي : قَالَ آدَمَ : يَا رَبَّ فَلَوْ كُنْتَ خَلْقَتِهِمْ عَلَى مِثْلِ وَاحِدٍ وَقَدْرٍ وَاحِدٍ وَطَبِيعَةً وَاحِدَةً وَجَبَلَةً وَاحِدَةً وَأَلْوَانَ وَاحِدَةً وَأَرْزَاقَ سَوَاءً لَمْ يَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ تَحَاسِدٌ وَلَا نِيَاجُنْسٌ وَلَا اخْتِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا آدَمَ بِرُوحِي نَطَقْتُ وَبِضَعْفِ طَبِيعَتِكَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ وَأَنَا الْخَالِقُ

خَلْقَتِهِمْ ، فِي بَعْضِ النَّسْخِ لِذَلِكَ أَيْ لِأَجْلِ الْإِخْتِلَافِ ، كَمَا قَالَ سَبِّحَانَهُ : « وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمَ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلْقَهُمْ » عَلَى بَعْضِ التَّفَاسِيرِ ، أَوْ لَا يَعْبُدُونِي وَلَا يَشْرُكُوا بِي شَيْئاً .

« مِنْ رُوحِي » أَيْ مِنْ رُوحِ اصْطَفِيهِ وَاخْتَرْتَهُ ، أَوْ مِنْ عَالَمِ الْمَجْرَدَاتِ بِنَاءً عَلَى تَجْرِيدِ النَّفْسِ ، وَقِيلَ : الرُّوحُ الْأَوَّلُ النَّفْسُ ، وَالثَّانِي جَبْرِيلُ ، وَلَا يَخْفِي هَافِي « وَطَبِيعَتِكَ » أَيْ خَلْقَتِكَ الْجَسْمَانِيَّةَ الْبَدَيْنِيَّةَ أَوْ صَفَاتِهَا التَّابِعَةُ لِهَا « خَلَافَ كِينُونَتِي » أَيْ وَجُودِيَّ فَانِّهَا مِنْ عَالَمِ الْمَادِيَّاتِ ، وَلَا تَنْسَبُ عَالَمَ الْمَجْرَدَاتِ أَوْ الْخَطَاءِ وَالْوَهْمِ نَاشِهِنَا ، وَقِيلَ : الْكِينُونَةُ هُنَا مَصْدِرُ كَانِ النَّاقِصَةِ وَالاضَّافَةِ أَيْضًا لِلتَّشْرِيفِ ، أَيْ صَفَاتِكَ الْبَدَيْنِيَّةِ مُخَالِفَةً لِلْآدَابِ الْمَرْضِيَّةِ لِي . كَكُونَكَ صَابِرًا وَقَانِعًا وَرَاضِيًّا بِقَضَائِهِ تَعَالَى ، وَالْجَبَلَةُ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيدِ الْلَّامِ : الْخَلْقَةُ ، وَقُولُهُ : وَبِضَعْفِ طَبِيعَتِكَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فِي بَعْضِ النَّسْخِ وَبِضَعْفِ قَوْتِكَ تَكَلَّمْتَ ، وَالْمَحَاصِلُ اَنْ حَكَمَكَ بِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا عَلَى صَفَاتٍ وَاحِدَةٍ كَانُوا أَقْرَبُ إِلَى الْحُكْمَةِ وَالصَّوَابِ إِنَّمَا نَشَأُ مِنَ الْأَوْهَامِ التَّابِعَةِ لِلْقَوْيِ الْبَدَيْنِيَّةِ فَانِّهُمْ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يَتَّسِرَ التَّكْلِيفُ الْمَعْرُضُ لَهُمْ لَا رَفْعٌ الدَّرَجَاتِ ، وَلَمْ يَبْقِ نَظَامُ النَّوْعِ ، وَلَمْ يَرْتَكِبُوا الصَّنَاعَاتِ الشَّافِةِ الَّتِي بِهَا بَقَاءُ نَوْعِهِمْ

العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و بمشيئتي يمضي فيهم أمري وإلى تدبيري وتقديرى صافردن ، لا تبديل لخلقى ، إنما خلقت الجنّ و الإنس ليعبدون و خلقت الجنّة ملن أطاعنى وعبدنى منهم و اتبّع رسلى ولا أبالي و خلقت النّار ملن كفربى و عصانى

إلى غير ذلك من الحكم والمصالح .

« بعلمي خالفت بين خلقهم » إذ علمت أنّ في خالفة خلقتهم صادحهم وبقاء نوعهم « وبمشيئتي » أى إرادتى التّابعة لحكمتى « يمضي فيهم أمري » أى الامر التّكوينى أو التّكليفى أو الاعمّ « لا تبديل لخلقى » أى لتقديرى ، أو لما فرّت فيهم من القابلّات والاستعدادات ، وفيما : أى من حست أحواله في ذلك الوقت حست أحواله في الدنيا ، ومن حست أحواله في الدنيا حست أحواله في الآخرة ، ومن قبحت أحواله في ذلك الوقت قبعت أحواله في الموطنين الآخرين لا يتبدل هؤلاء إلى هؤلاء ولا هؤلاء إلى هؤلاء .

أقول : وسيأتي الكلام في تفسير قوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » <sup>(١)</sup> وكان هذا إشارة إليه « إنما خلقت الجنّ و الإنس ليعبدون » إشارة إلى قوله تعالى : « وما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون » <sup>(٢)</sup> وأورد على ظاهر الآية أنّ بعض الجنّ و الإنس لا يعبدون أصلًا إما لكره أو جنون أو موت قبل البلوغ أو نحو ذلك ، وعدم ترتيب العلة الغائية على فعل الحكم ممتنع ، واجيب بوجوه أربعة :

الأول : أىّه اراد سبحانه بالجنّ و الإنس الذين بلغوا حد التّكليف قبل الممات والتعليل المفهوم من الام اعمّ من العلة الغائية ، كما روى الصدوق في التوحيد عن أبي الحسن الأول عليه السلام انه قال معنى قول النبي ﷺ : اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له ، انّ الله عز وجل خلق الجنّ و الإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، و ذلك قوله عز وجل : « وما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون » فيسرّ كلاماً لما خلق له ، فالويل ملن استحبّ العمى على الهدى .

ولم يتبع رسلِي ولا أبالي : وخلقتك وخلقتك ذرْ يَتَك من غير فاقة بي إلَيْك و إلَيْهم  
و إنما خلقتك و خلقتم لآبُلوك وأبُلوهم أَيْتَكُمْ أَحْسَن عَمَلاً في دار الدِّينِ في حيَاكُمْ

الثاني : إنَّه إن سلَّمنا انَّ المراد بالجنَّ والانس ما هو اعمَّ من المكلفين وانَّ  
اللام للعلة الغائية ، لأنَّ سلَّمَ العموم في ضمير الجمع في قوله : ليعبدون ، اذلُّلُ المراد  
 العبادة بعض الجنَّ والانس .

الثالث : إن سلَّمنا عموم ضمير يعبدون ايضاً فلان سلم رجوع الضمير الى الجنَّ  
و لا نرى اذ يمكن عوده إلى المؤمنين المذكورين قبل هذه الآية في قوله تعالى : « وَذَكَرَ  
فَنَّ الذَّكْرَى تَنْفُعُ الْمُؤْمِنِينَ » فتدلُّ على انَّ خلقَ غير المؤمنين لا جُل المؤمنين كما  
يعُومُ اليه قوله تَنْفُعُ الْمُؤْمِنِينَ في هذا الخبر : وينظر المؤمن الى الكافر في حمدوني ولذلك  
خلقتمهم « الخ » .

الرابع : لو سلَّمنا جميع ذلك نقول : ترتيب الغائية على فعل الحكيم وجوبه  
إنما هو فيما هو غایة بالذات ، والغاية بالذات هنا إنما هي التكليف بالعبادة ، والعبادة  
غاية بالعرض ، والتکلیف شامل لجميع افراد الجنَّ والانس للروايات الدالة على انَّ  
« لِأَطْفَالِ وَالْمَجَانِينَ يَكْلُفُونَ فِي الْقِيَامَةِ كَمَا سِيَّئَتِي فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ »<sup>(١)</sup> .

قوله : وقبل مماتكم ، كان تخصيص قبل الممات بالذكر وان كان داخلاً في الحياة  
لتتبنيه على انَّ المدار على العاقبة في السعادة والشقاوة ، « لآبُلوك وأبُلوهم » اي  
« لآبُلوك وأبُلوهم معاملة المختبر « أَيْتَكُمْ أَحْسَن عَمَلاً » مفعول ثان للبلوى بتضمين معنى  
العلم .

(١) وقال بعض الأساتيد في الجواب عن هذا الإيراد ما لفظه :

فت : الاشكال مبني على كون اللام في الجن والانس للاستغراق فيكون تخلف الغرض  
في بعض الأفراد منافيًّا له ، وتختلفاً من الغرض ، والظاهر ان اللام فيهما للجنس دون الاستغراق  
فوجود العبادة في النوع في الجملة تحقق للغرض لا يضره تخلفه في بعض الأفراد ، نعم لو  
افتقدت العبادة عن جميع الأفراد كان ذلك بطلاناً للغرض والله سبحانه في النوع غرض كما  
نراه في المفرد غرضاً .

و قبل مماتكم فلذلك خلقت الدُّنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار و كذلك أردت في تقديري وتدبري ، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعماهم وأرزاهم وطاعتهم ومعصيتهم ، فجعلت منهم الشقى والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والدئم والعالم والجاهل والغنى والفقير والمطهير والعاصي والصحيح والسقيم ومن به الزمانة و من لاعاهة به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته ، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألي أن أعاذه ويصر على بلائي فأتبيه جزيل عطائي ، وينظر الغنى إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، وينظر الفقير إلى الغنى فيدعوني ويسألي ، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لا يلهم في السراء والضراء وفيما أعاذهما وفيما أبتليهم وفيما أعطيتهم

قوله: والطاعة والمعصية إسناد خلقهما إليه سبحانه أسناد إلى العلة البعيدة ، أو المراد به بجعل المعصية معصية ، والطاعة طاعة ، أو المراد بالخلق التقدير على عموم المجاز أو الاشتراك ، وظاهره أن الجنة والنار مخلوقتان كما هو مذهب اثنا عشر الإمامية بل كلّهم ، واثنا عشر الإمامية ، وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنهما غير مخلوقتين الآن ، وستخلقان .

«وبعلمي النافذ فيهم» أي المتعلق بكلّه ذواتهم وصفاتهم وأعمالهم ، كأنه نفذ في أعماقهم أو الجاري أثره فيهم «فجعلت منهم الشقى والسعيد» أي من كنت أعلم عند خلقه أنه يصير شقياً ، أو المادة القابلة للشقاوة وإن لم يكن مجبوراً عليها ، وكذا السعيد «والبصير» أي بصرأ أو بصيرة ، وكذا الأعمى و«الدئم» في أكثر النسخ بالذال المجمعـة ، أي المذموم الخلقة ، في القاموس : ذمـه ذمـاً ومذمـة فهو مذموم وذمـيم وبئـر ذمـيم وذمـيمة قليلـة الماء ، غزـيرة ضدـ ، وبـه ذمـيمة أي زمانـة تمنعـه الخروـج ، وكـأمير بشـر يعلـو الوجـوه من حـراً و جـرب ، وفي بعض النـسخ بالـدال المـهمـلة ، في القـامـوس : والـدـمة بالـكسـر الرـجل القـصـير الحـقـير ، وأـدـم اـقـبح اوـلـد له ولـد قـبيـح

و فيما أمنهم و أنا الله أملك القادر ، ولني أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت ولني أن أغير من ذلك هاشئت إلى هاشئت وأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدّمت وأنا الله الفعال لما أريد لا أسأل عما أفعل و أنا أسأل خلقي عما

دميم ، وقال : الزمان العاشرة و قوله : لا يلوهم بدل لقوله لذلك خلقهم .

قوله : ولني أن أغير إشارة إلى أن الطينات المختلفة والخلق منها ، وتقدير الأمور المذكورة فيهم ليس مما ينفي اختيار الخير والشر أو من الأمور الحتمية التي لا تقبل البداء « لا استئل عما أفعل » إنما لا يسئل لأنّه سبحانه الكامل بالذات العادل في كلّ ما أراد ، العالم بالحكم والمصالح الخفية التي لا تصل إليها عقول الخلق ، بخلاف غيره فأنهم مسؤولون عن أعمالهم واحوالهم لأنّ فيها الحسن والقبيح والإيمان والكفر ، لا بمعنى التي تذهب إليه الأشاعرة انه يجوز ان يدخل الانبياء عليهم السلام النار والكافار الجنّة ، ولا يجب عليه شيء ، وقيل : إنّ هذا إشارة إلى عدم الوجوب السابق وجواز تخلف المعلول عن العلة التامة كما اختاره هذا القائل .

وقال بعض أرباب التأويل في شرح هذا الخبر : إنّ مملوئاً السماء لأنّ الملكوت إنما هو في باطن السماء وقد ملؤها ، كانوا يومئذ ملوكين ، والسر في تفاوت الخلاائق في الخيرات والشرور واختلافهم في السعادة والشقاوة واختلاف استعداداتهم وتنوع حفرياتهم لبيان المواد السفلية في اللطافة والكتافة واختلاف أمزجتهم في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي واختلاف الأرواح التي بازائتها في الصفاء والكدرة والقوّة والضعف وترتيب درجاتهم في القرب من الله سبحانه وبعده عنه كما اشير إليه في الحديث : الناس معادن الذهب والفضة خيارهم في المجاهيلية خيارهم في الإسلام .

واما سرّ هذا السرّ أعني سرّ اختلاف الاستعدادات وتنوع الحقائق فهو تقابل صفات الله سبحانه وسمائه الحسنى التي هي من اوصاف الكمال ونوعوت الجلال ، وضروبة تباهي مظاهرها التي بها يظهر اثر تلك الاسماء ، فكلّ من الاسماء يوجب تعلق ارادته سبحانه وقدره إلى ايجاد مخلوق يدلّ عليه من حيث اتصفاته بتلك الصفة

هم فاعلون .

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جيماً، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خلقُ الخلقِ فخلقَ مِنْ أَحَبِّهِ مَا أَحَبَّهُ وَكَانَ مَا أَحَبَّهُ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَخَلَقَ مِنْ أَبْغَضِهِ مِمَّا أَبْغَضَهُ وَكَانَ مَا أَبْغَضَهُ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ، ثُمَّ بَعْثَمْ فِي الظَّلَالِ فَقَلَتْ : وَأَيْ شَيْءٍ الظَّلَالُ ؟ فَقَالَ : أَلَمْ تَرِ إِلَى ظِلَّكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئًا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ

فلا بدَّ مِنْ اِيجادِ مُخلوقاتٍ كُلُّها عَلَى اختلافِها وَتَبَاعِينَ اِنواعَهَا لِتَكُونَ مَظَاهِرَ لِاسْمَائِهِ الْحَسَنِيِّ جِيماً ، وَمَجَالِي لِصَفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ قَاطِبَةً ، كَمَا اشِيرَ إِلَى طَعَةِ مِنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، التَّهْمِيِّ .

وَأَقُولُ : هَذِهِ الْكَلْمَاتُ مِبْنَيَّةٌ عَلَى خَرَافَاتِ الصَّوْفِيَّةِ وَإِنَّمَا تُورِدُ اِمْتَالَهَا لِتَطْلُعِهِ عَلَى مَسَالِكَ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ وَآرَائِهِمْ .

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ : ضَعِيفٌ ، وَقَدْ مُضِيَّ هَذَا الْخَبَرُ بِأَدْنَى تَقْيِيرٍ فِي الْمُتَقَنِّ وَالسَّنْدِ فِي بَابِ فِيهِ تَنَفُّ وَجْوَامِعُ مِنَ الرِّوَايَةِ فِي الْوَلَايَةِ ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَنَاكَ ، وَقَيْلُ : «مَا» فِي قَوْلِهِ : «مَا أَحَبَّ» ، «وَمَا أَبْغَضَ» ، مُصْدَرِيَّةٌ وَقَدْ مُضِيَّ تَأْوِيلُهُ بِالْعِلْمِ أَوْ بِالْخَتَالِفِ الْإِسْتَعْدَادَاتِ ، وَالْمُرَادُ بِالظَّلَلِ إِمَاءَ الْأَرْوَاحِ أَوْ عَالَمِ الْمَثَالِ ، فَعَلَى الْأَوَّلِ شَبَّهَ الرُّوحُ الْمَجْرُّ دَعْلِيَّةِ الْقَوْلِ بِهِ أَوْ الْجَسْمِ الْلَّطِيفِ بِالظَّلَلِ لِتَطَافِتِهِ وَدُمُّ كِثَافَتِهِ ، أَوْ لِكُونِهِ تَابِعًا لِعَالَمِ الْأَجْسَادِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَعَلَى الثَّانِي ظَاهِرٌ ، وَقَوْلُهُ : شَيْئًا بِتَقْدِيرِ تَحْسِبِهِ أَوْ الرُّؤْيَةِ بِمَعْنَى الْعِلْمِ لَكِنْ يَنَافِي نَعْدِيَتِهِ بِالْيَقِينِ ، وَالْأَظْهَرُ شَيْءٌ كَمَا كَانَ فِي مَا مُضِيَّ .

وَقَيْلُ : أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ أَنَّ الْحَيَاةَ وَالتَّكْلِيفَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَا يَصِيرُ إِنْ سِيَّا لِلثَّوَابِ وَالْمَعَافِ النَّائِمِ وَلَا يَبْقَى ، بَلْ مَثَالُ وَحْكَاهُ عَنِ الْحَيَاةِ وَالتَّكْلِيفِ فِي الْأَبْدَانِ وَلَذَا يُسَمَّى الْوَجُودُ الْذَّهْنِيُّ بِالْوَجُودِ الظَّلِيلِ ، لِعَدَمِ كُونِهِ مُنْشَأًا لِلْأَثَارِ وَمُبِدِئًا لِلْحَكَامِ ، وَقَيْلُ : يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِهِ عَالَمُ الدُّرُّ الْمُبَاهِنُ لِعَالَمِ الْأَجْسَادِ الْكَثِيفَةِ وَهُوَ يَحْكُى عَنِ هَذِهِ الْعَالَمِ وَيُشَبِّهُهُ وَلَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ ظَلٌّ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ ، أَوْ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ

بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله عز وجلّ وهو قوله عز وجلّ : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »<sup>(١)</sup> ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأقر بعضهم وأنكر بعض ، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض وهو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل »<sup>(٢)</sup> ثم قال أبو جعفر عليهما السلام كان التكذيب ثم .

كم قال أمير المؤمنين عليهما السلام في بعض خطبه : ألا ان الذريعة افنان أنا شجرتها ، ودودة أنا ساقتها ، وإني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء ، كنا اظللا تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحاً حالية لا اجساماً نامية .

« ليقولن الله » اي خلقنا الله او الله خلقنا على اختلاف في تقديم المحذوف وتأخيره ، والمشهور الأول ، والغرض ان اضطرارهم الى هذا الجواب بمقتضى العهد والبيان ، قوله : ما كانوا ليؤمنوا ، الآية في سورة الاعراف هكذا : « تلك القرى نقص عليك من أبنائها ولقد جائتهم رسالهم بالبيانات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » وقال البيضاوى : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بالمعجزات ، بما كذبوا من قبل ، اي بما كذبواه من قبل الرسل بل كانوا مستمرة على التكذيب ، او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به او لاحين جائتهم الرسل ولم يوثق لهم دعوتهم المتطاولة والآيات المقتبعة ، واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان طائفاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم .

(١) سورة لقمان : ٢٥ .

(٢) سورة الاعراف : ١٠١ .

## ﴿باب﴾

﴿(أَن رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَوْلُ مَنْ أَجَابَ وَأَقْرَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ بِالرِّبُوبِيَّةِ)﴾

١ - عَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدٍ، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ مُحْبُوبٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَعْضَ قَرِيشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ شَيْءاً سَبَقَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَنْتَ بَعْثَتِ آخِرَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَ حِيثُ أَخْذَ اللَّهُ مِنْيَاقَ النَّبِيَّينَ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَسْتَ بِرَبِّكُمْ، فَكُنْتَ

**باب ان رسول الله (ص) اول من اجاب واقر لله تعالى بالربوبية**

**الحاديـث الاول :** ضعيف وقد مر في بـاب مولد النـبـي ﷺ .

قولـه : سـبـقـتـ الـأـنـبـيـاءـ ، اي دـرـبـةـ وـفـضـلـاـ وـآـخـرـهـ مـنـصـوبـ بـالـظـرـفـيـةـ وـخـاتـمـهـمـ مـرـفـوعـ بـالـعـطـفـ عـلـىـ بـعـثـتـ ، وـعـلـىـ طـرـيـقـ اـصـحـابـ التـأـوـيلـ يـمـكـنـ انـ يـرـادـ بـسـبـقـهـ عـلـيـهـاتـهـ الـأـقـرـارـ كـوـنـهـ اـكـثـرـ قـاـبـلـيـةـ وـاسـتـعـدـادـاـ لـقـبـوـلـ الـحـقـ وـادـرـاكـ الـمـعـارـفـ الـرـبـانـيـةـ ، وـقـوـلـهـ عـلـيـهـاتـهـ حـيـثـ اـخـذـ اللـهـ ، يـمـكـنـ تـعـلـقـهـ بـالـجـمـلـتـيـنـ مـعـاـ وـبـالـاخـيرـةـ فـقـطـ ، كـمـاـ هـوـ الـظـاهـرـ ، فـعـلـىـ الـاخـيرـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ سـبـقـ الـإـيمـانـ اـشـارـةـ إـلـىـ سـبـقـ خـلـقـ رـوـحـهـ عـلـىـ خـلـقـ سـاـيـرـ الـأـرـوـاحـ وـقـدـ آـمـنـ عـنـدـ وـجـودـهـ ، فـزـمـانـ إـيمـانـهـ وـإـقـرـارـهـ أـكـثـرـ مـنـ زـمـانـ إـيمـانـ الـجـمـيعـ ، وـيـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـرـادـ الـإـيمـانـ فـإـنـهـ وـالـلـهـ أـكـثـرـ مـنـ تـعـلـقـ الـرـوـحـ بـالـبـدـنـ كـاـنـ مـعـرـفـتـيـ وـإـيمـانـيـ قـبـلـ سـائـرـ الـأـنـبـيـاءـ فـإـنـهـ وـالـلـهـ أـكـثـرـ مـنـ تـكـلـمـاـ بـالـتـوـحـيدـ فـيـ بـطـنـ أـمـهـ وـهـوـ بـعـيدـ ، وـقـيـلـ فـيـ عـلـمـ تـأـخـيرـهـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ فـيـ الـوـجـودـ الـبـدـنـيـ وـالـبـعـثـةـ وـجـوهـ : «ـ مـنـهـ »ـ تـعـظـيمـهـ لـأـنـ سـائـرـ الـأـنـبـيـاءـ مـقـدـدـةـ لـهـ خـبـرـةـ بـوـجـودـهـ وـبـعـثـتـهـ كـلـمـدـةـ لـلـسـلـطـانـ ، وـمـنـهـ : تـكـمـيلـهـ لـأـدـيـانـ السـابـقـةـ كـمـاـ قـالـ : بـعـثـتـ لـأـقـمـ مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ ، وـمـنـهـ : تـعـظـيمـ دـيـنـهـ مـنـ جـهـةـ نـسـخـهـ لـلـشـرـايـعـ السـابـقـةـ وـعـدـمـ نـسـخـ شـرـعـ آـخـرـ ، وـمـنـهـ : أـنـ يـكـوـنـ شـاهـداـ لـتـبـلـيـغـ جـمـيعـ الـأـنـبـيـاءـ ، وـإـيـضاـ مـقـتـضـيـ التـرـقـيـ الـأـدـنـيـ مـنـ الـأـدـنـيـ

أنا أول نبى قال : بلى ، فسبقتهم بالقرار بالله عز وجل .

٢ - أَمْدُونْ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ : قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى : جَعَلْتَ فَدَاكَ إِنِّي لَأُرِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَعْتَرِيهِ النَّزْقُ وَالْحَدَّةُ وَالْطَّيْشُ فَأَغْتَمْتُ لَذِكْرَهُ شَدِيداً وَأُرِيَ مِنْ خَالِفِنَا فَأَرَاهُ حَسْنَ السَّمْتِ قَالَ : لَا تَقْلِ حَسْنَ السَّمْتِ فَإِنَّ السَّمْتَ سَمْتُ الطَّرِيقَ وَلَكِنْ قَلْ حَسْنَ السَّيْمَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السَّجْدَةِ »<sup>(١)</sup> قَالَ : قَلْتُ : فَأَرَاهُ حَسْنَ

إِلَى الْأَعْلَى ، وَلَوْ جَاءَ بِالْأَدُونَ بَعْدَ الْأَفْضَلِ لَا تَظْهَرُ رَتْبَتَهُمَا وَفَضْلَهُمَا كَمَا لَا يَخْفَى .

### الحاديـث الثـاني : مرسـل .

ويقال : عراه واعراه أى غشه وآثاره ، وانزق بالفتح والتحرير الخفة عند الغضب ، والحدّة والطيش قريباً منه ، وقال الجوهري : السمت الطريق وسمت يسمت بالضمّ أى قصد ، والسمّت هيئّة أهل الخير ، يقال : ما أحسن سمة أى هديه ، وقال : السيمما مقصود من الواو ، قال تعالى : « سيماهم في وجوههم من أثر السجدة » وقد يجيء السيمماء والسيمياء ممدودين ، وقال الفيروزآبادى : السمت الطريق وهيئّة أهل الخير ، والسير على الطريق بالظن وحسن التحو وقصد الشيء ، وقال : السيمما والسيماء والسيمياء بكسرهن : العلامه ، وقال الجزرى : السمت : الهيئة الحسنة ، ومنه فينتظرون إلى سمة وهدىه أى حسن هيئته ومنظره في الدين ، وليس من الحسن والجمال .

وقيل : هو من السمت : الطريق ، يقال : ألزم هذا السمت ، وفلان حسن السمت أى حسن القصد ، وقال الزخشري : السمت أخذ المنهج ولزوم المحبجة يقال : م أحسن سمة أى طريقتها أى طريقةها التي ينتهجهما في تحريّ الخير والتزيين بربى الصالحين ، وفي المصباح : السمت الطريق والقصد والسكينة والوقار والهيئة

نتهي .

السيماء وله وقار فأغتمَ لذلك ، قال : لا تفتنِّي مَا رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت  
من حسن سيماء من خالفك ، إنَّ اللَّهَ تبارك وتعالي لِمَنْ أرادَ أَنْ يخلقَ آدمَ خلقَ تلكَ  
الطيسمتين ، ثمَّ فرَّ قهْماً فرقتين ، فقال لِصَحَابِ اليمينِ كُونُوا خلْقاً بِإِذْنِي ، فَكَانُوا خلْقاً  
بِمِنْزَلَةِ الدَّرْرِ يَسْعَى ، وَقَالَ لِأَهْلِ الشَّمَاءِ : كُونُوا خلْقاً بِإِذْنِي ، فَكَانُوا خلْقاً بِمِنْزَلَةِ  
الدَّرْرِ ، يَدْرَجُ ، ثُمَّ رَفِعُ لَهُمْ نَاراً فَقَالَ : أَدْخُلُوهَا بِإِذْنِي ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَهُمْ مُحَمَّداً الشَّفَاعَةَ  
ثُمَّ اتَّبَعَهُ أَوْلَوَا العَزْمَ مِنَ الرَّسُولِ وَأَصْبَاهُمْ وَاتَّبَاعَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِصَحَابِ الشَّمَاءِ :  
ادْخُلُوهَا بِإِذْنِي ، فَقَالُوا : رَبِّنَا خلَقْنَا لِتَجْرِيَنَا ؟ فَعَصُوا ، فَقَالَ لِصَحَابِ اليمينِ أَخْرِجُوا

ولعل من معنٰه اللّغات عن إطلاق السمت لأن السمت يكون بمعنى سمت الطريق فيوهم أن طريقة مذهبهم حسن فعتبر اللّغات بعبارة أخرى لا يوهم ذلك ، أو لما لم يكن السمت بمعنى هيئة أهل الخير فصيحاً أمر بعبارة أخرى أوضح منه ، أو فإنه اللّغات علم أنه أراد بالسمت السماء لا هيئة أهل الخير والطريقة الحسنة والأفعال المحمودة فلذا نسبه اللّغات بأن السمت لم يأت بمعنى الذي اردت وهذا قريب من الأول ، والوفار الاطمئنان والسكنينة المبدئية « لاصحاب اليمين » اي للذين كانوا في يمين الملك الذي أمره بتقريفيها او للذين كانوا في يمين العرش او للذين علم أنهم سيصيرون من المؤمنين الذين يقفون في القيامة عن يمين العرش « كانوا خلقاً » اي مخلوقين ذوى ارواح ، وقيل : اي كانوا ارواحاً بمنزلة الذرائى النمل الصفار « يسعى » واطلاق السعى هنا والدرج فيما سبأته إما طحضر التقفن في العبارة ، او اطراد بالسعى سرعة السير ، وبالدرج المشي الضعيف كما يقال : درج الصبي إذا مشى أو مشيه فيكون إشارة إلى مساعدة الاولين إلى الخيرات وبطء الآخرين عنها ، وقيل : المراد سعي الاولين إلى العلوّ والآخرين إلى السفل ، ولا دلالة في المفظ عليهما .

« ثم أتبعه اولوا العزم » اي سائرهم يَتَّبِعُهُمْ ، والكلم : الجرح والفعل كضرب ، وقد يبني على التفعيل ، وفي القاموس : وهج النار تهيج وهجاً ووهجاناً انْقَدَت ، والاسم الوهج محرّكة

بإذنِي من النار ، لم تكلم النار منهم كلاماً ، ولم تؤثر فيهم أثراً ، فلما رأهم أصحاب الشمال ، قالوا : ربنا نحن أصحابنا قد سلمنا فأقلنا ومرنا بالدخول ، قال : قد افاقتكم فادخلوها ، فلما دنوا وأصحابهم الوجه رجعوا فقالوا : يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فصوّوا ، فأمرهم بالدخول ثلاثة ، كل ذلك يعصون ويرجمون وأمر أولئك ثلاثة ، كل ذلك يطعون ويخرجون ، فقال لهم : كونوا طيننا بإذنِي فخلق منه آدم ، قال :

وأقول : ما عرفت من التأويلاط في الاخبار السابقة يمكن إجراء أكثرها في هذا الخبر كأن يقال : لما كان من علم الله منهم السعادة تابعين للعقل والمقتضيات للنفس المقدّس فكانها طينتهم ، ومن علم الله منهم الشقاوة تابعين للشهوات البدنية وداعي النفس الامارة فكانها طينتهم ، ولما مزج الله بينهما في عالم الشهود جرى في غالب الناس الطاعة والمعصية ، والصفات القدسية وأطلالات الرديمة ، فما كان من الخيرات فهو من جهة العقل والنفس وهو طينة أصحاب اليمين وإن كان في أصحاب الشمال ، وما كان من الشر والمعاصي فهو من الأجزاء البدنية التي هي طينة أصحاب الشمال وإن كان في أصحاب اليمين ، ويمكن أيضاً أن يقال : المعني أنَّ الله تعالى لما قرر في خلقة آدم عليهما طينته داعي الخير والشرّ وعلم أنَّه يكون في ذريته السعداء والأشرقياء وخلق آدم عليهما مع علمه بذلك فكانه خلط بين الطينتين ، ولما كان أولاد آدم مدنيين بالطبع لا بدّ لهم في نشأة الدنيا من المخالطة والمحاكبة ، فالسعداء يكتسبون الصفات الذميمة من مخالطة الأشقياء وبالعكس .

فلمع قوله : من لطخ أصحاب الشمال ومن لطخ أصحاب اليمين اشارة الى هذا المعني ، ولما كان السبب الاقوى في اكتساب السعداء صفات الاشقياء ، استيلاء ائمّة الجور وتباعهم على ائمّة الحق واتباعهم ، وعلم الله انَّ المؤمنين إنما يرتكبون الآثام لاستيلاء هؤلء الباطل عليهم وعدم توئي ائمّة الحق لسياستهم فيعذرهم بذلك ، ويعفو عنهم ويعذّب ائمّة الجور واتباعهم بتسببهم لجرائم هؤلء خالطتهم مع ما يستحقون من جرائم نفسم .

فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب الشمال وما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب اليمين .

٣ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن اسماعيل ، عن محمد بن اسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : سئل رسول الله عليهما السلام بأي شيء سبقت ولد آدم ؟ قال : أني أوَّل من أقر بربى ، إن الله أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم أَسْتَ بِرَبِّكُمْ قالوا : بل ، فكنتَ أوَّل من أجاب .

### ﴿ بَاب ﴾

#### ﴿ كَيْفَ أَجَابُوا وَهُمْ ذُرٌ﴾

١ - علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن بعض اصحابنا ، عن ابي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليهما السلام : كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : جعل فيهم ما

كما ورد في بعض الاخبار : أن الله تعالى يلحق الأعمال السيئة التي اقترفها المؤمنون بالمواضب لأنها من طينتهم ، والاعمال الحسنة التي اكتسبها الموصوب بالمؤمنين لأنها من طينتهم ، وقد اوردنا الاخبار في ذلك في كتابنا الكبير ، وهذا باب غامض تعجز العقول عن إدراكه والاقرار بالجهل والعجز في مثله أولى .

**الحديث الثالث :** ضعيف وشرحه ظاهر مما مر .

#### « بَاب كَيْفَ أَجَابُوا وَهُمْ ذُرٌ»

**ال الحديث الأول :** حسن .

« ما إذا سألكم » كلمة « ما » موصولة والعائد محذوف اي اجابوه به ، اي جعل

إذا سألهُمْ أجاْبُوهُ ، يعْنِي فِي الْمَيْتَانِ .

في كل ذرّة العقل وآلية السمع وآلية النطق ، ومن حمل الآية على الاستعارة والتمثيل يحمل الخبر على أن المراد به أن ذلك كناية عن أنه جعلهم بحيث إذا سُئلوا في عالم الابدان أجاْبُوهُ بلسان المقال وهو بعيد ، وروى العياشي في تفسيره باسناده عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليهما السلام قال : أتاه ابن الكوَا فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تعالى هل كلام أحداً من ولد آدم قبل موسى عليهما السلام ؟ فقال على عليهما السلام : قد كلام الله جميع خلقه بـِهِمْ وفاجرهم وردوا عليه الجواب ، فنقل ذلك على ابن الكوَا ولم يعرفه ، فقال له : كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : أو ما تقرء كتاب الله إذ يقول لنبيه : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنتكم قالوا بلى » فأسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب كما تسمع في قوله الله يا ابن الكوَا : « قالوا بلى » فقال لهم : إنني أنا الله لا إله إلا أنا وأنا الرحمن ، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية وميزة الرسل والأنبياء والوصياء ، وأمر الخلق بطاعتهم فأقرّوا بذلك في الميثاق ، فقالت الملائكة : شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم الفيامة إننا كنا عن هذا غافلين .

ثم قال العياشي : قال أبو بصير : قلت لابي عبدالله عليهما السلام أخبرني عن الذرّة حيث أشهدهم على أنفسهم ألسنتكم قالوا بلى وأسر بعضهم خلاف ما أظهر كيف علموا القول حيث قيل لهم ألسنتكم ؟ قال : إن الله جعل فيهم ما إذا سألهُمْ أجاْبُوهُ وروى أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليهما السلام في قول الله : « ألسنتكم قالوا بلى » قلت : قالوا بالستّهم ؟ قال : نعم ، وقالوا بقلوبهم ، قلت : واي شيء كانوا يومئذ ؟ قال : صنع فيهم ما اكتفى به .

### تدليل نفعه جليل

إعلم أن آيات الميثاق والاخبار الواردة في ذلك مما يقصّ عنه عقول أكثر

\* \* \* \* \*

الخلق ، وللناس فيها مسالك :

الأول : طريقة المحمدين والمتورعين فانهم يقولون نؤمن بظاهرها ولا نخوضن فيها ولا نطرق فيها التوجيه والتأويل .

والثاني : جملتها على الاستعارة والمجاز والتمثيل .

والثالث : جملتها علىأخذ الميثاق في عالم التكليف بعد اكمال العقل بالبرهان والدليل .

فلنذكر هنا بعض ما ذكره اصحابنا والمخالفون في ذلك .

فمنها : ما ذكره الشيخ المفيد (ره) في جواب المسائل السروية حيث سئل :

ما قوله أدام الله تأييده في معنى الأخبار المرورية عن الأئمة الهاادية عليهم السلام في الاشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وخروج الذرية من صلبه على صور الذر ، ومعنى قول رسول الله صلوات الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجنددة فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف ؟

الجواب وبالله التوفيق أن "الأخبار بذكر الاشباح تختلف الفاظها وتنبأين معانيها ، وقد بنت الغلة عليها أباطيل كثيرة وصنفوا فيها كتبًا لغوا فيها وهزوا فيما اثبتوه منه في معانيها ، واضافوا ما حوتة الكتب الى جماعة من شيوخ اهل الحق وتخرسوا الباطل باضافتها اليهم ، من جملتها كتاب سموه كتاب الاشباح والاظلة نسبوه في تأليفه الى محمد بن سنان ولسنا نعلم صحة ما ذكروه في هذا الباب عنه وان كان صحيحًا ، فإنَّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو ، فإنَّ صدقوا في اضافة هذا الكتاب اليه فهو ضلال لضال عن الحق ، وإنْ كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك ، وال الصحيح من حديث الاشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأنَّ آدم عليه السلام رأى على العرش اشباحاً يلمع نورها ، فسأل الله تعالى عنها فأوحى اليه أنها اشباح رسول الله وامير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، وأعلمته انه لو لا الاشباح

التي رأها مخلقه ولا خلق سماءً ولا أرضاً والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم ، وجعل ذلك أجلاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا يتم إلا بهم ، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيدة ولا أرواحاً ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية يدل على ما يكتونون عليه في المستقبل في الهيئة والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضياء الحق بحجتهم، وقد روى أن أسمائهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش وأن آدم لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه يقول توبته سأله بحفهم عليه ومحلهم عنده فأجابه ، وهذا غير منكر في العقول ولا مضاد للشرع المنقول وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون وسلم لروايته طائفة الحق ولا طريق إلى إنكاره والله ولني التوفيق .

« فصل » ومثل ما بشرَ الله به آدم عليه السلام من تأهيله بنبيه عليه وآلـهـ السـلامـ طـ أـهـلـهـ لهـ ، وتأهيلـ أمـيرـ المؤـمنـينـ والـحسـنـ والـحسـينـ عليـهـ الـحـلـلـ طـ أـهـلـهـ لهـ ، وفرضـ عليهـ تعـظـيمـهمـ وإـجـالـالـهـمـ كماـ بشـرـ بهـ فيـ الـكـتـبـ الـأـوـلـىـ منـ بـعـثـتـهـ لـبـيـنـاـ عليـهـ الـحـلـلـ فـقـالـ فيـ مـحـكـمـ كـتـابـهـ : « النـبـيـ الـأـمـيـ الـذـيـ يـجـدـونـهـ مـكـتـوبـاـ عـنـهـمـ فيـ التـوـرـةـ وـالـإـنـجـيلـ يـأـمـرـهـ بـالـمـعـرـفـ وـيـنـهـاـهـ عـنـ الـذـنـكـ وـيـحـلـ لـهـمـ الـطـيـبـاتـ وـيـحـرـمـ عـلـيـهـمـ الـخـبـائـثـ وـيـضـعـ عـنـهـمـ إـصـرـهـ وـالـأـغـالـلـ الـتـيـ كـانـتـ عـلـيـهـمـ فـالـذـينـ آـمـنـواـ بـهـ وـعـزـ رـوـهـ وـنـصـرـوـهـ وـاتـبعـواـ النـورـ الـذـيـ أـتـلـ مـعـهـ أـولـئـكـ هـمـ الـمـفـلـحـونـ » <sup>(١)</sup> وـقـولـهـ تـعـالـىـ مـخـبـرـاـ عـنـ الـمـسـيـحـ عليـهـ الـحـلـلـ : « وـمـبـشـرـاـ بـرـسـولـ يـأـتـيـ مـنـ بـعـدـيـ اـسـمـهـ أـمـدـ » <sup>(٢)</sup> وـقـولـهـ سـبـحـانـهـ : « وـإـذـ أـخـذـ اللهـ مـيـنـاقـ النـبـيـنـ طـ أـيـتـكـمـ مـنـ كـتـابـ وـحـكـمـةـ ثـمـ جـاءـكـمـ رـسـولـ مـصـدـقـ طـ مـعـكـمـ لـتـؤـمـنـ بـهـ وـلـتـنـصـرـهـ » <sup>(٣)</sup> يعني رـسـولـ اللهـ عليـهـ الـحـلـلـ فـحـصـلتـ الـبـشـائرـ بـهـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ .

(٢) سورة الصاف : ٦ .

(٣) سورة آل عمران : ٨١ .

وأئمهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود ، وإنما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه وأن يأخذ العهد على الأنبياء والآمم كلها ، فذلك أظهر لآدم عليه صورة شخصه وأشخاص أهل بيته عليه ، وأنبت أسمائهم له ليخبره بعاقبتهم وبين له عن محلهم عنده ومتزلتهم لديه ، ولم يكونوا في تلك الحال أحياء ناطقين ولا أرواحاً ملتفين ، وإنما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه .

« فصل » وقد بشر الله عزوجل بالنبي والائمة عليه في الكتاب الأولى فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليه وأهل الكتب يقرؤونه ، واليهود يعرفونه أنه ناجي إبراهيم الخليل في مناجاته : اني قد عظمتك وباركت عليك وعلى اسماعيل وجعلت منه انتي عشر عظيماً وكبرت بهم جداً جداً وجعلت منهم شعباً عظيماً لامة عظيمة ، وأشباه ذلك كثيرة في كتب الله تعالى الأولى .

« فصل » فأما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم عليه على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه ، وال الصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فما بهم الأفق ، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ، فلما رأهم آدم عليه عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة ، فقال : يا رب ما هؤلاء ؟ قال الله عزوجل له : هؤلاء ذر يتك ، يريدي تعريفه كثرتهم ، وامتناع الأفق بهم ، وأن نسله يمكن في الكثرة كالذر الذي رأه ليعرفه قدرته ، وببشره باتصال نسله وكثرتهم ، فقال آدم عليه : يا رب ما أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم ظلمة ونوراً ؟ فقال تبارك وتعالى : أما الذي عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعونني ولا يعصونني في شيء من أمري ، فاولئك سكان الجنة ، وأما الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصونني ولا يطيعونني ، فأما الذين عليهم نور وظلمة فاولئك الذين يطيعونني من ولدك

ويعصونى ، فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة ، فهو لاء أمر مم إلى إن شئت عذّبتم فبعذلى ، وإن شئت عفوت عنهم بفضلى ، فأنبأ الله تعالى بما يكون من ولده وشبيههم بالذر الذى أخر جهم من ظهره ، وجعله علامه على كثرة ولده ، ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذريته دون أرحاجهم ، وإنما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم عليهما السلام على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، وأعلم بالكائن قبل كونه ، ولizard آدم عليهما السلام به يقيناً بربه ، ويدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته ، والتمسّك بأوامره ، والاجتناب لزواجه .

فاما الأخبار التي جاءت بأنّ ذريّة آدم عليهما السلام استنبطوا في الذر فنطقوها فخذ عليهم العهد فاقرّوا فهى من أخبار التناصيحة وقد خلطوا فيها ومنجزوا الحق ببساط واطعمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عداه مما استمرّ القول به على الأدلة العقلية والحجج السمعية ، وإنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه .

« فصل » فإن تعلق بقوله تبارك اسمه : « وإن أخذ ربكم من بنى آدم من ضمورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أسلت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إننا كنا عن هذا غافلين » فظاهر هذا القول تحقق ما رواه أهل التناصح والمحشوة والعامنة في إنطلاق الذرية وخطابهم وأنهم كانوا أحياء ناطقين ؟ فالجواب عنه : أن هذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها مما هو مجاز وإستعارة ، والمعنى فيها أن الله تبارك وتعالى أخذ من كل مكلّف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته العهد عليه بربوبيته من حيث أكمل عقله ودلله بآثار الصنعة على حدّه ، وأن له محدثنا أحدّه لا يشبهه : يستحق العبادة منه بنعمه عليه ، فذلك هو أخذ العهد منهم وآثار الصنعة فيهم والاشهاد لهم على أنفسهم بأن الله تعالى ربّهم

وقوله تعالى : « قَالُوا بَلِّي » ي يريد به أنهم لم يتمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ، ودلائل حدثهم الالزمة لهم ، وحجج العقل عليهم في إثبات صانعهم ، فكأنه سبحانه لما أزلهم الحجج بعقولهم على حدتهم وجود محدثهم قال لهم ألسْت بِرَبِّكُمْ فلما لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحديث لهم كانوا كفائلين بل شهدنا ، وقوله تعالى : أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أو ي يقولوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آباؤُنَا مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا ذَرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفْتَهُمْ لَكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ احْتَجَ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يَقْدِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا فِي إِنْكَارِهِ ، وَلَا يَسْتَطِعُونَ وَقَدْ قَالَ سَبِّحَاهُ : « وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنَّجْوَمُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ »<sup>(١)</sup> ولم يرد أن المذكور يسجد كمسجد البشر في الصلاة ، وإنما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معتبر عنه بالساجد قال الشاعر :

بجمع نظل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجدةً للحوافر

يريد أن « الحوافر تدل» الأكم بوطيها عليها ، وقوله تعالى : « نَمْ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنِ »<sup>(٢)</sup> وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام ، ولا السماء قالت قولاً مسموعاً ، وإنما أراد أنه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعدّر عليه صنعتها ، فكأنه لما خلقها قال لها وللأرض ائتها طوعاً أو كرها ، فلما تعلقت بقدرته كانتا كالقائل أتيانا طائعين ، وكمثل قوله تعالى : « يَوْمَ تَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ أَمْتَلَاتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مُزِيدٍ »<sup>(٣)</sup> والله تعالى يجعل عن خطاب النار وهو مما لا يعقل ولا يتكلّم ، وإنما الخبر عن سعتها وأنها لا تضيق بمن يحلّها من المعقّبين ، وذلك كلّه على مذهب أهل اللغة وعادتهم في المجاز ، ألا

(١) سورة الحج : ١٨ .

(٢) سورة فصلت : ١١ .

(٣) سورة ق : ٣٠ .

نرى إلى قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعاً وطاعة  
وأسبلتا كالدرّ ما لم ينقيب  
والعينان لم تقل قولًا مسموعاً ولكنّه أراد منها البكاء، فكانتا كما أراد من  
غير تعذر عليه، ومثله قول عنترة :

وشكى إلى بعرة وتحمّم  
فازود من وقع القنا بلبانه  
والفرس لا يشتكى قولًا لكنّه ظهر منه علامة الخوف والبجزع ، فسمى ذلك  
قولًا ، ومنه قول الآخر : « وشكى إلى جعلني طول السرى » والجمل لا يتكلّم لكنّه  
لمّا ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبر عن هذه العلامة بالشكوى التي  
يكون كالنطق والكلام ، ومنه قولهم أيضًا :

امتلاء الحوض وقال قطني حسبك مني قد ملأت بطني  
والحوض لم يقل قطني لكنه طلب امتلاء بالماء عبر عنه بأبيه قال : حسيبي ، ولذلك  
أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه ، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في  
تأويل الآية ، والله تعالى نسئل التوفيق .

« فصل » فاما الخبر بأنَّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو  
من أخبار الآحاد ، وقد روى العامة كما روت الخاصة ، وليس هو مع ذلك مما  
يقطع على الله بصحته ، وإنما نقله رواه لحسن الظن به ، وإن ثبت القول فالمعني  
فيه أنَّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل إختراع الأجساد و اختراع الأجساد  
و اختراع لها الأرواح ، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّر منه ،  
وليس بخلق لذواتها كما وصفناه ، والخلق لها بالأحداث والاختراع بعد خلق الأجساد  
والصور التي تدبّرها الأرواح ، ولو لا أنَّ ذلك كذلك لكان الأرواح يقوم بنفسها  
ولا تحتاج إلى آلات تعتملها ، ولكننا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق  
الاجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد ، وهذا مجال لآخفاء بفساده .

وأماماً الحديث بـأَنَّ الْأَرْواحَ جُنُودٌ مُجْنَدَةٌ فَمَا تَعْرَفَ مِنْهَا اتَّلَفَ وَمَا تَنَاهَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، فَاطْعَنَى فِيهِ أَنَّ الْأَرْواحَ الَّتِي هِيَ الْجُوَاهِرُ الْبَسَاطُتُ تَتَنَاصِرُ بِالجِنْسِ، وَتَتَخَازِلُ بِالْعَوَارِضِ، فَمَا تَعْرَفَ مِنْهَا بِاتْقَافِ الرَّأْيِ وَالْهُوَى اتَّلَفَ، وَمَا تَنَاهَرَ مِنْهَا بِبَيْانِهِ فِي الرَّأْيِ وَالْهُوَى اخْتَلَفَ، وَهَذَا مُوجُودٌ حَسَّاً وَمُشَاهِداً، وَلَيْسَ الْمُرادُ بِذَلِكَ أَنَّ مَا تَعْرَفَ مِنْهَا فِي الدُّرُّ اتَّلَفَ كَمَا يَذَهِبُ إِلَيْهِ الْحَشُورِيَّةُ كَمَا بَيْسَنَاهُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ لِلإِنْسَانِ بِحَالِ كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ ظَهُورِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَلَوْذَكَرَ بِكُلِّ شَيْءٍ مَا ذَكَرَ بِذَلِكَ فَوْضَعَ بِمَا ذَكَرَ نَاهَهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَبَرِ مَا شَرَحَنَاهُ وَاللَّهُ أَمْوَاقُ الْمُصَوَّبِ، انتهى.

وأقول : طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفية جرأة على الله وعلى أئمة الدين ، ولو تأملت فيما يدعوهם إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنَّ بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طرح خبر واحد فكيف يمكن طرح تلك الاخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها ، وقد أوردنا الاخبار الدالة على تقدُّم خلق الارواح على الاجساد في كتاب السماء والعالم من كتابنا الكبير وتلائمنا عليها هناك .

ومنها : ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه في قوله تعالى : « وَإِذْ أَخْذَ رَبُّكَ آلَيْهِ ، حَيْثُ قَالَ : وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ وَلَا فَطْنَةَ عَنْهُ ، أَنَّ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَبَحَانَهُ أَسْتَخْرَجُ مِنْ ظَهَرِ آدَمَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ ذَرِيَّتُهُ وَهُمْ فِي خَلْقِ الدُّرُّ ، فَقَرَرُوهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَأَشَهَدُوهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ مَعَ أَنَّ الْعُقْلَ يُبْطِلُهُ وَيُحِيلُهُ ، هَمَّا يَشَهِدُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ بِخَلَافِهِ ، لَانَّ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : وَإِذْ أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَلَمْ يَقُلْ مِنْ آدَمَ ، وَقَالَ : مَنْ ظَهَرُوهُمْ ، وَلَمْ يَقُلْ : مَنْ ظَهَرَهُ ، وَقَالَ : ذَرِّيَّتَهُمْ ، وَلَمْ يَقُلْ : ذَرِّيَّتُهُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا عَنْ ذَلِكَ غَافِلِينَ ، أَوْ يَعْتَذِرُوا بِشَرِكِ آبَائِهِمْ وَأَنَّهُمْ نَشَأُوا عَلَى دِينِهِمْ وَسُنْنَتِهِمْ ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْآيَةَ لَمْ تَتَنَاؤِلْ وَلَدَ آدَمَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ لِصَلْبِهِ ، وَأَنَّهَا إِنْتَهَا

تناولت من كانت له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذريّة بنى آدم فهذه شهادة الظاهر بيطلان تأويتهم .

فأمّا شهادة العقول فمن حيث لا تخلي هذه الذريّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخطمت وقررت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كذلك ، فإن كانت بالصفة الأولى وجّب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرروا به واستشهادواعليه لأن العاقل لا ينسى ماجرى هذا المجرى وإن بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وساير أحواله .

وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير ، لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والاغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم ، لأنّ سائر ما عدّ دناء مما نفي العلوم يجري مجري الموت في هذا الباب ، وليس لهم أن يقولوا إذا حاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة حاز ما ذكرنا ، وذلك لأنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما أدّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم توجب عليهم ما أوجبناه ، على أن تجويز النسيان عليهم ينقض الفرض في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قررهم وأشهدهم ثلاثة يدعوا يوم القيمة العقلة عن ذلك وسقوط الحجّة عنهم فيه ، وإذا حاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم وزوالها ، وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط التكليف تبع خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عيناً قبيحاً يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويلاً مخالفيكم فما تأويلاً لها الصحيح عندكم ؟  
قلنا : في الآية وجهان «أحدهما» أن يكون تعالى إنما يعني بها جماعة من ذريّة

بني آدم خلقهم وبلغهم وأكملا عقولهم وفِرَّ لهم على ألسن رسليه ﷺ بمعرفته وما يجب من طاعته ، فأفقرهُوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لثلاً يقولوا يوم القيمة إننا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آباءِهم ، وإنما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن "أن" الذريّة لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً وليس الأمر كما ظنّ لأنّا نسمّي جميع البشر بأنّهم ذريّة آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى : « ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آباءِهم وأزواجهم وذرّياتِهم »<sup>(١)</sup> ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً فان استبعدوا تأويلاً وحملنا الآية على البالغين المكثفين في هذا جوابهم .

الجواب الثاني : أنَّه تعالى ملأ خلقهم وركبهم تركيباً يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والأيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعدّ رِيمتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المفتر المعترض وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراض على الحقيقة ، ويجري ذلك بجري قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها ولأرض أئتها طوعاً أو كرهاً قالتنا أتينا طائعين »<sup>(٢)</sup> وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منها جواب ، ومثله قوله تعالى : « شاهدين على أنفسهم بالكفر »<sup>(٣)</sup> ونحن نعلم أنَّ الكفار لم يعترضوا بالكفر بالسنتهم وأنَّهم ملائكة ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعتبرين به ، ومثل هذا قولهم : جوارحي تشهد بعمتك وحالتي معرفة باحسانك ، وما روی عن بعض الحكماء : سل الأرض من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجني ثمارك فان لم تجبي حواراً أجابتك اعتباراً ، وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنشر يغني

(١) سورة غافر : ٨ .

(٢) سورة فصلت : ١١ .

(٣) سورة التوبة : ١٧ .

عن ذكر جميعها الفدر الذي ذكر ناه منها .

ومنها : ما ذكره الرازي في تفسير تلك الآية حيث قال : في تفسير تلك الآية قوله مشهوران « الاول » وهو مذهب المفسرين وأهل الآخر : ماروى مسلم بن يسار الجعفري أنَّ عمر سُئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها ؟ فقال : إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مسحَ ظَهِيرَه فاستخرجَ مِنْهُ ذرِّيَّةً فَقَالَ : خَلَقْتَ هُؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبَعْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ مسحَ ظَهِيرَه فاستخرجَ ذرِّيَّةً فَقَالَ : خَلَقْتَ هُؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبَعْلَ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى زَلَّتِكَيْ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى زَلَّتِكَيْ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ اللَّهُ أَدَمَ مسحَ ظَهِيرَه فَسَقَطَ مِنْ ظَهِيرَه كُلُّ نَسْمَةٍ مِّنْ ذرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَقَالَ مَقَاتِلٌ : إِنَّ اللَّهَ مسحَ صَفَحَةَ ظَهِيرَه آدَمَ الْيَمْنِيَ فَخَرَجَ مِنْهُ ذرِّيَّةً يَيْضَاءَ كَهْيَيَّةَ الذَّرِّ تَتَحَرَّ كَثُمَّ مسحَ صَفَحَةَ ظَهِيرَه الْيَسْرِيَ فَخَرَجَ مِنْهُ ذرِّيَّةً سُودَ كَهْيَيَّةَ الذَّرِّ فَقَالَ : يَا آدَمَ هُؤُلَاءِ ذرِّيَّتِكَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَسْتَبْرِبْكُمْ قَالُوا بَلِي فَقَالَ لِلْيَيْضَاءِ : هُؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِي وَهُمْ أَصْحَابُ الْيَمْنِ وَقَالَ لِلسُّودِ : هُؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي وَهُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ وَأَصْحَابُ الْمَشِيمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُمْ جَمِيعاً فِي صَلْبِ آدَمَ فَأَهْلَ القَبْوَرِ مَحْبُوسُونَ حَتَّى يَخْرُجَ أَهْلُ الْمَيْتَاقِ كُلُّهُمْ مِّنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، وَقَالَ تَعَالَى فِيمَنْ نَفَضَ الْمَهْدَى الْأَوَّلَ : « وَمَا وَجَدْنَا لَكُمْ هُمْ مِّنْ عَهْدٍ »<sup>(١)</sup> وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحّاك وعكرمة والكلبي .

وأَمَّا المُعْتَزِلَةُ فَقَدْ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ بِهَذَا الْوَجْهِ

واحتججوا على فساد هذا القول بوجوه : «الاولى» : أَنَّهُ قَالَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، مِنْ ظَهُورِهِمْ فَقَوْلُهُ : مِنْ ظَهُورِهِمْ بَدْلٌ مِنْ قَوْلِهِ : بَنِي آدَمَ ، فَلِمْ يَذْكُرَ اللَّهُ أَنَّهَا خَذَتْ مِنْ ظَهُورِ آدَمَ شَيْئًا .

الثانية : أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا قَالَ : مِنْ ظَهُورِهِمْ ، وَلَا مِنْ ذَرَّيَّاهُمْ بَلْ قَالَ :

مِنْ ظَهُورِهِ وَذَرَّيَّهِ .

الثالثة : أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْ أُولَئِكَ الْذَّرِيَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آباؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا ، وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يَلْيِقُ بِأُولَادِ آدَمَ لَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ مَمْسُوحًا كَمَا كَانَ مَسْحُهُ .

الرابعة : أَنَّهُ أَخْذَ الْمَيَاثِيقَ لَا يَمْكُنُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ فَلَوْ أَخْذَ اللَّهُ الْمَيَاثِيقَ مِنْ أُولَئِكَ لَكَانُوا عَفَلَاءِ ، وَلَوْ كَانُوا عَفَلَاءِ وَأَعْطُوا ذَلِكَ الْمَيَاثِيقَ حِلَالًا عَقْلَهُمْ لَوْجُبُ أَنْ يَتَذَكَّرُوا فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُمْ أَعْطَوْا الْمَيَاثِيقَ قَبْلَ دُخُولِهِمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ لِأَنَّهُ الْإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَتْ لَهُ وَاقْعَةٌ عَظِيمَةٌ مُهْبِيَّةٌ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ مَعَ كَوْنِهِ عَاقِلًا أَنْ يَنْسَاها نَسِيَانًا كُلِّيًّا لَا يَتَذَكَّرُ مِنْهَا شَيْئًا لَا بِالْقَلِيلِ وَلَا بِالْكَثِيرِ وَبِهِذَا الدَّلِيلِ يُبَطِّلُ الْقَوْلُ بِالْتَّنَاسُخِ ، فَإِنَّمَا قَوْلُ لَوْ كَانَتْ أَرْوَاحُنَا قَدْ حَصَلَتْ قَبْلَ هَذِهِ الْأَجْسَادِ فِي أَجْسَادٍ أُخْرَى لَوْجُبُ أَنْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَنَّا قَبْلَ هَذَا الْجَسَدِ فِي أَجْسَادٍ أُخْرَى ، وَحِيثُ لَمْ يَتَذَكَّرْ ذَلِكَ كَانَ الْقَوْلُ بِالْتَّنَاسُخِ بَاطِلًا ، فَإِذَا كَانَ اعْتِمَادُنَا فِي إِبطَالِ التَّنَاسُخِ لَيْسَ إِلَّا عَلَى هَذَا الدَّلِيلِ وَهَذَا الدَّلِيلُ بِعِينِهِ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَجَبُ الْقَوْلُ بِمَقْضِيهِ .

الخامسة أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ أُولَادِ آدَمَ تَعَالَى عَدْدُهُمْ كَثِيرٌ كَثِيرٌ فَالْمَجْمُوعُ الْحَاصِلُ مِنْ تَلْكُ الذُّرَّاتِ تَبْلُغُ مُبْلِغاً عَظِيمًا فِي الْحَجمِيَّةِ وَالْمَقْدَارِ ، وَصَلَبُ آدَمَ عَلَى صَفَرٍ يَبْعُدُ أَنْ يَتَسْعَ إِلَهَذَا الْمَجْمُوعِ .

السادسة : أَنَّ الْبَنِيةَ شَرْطٌ لِلحُصُولِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْعُقْلِ وَالْفَهْمِ ، إِذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَبْعُدُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الْهَبَاءِ أَنْ تَكُونَ عَاقِلًا فَاهْمَمَا مُصْنَفًا لِلتَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْعُلُومِ الدَّفِيقَةِ ، وَفَتْحُ هَذَا الْبَابِ يَفْضُلُ إِلَى إِلْزَامِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْبَنِيةَ شَرْطٌ لِلحُصُولِ عَلَى الْحَيَاةِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تَلْكُ الذُّرَّاتِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ فَاهْمَمَا عَاقِلًا .

إِلَّا إِذَا حَصَلَتْ لَهُ قَدْرَةٌ مِنَ الْبَنْيَةِ وَالْجُنْحَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِنْ جَمِيعِ نَلْكِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى الْوُجُودِ مِنْ أَوَّلِ تَخْلِيقِ آدَمَ تَلَقَّبُهُ إِلَى آخرِ فَنَاءِ الدِّينِيَا لَا تَحْوِيهِمْ عَرْصَةُ الدِّينِيَا فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولُ أَنَّهُمْ بِأَسْرِهِمْ حَصَلُوا دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي صَلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

السابعة : قالوا هذا الميثاق إِمَّا أَنْ يَكُونَ قد أَخْذَ اللَّهُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِيُصِيرَ حَجَّةً عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَوْ لِيُصِيرَ حَجَّةً عَلَيْهِمْ عَنْ دُخُولِهِمْ فِي دَارِ الدِّينِيَا ، وَلَا أَوَّلَ باطِلًا لَا نَفْعَادُ الْاجْمَاعَ عَلَى أَنَّ بِسَبِيلِ ذَلِكَ الْفَدْرِ مِنَ الْمِيثَاقِ لَا يُصِيرُ وَنَمْسَحُهُمْ بِالْتَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْمَدْحِ وَالذَّمِّ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ أَنْ يُصِيرَ ذَلِكَ حَجَّةً عَلَيْهِمْ عَنْ دُخُولِهِمْ فِي دَارِ الدِّينِيَا ، لَا نَهُمْ لِمَا لَمْ يَذْكُرُوا ذَلِكَ الْمِيثَاقَ فِي الدِّينِيَا فَكَيْفَ يُصِيرُ حَجَّةً عَلَيْهِمْ فِي التَّمْسِكِ بِالْإِيمَانِ .

الثَّامِنَةُ : قَالَ الْكَعْبِيُّ أَنَّ حَالَ أُولَئِكَ الْذَّرِّيَّةِ لَا يَكُونُ أَعْلَى فِي الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ مِنْ حَالِ الْأَطْفَالِ ، فَلِمَّا لَمْ يُمْكِنْ تَوْجِيهُ التَّكْلِيفَ عَلَى الطَّفَلِ فَكَيْفَ يُمْكِنْ تَوْجِيهُهُ عَلَى أُولَئِكَ الْذَّرِّيَّةِ ؟ وَأَجَابَ الرَّجَاجُ عَنْهُ وَقَالَ : لِمَّا لَمْ يَبْعُدْ أَنْ يُؤْتَنِ اللَّهُ النَّمَلُ كَمَا قَالَ : « قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمَلُ »<sup>(١)</sup> وَأَنْ يُعْطَى الْجِبَلُ الْفَهْمَ حَتَّى يَسْبَحَ كَمَا قَالَ : « وَسَخَرَنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالِ يَسْبَحُونَ »<sup>(٢)</sup> وَكَمَا أُعْطَى اللَّهُ الْعُقْلَ لِلْبَعِيرِ حَتَّى سَجَدَ نَبِرُّ<sup>وَالشَّكَلُكُ</sup> ، وَالْمَنْخَلَةُ حَتَّى سَمِعَتْ وَانْقَادَتْ حِينَ دُعِيتَ فَكَذَا هَنَا .

الثَّاسِعَةُ : أَنَّ حَالَ أُولَئِكَ الْذَّرِّيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا كَامِلِيَ الْعُقُولِ وَالْفَدْرِ أَوْ مَا كَانُوا كَذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ كَانُوا مَكْلُفِينَ لَا مَحَالَةَ ، وَإِنَّمَا يَبْقَوْنَ مَكْلُفِينَ إِذَا عَرَفُوا اللَّهَ بِالْإِسْتِدَالَالِ ، وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يَأْتِنَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدِّينِيَا ، فَلَوْ افْنَقَ التَّكْلِيفَ فِي الدِّينِيَا إِلَى سَبِقِ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ

(١) سورة النمل : ٢٧

(٢) سورة الأنبياء : ٧٩

لاققر التكليف في سبق ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر ولزム التسلسل وهو محال ، وأمّا الثاني و هو أُن يقال : إنّهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ، ولا كاملي القدر ، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتوكيل عليهم .

العاشرة : قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق »<sup>(١)</sup> ولو كانت تلك الذرّات عقلاً فاهماً كاملين كانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق ولا معنى للانسان إلا ذلك الشيء ، فحينئذ لا يكون الانسان مخلوقاً من الماء الدافق وذلك ردّ لنص القرآن ، فان قالوا : لم لا يجوز أن يقال : أنتَ تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق ثم أزال عقله وفهمه وقدرته ، ثم أنتَ خلقه من ماء آخرى إلى رحم الأم وأخرجه إلى هذه الحياة الدنيا ؟ قلنا : هذا باطل لأنّه لو كان الامر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الاعادة ، وأجمع المسلمون على أنّ خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ فدلّ هذا على أنّ ما ذكرتموه باطل .

الحادية عشر : هي أنّ تلك الذرّات إمّا أن يقال أنتَ عين هؤلاء الناس أو غيرهم ، والقول الثاني باطل بالاجماع في القول الأول ، فنقول : إمّا أن يقال إنّهم بقوا فهماً عقلاً قادرین حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة ، أو ما بقوا كذلك والأول باطل ببيته العقل ، والثاني يقتضي أن يقال الانسان حصل له الحياة أربع مرّات ، أوّلها وقت الميثاق ، وثانية في الدنيا ، وثالثها في القبر ، ورابعها في القيمة وأنّه حصل له الموت ثالث مرّات موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأوّل ، وموت في الدنيا وموت في القبر ، وهذا العدد مختلف للعدد المذكور في قوله تعالى : « ربّنا أمنّا اثنتين

(١) سورة الطارق : ٤

وأحييتنَا اثنتينَ » <sup>(١)</sup>

الثانية عشر : قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » <sup>(٢)</sup> فلو كان القول بهذا الذر صحيحاً لكان ذلك الذر هو الانسان لأنّه هو المكلّف المخاطب المثاب المعقاب ، و ذلك باطل لأنّ الذر غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، و نص الكتاب دليل على أنّ الانسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، وهو قوله : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » و قوله : « قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه » <sup>(٣)</sup>

فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف .

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعمولات أنّه أخرج الذرّ وهم الاولاد من أصلاب آبائهم ، و ذلك الارتجاج أنّهم كانوا نطفة ، فأخرج جها الله تعالى في أرحام الأمّهات وجعلها علقة ثمّ مضغة ثمّ جعلهم بشراً سوياً وخلفاً كاماً ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجبائيه خلقه وغرائب صنعه ، فبالشهاد صاروا كأنّهم قالوا بلى ، وإن لم يكن هناك قول باللسان ، ولذلك نظائر منها قوله تعالى : « قال لها وللأرض ائتي طوعاً أو كرهاً قالا أتينا طائعين » <sup>(٤)</sup> ومنها قوله تعالى : « إنّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » <sup>(٥)</sup> وقول العرب : قال الجدار للوتد لم تشققني ؟ قال : سل من يدقني فانّ الذي ورأي ما خلاني ورأي و قال الشاعر : « امتلاء الحوض و قال قطني » .

وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام ، فوجب حل الكلام عليه فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين ، وهذا القول الثاني لاطعن فيه البينة ، وبتقدير أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحّة القول الاول، إنّما الكلام في

(١) سورة الغافر : ١١

(٢) سورة المؤمنون : ١٢

(٣) سورة العبس : ١٧

(٤) سورة فصلت : ١١

(٥) سورة النحل : ٤٠

أنَّ القول الأوَّل هل يصحُّ أم لا .

فإن قال فائل : فما المختار عندكم فيه ؟ قلنا : هي هنا مقامان : « احدهما » أَنَّه هل يصحُّ القول بأخذ الميئاق عن الذرّ ؟ و« الثاني » أَنَّه بقدرٍ أنْ يصحُّ القول به فهو يمكن جعله تفسيراً لأنفاظ هذه الآية ؟

أمّا المقام الأوَّل فالمنكرون له قد تمسّكوا بالدلائل العقلية التي ذكرناها وفرزناها ، ويمكن الجواب عن كُلّ واحد منها بوجه مقنع :

أمّا الوجه الأوَّل من الوجوه العقلية المذكورة وهو أَنَّه لو صحَّ القول بأخذ هذه الميئاق لوجب أنْ تذكّره الآيَة ؟ قلنا : خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأنَّ هذه العلوم عقلية ضروريَّة ، والعلوم الضروريَّة خالقها هو الله تعالى ، وإذا كان كذلك صحيحاً منه تعالى أنْ يخلقها ، فإن قالوا : فإذا جوَّذتم هذا فجوازَوا أنْ يقال أنَّ قبل هذا البدن كُلُّاً في أبدان أخرى على سبيل التناسخ وإنْ كُلُّاً لا تذكّر الآيَة أحوال تلك الابدان ؟ قلنا : الفرق بين الامررين ظاهر ، وذلك لأنَّ إذا كُلُّاً في أبدان أخرى وبقينا فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميئاق إنَّما حصل في أسرع زمان وأقلَّ وقت فلم يبعد حصول النسيان والفرق الظاهر حاكم بصحة هذا الفرق لأنَّ الإنسان إذا بقى على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أنْ ينساه ، أمّا إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساه فظهور الفرق .

وأمّا الوجه الثاني وهو أنْ يقال : مجموع تلك الذرَّات يمتنع حصولها بأسرها في ظهر آدم عليه السلام ؟ قلنا : عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزَّى قابل للحياة والعقل ، فإذا جعلنا كلَّ واحد من تلك الذرَّات جوهرًا فرداً فلم قلتم أنَّ ظهر آدم لا يتسع لمجموعها ، إلا أنَّ هذا الجواب لا يتمُّ إلا إذا قلنا : الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزَّى في البدن ، على ما هو مذهب

بعض القدماء ، وأمّا إذا قلنا الإنسان هو النفس الناطقة وأنّه جوهر غير متحيز ولا حال في متحيّز فالسؤال زائل .

وأمّا الوجه الثالث وهو قوله :فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجة في ذلك الوقت أو في الحياة الدنيا ، فجوابنا أن نقول : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأيضاًليس أنَّ من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وإنطاق الجوارح قالوا : لا يبعد أن يكون بعض الملائكة في إسماع هذه الأشياء لطف ، فكذا هيئنا لا يبعد أن يكون بعض الملائكة من تميّز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف ، وقيل : ايضاً إنَّ الله تعالى يذكّرهم ذلك الميثاق يوم القيمة .

وبقية الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل حين .

وأمّا المقام الثاني وهو أنَّ بتقدير أنَّ يصحُّ القول بأخذ الميثاق من الذرَّ فهل يمكن جعله تفسيراً لأنفاظ هذه الآية فنقول : الوجوه الثلاثة المذكورة أو لا دافعة لذلك ، لأنَّ قوله : أخذ ربِّك من بني آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم ، فقد بينا أنَّ المراد منه وإنْ أخذ ربِّك من ظهور بني آدم ، وأيضاً لو كانت هذه الذرَّية مأخوذة من ظهر آدم يقال من ظهره ، ذريته ، ولم يقل من ظهورهم ، ذريتهم ، أجاب الناصرون لذلك القول بأنه صحت الرواية عن رسول الله ﷺ وأنَّه فسر هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله ﷺ غير ممكن ؟ فنقول : ظاهر الآية تدل على أنه تعالى أخرج ذرَّاً من ظهور بشي آدم فيحمل ذلك على أنه تعالى يعلم أنَّ الشخص الفلاني يتولد منه فلان ، ومن ذلك الفلان فلان آخر ، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخر جهنم ويعيّز بعضهم من بعض ، وأمّا أنه تعالى يخرج كلَّ تلك الذرَّية من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدل على نبوته ، وليس في الآية أيضاً ما يدل على بطانته إلا أنَّ الخبر قد دل عليه ، فثبتت إخراج الذرَّية من ظهر آدم بالخبر ، وعلى هذا التقدير فلا مناقاة بين الامررين ولا مدافعة فوجب

## ﴿ بَاب ﴾

### ﴿ فَطْرَةُ الْخَلْقِ عَلَى التَّوْحِيدِ ﴾

١ - على بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابى عمر ، عن هشام بن سالم ، عن ابى عبدالله عليه السلام قال : قلت : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » <sup>(١)</sup> ؟ قال : التوحيد .

المصير إليهما معًا صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الامكان ، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام ، انتهى .

ولنكشف بنقل ما نقلنا من غير تعرّض لجرح وتعديل فانه من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الاخبار وكلام من تكلم في ذلك يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق في ذلك بفضله تعالى .

### باب فطرة الخلق على التوحيد

الحديث الاول : حسن .

« فطرة الله » إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفًا » قال البيضاوي أي قومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه ، وهو تمثيل للإقليم والاستقامة عليه وبه « فطرة الله » خلقته ، نصب على الاغراء أو المصدر بما دل عليه ما بعدها « التي فطر الناس عليها » خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه ، أو ملة الاسلام فأنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ، وقيل : العهد المأمور من آدم وذراته « لا تبدل لخلق الله » لا يقدر أحد أن يغيّره أو ما ينبغي أن يغيّره « ذلك » إشارة إلى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة « ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون » استقامته لعدم تدبّرهم ، انتهى .

وقال في النهاية : فيه : كل مولود يولد على الفطرة ، الفطر الابتداء والاختراع والفطرة منه الحالة كالجلسة والركبة ، وامعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهبي لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد ، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في إتباعهم لا بائهم ، والميل إلى أدبائهم من مقتضي الفطرة السليمة ، وقيل : معناه كل مولود يولد على معرفة الله والاقرار به ، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله صانعه وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره ، ومنه حديث حذيفة : على غير فطرة نحل ، أراد دين الاسلام الذي هو منسوب إليه ، انتهى .

وقيل : الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الابجاد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال وهو التوحيد ومعرفة الربوبية مأخوذاً عليهم ميناق العبودية والاستقامة على سنن العدل ، وقال بعض العامة : الفطرة ما سبق من سعادة أو شقاوة ، فمن علم الله سعادته ولد على فطرة الاسلام ، ومن علم شقاوته ولد على فطرة الكفر ، تعلق بقوله تعالى : « لا تبدل لخلق الله » وب الحديث الغلام الذي قتلته الخضر عليه السلام طبع يوم طبع كافر فأفانه يمنع من كون تولده على فطرة الاسلام ، وأجيب عن الأوز بأن معنى لاتبديل : لانغير يعني لا يكون بعضهم على فطرة الكفر وبعضهم على فطرة الاسلام ، ويؤيدته قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهود انه وينصر انه فان المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام .

وعن الثاني بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت وهي التهيس للكفر عن الفطرة التي ولد عليها .

وقال بعضهم : المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية ومتهيساً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها ، لأن فطرة الاسلام وصوابها موضوع في العقول ، وإنما يدفع العقول عن إدراكها تغيير الآباءين أو غيرهما .

٢ - على بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ماتلك الفطرة ؟ قال : هي الاسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال : « ألسْتُ بِرَبِّكُمْ » <sup>(١)</sup> و فيه المؤمن والكافر .

وأجيب عنه بأنّ حمل الفطرة على الاسلام لا يأبه العقل ، وظاهر الروايات من طريق الأمة يدل عليه ، وحملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوي .  
الحديث الثاني : صحيح .

وقال في المصباح المنير : فطر الله الخلق فطراً من باب قتل خلقهم ، والاسم الفطرة بالكسر ، قال الله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وقوله عليه السلام : كل مولود يولد على الفطرة قيل : معناه الفطرة الاسلامية والدين الحق وإنما أبواء يهود أنه وينصر أنه ، أي ينفلازه إلى دينهما وهذا التفسير مشكل إن حمل اللفظ على حقيقته فقط ، لأنّه يلزم منه أن لا يتواتر المشركون مع أولادهم الصغار قبل أن يهود ذوهم وينصر ذرهم واللازم منتف ، بل الوجه حمله على الحقيقة والمجاز معاً ، أمّا حمله على مجازه فعلى ما قبل البلوغ ، وذلك أن إقامة الآباء بين على دينهما سبب لحمل الولد تابعاً لهم ، فلما كانت الاقامة سبباً جعلت تهويدها وتنصيراً مجازاً ، ثم أنسد إلى الآباء توبيخاً وتنبيحاً عليهم كما أنه قال : أبواء باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركاً ، ويفهم من هذا أنه لو أقام أحدهما على الشرك وأسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً ، وقد جعل البهقى هذا معنى الحديث فقال : فقد جعل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حكم الأولاد قبل أن يختاروا لأنفسهم حكم الآباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا ، وأمّا حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجه الكفر من الأولاد نتهى .

وقوله : على التوحيد متعلق بفطر وأخذ على التنازع .

٣ - محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن زرارة قال : سأله أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم جميعاً على التوحيد .

٤ - علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابي عمير ، عن ابن اذينة عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال : سأله عن قول الله عز وجل : « حنفاء الله غير مشركين به » <sup>(١)</sup> قال : الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال :

الحديث الثالث : صحيح وقد مر شرحه .

الحديث الرابع : حسن .

قوله : حنفاء الله ، إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الحج : « فاجتبوا الرجس من الأوثان واجتبوا قول الزور حنفاء الله غير مشركين به » اي اجتبوا الرجس الذي هو الأوثان كما يجتنب الأنجاس وكل افتراء ، وعن الصادق عليه السلام الرجس من الاوثان الشطرين ، وقول الرور الغباء وقال الطبرسي (ره) : حنفاء الله ، اي مستقيمي الطلاق على ما امر الله مائلين من سائر الاديان « غير مشركين به » اي حجاجاً مخلصين وهم مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج « به أحداً ، وقال في النهاية فيه : خلقت عبادي حنفاء ، اي ظاهري الاعضا ، من المعاصي لا أنه خلقهم كلهم مسلمين لقوله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » <sup>(٢)</sup> وقيل : أنه أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق ألاست بربيكم قالوا بلى ، فلا يوجد أحد إلا وهو مقر بأن له ربنا وإن أشرك به واختلفوا فيه ، والحنفاء جم حنيف وهو امايل إلى الاسلام الثابت عليه ، و الحنيف عند العرب من كان على دين ابراهيم ، واصل الحنف الميل ومنه الحديث : بعثت بالحنفية السمية السهلة ، انتهى .  
« لا تبديل لخلق الله » اي بأن يكون كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين بل

(١) سورة الحج : ٣١ .

(٢) سورة التغابن : ٢ .

فطّرهم على المعرفة به ، قال زراره : وسائله عن قول الله عز وجل : « وإن أخذ ربك منبني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بركم قالوا بلـ الآية » ؟ قال : أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيمة ، فخرجو كالذر فعـرـ فهم وأـرـاهـمـ نـفـسـهـ وـلـوـلاـ ذـلـكـ لـمـ يـعـرـفـ أـحـدـ رـبـهـ وقال : قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه ، كذلك قوله : « ولئن سأـلـهـمـ مـنـ خـلـقـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ليـقـولـنـ اللهـ »<sup>(١)</sup> .

كان كلـهـمـ مـسـلـمـينـ هـنـيـنـ بـهـ أـوـقـائـلـينـ لـلـمـعـرـفـةـ وـأـرـاهـمـ نـفـسـهـ بـالـرـؤـيـةـ الشـبـيـهـ بـالـرـؤـيـةـ العـيـنـيـةـ فـيـ الـظـهـورـ لـيـرـسـخـ فـيـهـ مـعـرـفـتـهـ ، وـيـعـرـفـوـهـ فـيـ دـارـ التـكـلـيفـ ، وـلـوـلاـ تـلـكـ المـعـرـفـةـ الـيـثـاـفـيـةـ اـمـ يـحـصـلـلـهـمـ تـلـكـ الـقـاـبـلـيـةـ وـفـسـرـ لـيـتـهـ الـفـطـرـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ بـالـمـعـجـبـوـلـيـةـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ الصـانـعـ وـالـاذـعـانـ بـهـ «ـ كـذـلـكـ قـوـلـهـ »ـ أـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ أـيـضاـ مـحـمـلـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـعـنـيـهـ : «ـ وـلـئـنـ سـأـلـهـمـ »ـ اـيـ كـفـارـ مـكـةـ كـمـاـ ذـكـرـهـ الـمـفـسـرـوـنـ اوـ الـأـعـمـ كـمـاـ هـوـأـظـهـرـ منـ الـغـيـرـ «ـ لـيـقـولـنـ اللهـ »ـ لـفـطـرـهـمـ عـلـىـ الـمـعـرـفـةـ .

وقال البيضاوي : لوضوح الدليل اما نوع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطر وأـلـىـ إـذـعـانـهـ ، اـنـتـهـىـ .

والمشهور أنه مبني على أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون أن الصانع هو الله ، بل كانوا يعبدون الأصنام لزعمهم أنها شفعاء عند الله ، وظاهر الخبر أن كل كافر لو خلى وطبعه ترك العصبية ومتابعة الأهواء وتقليل الأسلاف والآباء لأقر بذلك ، كما ورد ذلك في الأخبار الكثيرة .

قال بعض المحققين : الدليل على ذلك ما نرى أن الناس يتوكلون بحسب الجلة على الله ، ويتجهون توجهاً غريزياً إلى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصعب ، وإن لم يتفطنوا لذلك ، ويشهد لهذا قول الله عز وجل : « قل أرأيتم كمن أناكم عذاب الله أو أنتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إيهاد تدعون

فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما نشر كونه<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير مولانا العسكري عليه السلام أنَّه سُئلَ مولانا الصادق عليه السلام عن الله ؟  
 فقال للسائل : يا با عبد الله هل ركبت سفينـة قـط ؟ قال : بـلى ، قال : فـهل كـسرت بـك  
 حـيث لا سـفينـة تـنـجـيـك ولا سـباحـة تـفـنـيـك ؟ قال : بـلى ، قال : فـهل تـعـلـق قـلـبـك هـنـاك  
 أـنـ شـيـئـاً منـ الـأـشـيـاء قـادـر عـلـى أـنـ يـخـلـصـك مـنـ وـرـتـاتـك ؟ قال : بـلى ، قال الصـادـق عليه السلام  
 فـذـكـ الشـيـء هـوـ اللهـ القـادـر عـلـى الـأـنجـاء حـينـ لاـ هـنـجـيـ ، وـعـلـى الـأـغـاثـة حـينـ لاـ مـغـيـثـ .  
 وـلـهـذا جـعـلـتـ النـاسـ مـعـذـورـينـ فـيـ تـرـكـهـمـ إـكتـسـابـ الـمـعـرـفـةـ بـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ ،  
 مـتـرـوكـيـنـ عـلـىـ مـاـ فـطـرـ وـأـعـلـيـهـ ، مـرـضـيـاـ عـنـهـمـ بـمـجـرـدـ الـأـقـارـارـ بـالـقـوـلـ ، وـلـمـ يـكـلـفـواـ  
 الـأـسـتـدـلـالـاتـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ ذـلـكـ ، وـإـنـمـاـ التـعـمـقـ لـرـيـاضـ الـبـصـيرـةـ وـلـطـائـفـةـ مـخـصـوصـةـ ، وـأـمـاـ  
 الـأـسـتـدـلـالـ فـلـلـلـهـ عـلـىـ أـهـلـ الضـلـالـ .

ثـمـ أـنـ أـفـهـامـ النـاسـ وـعـقـولـهـمـ مـتـفـاـوـتـةـ فـيـ قـبـولـ مـرـاتـبـ الـعـرـفـانـ وـتـحـصـيلـ الـأـطـمـيـنـانـ  
 كـمـاـ وـكـيـفـاـ ، شـدـةـ وـضـعـفـاـ ، سـرـعـةـ وـبـطـؤـاـ ، حـالـاـ وـعـلـمـاـ ، وـكـشـفـاـ وـعـيـانـاـ ، وـإـنـ كـانـ  
 أـصـلـ الـمـعـرـفـةـ فـطـرـيـاـ إـمـاـ ضـرـورـيـاـ أـوـ يـمـدـيـ إـلـيـهـ بـأـدـنـيـ تـبـيـيـهـ ، فـلـكـلـ طـرـيقـةـ هـدـاهـ اللـهـ  
 عـزـ وـجـلـ إـلـيـهاـ إـنـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الـهـدـاـيـةـ ، وـالـطـرـقـ إـلـىـ اللـهـ بـعـدـ أـنـفـاسـ الـخـلـائـقـ ، وـهـمـ  
 دـرـجـاتـ عـنـدـ اللـهـ ، يـرـفـعـ اللـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـأـتـوـاـ الـعـلـمـ درـجـاتـ .

قال بعض المنسوبين إلى العلم : إنـ علمـ أـنـ أـظـهـرـ الـمـوـجـودـاتـ وـأـجـلـاـهـاـ هـوـ اللـهـ  
 عـزـ وـجـلـ ، فـكـانـ هـذـاـ يـقـنـيـ أـنـ يـكـوـنـ مـعـرـفـتـهـ أـوـلـ الـمـعـارـفـ وـأـسـبـقـهـاـ إـلـىـ الـأـفـهـامـ وـأـسـهـلـهـاـ  
 عـلـىـ الـعـقـولـ وـقـرـىـ الـأـمـرـ بـالـضـدـ مـنـ ذـلـكـ ، فـلـابـدـ مـنـ بـيـانـ السـبـبـ فـيـهـ ، وـإـنـمـاـ قـلـنـاـ :  
 إـنـ أـظـهـرـ الـمـوـجـودـاتـ وـأـجـلـاـهـاـ هـوـ اللـهـ تـعـالـىـ لـمـعـنـيـ لـأـفـهـمـهـ إـلـاـ بـمـثـالـ هـوـأـنـاـ إـذـ رـأـيـناـ  
 إـنـسـانـ يـكـتـبـ أـوـ يـخـيـطـ مـثـلاـ كـانـ كـوـنـهـ حـيـاـ مـنـ أـظـهـرـ الـمـوـجـودـاتـ فـيـحـيـاتـهـ وـعـلـمـهـ  
 وـقـدـرـتـهـ لـلـخـيـاطـةـ أـجـلـىـ عـنـدـنـاـ مـنـ سـائـرـ صـفـاتـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ ، إـذـ صـفـاتـ الـبـاطـنـةـ

كشهوته وغضبه وخلقه وصحيحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه ، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله وإختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاتـه ، أمـا حـياتـه وـقـدرـتـه وـعـلـمـه وـكـونـه حـيـواـنـا فـأـنـه جـلـيـ عـنـدـنـا مـنـ غـيرـ أـنـ يـتـعلـقـ حـسـ البـصـرـ بـحـيـاتـه وـقـدرـتـه وـإـرـادـتـه ، فـانـ هـذـه الصـفـاتـ لـا تـحـسـ بشـيءـ مـنـ

الـحـوـاسـ الخـمـسـ ، ثـمـ لـا يـمـكـنـ أـنـ يـعـرـفـ حـيـاتـه وـقـدرـتـه وـإـرـادـتـه إـلـاـ بـخـيـاطـتـه وـحـرـكـتـه ، فـلـوـ نـظـرـنـا إـلـىـ كـلـ مـاـ فـيـ الـعـالـمـ سـوـاهـ لـمـ نـعـرـفـ بـهـ صـفـاتـهـ ، فـمـاـ عـلـيـهـ إـلـاـ دـلـيـلـ وـاحـدـ وـهـوـ مـعـ ذـلـكـ جـلـيـ وـاضـحـ .

وـوـجـودـ اللهـ وـعـلـمـهـ وـقـدرـتـهـ وـسـايـرـ صـفـاتـهـ يـشـهـدـ لـهـ بـالـضـرـورـةـ كـلـ مـاـ نـشـاهـدـهـ وـنـدـرـكـهـ بـالـحـوـاسـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ مـنـ حـجـرـ وـمـدـرـوـنـبـاتـ وـشـجـرـ وـحـيـوانـ وـسـمـاءـ وـأـرـضـ وـكـوـكـبـ وـبـرـ وـبـحـرـ وـنـارـ وـهـوـاءـ وـجـوـهـرـ وـعـرـضـ ، بـلـ أـوـلـ شـاهـدـ عـلـيـهـ أـنـفـسـنـاـ وـأـجـسـامـنـاـ وـأـصـنـافـنـاـ وـنـقـلـبـ أـحـوـالـنـاـ وـتـغـيـرـ فـلـوـبـنـاـ ، وـجـمـيعـ أـطـوـارـنـاـ فـيـ حـرـكـاتـنـاـ وـسـكـنـاتـنـاـ وـأـظـهـرـنـاـ الـأـشـيـاءـ فـيـ عـلـمـنـاـ أـنـفـسـنـاـ ثـمـ مـحـسـوـسـاتـنـاـ بـالـحـوـاسـ الخـمـسـ ، ثـمـ مـدـرـكـاتـنـاـ بـالـبـصـيرـةـ وـالـعـقـلـ وـكـلـ وـاحـدـ مـنـ هـذـهـ المـدـرـكـاتـ لـهـ مـدـرـكـ وـاحـدـ وـشـاهـدـ وـاحـدـ وـدـلـيـلـ وـاحـدـ ، وـجـمـيعـ مـاـ فـيـ الـعـالـمـ شـوـاهـدـ نـاطـقـةـ وـأـدـلـةـ شـاهـدـةـ بـوـجـودـ خـالـقـهـاـ وـمـدـبـرـهـاـ وـمـصـرـهـاـ وـمـحرـكـهـاـ وـدـائـكـةـ عـلـىـ عـلـمـهـ وـقـدرـتـهـ وـأـطـفـهـ وـحـكـمـتـهـ ، وـأـطـوـجـوـدـاتـ المـدـرـكـةـ لـاـ حـصـرـ لـهـاـ .

فـانـ كـانـتـ حـيـاةـ الكـاتـبـ ظـاهـرـةـ عـنـدـنـاـ وـلـيـسـ يـشـهـدـ لـهـ إـلـاـ شـاهـدـ وـاحـدـ وـهـوـ مـاـ أـحـسـنـاـ مـنـ حـرـكـةـ يـدـهـ ، فـكـيـفـ لـاـ يـظـهـرـ عـنـدـنـاـ مـنـ لـاـ يـتـصـوـرـ فـيـ الـوـجـودـ شـيءـ دـاخـلـ نـفـوسـنـاـ وـخـارـجـهـاـ إـلـاـ وـهـوـ شـاهـدـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ عـظـمـتـهـ وـجـلـالـهـ ، إـذـ كـلـ ذـرـةـ فـاتـهـاـ تـنـاديـ بـلـسانـ حـالـهـاـ أـنـهـ لـيـسـ وـجـودـهـ بـنـفـسـهـاـ وـلـاـ حـرـكـتـهـ بـذـاتـهـاـ إـنـتـمـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـوـجـدـ وـمـحرـكـ لـهـاـ ، يـشـهـدـ بـذـلـكـ أـوـلـاـ تـرـكـيـبـ أـعـضـائـنـاـ وـإـيـتـالـفـ عـظـامـنـاـ وـلـحـومـنـاـ وـأـعـصـابـنـاـ وـبـنـياتـ شـعـورـنـاـ وـنـشـكـلـ أـطـرـافـنـاـ وـسـائـرـ أـجـزـائـنـاـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ ، فـاـنـاـ نـعـلـمـ أـنـهـاـ لـمـ تـأـتـفـ بـنـفـسـهـاـ ، كـمـاـ نـعـلـمـ أـنـ يـدـ الكـاتـبـ لـمـ يـتـحـرـكـ بـنـفـسـهـاـ ، وـلـكـنـ مـلـاـ لـمـ يـبـقـ فـيـ الـوـجـودـ

مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلاّ هو ، وشاهد ومعرف عظيم ظهوره ، فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه .

فاذن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان : أحدهما خفاّه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثلاً ، والآخر ما يتناهى وضوّحه وهذا كما أنّ الخفّاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستقراره ولكن لشدة ظهوره ، فإنّ بصر الخفّاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق ، فيكون قوّة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلاّ إذا امتنج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وبحال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة ، وفي غاية الاستغراب والشمول حتى لا يشدّ عن ظهوره ذرّة من ملوكوت السماوات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب باشراق نوره واحتفى عن البصائر والابصار بظهوره ، ولا فتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإنّ الاشياء تستبان بأضدادها وما عُم وجوده حتى لا ضدّ له عسر إدراكه ، فلو اختلف الاشياء فدلّ بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكّل الامر .

ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فما نعلم أنّه عرض من الاعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس ، فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لاغروب لها لكننا نظنّ أن لا هيئة في الأجسام إلاّ ألوانها وهي السّواد والبياض وغيرها ، فاما لا نشاهد في الأسود إلاّ السّواد ، وفي الأبيض إلاّ البياض ، وأما الضوء فلا ندركه وحده لكن لما غابت الشمس وأظلمت المواقع أدركتنا تفرقة بين الحالتين ، فعلممنا أنّ الأجسام كانت قد استضائت بضوء واتّصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجود النور بعدمه ، وما كننا نطالع عليه لو لا عدمه إلاّ بعسر شديد ، وذلك شاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور .

هذا مع أنّ النور أظهر المحسوسات إذ به يدركسائر المحسوسات ، فما هو

ظاهر في نفسه وهو مظاهر لغيره ، انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضدّه ، فاذن الرب تعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلّها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيير لانهدمت السماوات والارض وبطل الملائكة والملائكة ، ولا دركت التفرقة بين الحالتين ، ولو كان بعض الاشياء موجوداً وبعضاً موجوداً بغيره لا دركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ، ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ، ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه ، فلا جرم أورث شدة الظهور خفاء .

فهذا هو السبب في قصور الافهام ، وأمّا من قوّيت بصيرته ولم يضعف منتهه فانه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله وأفعاله ، وأفعاله أثر من آثار قدرته ، فهو تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة ، وإنّما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلّها ، ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ، ويدخل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر ، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع ، فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطته أو تصنيفه ، ورأى فيه الشاعر والمصنّف ورأى آثاره من حيث هي آثاره لا من حيث أنها حبر وعصص وزجاج من قوم على بياض ، فلا يمكن قد نظر إلى غير المصنّف .

فكـلـ العالم تصـنيـفـ اللهـ تـعـالـىـ فـمـنـ نـظـرـ إـلـيـهـاـ مـنـ حـيـثـ أـنـهـاـ فـعـلـ اللهـ ، وـعـرـفـهاـ مـنـ حـيـثـ أـنـهـاـ فـعـلـ اللهـ ، وـأـحـبـهـاـ مـنـ حـيـثـ أـنـهـاـ فـعـلـ اللهـ لـمـ يـكـنـ نـاظـرـ إـلـاـ فـيـ اللهـ ، وـلـأـعـارـفـ إـلـاـ بـالـهـ . وـلـأـهـبـتـ إـلـاـ اللهـ ، وـكـانـ هوـ الـمـوـحـدـ الـحـقـ الذيـ لاـ يـرـىـ إـلـاـ اللهـ ، بلـ لاـ يـنـظـرـ إـلـيـ نـفـسـهـ مـنـ حـيـثـ نـفـسـهـ ، بلـ مـنـ حـيـثـ هـوـ عـبـدـ اللهـ .

فـهـذـاـ هـوـ الـذـيـ يـقـالـ فـيـهـ أـنـهـ فـنـىـ فـيـ التـوـحـيدـ وـأـنـهـ فـنـىـ مـنـ نـفـسـهـ ، وـإـلـيـهـ الـاـشـارةـ بـقـولـ مـنـ قـالـ : كـنـاـ بـنـافـقـنـيـنـاـ عـنـاـ فـبـقـيـنـاـ بـلـنـحـنـ ، فـهـذـهـ أـمـورـ مـعـلـوـمـةـ عـنـ ذـوـيـ الـبـصـائرـ أـشـكـلـتـ اـضـعـفـ الـأـفـهـامـ عـنـ دـرـكـهـاـ وـقـصـورـ قـدـرـةـ الـعـلـمـاءـ عـنـ اـيـضـاحـهـاـ وـبـيـانـهـاـ بـعـبـارـةـ مـفـهـمـةـ مـوـصـلـةـ لـلـغـرـضـ إـلـىـ الـأـفـهـامـ ، لـاـشـتـغـالـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ وـاعـتـقـادـهـمـ أـنـ بـيـانـ ذـلـكـ لـغـيرـهـمـ مـمـاـ

لا يغيبهم ، فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى .  
وأنضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان  
في الصبي عند فقد العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق بهم بشهواهه ، وقد انس بمدركاته  
ومحسوساته ألفها ، فسقطت وقعها عن قلبه بطول الانس .

ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً أو فعلاً من أفعال الله خارقاً  
للعادة عجيبةً انطلق لسانه بالمعروفة طبعاً فقال : سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه  
وأعضائه وسائل الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحسن بشهادتها لطول  
الانس بها ولو فرض أكمه بلغ عاقلاً ثم انقضت غشاوة عن عينه فامتد بصره إلى  
السماء والارض والأشجار والنبات والحيوان دفعه واحدة على سبيل الفجأة يخاف  
على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها .

وهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات وهي التي سدت على  
الخلق سبيل الاستضافة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة ، والجليلات إذا  
صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سد الامر ، فليتحقق ولذلك قيل :

لقد ظهرت فلا تخفي على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا

لكن بذلت بما أظهرت محتاجباً وكيف يعرف من بالعرف استترا

أقول : وفي كلام سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين على جده وأبيه وأمه وأخيه  
وعليه وبنيه سلام الله ، ما يرشدك إلى هذا العيان ، بل يغريك عن هذا البيان حيث قال  
في دعاء عرفة : كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أياك تكون لغيرك من  
الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظاهر لك ، حتى غبت حتى تحتاج إلى دليل  
يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لاتراك  
ولا نزال عليها رقيباً ، وخسرت صفة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً .

وقال أيضاً : تعرّفت لكل شيء ، مما جھلتك شيء .

٥ - على بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن ابن أبي جحيله ، عن محمد الحلببي ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » قال : فطرهم على التوحيد .

### ﴿ بَاب ﴾

#### ﴿ كون المؤمن في صلب الكافر ﴾

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن المحسن بن علي الوشاء ، عن علي بن هيسرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك فاد يصبه من الشر شيء ، حتى إذا صار في رحم المشرك لم يصبها من الشر شيء ، حتى تضنه فإذا وضعته لم يصبه من الشر شيء ، حتى يجري عليه القلم .

٢ - على بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : أني قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام

وقال : تعرفت إلى في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء فأنت الظاهر  
لكل شيء .

الحديث الخامس : ضعيف .

#### باب كون المؤمن في صلب الكافر

ال الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« فلا يصبه من الشر شيء وفي بعض النسخ من الشرك ، أي يحفظه الله من أن يصبه من شر الآباء وشر كهما شيء ، بحيث يضره واقعاً والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعية قبل البلوغ نظراً إلى الظاهر لا ينافي إيمانه الواقعي في علم الله .

ال الحديث الثاني : حسن كال صحيح .

وكان يقطين بن موسى من دعاة العباسية في ابتداء دولتهم وكان له اختصاص بهم ، قال الشيخ في الفهرست : على بن يقطين (ره) ثقة جليل القدر له منزلة عظيمة

على يقطين وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنما المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبن يجئ المطر فيفسل اللبن ولا يضر الحصاة شيئاً .

عند أبي الحسن موسى عليه السلام ، عظيم المكان في الطائف ، وكان يقطين من وجوه الدعاة وطلبه مروان فهرب ، وابنه علي بن يقطين هذا ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة ، فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظاهر يقطين وعادت أم علي عبيده فلم ينزل يقطين في خدمة أبي العباس وأبي جعفر المنصور ، ومع ذلك كان يتشيّع ويقول بالأمامية ، وكذلك ولده يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد عليهما السلام ونمى خبره إلى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما ، انتهى .

وأقول : هذا الخبر وما تقدّم في باب كراهية التوقيت يدلان على أن يقطين لم يكن مشكورةً وكان منحرفاً عن هذه الناحية ، وهذا الخبر يدل على أن الصادق عليه السلام كان دعا على يقطين ولده ولعنهم وكان علي مشفقاً خائفاً من أن يصييه أثر تلك الدعوة واللعنة ، فأجاب عليهما بأن اللعنة وسائر الشرار لا تصيب المؤمن الذي في صلب الكافر ، وشبّه ذلك بالحصاة في اللبن ، فإنه لا يضر الحصاة ما تقع على اللبن من المطر وغيره ، فعلى هذا شبهه عليهما اللعنة بالمطر لأن المطر يفتقّط اللبن ويفرقّها ويبطّلها ، فكذا اللعنة تبطل من تصييه وتفتنه وتفرقه .

ويحتمل أن يكون شبهه عليهما الرّحمة والألطاف التي تشمل من الله تعالى المؤمن باطّه ، ويكون الغرض أن ألطافه سبحانه ورحماته التي تحفظ طينة المؤمن تفسله وتظهره من لوث الكفر وما يلزمه وما يتبعه من اللعنات والعقوبات كما يفسّل انصر لوث الطّين من الحصاة ولعله أظهر .

وحصل الكلام على الوجهين أن دعاؤه عليهما كان مشرّطاً بعدم إيمانهم ولم يكن مطلقاً ، وكان غرضه عليه السلام اللعن على من يشبهه من أولاده .

قوله عليهما شيئاً ، أي من الضرر ، وفي بعض النسخ شيء اي من الآفات واللعنات والشرور .

## ﴿باب﴾

﴿إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمُؤْمِنَ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابراهيم بن مسلم الحلواني ، عن ابي اسماعيل الصيقل الرّازي ، عن ابي عبدالله ؓ قال : ان في الجنة لشجرة تسمى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا تصيب

باب اذا اراد الله ان يخلق المؤمن

الحاديـث الاول : مجـهـول .

وفي المصباح حلوان بالضم بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر مدن العراق وبينها وبين بغداد نحو خمس مراحل ، قيل: سميت باسم بانيها وهو حلوان بن عمران ابن الحارث بن قضاعة ، وفي القاموس : المزن بالضم السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، انتهى .

وكان التسمية هنا على التشبيه ، قيل : هذا الحديث كما يناسب ما قيل من أنَّ المراد بالطينة الاصول الممتوجات المنشقة في أطوار الخلقة كالطفنة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقة والممضفة والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبرة ، كذلك يناسب ما ذكر من أنَّ المراد بالطينة طينة الجنة لأنَّ طينة الجنة إختمارها وتربيتها بهذه الفطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقاً ، وبالجملة خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أولاً وتربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة إلى المؤمن ليحصل له الوصول إلى أعلى مراتب القرب ، انتهى .

وقال بعض المحققين من أهل التأويل : الجنة تشمل جناد الجنبروت والملكون ، والمزن السحاب وهو أيضاً يعم سحاب ماء الرحمة والوجود والكرم

بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً.

وصحاب ماء المطر والغضب والدم ، وكما أنَّ لكل قطرة من ماء المطر صورة وسحاباً انفصلت منه في عالم الملك كذلك له صورة وصاحب انفصلت منه في عالمي الملائكة والجبروت ، وكما أنَّ البقلة والثمرة تربى بصورةها الملائكية كذلك تربى بصورتها الملائكية والجبروتية المخلوقتين من ذكر الله تعالى اللتين من شجرة المزن الجناني وكما أنها تترتبان بها قبل الأكل كذلك تترتبان بها بعد الأكل في بدن الآكل ، فأنهما لم تستحل إلى صورة العضوف هي بعدها التربية ، فالإنسان إذا أكل بقلة أو ثمرة ذكر الله عز وجل عندها وشكر الله عليها ، وصرف قوتها في طاعة الله سبحانه وآله وأفكار اليمانية والخيالات الروحانية فقد تربت تلك البقلة أو الثمرة في جسده بماء المزن الجناني ، فإذا فصلت من مادتها فضلة هنية فهي من شجرة المزن التي أصلها في الجنة وإذا أكلها على غفلة من الله سبحانه وآله ، ولم يشكر الله عليها وصرف قوتها في معصية الله تعالى وأفكار الملوحة الدينية والخيالات الشهوانية ، فقد تربت تلك البقلة أو الثمرة في جسده بماء آخر غير صالح لخلق المؤمن إلا أن يكون قد تتحقق تربيتها بماء المزن الجناني قبل الأكل ، وأماماً كولة الكافر التي يخلق منها المؤمن فانما يتتحقق تربيتها بذلك الماء قبل أكله لها غالباً ، ولذكر الله عند زرعها أو غرسها مدخل في تلك التربية ، وكذلك لحل ثمنها وتقوى زارعها أو غارسها إلى غير ذلك من الأسباب .

## ﴿ بَاب ﴾

### ﴿ فِي أَن الصِّبْغَةَ هِيَ الْاسْلَامُ ﴾

١ - عَلَىٰ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ وَعَمْدَنْ بْنِ يَحْيَىٰ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً ، عَنْ ابْنِ مُحْبُوبٍ ، عَنْ عَبْدَاللَّهِ بْنِ سَتَانٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدَاللَّهِ تَكَبَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » <sup>(١)</sup> قَالَ : الْإِسْلَامُ ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَقَدْ

### باب ان الصبغة هي الاسلام

الحديث الاول : صحيح .

قوله : صبغة الله، اقول : تمام الآية وما يتعلّق بها هكذا : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربّهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن توأوا فاً إنما هم في شفاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » يعني قالت اليهود كونوا هوداً ، وقالت النصارى كونوا نصارى « بل ملة » أي بل تكون أهل ملة إبراهيم ، أو بل تتبع ملة إبراهيم ، والحنيف : المطابل عن كل دين إلى الحق « وما كان من المشركين » تعرّض بأهل الكتابين فما لهم كانوا يدعون اتباع ملة إبراهيم ، وهم مع ذلك على الشرك ، والأنبياء يعقوب عليه السلام . « صبغة الله » قال البيضاوي أي صبغنا الله صبغة ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فما لها حلية الانسان ، كما أن الصبغة حلية المتصوّع ، أو هدانا هداينه أو أرشدنا حجّته أو طهّر قلوبنا بالایمان تطهيره وسماته صبغة لأنّه ظهر أثره عليهم

استمسك بالعروة الوثقى <sup>(١)</sup> قال : هي الايمان بالله وحده لا شريك له .

ظهور الصبغ على المصبوع ، وتدخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ، ويقولون هو تطهير لهم و به تحقق نصر ابيتهم ، و نسبها على أنه مصدر مؤكّد لقوله آمناً وقيل : على الاغراء ، أي عليكم صبغة الله ، وقيل : على البدل من ملة إبراهيم « ومن أحسن من الله صبغة » لاصبغة أحسن من صبغته « ونحن له عابدون » تعرّيض بهم أي لانشرك به كشركم ، انتهى .

وقيل : على هذه الاخبار يحتمل أن تكون منصوبة على المصدر من مسلمون ، ثم يحتمل أن يكون معناها وموردها مختصّاً بالخواص والخلص المخاطبين بقولوا دون سائر أفراد بني آدم ، بل يتعمّن هذا المعنى إن فسر الاسلام بالخضوع والانقياد للاوامر والنواهي كما فعلوه ، وإن فسر بالمعنى العرفي فتوجيه التعميم فيه كتوجيه التعميم في فطرة الله .

وقيل : صبغة الله إبداع الممكّنات وإخراجها من العدم إلى الوجود وإعطاء كلّ ما يليق به من الصفات والغايات وغيرهما .

قوله : فقد استمسك ، قال تعالى « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصال لها » وفسّر الطاغوت في الاخبار بالشيطان وبائمة الضلال ، وال الاولى التعميم ليشمل كلّ ما عبّد من دون الله من صنم أو صاد عن سبيل الله « وبيّن بالله » بالتوحيد وتصديق الرسول وأوصيائهم « فقد استمسك بالعروة الوثقى » أي طلب الامساك من نفسه بالحبل الوثيق ، وهي مستعار متمسّك الحق من النظر الصحيح والذين القوم « لا انفصال لها » اي لا انقطاع لها .

وما ورد في الخبر من تفسيره بالإيمان كان المراد به أنّه تعالى شبه الإيمان الكامل بالعروة الوثقى ، وعلى ما ورد في كثير من الأخبار من أنّ المراد بالطاغوت

٢ - عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي نَصْرٍ ، عَنْ دَاؤِدَ بْنِ سَرْحَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْقَادَ ، عَنْ حَمْرَانَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « صَبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً » قَالَ : الصَّبْغَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ .

٣ - حَمِيدٌ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ عَلْيٍ بْنِ سَمَاعَةَ ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ ، عَنْ أَبَانَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَحْدَهُمَا تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « صَبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً » قَالَ : الصَّبْغَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ . وَقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَ الْوَثْقَى » قَالَ : هِيَ الْإِيمَانُ .

الفاصبون للخلافة فاطعني من رفض متابعة أئمة الضلالة وآمن بما جاء من عند الله في علي وأوصياء من بعده تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ فقد آمن بالله وحده لا شريك له، وإلا فهو مشرك كما روى في معاني الاخبار عن النبي تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولادة أخي ووصيتي علي بن أبي طالب فانه لا يهلك من أحبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه، وعن الباقر تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ أن العروة الوثقى هو مودتنا لأهل البيت .

**الحديث الثاني :** ضعيف على المشهور .

**ال الحديث الثالث :** مرسى كاظمونق، وقال الجوهري: صبغة الله دينه، ويقال: أصله من صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم، وقال الفيروز آبادي: الصبغة بالكسر الدين والملة، وصبغة الله فطرة الله، أو التي أمر الله تعالى بها مثداً تَعَالَى إِلَيْهِ السَّلَامُ وهي الختانة

## ﴿باب﴾

### ﴿فِي أَن السُّكِينَةَ هِيَ الْإِيمَانُ﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَيْسَى ، عَنْ عَلَىٰ بْنِ الْحَكْمَ ، عَنْ أَبِى حَزَّةَ ، عَنْ أَبِى جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « أُنْزِلَ السُّكِينَةُ فِي حَزَّةٍ ، عَنْ أَبِى حَزَّةَ كَمَا فِي بَعْضِ النَّسْخَاتِ ۖ »

### باب ان السكينة هي الايمان

**الحديث الأول :** صحيح كما في بعض النسخ عن أبي حزرة ، وضعيف على المشهور إن كان عن على بن أبي حزرة كما في بعض النسخ .

« هو الذي أُنْزِلَ السُّكِينَةُ » الآية في سورة الفتح هكذا : « هو الذي أُنْزِلَ السُّكِينَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ » والظاهر أنَّ المراد بالسُّكِينَةِ الثبات وطمأنينة النفس وشدة اليقين بحيث لا يتزلزل عند الفتن وعرض الشبهات ، بل هذا إيمان موهبي يتفرع على الاعمال الصالحة والمجاهدات الدينية سوى الإيمان المحاصل بالدليل والبرهان ، ولذا قال : « لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ » .

وقال في مجمع البيان : هي أن يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن إليه نفوسهم ، وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلة الدالة عليه ، فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة ، وأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأنَّه عارض من شبهة ترد عليهم إذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم ، وقيل : هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ، ويثبتوا في القتال ، وقيل : ما أُسْكِنَ قلوبَهُمْ من التعظيم لله ورسوله لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، أي يقيسنا إلى يقينهم بما يرون من القتوح وعلوَّ كلمة الإسلام على وفق ما وعدوا ، وقيل : لِيُزَادُوا تصديقاً بشرائع الإسلام وهو أنهم كلما أمروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلة والصوم والصدقات صدقوا به ، وذلك بالسُّكِينَةِ التي أُنْزِلَهَا اللهُ فِي قلوبِهِمْ عن ابن عباس

قلوب المؤمنين »<sup>(١)</sup> قال : هو الائمه ، قال : وسائله عن قول الله عز وجل : « وأيدهم بروح منه »<sup>(٢)</sup> قال : هو الائمه .

والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم ، انتهى .

والحاصل أن تفسيره عليه السلام السكينة بالائمه إما لكون هذا اليقين هو كمال الائمه ، أو إيمان آخر موهبي ينضم إلى الإيمان الاستدلالي ، وهذا مما يدل على أن اليقين يقبل الشدة والضعف كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله .

وأما الآية الثانية فهي في سورة المجادلة حيث قال : « لا تجده قوماً يؤمّنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو غيرهم أوثق كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار » ، قال الطبرسي (ره) : كتب في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الالطف فصار كالمكتوب عن الحسن ، وقيل : كتب في قلوبهم عالمة الإيمان ومعنى ذلك أنها سمة وعلامة من شاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار : وطبع الله على قلوبهم ، عالمة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه ، عن أبي علي الفارسي .

« وأيدهم بروح منه » أي فوّاهم بنور الإيمان ، ويدل عليه : « وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » عن الزجاج ، وقيل : معناه وقوّاهم بنور الحجج والبرهان حتى اهتدوا للحق وعملوا به ، وقيل : فوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع ، وقيل : أيدهم بجهرييل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم ، انتهى .

أقول : لعل المراد بالروح الإيمان الموهبي لأنه قال ذلك بعد قوله : « وكتب في قلوبهم الإيمان » أو المراد به فوّة الإيمان وكماله ، ويحتمل أن يراد به أنه سبب

- ٢ - عنه ، عن أَحْمَدَ ، عن صَفْوَانَ ، عن أَبِي أَبَانَ ، عن فضِيلٍ قَالَ : قُلْتَ لَا يَبْدِي عَبْدُ اللَّهِ تَعَالَى : « أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ » هَلْ نَهْمَ فِيمَا كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ صَنْعٌ ؟ قَالَ : لَا .
- ٣ - عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عن أَحْمَدَ بْنَ خَالِدٍ ، عن ابْنِ مُحْبَّبٍ ، عن الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عن أَبِي جَعْفَرٍ تَعَالَى قَالَ : السَّكِينَةُ إِيمَانٌ .
- ٤ - عَلَيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عن أَبِيهِ ، عن ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ ، عن حَفْصَ بْنَ الْبَخْرِي وَهَشَامَ بْنَ سَالِمَ وَغَيْرِهِمَا ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ » قَالَ : هُوَ إِيمَانٌ .
- ٥ - عَلَيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبِيدٍ ، عن يَوْنَسَ ، عن جَبَّيلَ قَالَ :

الإِيمَانُ وَقُوَّتْهُ وَكَمَالُهُ طَرِيقٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدِيَ الْمُؤْمِنِ بِرُوحٍ يَحْضُرُهُ فِي كُلِّهِ . وَقْتٌ يَحْسُنُ فِيهِ وَيَسْقُى وَيَغْيِبُ عَنْهُ فِي كُلِّهِ وَقْتٌ يَذْنُبُ فِيهِ وَيَعْتَدِي وَإِنْ أَمْكَنَ تَأْوِيلُهُ تَلْكَ الْأَخْبَارُ بِمَا يَوْافِقُ ظَاهِرَهُ هَذَا الْخَبَرُ كَمَا سَيَّأَتِي فِي بَابِ الرُّوحِ الَّذِي أَيْدَى بَهُ الْمُؤْمِنُ .

#### الحاديـث الثـاني : موـقـعـ كالصـحـيـحـ .

وَإِنَّمَا ذَكَرَ هَذَا مَعَ دِعَةِ اشْتِمَالِهِ عَلَى مَا عَنُونَ بِهِ الْبَابِ لَا فِي هُوَ كَالْتَقْمِةِ لِمَا ذَكَرَ فِي آخِرِ الْخَبَرِ السَّابِقِ لَا تَهْمَمَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ مِنَ اللَّهِ وَلَا يَسْتَدِعُ لِلْعِبَادِ فِيهَا صَنْعٌ وَاخْتِيَارٌ ، وَإِنَّمَا كَلْفُ الْعِبَادِ بَعْدِ الْجَحْدِ ظَاهِرًا وَبِاخْرَاجِ التَّعَصُّبِ وَالْأَغْرِاضِ الْبَاطِلَةِ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ مَعَ الْبَعْدِ فِي الجَمْلَةِ أَيْضًا ، وَيُمْكِنُ تَعْصِيَهُ بِمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ كَمَا مِنْ أُبُوكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ وَقَدْ مَضِيَ تَفْصِيلُ الْفَوْلُ فِي ذَلِكَ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَالْتَّعْرِيفِ ، وَفِي بَعْضِ النَّسْخِ صَبَغَ بِالْبَلَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعَجَّمَةِ ، أَيْ لِهَذِهِ الْكِتَابَةِ صَبَغَ وَلَوْنٌ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

#### الحاديـث الثـالـثـ : صـحـيـحـ .

#### الحاديـث الرـابـعـ : حـسـنـ كالصـحـيـحـ .

#### الحاديـث الخـامـسـ : صـحـيـحـ وَفـسـرـ أـكـثـرـ الـمـفـسـرـ بـكـلـمـةـ التـوـحـيدـ .

سأّلت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين »  
قال : هو الإيمان . قال : « وأيدهم بروح منه » قال : هو الإيمان و عن قوله : « و  
أثركم كلمة التقوى » <sup>(١)</sup> ؟ قال : هو الإيمان .

## ﴿باب الأخلاص﴾

١ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن مسakan عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « حنيفاً مسلماً » <sup>(٢)</sup> قال : خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من

فائفه يتّقى بها من عذاب الله وما فسّرها عليه السلام به أظهر ، إذ بجمع جميع العقائد الإيمانية راجتمانها يتّقى من عذاب الله لا بكلمة التوحيد فقط ، وفسّرت في كثير من الاخبار بالولاية لأنّها مستلزم لساير العقائد ، وفي بعضها بأمير المؤمنين عليه السلام وفي بعضها بجميع الأئمة عليهم السلام أي ولايتهم والأقرار بامامتهم كلمة التقوى ، وأنّهم يعبرون عن الله ما يتّقى به من عذابه كما ورد في الأخبار الكثيرة أقوالهنّ كلمات الله .

### باب الأخلاص

الحديث الأول : صبح

وقد منّ معنى الحنيف وأنته المائل إلى الدين الحق ، وهو الدين الحالى والمسلم المعنقاد لله في جميع أدواره ونواهيه ، ولما قال سبحانه : ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراوياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، وجعل الحنيف المسلم في مقابلة المشرك ، فلذا فسر عليه السلام الحنيف المسلم بمن كان خالصاً لله مخلصاً عمله من الشرك الجلى والخفي ، فالا وئان أعم من الاوثان الحقيقة والمجازية ، فيشمل عبادة الشياطين في إغوائهما وعبادة النفس في أهوائهما كما قال تعالى : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » <sup>(٣)</sup> وقال سبحانه : « أرأيتم من اتّخذ إلهه هواه » <sup>(٤)</sup>

(٢) سورة الروم : ٦٧ .

(١) سورة الفتح : ٢٦ .

(٤) سورة الفرقان : ٤٣ .

(٣) سورة يس : ٦٠ .

عبادة الأوثان .

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أبى عبد الله ، عن أبى رفعه إلى أبى جعفر عليهما السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : يا أبىها الناس إنما هو الله والشيطان والحق والباطل ، والهدى والضلال والرّشد والغنى ، والعاجلة والآجلة ، والعاقبة ، والحسنات

وقال : « اتّخذوا أحبارهم ورہبانيّم أرباباً من دون الله » <sup>(١)</sup> وقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : ملعون من عبد الدنيا والدرهم ، وفي المحسن هكذا : خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء ، من دون ذكر عبادة الأوثان .

الحديث الثاني : مرفوع .

« إنما هو الله » الضمير راجع إلى المقصود في العبادة أو الأعم منه ومن الباعث عليها ، أو الموجود في الدنيا والمقصود فيها ، والغرض أنّ « الحق والهدى والرّشد ورعاية الآجلة والحسنات منسوب إلى الله ، وأضدادها منسوبة إلى الشيطان ، فما كان خالصاً لله فهو من الحسنات ، وما كان للشيطان فيه مدخل فهو من السيئات ، ففي الكلام شبه قلب ، أو المعنى أنَّ « ربَّ تعالى والحق والهدى والرشد والآجلة والحسنات في جانب ، وأضدادها في جانب آخر ، فالحسنات ما يكون موافقاً للحق ومعلوماً بهداية الله ، ويكون سبباً للرّشد والمنظور فيه الدرجات الأخرى دون المذَّات الدنيوية وقربه تعالى فهو منسوب إلى الله ، وإلا فهو من خطوات الشيطان ووماوسه ، والرشد ما يوصل إلى السعادة الأبدية والغنى ما يؤدي إلى الشقاوة والمرمية ، والعاقبة عطف تفسير للآجلة .

وكان المناسب لترتيب سائر الفقرات تقديم الآجلة على العاجلة ، ولعله عليهما السلام إنما غير الاسلوب لأنَّ الآجلة بعد العاجلة .

قال بعض المحققين أريد بالحسنات والسيئات الأعمال الصالحة والسيئة المترتبة على الامور الثمانية الناشئان منها « فما كان من حسنات » يعني ما نشاء

والسيّئات ، فما كان من حسنات فلله وما كان من سيّئات فللشيطان لعنه الله .

٣ - عدّة من أصحابنا ، عن سهيل بن زياد عن عليّ بن أسباط ، عن أبي الحسن الرضا عليهما السلام أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول : طوبى لمن أخلص الله

من الحق والهدى والرشد ورعاية العاقبة من الأعمال الصالحة «وما كان من سيّئات» يعني ما نشاء من الباطل والضلال والغنى ورعاية العاجلة من الأعمال السيئة ، فكل من عمل عملاً من الخير طاعة لله آتياً فيه بالحق على هدى من ربّه ورشدة من أمره ، ولعاقبة أمره فهو حسنة تقبله الله بقبول حسن ، ومن عمل عملاً من الخير أو الشر طاعة للشيطان آتياً فيه بالباطل على ضلاله من نفسه وغيّر من أمره ولعاجلة أمره فهو سيئة مردود إلى من عمل له ، ومن عمل عملاً من كُبَّا من أجزاء بعضها للشيطان فما كان لله فهو لله وما كان للشيطان فهو للشيطان ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره فان أشرك بالله الشيطان في عمله أو في جزء عمله فهو مردود إليه لأنَّ الله لا يقبل الشريك كما يأْتِي بيانه في باب الرِّبَاء إنشاء الله .

وربما يقال : إنَّ كُلَّ البايعات إلا إلهي مساوياً للبايعات الشيطانيَّة تقاوِعاً وتساقطاً وصار العمل لا له ولا عليه ، وإنَّ كُلَّ أحدهما غالباً على الآخر بأن يكون أصلًا وسبباً مستقلاً ويكون الآخر تبعاً غير مستقل فالحكم للغالب إلا أنَّ ذلك مما يشتبه على الإنسان في غالب الأمر فربما يظن أنَّ البايعات الافقى قصد التقرب ويكون الأغلب على سرِّه الحظ النفسي فلا يحصل إلا بالآباء بالأخلاق ، وقلماً يستيقن بالأخلاق من النفس ، فينبغي أن يكون العبد دائمًا متربّداً بين الرد والقبول ، خائفاً من الشوائب ، والله الموفق للخير والسداد .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

«طوبى » أي الجنة أو طيبها أو شجرة فيها كما سيأتي في الخبر ، أو العيش الطيب أو الخير « لمن أخلص الله العبادة والدعاء » أي لم يعبد ولم يدع غيره تعالى

العبادة والدُّعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناءه ولم يحزن صدره بما أعطى غيره .

٤ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي عبد الله عليهما السلام في قول الله عز وجل : « ليلوكم أيسكم أحسن عملاً »<sup>(١)</sup> قال :

أو كان غرضه من العبادة والدعاء رضي الله سبحانه عنه من غير ريبة « بما ترى عيناه » أي من زخارف الدنيا ومشتهياتها ، والرفة والملك فيها « ولم ينس ذكر الله » بالقلب واللسان « بما تسمع أذناءه » من الغناء وأصوات الملاهي ، وذكر لذات الدنيا وشهواتها والشبهات المضلة والأراء المبتدعة ، والغيبة والبهتان ، وكل ما يلمحه عن الله « ولم يحزن صدره بما أعطى غيره » من أسباب العيش وحرمهها ، والاتصاف بهذه الصفات العلية إنما يتيستر لهن قطع عن نفسه العلائق الدينية ، وفي الخبر إشعار بـان الـاخـلاـص في العبادة لا يحصل إلا « مـن قـطـع عـرـق حـبـ الدـنـيـا مـن قـلـبـه ، كـمـا سـيـأـتـي تـحـقـيقـه إـنشـاء اللـهـ .

#### الحديث الرابع : ضعيف .

قوله : « ليلوكم » إشارة إلى قوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيسكم أحسن عملاً »<sup>(٢)</sup> تبارك أي تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير ، أو تزايد عن كل شيء وتعالي عنه في صفاتـهـ وأفعالـهـ ، فـانـ البرـكةـ تـضـمـنـ معـنىـ الـزيـادـةـ « الذي بيده الملك » أي بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلـهاـ « الذي خلق الموت والحياة » اي قد رهما أو أوجدهما وفيه دلالة على أن الموت أمر وجودي ، والمراد بالموت الموت الطارى على الحياة أو العدم الأصلى فـانـهـ قدـسـتـيـ مـوتـاـ أـيـضاـ ، كما قال تعالى : « كـنـتمـ أـمـواـنـاـ فـاحـسـاـكـمـ »<sup>(٣)</sup> وتقديمه على الأول لأنـهـ أـدـعـىـ إـلـىـ حـسـنـ الـعـمـلـ وـأـفـوـىـ فـيـ تـرـكـ الدـنـيـاـ ولـذـاتـهاـ ،

(١) سورة الملك : ٢ . (٢) سورة البقرة : ٢٨ .

ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الاصابة خشية الله والنية الصادقة

وعلى الثاني ظاهر تقدّمه .

« ليبلوكم » أى ليعاملكم معاملة المختبر « أيسكم » مفعول مان لفعل البلوى باعتبار تضمينه معنى العلم ، ووجه التعليل أنَّ الموت داع إلى حسن العمل لكمال الاحتياج إليه بعده ، ومحاجة لعدم الوثوق بالدنيا ولذاتها الفانية ، والحياة نعمة تقتضي الشكر ويقتدر بها على الأفعال الصالحة ، وإن أريد به العدم الأصلى فالمعنى أنه نقلكم منه وألبسكم لباس الحياة لذلك الاختبار ، وما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة وباصابته وشدّة رعاية شرائطه أخرى نفي الأول ، بقوله: ليس يعني أكثركم عملاً ، لأنَّ مجرد العمل من غير خلوصه وجودته ليس أمراً يعتمد به ، بل هو تضييع للعمر وأنت الثانى بقوله : ولكن أصوبكم عملاً ، لأنَّ صواب العمل وجودته وخلوصه من الشوائب يوجب التربب منه تعالى ، وله درجات متفاوتة يتفاوت التقرب بمحاسنها .

وإسم ليس في قوله : « ليس يعني » ضمير عائد إلى الله عزوجل أو ضمير شأن ، وجملة يعني خبرها ، ثمَّ يبيّن الأصابة وحصرها في أمرين بقوله : إنما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ، وذكر الخشية ثانياً لعله من الرواية أو النسخ ، وليس في بعض النسخ ولو صحت ي يكون معناه خشية أن لا يقبل كما سيأتي في الخبر ، وهو غير خشية الله ، أو يقال : النية الصادقة بمنتهاء والخشية محظوظ عليه ، والخبر ممحظوظ أى مقر وننان ، أو الخشية منصوب ليكون مفهولاً معه .

فيكون الحاصل أنَّ مدار الاصابة على الخشية وتلزمهها النية الصادقة ، وفي بعض النسخ والحسنة أى كونه موافقاً لأمره تعالى ، ولا يكون فيه بدعة ، وفي أسرار الصلاة للشهيد الثاني (ره) : والنية الصادقة الحسنة وهو أصوب .

والحاصل أنَّ العمدة في قبول العمل بعد رعاية أجزاء العبادة وشرائطها المختصة النية الخالصة والاجتناب عن المعاصي كما قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربِّه

والحسنة ثم قال : الا بقاء على العمل حتى يخاص اشد من العمل ، والعمل الخالص :

فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً<sup>(١)</sup> و قال سبحانه : «إِنَّمَا يَتَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ البهائي قدس سره : المراد بالنية الصادقة إنبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه ، لا كمن يعتقد عبده مثلاً ملاحظاً مع القربة الخالص من مؤنته أو سوء خلقه أو يتصدق بحضور الناس لغرض الصواب والثناء معاً بحيث لو كان منفرداً لم يبعثه مجرد الثواب على الصدقة وإن كان يعلم من نفسه أنه لو لا الرغبة في الثواب لم يبعثه مجرد الرباء على الاعطاء ، ولا كمن له ورد في الصلوات وعدة في الصدقات واتفق أن حضر في وقتها جماعة فصار الفعل أخفَ عليه وحصل له نشاط مابسبب مشاهدتهم ، وإن كان يعلم من نفسه أنهم لولم يحضروا لم يكن يترك العمل أو يفتر عنه البتة ، فأمثال هذه الأمور مما يدخل بصدق النية وبالجملة فكل عمل قصدت به القرابة وانضاف إليه حظ من حظوظ الدنيا بحيث ترکب الباعث عليه من ديني ونفسى ، فنيتكم فيه غير صادقة سواء كان الباعث الديني أقوى من الباعث النفسي أو أضعف أو مساوياً .

قال في مجمع البيان : « ليبلوكم أيسكم أحسن عملاً » اي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازى كل عامل بقدر عمله ، وقيل : ليبلوكم أيسكم أكثر للموت ذكرأ وأحسن له إستعداداً وأحسن صبراً على موته وموت غيره ، وأيسكم أكثر إمتثالاً للأوامر واجتناباً عن النواهي في حال حياته قال أبو قنادة : سئلت رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى : « أيسكم أحسن عملاً » ما عنى به ؟ فقال : يقول أيسكم أحسن عقلاً ، ثم قال تعالى : أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً ، وإن كان أقلكم تطوعاً ، وعن ابن عمر عن النبي صلوات الله عليه وسلم : انه تلا قوله : « قبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قادر » إلى قوله : « أيسكم أحسن عملاً »

الذى لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عز وجل والنية أفضل من العمل ، ألا

ثم قال : أيمكم احسن عقلاً وادرع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ، وعن الحسن : أيمكم أزهد في الدنيا وأفرك لها ، انتهى .

وفي القاموس : الصواب ضد الخطأ كالاصابة ، وقال : الاصابة الاتيان بالصواب وإرادته ، والابقاء على العمل محافظته والاشفاق عليه وحفظه عن الفساد ، قال الموجهي ابقيت على فلان إذا دعيت عليه ، يقال : لا ابقي الله عليك إن ابقيت على والاسم البليا ، انتهى .

والحاصل ان دعاية العمل وحفظه عند الشروع وبعده إلى الفراغ منه ، وبعد الفراغ إلى الخروج من الدنيا حتى يخلص عن الشوائب الموجبة لنقصه او فساده أشد من العمل نفسه كما سيأتي في باب الرثاء عن أبي جعفر عليهما السلام انه قال : الابقاء على العمل أشد من العمل ، قال : وما الابقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له ، فيكتب له سرا ثم يذكرها فتمحي وتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحي وتكتب له رباء ، ومن عرف معنى النية وخلوصها علم ان إخلاص النية أشد من جميع الأعمال كما سيأتي تحقيقة إنشاء الله .

ثم بين عليهما السلام معنى العمل الخالص بأنه هو العمل الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عز وجل ، لا عند الفعل ولا بعده أى يكون خالصاً عن أنواع الرباء والسمعة .

وقد يقال : لو كان سروره باعتبار أن الله تعالى قبل عمله حيث أظهر جيله كما روی في الحديث القدسی عملك الصالح عليك سره وعلى إظهاره ، أو باعتبار أنه استدل باظهار جيله في الدنيا على إظهار جيله في الآخرة ، أو باعتبار رغبتهما إلى طاعة الله وميل قلوبهما إليها لم يقبح ذلك في الخلوص ، وإنما يقبح فيه إن كان لرفع منزلته عند الناس وتعظيمهم له واستجلاب الفوائد منهم فإنه بذلك يصير مرأةً مبشرةً بالشرك الغافى وبه يحطط عمله ، وهذا الكلام له جهة صدق لكن قلماً تصدق النفس في ذلك ،

فان لها حيل وتسويات لا ينجو منها إلا المقربون .

وقال الشيخ البهائي (ره) : الحال في اللغة كلّما صفا وتخلى ولم يمترج بغشه سواء كان ذلك الفير أدون منه أو لا ، فمن تصدق لم يمض الرياء فصدقته خالصة لغة كمن تصدق لم يمض الثواب وقد خص العمل الحال في العرف بما يجرّه فقد التقارب فيه عن جميع الشوائب ، وهذا التجربة يسمى إخلاصاً ، وقد عنده أصحاب القلوب بتعريفات أخرى ، فقيل : هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب ، وقيل : إخراج الخلق عن معاملة الحق ، وقيل : هو ستر العمل عن الخلاقين وتصفيته عن العلائق ، وقيل : أن لا يزيد عامله عليه عوضاً في الدارين ، وهذه درجة عليمة عزيزة المنال ، وقد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : ما عبدتك خوفاً من فارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجنتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

وقال (ره) : ذهب كثير من علماء الخاصة وال العامة إلى بطalan العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب ، وقالوا : إن هذا القصد مناف للأخلاص الذي هو إرادة وجه الله وحده ، وأن من قصد ذلك فإنه قصد جلب النفع إلى نفسه ، ودفع الضر عنها لا وجه الله سبحانه ، كما أن من عظم شخصاً أو أثني عليه طمعاً في ماله أو خوفاً من إهانته لا يعد مخلصاً في ذلك التعظيم والثناء .

وممن بالغ في ذلك السيد الجليل صاحب المقامات والكرامات رضي الدين على بن طاوس قدس الله سره ، ويستفاد من كلام شيخنا الشهيد في قواعده أنه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم .

و نقل الفخر الرازبي في التفسير الكبير إتفاق المتكلمين على أن من عبد الله لأجل الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب لم تصح عبادته ، أورده عند تفسير

قوله تعالى «ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة»<sup>(١)</sup> وجزم في أوائل سورة الفاتحة بأنّه لو قال : أصلى لثواب الله أو الهرب من عقابه فسدت صلاته ، و من قال بأنَّ ذلك الفقد غير مفسد للعبادة منع خروجهما عن درجة الاخلاص ، وقال : إنَّ إرادة الفوز بنواب الله والسلامة من سخطه ليس أمراً مخالفًا لارادة وجه الله سبحانه . وقد قال تعالى في مقام مدح أصحابه : « كانوا يسألون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً»<sup>(٢)</sup> أي للرغبة في الثواب والرهبة من العقاب ، وقال سبحانه : « وادعوه خوفاً وطمعاً»<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»<sup>(٤)</sup> أي حال كونكم راجين للفلاح ، أو لكي تفلحوا ، والفالح هو الفوز بالثواب ، نص عليه الشيخ أبو على الطبرسي .

هذا ما وصل إلينا من كلام هؤلاء ، وللمناقشة فيه مجال ، أما قولهم أنَّ تلك الارادة ليست مخالفة لارادة وجه الله تعالى فكلام ظاهري . فشري إذ البون البعيد بين إطاعة المحبوب والانقياد إليه طبعاً وتحصيل رضاه وبين إطاعته لأغراض أخرى أظهر من الشمس في رائعة النهار ، والثانية ساقطة بالكلية عن درجة الاعتبار عند أولى الأ بصار ، وأما الاعتناد بالأيتين الأولىين ، فإ فيه : إنَّ كثيراً من المفسرين ذكروا أنَّ المعنى راغبين في الإجابة ، راهبين من الرد والخيئة ، وأما الآية الثالثة فقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان أنَّ معنى لعلكم تفلحون لكي تسعدوا . ولاريء أنَّ تحصيل رضاه سبحانه هو السعادة العظمى ، وفسر (رد) الفلاح في قوله تعالى : « او لئك هم المفلحون » بالنجاح والفوز ، وقال شيخ الطائفة في التبيان : المفلحون هم المنجحون

(١) سورة الاعراف : ٩٠ .

(٢) سورة الانبياء : ٥٥ .

(٣) سورة الاعراف : ٥٦ .

(٤) سورة الحج : ٧٧ .

\* \* \* \* \*

الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم وأيمانهم .

وفي تفسير البيضاوى المفلح : الفائز بالمطلوب ، ومثله في الكشاف .

نعم فسر الطبرسى (ره) الفلاح فى قوله : « قد أفلح المؤمنون » بالفوز بالثواب لكن مجبيه فى هذه الآية بهذا المعنى لا يوجب حمله فى غيرها أيضاً عليه ، وعلى تقدير حمله على هذا المعنى إنما يتم التقريب لو جعلت جملة الترجى حالية ، ولو جعلت تعليمية كما جعله الطبرسى فلا دلالة فيها على ذلك المدى أصلاً كمالاً يخفى .

هذا ، والأولى أن يستدل بمارواه الكليني بطريق حسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

العبد ثلاثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلت عبادة العبيد ، و قوم عبدوا الله تبارك و تعالى طلباً للثواب قتلوا عبادة الاجراء ، و قوم عبدوا الله عز وجل حبّاً له فتلت عبادة الآخر وهي أفضل العبادة ، فان قوله عليه السلام وهي أفضل العبادة يعطى أن العبادة على الوجهين السابقين لا يخلو من فضل أيضاً فتكون صحيحة وهو المطلوب .

نـم قال رحـمه الله : المـأعنـون فـي نـيـةـ الـعـابـادـةـ مـنـ قـصـدـ تـحـصـيلـ الثـوابـ أـوـ دـفـعـ الـعـقـابـ جـعـلـواـ هـذـاـ قـصـدـ مـفـسـداـ لـهـاـ وـ إـنـ اـنـضـمـ إـلـيـهـ قـصـدـ وـجـهـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ مـاـ يـفـهـمـ مـنـ كـلـامـهـ ، أـمـاـ بـقـيـةـ الضـمـائـمـ الـلـازـمـ الـحـصـولـ مـعـ الـعـابـادـةـ نـوـيـتـ أـوـ لـمـ تـنـوـ كـالـخـلـاصـ مـنـ النـفـقـةـ بـعـقـ العـبـدـ فـيـ الـكـفـارـ ، وـ الـحـمـيـةـ فـيـ الصـومـ وـ التـبـرـ دـفـعـ الـوضـوءـ وـ إـلـاعـامـ الـمـأـمـومـ الدـخـولـ فـيـ الـصـلـاـةـ بـالـتـكـبـيرـ ، وـ مـمـاطـلـةـ الـفـرـيـمـ بـالـتـشـاغـلـ بـالـصـلـاـةـ وـ مـلـازـمـتـهـ بـالـطـوـافـ وـ السـعـيـ ، وـ حـفـظـهـ الـمـنـاعـ بـالـقـيـامـ لـصـلـاـةـ الـلـيـلـ وـ أـمـثـالـ ذـلـكـ فـالـظـاهـرـ أـنـ قـصـدـهـ عـنـهـمـ مـفـسـداـ أـيـضاـ بـالـطـرـيقـ الـأـوـلـيـ وـ أـمـاـ الـذـينـ لـاـ يـجـعـلـونـ قـصـدـ الثـوابـ مـفـسـداـ فـقـدـ اـخـتـلـفـواـ فـيـ الـإـفـادـ بـأـمـثـالـ هـذـاـ الضـمـائـمـ ، فـأـكـثـرـهـمـ عـلـىـ عـدـمـهـ ، وـ بـهـ قـطـعـ الشـيـخـ فـيـ الـمـبـسوـطـ ، وـ الـمـحـقـقـ فـيـ الـمـعـتـبـرـ ، وـ الـعـلـامـ فـيـ التـحـرـيرـ وـ الـمـنـتهـيـ ، لـأـنـهـ تـحـصـلـ لـاـ مـحـالـةـ فـلـاـ يـضـرـ قـصـدـهـ ، وـ فـيـهـ أـنـ لـزـومـ حـصـولـهـ لـاـ يـسـتـلزمـ صـحـةـ قـصـدـ حـصـولـهـ ، وـ الـمـتـأـخـرـونـ مـنـ أـصـحـابـناـ حـكـمـواـ بـفـسـادـ الـعـابـادـةـ بـقـصـدـهـ وـ هـوـ مـذـهـبـ الـعـلـامـ فـيـ النـهـاـيـةـ

وإنَّ النية هي العمل، ثم تلا قوله عزَّ وجلَّ : « فل كلٌ يعمل على شاكلته »<sup>(١)</sup> يعني على نيتته .

والقواعد ، وولده فخر المحققين في الشرح ، وشيخنا الشهيد في البيان لغوت الأخلاص وهو الأصح ، واحتمل شيخنا الشهيد في قواعده التفصيل بأنَّ القربة إن كانت هي المقصود بالذات والضميمة مقصودة تبعاً صحت العبادة وإن انعكس الامر أو تساوي بطلت . هذا ، واعلم أنَّ الضمية إن كانت راجحة ولا حظ الفاقد رجحانها وجوباً أو ندبأ كالحمسة في الصوم لوجوب حفظ البدن ، والإعلام بالدخول في الصلاة للتعاون على البرَّ فينبغي أن لا تكون مضرَّة إذ هي حينئذ مؤكدة ، وإنما الكلام في الضمام غير الملحوظة الرجحان ، فصوم من ضمْ قصد الحمسة مطلقاً صحيح مستحبَّاً كان الصوم أو واجباً ، معيناً كان الواجب أو غير معين ، ولكن في النفس من صحة غير المعين شيء ، وعدمها محتمل ، والله اعلم .

قوله ﴿إِنَّمَا﴾ : والنية أفضل من العمل ، أي النية الخالصة أو إخلاص النية أفضل من العمل ، والنية تطلق على إرادة ايقاع الفعل وعلى الغرض الباعث على الفعل وعلى العزم على الفعل والأولان مقارنةان للمفعول دون الثالث ، والأولى لا تنفك فعل القائل المختار عنها ، والثانية الأخلاص فيها من أشـقـ الأمور وأصعبها وبه تتفاصل عبادات المكلفين وهي روح العبادة وبدونها لا تصح ، وكلما كانت أخلاق عن الشوائب والأغراض الفاسدة كان العمل أكمل ، ولذا ورد أنَّ نية المؤمن خير من عمله ، ولا ينافي قوله ﴿إِنَّمَا﴾ أصلـيـ أفضلـ الـأـعـمـالـ أحـزـهـاـ ، إذ تصحيحـ النـيـةـ أـصـعـ منـ تصـحـيـحـ الـعـمـلـ بمـراتـبـ شـتـىـ إذـ لـيـسـ الـمـرـادـ بـالـنـيـةـ ماـ يـتـكـلـمـ بـهـ الـإـنـسـانـ عـنـ الـفـعـلـ ، أوـ يـتـصـوـرـ دـيـخـطـرـهـ بـيـالـهـ ، بلـ هوـ الـبـاعـثـ الـأـصـلـيـ وـالـغـرـضـ الـوـاقـعـيـ الدـاعـيـ لـلـإـنـسـانـ عـلـىـ الـفـعـلـ وـ هـوـ تـابـعـ الـحـالـةـ الـتـيـ عـلـيـهـ الـإـنـسـانـ ، وـ الـطـرـيـقـ الـتـيـ يـسـلـكـهـ ، فـمـنـ غـلـبـ عـلـيـهـ حـبـ الـدـنـيـاـ وـ شـهـوـانـهـ لـاـ يـمـكـنـهـ قـصـدـ الـقـرـبـةـ وـ إـخـلـاـصـ الـنـيـةـ عـنـ دـوـاعـيـهـ فـاـنـ نـفـسـهـ مـتـوـجـهـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ وـ هـمـتـهـ مـقـصـودـةـ عـلـيـهـ ، فـمـاـ لـمـ يـقـلـعـ عـنـ قـلـبـهـ عـرـوقـ حـبـ الـدـنـيـاـ وـ لـمـ يـسـتـقـرـ فـيـهـ

طلب النشأة الأخرى وحبّ الرَّبِّ الأَعْلَى لِمَا يُمْكِنُهُ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ وَاقْعًا عَنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ الدِّينِيَّةِ، وَذَلِكَ مَتَوَقَّفٌ عَلَى مَجَاهِدَاتِ عَظِيمَةٍ وَرِياضَاتِ طَوِيلَةٍ وَتَفَكِّرَاتِ صَحِيحَةٍ، وَاعْتِزَالٌ عَنْ شَرَارِ الْخَلَقِ، فَلَذَا وَرَدَ أَنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَأْوِيلِ الْخَبَرِ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْوَجْوهِ مُعَرِّفًا كَثِيرَهَا وَبَعْدَهَا عَنْ نَظَمِ الْكَلَامِ، فَلَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : النِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ فِي تَصْحِيحِهَا أَهْمَّ.

فَانْقِيلٌ : الْعَمَلُ بِلَا نِيَّةٍ باطِلٌ ، وَمَعَهَا النِّيَّةُ دَاخِلَةٌ فِيهِ فَكَيْفَ يَفْضُلُ النِّيَّةُ عَلَى الْعَمَلِ فَإِنَّهُ يَوْجِبُ تَفْضِيلَ الْجَزْءِ عَلَى الْكُلِّ ؟

قُلْنَا : الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْعَمَلَ الْمُفَرُّونَ بِالنِّيَّةِ يَتَّبِعُهُ خَيْرٌ مِنْ سَایِرِ أَجْزَائِهِ ، سَوَاءً جَعَلْنَا النِّيَّةَ جَزْءًا مِنَ الْعَمَلِ أَوْ شَرْطاً فِيهِ ، وَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ ، مِبَالِغَةٌ فِي إِشْرَاطِ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنَّهُ لَا اعْتِدَادٌ بِالْعَمَلِ بِدُونِهَا ، فَكَأَنَّهَا عَيْنِهِ ، وَلَذَا أَنْكَدَ بِحْرَفَ التَّأْكِيدِ وَحْرَفَ التَّنْبِيهِ وَإِسْمِيَّةِ الْجَمْلَةِ ، وَتَعْرِيفَ الْخَبَرِ بِاللَّامِ الْمُفِيدِ لِلْحَصْرِ ، وَضَمِيرِ الْفَصْلِ الْمُؤَكَّدِ لَهُ .

وَقِيلٌ : إِشارةٌ إِلَى دُفُعٍ مَا يَتَوَهَّمُ مِنْ أَنَّ الْمُفَضَّلَ عَلَيْهِ لَابْدَأَ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمُفَضَّلِ وَالنِّيَّةِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ، فَأَجَابَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ النِّيَّةَ أَيْضًا عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَلَا يَخْفِي ضَعْفَهُ ، وَالْإِسْتَشَاهَدُ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ لِبَيَانِ أَنَّ مَدَارَ الْعَمَلِ عَلَى النِّيَّةِ صَحَّةً وَفَسَادًا وَنَفْصَا وَكَمَالًا ، حِيثُ قَالَ : « قُلْ كُلَّ مَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ شَاكِلَتُهُ » يَعْنِي عَلَى نِيَّتِهِ وَكَأْنَتْهُ عَلَيْهِ فَسْرُ الشَّاكِلَةِ الَّتِي تَطْلُقُ غَالِبًا عَلَى الْحَالَةِ وَالطَّرِيقَةِ بِالنِّيَّةِ إِيَّذَا مَا بِأَنَّ النِّيَّةَ تَابِعَةٌ لِحَالَةِ الْأَنْسَانِ وَطَرِيقَتِهِ كَمَا أَوْمَانَا إِلَيْهِ ، وَإِنَّ وَرَدَ بِمَعْنَى النِّيَّةِ أَيْضًا ، قَالَ الْفَيْرُوزَيُّ بَادِيٌّ : الشَّاكِلَةُ : الشَّكْلُ وَالنَّاحِيَةُ وَالنِّيَّةُ وَالطَّرِيقَةُ ، وَقَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ : أَيْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يَعْمَلُ عَلَى طَبِيعَتِهِ وَخَلْقَتِهِ الَّتِي تَخْلُقُ بِهَا عَنْ أَبْنَعْبَاسٍ ، وَقِيلٌ : عَلَى طَرِيقَتِهِ وَسَنَتِهِ الَّتِي اعْتَادَهَا ، وَقِيلٌ : مَا هُوَ شَكْلٌ بِالصَّوَابِ

٥ - وبهذا لا إسناد قال : سأله عن قول الله عز وجل : «إلا من أتى الله بقلب

وأولى بالحق» عن الجبائي ، قال : ولهذا قال : «فربكم أعلم بمن هو أهدي سبيلاً» أي أنه يعلم أي الغريقين على الهدى وأينهما على الضلال ، وقيل : معناه أنه أعلم بمن هو أصوب ديناً وأحسن طريقة ، وقال بعض أرباب اللسان هذه الآية أرجى آية في كتاب الله لأنَّ الأُلْيَقَ يكرمه سبحانه وجوده المفوِّع عن عباده ، فهو يعمل به ، انتهى .

ويمكن حمل النية هنا على المعنى الثالث كما سيأتي في الخبر لكنه بعيد عن سياق هذا الخبر وسيأتي مزيد كلام في ذلك في باب النية وباب الرَّباء .

الحديث الخامس : مثل السابق .

قوله تعالى : «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهُ» قال سبحانه في سورة الشعراء حكاية عن إبراهيم عليه السلام حيث قال : «وَلَا تَخْرُجْنِي يَوْمَ يَبْعَثُونَ» .

قال الطبرسي قدس الله سره أي لا نفضحني ولا تعيرني بذنب يوم يحضر الخلق ، وهذا الدعاء كان منه توكلاً على وجه الانقطاع إلى الله تعالى طيبتنا أن القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء والصالحين ، ثم فسر ذلك اليوم بأن قال : يوم لا ينفع مال ولا بنون أي لا ينفع المال والبنون أحداً إذا يتهيأ الذي مال أن يفتدى من شدائده ذلك اليوم به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه «إلا من أتى الله بقلب سليم» من الشرك والشك عن الحسن ومجاحد وقيل : سليم من الفساد والمعاصي ، وإنما خص القلب بالسلامة لأنَّه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أنَّ الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد ، وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال : هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ، ويعنيه قوله النبي عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيبة النهي .

سليم<sup>(١)</sup> قال : القلب السليم الذي يلقي ربه و ليس فيه أحد سواه ، قال : وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

ع - بهذا الإسناد ، عن سفيان بن عيينة ، عن السندي ، عن أبي جعفر عليه السلام  
قال : ما أخلص العبد اليمان بالله عز وجل<sup>هـ</sup> أربعين يوماً - أو قال : ما أجمل عبد ذكر الله

قوله عليه السلام : وليس فيه أحد سواه ، أي أخرج عن قلبه حب ما سوى الله  
والاشتغال بغيره سبحانه ، أو لم يختر في قلبه على رضا الله رضا غيره ، أو كانت أعماله  
وبياته كلها خالصة لله لم يشرك فيها غيره « وكل قلب فيه شرك » أعم من الشرك الجلي  
والخفى « أو شك » وهو ما يقابل اليقين الذي يظهر أثره على الموارح ، فإن كل  
معصية أو توسل بغيره سبحانه يستلزم ضعفاً في اليقين فالشك يشمله « فهو ساقط »  
أي عن درجة الاعتبار أو بعيد عن الرب تعالى .

« وإنما أرادوا ، أي الآباء والأوصياء » الزهد « وفي بعض النسخ : أراد بالزهد  
أي أراد الله ، والباء زائدة يعني أن الزهد في الدنيا ليس مقصوداً لذاته ، وإنما أمر  
الناس به لتكون قلوبهم فارغة عن محنة الدنيا ، صالحة لحب الله تعالى ، خالصة له  
عز وجل<sup>هـ</sup> ، لا شركة فيها لما سوى الله ، ولا شك ناشئاً من شدة محنته لغير الله .

الحديث السادس : مثل السابق .

« وأخلاص اليمان » مما يشوهه من الشرك والرياء والمعاصي ، وأن يكون جميع  
أعماله خالصة لله تعالى ، ولعل خصوص الأربعين لأن الله تعالى جعل انتقال الإنسان  
في أصل الخلقة من حال إلى حال في أربعين يوماً كالانتقال من النطفة إلى العلة  
ومن العلة إلى المضفة ، ومن المضفة إلى العظام ومنها إلى إكتساع اللحم .  
ولذا يوقف قبول توبة شارب الخمر إلى أربعين يوماً كما ورد في الخبر ، و  
الزهد في الشيء تركه وعدم الرغبة فيه ، وداء الدنيا المعاصي و الصفات الذميمة وما

عزٌّ وجلٌّ أربعين يوماً - إلَّا زهْدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَبَصْرَهُ دَاعِهَا وَدَوَاعُهَا فَأَقْبَلَتِ الْحِكْمَةُ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، ثُمَّ تَلَاقَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سِينَالَهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَذَلْكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ<sup>(١)</sup> فَلَا تَرَى صَاحِبَ الْبَدْعَةِ

يُوجِبُ الْبَعْدَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَوَائِهِمَا يُوجِبُ تَرْكَهَا وَاجْتِنَابَهَا مِنَ الرِّبَا وَالْمَجَاهِدَاتِ وَالْتَّفَكِيرَاتِ الصَّحِيحَةِ وَأَمْثَالِهَا، أَوْ الْمَرْادُ بِدَائِنِهَا الْأَمْرَاضُ الْقَلْبِيَّةُ الْحَالِصَةُ مِنْ مُحِبَّةِ الدُّنْيَا، وَدَوَائِهَا مَلَازِمَةٌ مَا يُوجِبُ تَرْكَهَا، وَقَوْلُهُ : أَيُّ قَدْرِ الضررِ وَرَدَّهُ مِنْهَا وَالْزَانِدُ عَلَيْهِ أَوْ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَيْهَا وَصَرْفُهُ عَنْهَا أَوْ الضَّارُّ وَالنَّافِعُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ أَعْنَى الطَّاعَةِ وَالْمُعْصِيَةِ وَالْحِكْمَةُ الْعِلُومُ الْحَقِيقَةُ الْوَاقِعِيَّةُ وَأَصْلُهَا وَمَنْبِعُهَا مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ وَلَذَا فَسَرَّتْ بِهَا كَامِرَةُ .

وَفِي مَنْاسِبَةِ ذِكْرِ الْآيَةِ طَالَ تَقْدِيمُ إِشْكَالٍ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالُ فِي تَوْجِيهِهِ وَجُوهُهُ :

الْأُولَى : مَا خَطَرَ بِالْبَالِ وَهُوَ أَنَّهُ مَلَّا ذَكَرَ فَوَائِدُ إِخْلَاصِ الْأَرْبَعِينَ وَقَدْ أَبْدَعَ جَمِيعَهُ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ فِيهَا مَا لَيْسَ فِي الدِّينِ ، دَفَعَ تَلَاقِ الْأَيَّاتِ تَوْهِمَ شَمْوَلَهُ لِذَلِكَ بِالْإِسْتَهْدَادِ بِالْآيَةِ ، وَأَنَّهَا تَذَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُبِيدٍ فِي الْاِحْكَامِ وَمُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي حُكْمِ مِنَ الْاِحْكَامِ ذَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَقَوْلِهِ تَعَالَى : « كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » وَقَوْلُهُ : أَوْ مُفْتَرِيَاً أَيْ لَا تَرَى مُفْتَرِيَاً ، وَبِعِبَادَةِ أَخْرَى مَلَّا دَانَ صَحَّةَ الْعِبَادَةِ وَكَمَا لَهَا مُشَرَّطَةٌ بِأَمْرِيْنِ : الْأُولُى ، كَوْنُهَا عَلَى وَفْقِ السُّنْنَةِ ، وَالثَّانِي : كَوْنُهَا خَالِصَةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَشَارَ أَوْلًا إِلَى الثَّانِي ، وَثَانِيَاً إِلَى الْأُولَى ، فَتَأْمَلُ .

الثَّانِي : مَا فَيْلَ أَنَّ الْوَجْهَ فِي تَلَاقِهِ تَلَاقِ الْآيَةِ التَّنْبِيَّةِ عَلَى أَنَّ مِنْ كَانَتْ عِبَادَتَهُ لِهِ تَعَالَى وَاجْتِهَادَهُ فِيهَا عَلَى وَفْقِ السُّنْنَةِ بِصَرْهِ اللَّهِ عَيْوَبُ الدِّينِ فَزَهْدَهُ فِيهَا ، فَصَارَ بِسَبِّبِ زَهْدِهِ فِيهَا عَزِيزًا لِأَنَّ الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا تَكُونُ بِسَبِّبِ الرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَمِنْ كَانَتْ عِبَادَتَهُ عَلَى وَفْقِ الْهُوَى أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَنِ عَيْوَبِ الدِّينِ ، فَصَارَ بِسَبِّبِ رَغْبَتِهِ فِيهَا ذَلِيلًا ، فَأَصْحَابُ الْبَدْعَ لَا يَزَالُونَ أَذْلَاءً صَفَارِيًّا ، وَمِنْ هَنَا قَالَ اللَّهُ فِي مُتَّخِذِي الْعِجْلَ مَا قَالَ .

إلاً ذليلاً ومحقراً على الله عزَّ وجلَّ و على رسوله ﷺ و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلاً ذليلاً .

## ﴿باب الشرائع﴾

١ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبى حمداً بن عبدة من أصحابنا ، عن أبى حمداً بن خالد ، عن إبراهيم بن عبد الشفعى ، عن محمد بن مروان جيعاً عن أبان بن عثمان ، عمن ذكره ، عن أبى عبد الله ؓ قال : إنَّ اللهَ تباركَ وَتَعَالَى أَعْطَى مُحَمَّداً ﷺ شرائعاً نوح وإبراهيم و موسى و عيسى ؓ : التوحيد والأخلاق

الثالث : ما قيل أيضاً أنَّ الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أنَّ غير المخلص مندرج فيها ، والوعيد متوجّهٍ إليه أيضاً لأنَّك قد عرفت أنَّ قلبك ساقط ، لكونهذا شركاؤشك وهم بادعة وافتراء على الله ورسوله ، والآية على تقدير نزولها في قوم مخصوصين لا يقتضي تخصيص الوعيد بهم .

الرابع : ما خطر بالبال أيضاً وهو أنَّ الأخلاص المذكور في صدر الخبر يشمل الأخلاص عن الرِّياء والبدعة ، وكلَّ ما ينافي قبول العمل فاستشهد لأحد أجزاءه بالآية .

## باب الشرائع

الحاديـث الأول : مرسل .

قوله ؓ : شرائع نوح ، يحتمل أن يكون المراد بالشرائع أصول الدين ويكون التوحيد والأخلاق وخلع الأنداد بياناً لها ، والفطرة الحنيفية معطوفة على الشرائع وإنما خص ؓ ما به الاشتراك بهذه الثلاثة مع إشتراكه ؓ معهم في كثير من العبادات لاختلاف المشتركات فيه دون هذه الثلاثة ، ولعله ؓ لم يرد حصر المشتركات فيما ذكر لعدم ذكر سائر أصول الدين ، كالعدل والمعاد مع أنه يمكن

## وخلع الأنداد والنطرة الحنفيّة السمحنة ولارهابيّة ولا سياحة، أحلَّ فيها الطيبات

إدخالهما في بعض ما ذكر ، لا سيما الاخلاص بتكلف ويمكن أن يكون المراد منها الاصول وأصول الفروع المشتركة ، وان اختلفت في الخصوصيات والكيفيات وحيثُدْ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام : زاده ، بياناً للشرايع ، وبشكل حينيَّدْ ذكر الرهابيَّة والسياحة إذ المشهور أنَّ عدمهما من خصائص نبِيَّنا ﷺ إلَّا أن يقال : المراد عدم الوجوب وهو مشترك ، أو يقال : إنَّهما لم يكونا في شريعة عيسى عليه السلام أيضاً وإن استشكل بالجهاد وأنَّه لم يجاهد عيسى عليه السلام ، فالجواب أنَّه يمكن أن يكون واجباً عليه لكن لم يتحقق شرائطه ، ولذا لم يجاهد ولعلَّ قوله عليه السلام : زاده وفضله ، بهذا الوجه أدق .

وكان المراد بالتوحيد نفي الشريك في العلائق ، وبالاخلاص نفي الشريك في العبادة ، وخلع الأنداد تأكيد لهما ، أو المراد به ترك إتباع خلفاء الجور وأئمة الصالحة أو نفي الشرك الخفي أو المراد بالاخلاص نفي الشرك الخفي وبخلع الأنداد نفي الشريك في استحقاق العبادة ، والأنداد جمع ند وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده أي يخالفه ، والفطرة ملة الاسلام التي فطر الله الناس عليها كما مرَّ والحنفيَّة المائلة من الباطل إلى الحق أو الموافقة ملة إبراهيم عليه السلام قال في النهاية: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، وأصل الحنيف الميل ، ومنه الحديث: يبعث بالحنفيَّة السمحنة السهلة ، وفي القاموس : السمحنة الملة التي ما فيها ضيق .

وفي النهاية : فيه لارهابيَّة في الاسلام ، هي من رهبة النصارى ، وأصله من الرهبة الخوف ، كانوا يتربَّبون بالتخلُّي من أشغال الدُّنيا وترك ملادَّها والزهد فيها ، والعزلة عن أهليها ، وتعمد مشاقتها حتى أنَّ منهم من كان يخصي نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفها النبي ﷺ عن الاسلام وهي المسلمين

عنها ، انتهى .

وقال الطبرسي قدس سره : في قوله تعالى : « ورہبائیہ ابتدعوھا »<sup>(١)</sup> هي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنی الرهبة امّا في لبسه أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الامور التي يظهر فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوا رہبائیہ لم تكتبها عليهم ، وقيل : ان رہبائیہ التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قادة ، قال : و نقدیروه ورہبائیہ ما كتبناها عليهم إلآ أنہم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما دعوها حق رعايتها ، وقيل : ان رہبائیہ التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي ﷺ ، فمارعواها الذين بعدهم حق رعايتها ، وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس .

وقيل : ان رہبائیہ هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة « ما كتبناها » أي ما فرضناها عليهم ، وقال الزجاج : ان نقدیروه ما كتبناها عليهم إلآ ابتغاء رضوان الله ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر الله به هذا وجهه ، قال : وفيها وجه آخر جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسراباً وصوماع وابتدعوا ذلك ، فلیمما ألزموا أنفسهم ذلك التطلع ودخلوا عليه لزمهم إنعامه ، كما ان الانسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتممه .

قال : قوله : فما دعوها حق رعايتها ، على ضررين أحدهما أن يكونوا قصرروا فيما ألزموه أنفسهم ، والآخر وهو الأرجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يقولوا به ، وكانتين لطاعة الله فما دعوا تلك رہبائیہ حق رعايتها ، ودليل ذلك قوله : « فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ » يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ وكثير منهم فاسقون » أي كافرون ، إنتهى كلام الزجاج .

ويقصد هذاما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال : كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال : يا ابن أم عبد هل تدرى من أين احدثت بنو إسرائيل الرهانية ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : ظهرت عليهم الجبارية بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فقضب أهل الإيمان فقاتلواهم فهزم أهل الإيمان ثلاثة مرات ، فلم يبق منهم إلا القليل ، فقالوا : إن ظهرنا هؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه ، فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليهما السلام يعنيون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهانية ، فمنهم من تمسك بدینه ، ومنهم من كفر ، ثم تلا هذه الآية : « ورهاينة ابتدعوها ما كتبناها عليهم ، إلى آخرها ، ثم قال : يا ابن أم عبد أتدري ما رهانية أمنتني ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : الهجرة والجهاد والصلوة والصوم والحجّ وال عمرة . »

وفي حديث آخر عن ابن مسعود أنّه ﷺ قال : من آمن بي وصدقني وانبغني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهاكرون ، انتهى .

وقال في النهاية : فيه لا سباحة في الإسلام ، يقال : ساح في الأرض يسبح سباحة إذا ذهب فيها وأصله من السبح وهو الماء الجاري أي المنبع على الأرض ، أراد مفارقة المصادر وسكنى البراري وترك شهد الجماعة والجماعات ، وفيه : أراد الذين يسبحون في الأرض بالشر والنميمة والافساد بين الناس ، ومن الأول سباحة هذه الأمة الصيام قبل للصائم : سائح لأنّ الذي يسبح في الأرض متبعداً يسبح ولا زاد معه ولا ماء ، فحين يجد بطعم ، والصائم يمضى نهاره لا يأكل ولا يشرب شيئاً فشبّه به ، انتهى .

قوله تعالى أحل فيها الطيبات ، إشارة إلى قوله تعالى في الاعراف : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهياهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخباثة ويضع عنهم إصرهم والإغلال التي كانت عليهم » الآية ، قال الطبرسي قدس سره : ويحل

\* \* \* \* \*

لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث معناه : يبيح لهم المستندات الحسنة ، ويحرّم عليهم  
القبيحة وما تعاذه الانفس ، وقيل : يحلّ لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرّم  
عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث ، وقيل : يحلّ لهم ما حرم عليهم رهابينهم وأحبّارهم  
وما كان يحرّم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ، ويحرّم عليهم الميتة  
والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها « وبضم عنهم إصرهم » أي نقلهم، شبه ما كان على  
بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل ، وذلك أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جعل توبتهم أن يقتل  
بعضهم بعضاً ، وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالَّهُ عَزَّزَ  
عن الحسن .

وقيل : الاصر هو العهد الذي كان اللَّهُ سُبْحَانَهُ أخذته على بنى اسرائيل أن يعملوا  
بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدى ، ويجمع المعندين قول الزجاج :  
الاصر ما عقدته من عقد نفيلي .

« والاغلال التي كانت عليهم » معناه وبضم عنهم المعهود التي كانت في ذمتهم ،  
وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزروءها كما يقال : هذاطوق  
في عنقك ، وقيل : يزيد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة ، وقرض ما  
يصيبه البول من أجسادهم وما أشبه ذلك من تحريم البست ، وتحريم العروف و  
الشحوم وقطع الأعضاء الخاطئة ، ووجوب الفصاص دون الديمة عن أكثر المفسرين ،  
انتهى .

وأقول : استدلّ أكثرهم أصحابنا على تحريم كثير من الاشياء مما تستقدر به  
طبع أكثر الخلق بهذه الآية وهو مشكل ، إذ الظاهر من سياق الآية مدح النبي ﷺ  
وشرعيته بأنَّ ما يحلّ لهم هو طيب واقعاً وإن لم نفهم طيبه ، وما يحرّم عليهم هو  
الخبيث واقعاً وإن لم نعلم خبيثه كالطعام المستند الذي يكون من مال اليتيم أو مال  
السرقة تستنده الطبع وهو خبيث واقعاً ، وأكثر الأدوية التي يحتاج الناس إليها في

وحرّم فيها العبائث ووضع عنهم إصرّهم والإغلال التي كانت عليهم ، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحال

غاية البشاعة ونستقدرها الطبع ولم أرقاً إلا بتحريهما ، فالحمل على المعنى الذي لا يحتاج إلى تخصيص ويكون مواقفًا قواعد الإمامية من الحسن والقبح العقليين أولى من الحمل على معنى لابد فيه من تخصيصات كثيرة ، بل ما يخرج منها أكثر مما يدخل فيهما كما لا يخفى على من تتبع موادهما ، ويمكن أن يقال : هذه الآية كالصريحة في الحسن والقبح العقليين ولم يستدل بها الأصحاب رضي الله عنهم .

وقيل : الإصر التغل الذي يأصر حامله أي يحبسه في مكانه لفطر ثقله ، وقال الزخيري : هو مثل ثقل تكليفهم وصعوبته ، فهو أشر اطر فقتل الانفس في صحة توبيتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائهم من الأشياء الشاقة تحوبت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ ، من غير شرع الديمة ، وقطع الأعضاء الخاطئة وفرض موضع النجاسة من الجلد والتوب ، وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم ، وتعميم السبت .

وعن عطا : كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى عنائهم ، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة ، انتهى .

قوله يَعْلَمُ : ثم افترض عليه ، أي على نبيتنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فيها » ، أي في الفطرة التي هي ملته ، وكأنّ نَمْ للتفاوت في الرتبة ، وقيل : المراد بالحال ما عدى الحرام فيشمل الأحكام الاربعة ، والمراد بالفراصن المواريث ذكرت تأكيداً ، أو مطلق الواجبات وقيل : الفراصن ماله تقدير شرعاً من المواريث وهي أعمّ منها ومن غيرها مماليك له تقدير ، وقيل : المراد بالفراصن ما فرض من القصاص بقدر الجنائية ، وقوله : وزاده الوضوء ، يدل على عدم شرع الوضوء في الأمم السابقة ، وينافيء ما ورد في تفسير قوله تعالى : « فطفرق مسيحاً بالسوق والاعناق ، أنتم مسحوا ساقهم وعنفهم وكان ذلك وضوئهم إلا أن يقال : المراد زيادة الوضوء كما في بعض النسخ ، وزيادة الوضوء عطفاً

والحرام والمواريث والحدود والجرائم والجهاد في سبيل الله وزاده الوضوء وفضله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصل وأحلى له المفتم والفيء ونصره بالرُّعب

على الجهاد ، وقوله عليه السلام : وفضله ، إشارة إلى ما روى عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : اعطيت مكان التوراة السبع الطول ، ومكان الانجيل المثاني ، ومكان الزبور المئين ، وفضلت بالمفصل ، وفي رواية دائلة بن الاصقع : وأعطيت مكان الانجيل المئين ، ومكان الزبور المثاني ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلى ، وأعطيتني ربى المفصل ثالفة .

قال الطبرسي (ره) فالسبع الطول البقرة وآل عمران و النساء و المائدة و الانعام والاعراف والأنفال مع التوبة ، لأنهما تدعيان القرينتين ، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل : إنَّ السابعة سورة يونس ، والطول جمع الطولى تأنيث الاطول وإنما سميت هذه السود الطول ، لأنها أطول سور القرآن وأمّا المثاني فهي السور التالية للسبعين الطول ، أوّلها يونس وآخرها النحل ، وإنما سميت المثاني لأنها قسمت الطول أى تلتها ، و كان الطول هي المبادىء والمثاني لها ثوابي و واحدها مثنى مثل المعنى والمعنى ، وقال الفراء ، واحدها مثناء ، وقيل : المثاني سور القرآن كلها طوالها و قصاراتها ، من قوله تعالى : «كتاباً متشابهاً مثاني» <sup>(١)</sup> وأمّا المؤمنون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية أو فوق ذلك ، أو دوينه ، وهي سبع سور أوّلها سورة بنى اسرائيل وآخرها المؤمنون ، وقيل ، إنَّ المئين : ما ولى السبع الطول ثم المثاني بعدها و هي التي تقصّر عن المئين و تزيد على المفصل و سميت مثاني لأنَّ المئين مباديهما ، وأمّا المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن ، سميت مفصلاً لكثره الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم ، انتهى .

وأقول : اختلاف في أوّل المفصل فقيل : من سورة ق و قيل من سورة محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل من سورة الفتح ، وعن الترمذى : مفصل القرآن من محمد إلى آخر القرآن ، و قصاره من الضحي إلى آخره ، و مطولاً ناه إلى عم و متواسطاته إلى الضحي ، وفي

وَجَعَلَ لِهِ الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَرْسَلَهُ كَافِةً إِلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ

الخبر: المفصل ثمان وستون سورة وسيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب القرآن .  
«أَحَلٌ» له المفمن في النهاية : الفنية والمفمن والمفنم هوماً صيب من  
أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمين بالخيل والركاب ، وقال : الفيء ما حصل  
للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ، وأصل الفيء الرجوع ، يقال:  
فاء يفيء فئة وفيوه كأنه في الاصل لهم ثم رجع إليهم ، انتهى .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد بالمفمن المحتولات وبالفيء الأرضي سواء  
أخذت بحرب أم لا ، وعلى التقديرين في قوله توسيع أي أنه ولا أهل بيته وأمتته ويحتمل  
أن يكون اللام سبيبة لاصلة نازحات ، فيكون من أحل له غير مذكور ، فيشمل  
الجميع ، والاختصاص لما مر «أن» الامم السابقة كانوا لا تمثل لهم الغنية بل كانوا  
يعجمعونها فتنزل نار من السماء فتحرقها ، وكان ذلك بلية عظيمة عليهم حتى كان  
قد يقع فيها السرقة ، فيقع الطاعون بينهم فمن الله على هذه الامة باحلالها «ونصره  
بالرعب» مع قلة العدد العدد وكثرة الأعداء وشدة بأسهم ، والرعب الفزع والخوف  
فكان الله تعالى يلقى رعبه في قلوب الأعداء حتى إذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه  
وفزعوا منه .

«وَجَعَلَ لِهِ الْأَرْضَ مَسْجِدًا» أي مصلى يجوز لهم الصلاة في أي موضع شاءوا  
بخلاف الامم السابقة فان صلاتهم كانت في بيوthem وكنائسهم إلا من ضرورة «وطهوراً»  
أي مطهراً وما يتطهّر به تطهر اسفل القدم والنعل ومحل الاستنجاء و تقوم مقام  
الماء عند تقدّره في التيمم ، والمراد بكونها طهوراً أنها بمنزلة الظهور في استباحة  
الصلاه بها ، وحمله السيد (ره) على ظاهره فاستدل بها على ماذهب إليه أن التيمم  
يرفع الحديث إلى وجود الماء .

«وَأَرْسَلَهُ كَافِةً» اشارة الى قوله تعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً للنَّاسِ» ، و كافية  
في الآية اما حال عمّا بعدها ، أي الى الناس جميعاً ، ومن لم يجوز تقديم الحال على  
مرآء العقول - ٦ -

وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم ، ثم كلف ماله يكمل أحد من الانبياء ،

ذى الحال المجرور قال : هي حال عن الضمير المنصوب في أرسلناك ، والثاء للمبالغة أو صفة مصدر محدود ، أي إرسالة كافة ، أو مصدر كالكاذبة والعاقبة ، ولعل الآخرين في الخبر أنس ، وظاهره أن غيره عليه السلام لم يبعث إلى الكافة وهو خلاف المشهور ، ويحتمل أن يكون الحصر إضافياً أو يكون المراد به بعثه على جميع من بعده إذ لا ينبي بعده بخلاف ساير أولي العزم فأنهم لم يكونوا كذلك ، بل نسخت شرعيتهم .

«الأبيض والأسود» العجم والعرب أوكل من اتصف باللونين ليشمل جميع الناس قال في النهاية : فيه بعثت إلى الأحرى والأسود ، أي العجم والعرب ، لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض ، وعلى ألوان العرب الأدمة والسمرة ، وقيل : الجن والإنس ، وقيل : أراد بالأحرى الأبيض مطلقاً فإنّ العرب يقولون : إنّ رأة حمراء أي يضاء منه الحديث أعطيت الكنتريين الأحرى والأبيض ، هي ما أفاء الله على أمته من كنوز الملوك ، فالآخر الذهب والأبيض الفضة ، والذهب كنوز الروم لأنّه الغالب على نقودهم ، والفضة كنوز الراكيزة لأنّها الغالية على نقودهم ، وقيل : أراد العرب والجم جعهم الله على دينه وملته ، انتهى .

والكلام في اختصاص البعث على الجن و الإنس به عليه السلام كالكلام فيما سبق ويدلّ الخبر أيضاً على اختصاص الجزية والأسر والبقاء ، والجزية : المال الذي يقرره الحكم على الكتابي إذا أقره على دينه ، وهي فعلة من العجزاء كأنّها جزت عن قتله وأسره ، والبقاء بالكسر والمدد ، وبالفتح والقصر ، فكان الأسير بالمال الذي قرر الحكم عليه يقال : فداء يغديه فداءاً ، ثم كلف على بناء المفعول وثم هذا أيضاً مثل ما سبق لأنّ هذا التكليف أعظم التكاليف وأشقها فقد ثبت عليه السلام في حرب أحد وحنين بعد إنهزام أصحابه مصر حاماً باسمه لا يبالي شيئاً ، وإنزل عليه سيف من السماء أى ذو الفقار أو غيره ، وكونه بلا غمد تحرير على الجهاد وإشارة إلى أنّ سيفه ينبغي أن لا يغمد ، وقيل السيف عبارة عن آية سورة برائة : « فإذا أسلخ الأشهر العرم

وأنزل عليه سيفٌ من السماء ، في غير غمد وقيل له : « قاتل في سبيل الله لا تكُلِّفَ إلا نفسك » <sup>(١)</sup>

٢ - عدّةٌ من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنَ مَعْدُونَ حَالِدَ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَيْسَى ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مَهْرَانَ قَالَ : قَلْتُ لَا يَبْغِي عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْ أُولُوا الْعِزَمِ مِنَ الرُّسُلِ » <sup>(٢)</sup> فَقَالَ : نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِلْمِهِ ، قَالَ : كَيْفَ صَارُوا أُولَى الْعِزَمِ ؟ قَالَ : لَأَنَّ نُوحًا بَعْثَ بِكِتَابٍ وَشَرِيعَةٍ ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ لَوْحِ أَخْذِ بِكِتَابِ نُوحٍ وَشَرِيعَتِهِ وَمَنْهاجِهِ ، حَتَّى جَاءَ

فَاقْتَلُوا الْمُشْرِكِينَ » فَإِنَّهُ يَقَالُ لَهَا آيَةُ السِيفِ وَكَوْنُهُ مِنْ غَيْرِ غَمْدٍ كُنْيَاةً عَنْ أَنْهَا مِنَ الْمُحْكَمَاتِ ، وَلَا يَخْفَى بَعْدُهُ .

وَالْفَمْدُ بِالْكَسْرِ الْفَلَافُ ، وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ : « قاتل في سبيل الله » أى إِنْ تَشْبَطُوا وَتَرْكُوكُ وَحْدَكُ « لَا تَكُلِّفَ إِلَّا نفسك » أى إِلَّا فَعْلَ نفسك لَا يُضْرِبُكُ مَخالَقَتِهِمْ وَتَقَاعِدُهُمْ فَتَقَدِّمُ إِلَى الْجَهَادِ وَإِنْ لَمْ يَسْاعِدُكَ أَحَدٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ لَا الْجَنُودُ .

### المحدث الثاني : موئقٌ .

« فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْ أُولُوا الْعِزَمِ مِنَ الرُّسُلِ » قَالَ الطَّبَرِسِيُّ قَدْ سَرَّ أَيْ فَاصْبِرْ يَا مَهْمَدٌ عَلَى أَذْيَ هُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَى تَرْكِ إِجَابَتِهِمْ لَكَ كَمَا صَبَرَ الرَّسُلُ ، وَ« مِنْ » عَنْ تَبِيَّنِ الْجِنْسِ فَالْمُرَادُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ لَا نَهِمُ عَزْمَهُمْ عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَتَحْمِلُ أَعْبَانَهُمْ ، وَقَيْلُ : أَنَّ مَنْ هِيَهُنَا لِلتَّبَعِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ ، وَالظَّاهِرُ فِي رِوَايَاتِ أَصْحَابِنَا ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقَيْلُ : هُمْ مِنْ أُنْقَى بِشَرِيعَةِ مُسْتَأْنَفَةٍ نَسْخَتْ شَرِيعَةُ مِنْ قَدْمِهِ ، وَهُمْ نُوحٌ وَ

(١) سورة النساء : ٨٤ .

(٢) سورة الأحقاف : ٣٥ .

إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزم ترك كتاب نوح لا كفراً به فكلّ نبيٌ جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجها ، وبعزم ترك الصحف وكلّ نبيٌ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجها ، حتى جاء المسيح بالإنجيل وبعزم ترك شريعة موسى ومنهاجها فكلّ نبيٌ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجها ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجها فحملله حلالاً إلى يوم القيمة وحرامه حراماً إلى يوم القيمة ، فهو لاء أولوا العزم من الرسل عليهما السلام .

إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم عن ابن عباس وفتاده وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالاً : وهم سادة النبيين عليهم دارت رحى المرسلين وقيل : هم سنتة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار ، وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البئر والسجن وأبيوب صبر على الصر عن مجاهد ، وقيل : هم الذين أمر وبالجهاد والقتال والظهور والكشفة وجاحدوا في الدين عن السدى والكلبي ، وقيل : هم أربعة إبراهيم ونوح و هو ورابعهم محمد صلى الله عليه وسلم عن أبي العالية ، والعزم هو الوجوب والحمد وأولوا العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع وأوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها ، انتهى .

قوله عليه السلام : لا كفراً به أى إنكار الحقيقة بل إيماناً به وبصلاحه في وقت دون الآخر ، ولنسخ مصالح كثيرة ، والعبد مأمور بالتسليم ، وكان من جملتها ابتلاء الخلق واختبارهم في ترك ما كانوا هم مسكنين به .

قوله : ومنهاجها ، كأنه إشارة إلى قوله تعالى : « لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » (١) .

## ﴿باب﴾

### ﴿دعائم الاسلام﴾

١ - حدّثني الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد الزبادي ، عن الحسن بن عليّ الوشاء قال : حدّثنا أبان بن عثمان عن فضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليهما السلام : بني الاسلام على خمس : على الصلاة والزكوة والصوم والحجّ والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية .

### باب دعائم الاسلام

قال الجوهرى : الدعامة عماد البيت الذى يقوم به .

**الحديث الأول :** ضعيف على المشهور .

« بني الاسلام على خمس » يحتمل أن يكون المراد بالاسلام الشهادتين ، و كأنهما موضوعتان على هذه الخمسة لانقومان إلا بها ، أو المراد بالاسلام اليمان ، والمراد بالبناء عليها كونها أجزاءه وأركانه فحينئذ يمكن أن يكون المراد بالولاية ما يشمل الشهادتين أيضاً ، أو يكون عدم ذكر الشهادتين لظهورهما ، وأما ذكر الولاية التي هي من العقائد اليمانية مع العبادات الفرعية مع تأخيرها عنها إما للمساعدة مع العامة ، أو المراد بالولاية وفور المودة والمتابعة اللتان هما من مكمّلات اليمان أو المراد بالأربعة الاعتقاد بها والانقياد لها ، فتكون من أصول الدين لأنّها من ضروريات المذهب ، وإنكار كلّ منها كفر والأول أظهر كما لا يخفى .

« كما نودي بالولاية » أي في يوم الغدير كما سألني ، أو في الميثاق وهو بعيد « و الولاية بالكس الامارة وكوته أولى بالحكم والتدبير ، وبالفتح المحبة والنصرة وهذا يحتملها .

٢ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبدالله عليهما السلام : أوفني على حدود الإيمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والاقرار بما جاء به من عند الله وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت ولالية وليتنا وعداؤه عدوّنا والدخول مع الصادقين .

٣ - أبو على الأشعري ، عن الحسن بن على الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن أبيان بن عثمان ، عن فضيل بن مسار ، عن أبي جعفر عليهما السلام قال : بنى الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج ولالية ولم يناد بشيء كما نوادي بالولادة ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولادة - .

٤ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن

### الحديث الثاني : صحيح .

وحدود الإيمان هنا أعم من أجزاءه وشرائطه ومكتملاته والاقرار بما جاء من عند الله إجمالاً قبل العلم وتفصيلاً بعده كما سيأتي تحقيقه إنشاء الله ، والدخول مع الصادقين متابعة الأئمة الصادقين في جميع الأقوال والأفعال أى المعصومين كما قال سبحانه عنه « و كانوا مع الصادقين » <sup>(١)</sup> وقد مر الكلام في تلك الآية في كتاب الحجۃ .

### الحديث الثالث : موثق كال الصحيح وقد مر شرحه .

وقال بعضهم يعني أدخل هذه الاعمال في حقيقة الإسلام ، واعتبرت فيه وعد تاركها من الكفار ، ولالية بالفتح بمعنى المحبة والمودة وهي المراد بها في الحديث السابق ، ولهذا لم يكتف بها حتى أردفه بقوله والدخول مع الصادقين ، وبالكسر توقي الأُمر ومالكية التصرف فيها وهو المراد بها هيئنا ، انتهى .

والظاهر أن « يعني » كلام الرواى ويحتمل المصنف على بعد .

### الحديث الرابع : مجهول .

(١) سورة التوبه : ١١٩ .

العرزمي<sup>\*</sup> ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : قال : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية ، لاتصح واحدة منهن إلا بصاحبها .

٥ - علي<sup>\*</sup> بن ابراهيم ، عن أبيه وعبد الله بن الصلت جميعاً ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبد الله ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والمحج والمصوم والولاية ، قال زرارة : فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ، لأنها مفتاحهن<sup>\*\*</sup> والوالى هو الدليل عليهم<sup>\*\*\*</sup> ، قلت : ثم الذي يلى ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : الصلاة عمود دينكم ، قال : فلت : ثم الذي يليها في الفضل ؟ قال : الزكاة لأنها قرنها بها وبدأ

والأثافي جمع الأنفية بالضم والكس ، وهى الاحجار التي توضع عليها القدر وأفلها ثلاثة وإنما اقتصر في هذا الحديث على هذه الثلاث لأنها أهمهن ، وإشارة صحة الصلاة والزكوة بالولاية ظاهر .  
الحديث الخامس : صحيح .

ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بامامة الائمة عليهم السلام والاذعان لها من جملة أصول الدين وأفضل من جميع الاعمال البدنية لأنها مفتاحهن أي بها تفتح أبواب معرفة تلك الامور وحقائقها وشرائعها وآدابها ، أو مفتاح قبولهن<sup>\*\*\*\*</sup> والوالى اي الامام المنصوب من قبل الله « هو الدليل عليهم<sup>\*\*\*\*\*</sup> » يدل من قبل الله الناس على آدابهم واحكامها والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت ، ويمكن أن يكون شبيه الدين بالفسطاط وابت العمود له على سبيل المكثمة والتخييلية ، فاذاراك العمود لا ينتفع بالفسطاط لا بفشاريه ولا بطنبه ولا بوته ، فكذلك مع ترك الصلاة لا تنتفع بشيء من أجزاء الدين كما صرّح بهذا التشبيه في أخبار آخر ، وأمراد الصلاة المفترضة أولخمس كما مرّ وسيأتي في آخر الخبر ما يدل عليه .

قوله عليه السلام : لأنها قرنها بها ، استدلال على أن فضل الزكاة بعد الصلاة وقبل غيرها بمجموع مقارتها في الذكر مع البدائنة بذكر الصلاة نعم <sup>أكيد</sup> الجزء الاخير

بالصلاه قبلها و قال رسول الله ﷺ : الزكاه تذهب الذنوب . قلت : والذى يليها في الفضل ؟ قال : الحجّ ، قال الله عزوجل : « والله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »<sup>(١)</sup> و قال رسول الله ﷺ : لحجّة مقبولة

بذكر الحديث ، وليس هو دليلاً تاماً على الأفضلية لأنّ الحجّ أيضاً يذهب الذنوب إلاّ أن يقال أنه يُلْقِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِلْمَ أَنَّ الْأَذْهَابَ الَّذِي يَحْصُلُ فِي الزَّكَاةِ أَفْوَى مَسَافَةً يحصل في الحجّ ثم استدلّ يُلْقِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِلْمَ أَنَّ فَضْلَ الْحَجَّ بِتَسْمِيهِ تَعَالَى تَرْكُ الْحَجَّ كَفَرًا وَ تَرْكُ ذِكْرِ الْعَقَابِ الْمُتَرَبِّ عَلَيْهِ، وَ ذِكْرِ الْاسْتِغْنَاءِ الدَّالِّ عَلَى غَايَةِ السُّخْطِ قال البيضاوي : « الله على الناس حجّ البيت » أى فضله للزيارة على الوجه المخصوص ، و قوله حجزة و الكسائي و عاصم وفي رواية حفص حجّ بالكسر وهو لغة نجد « من استطاع إلّا سبيلاً » بدل من الناس مخصوص له « ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » وضع كفر موضع من لم يحجّ تَأكِيدًا لِوْجُوبِهِ وَ تَغْلِيظًا عَلَى تَارِكِهِ، وَ لِذَلِكَ قَالَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ مَا تَوَلَّ مِنْهُ : من مات ولم يحجّ فَلِيمَتِ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصَارَائِيًّا .

وقد اكّد أمر الحجّ في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في [صورة] الاسمية و إبراده على وجه يفيد أنّه حقّ واجب لله في رقاب الناس وتعيم الحكم أولاً و تخصيصه ثانياً فأنّه كا يصبح بعد ابهام ، و تثنية و تكرير المراد و تسمية ترك الحجّ كفراً من حيث أنّه فعل الكفارة و ذكر الاستغناء فأنّه في هذا الموضع مما يدلّ على المقت و الخذلان ، و قوله : عن العالمين ، يدلّ عليه ما فيه من مبالغة التعميم و الدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان ، والاشعار بعظم السخط لأنّه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتّهاب البدن وصرف المال و التجرّ عن الشهوات والأقبال على الله .

قوله : من عشرين صلاة نافلة فيه دلالة على أنّ المراد بالصلاه المفضله في أول الخبر الفريضة .

\* \* \* \* \*

واعلم أنّه يشكل المجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في فضل الصلاة والحج  
فقد روى الخاص والعام عن الصادق عليهما السلام وعن النبي ﷺ : صلاة فريضة خير من عشرين  
حجّة ، وحجّة خير من بيت مملوّ ذهبًا يتصدّق منه حتى يفني ، وحجّ على خير  
العمل في الأذان متواتر ، وروى أنَّ الحجَّ أفضَّل من الصلاة ، والصيام ، لأنَّ المصلَّى  
يشتغل عن أهله ساعة وان الصائم يستغُلُّ عن أهله بياض يوم ، وإنَّ الحاجَ يشخص  
بدنه ويضحي نفسه وينفق ماله ويطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة  
ونحو ذلك من الأخبار ، مع أنَّه إشتهر في الرواية إنَّ أفضَّل الْأَعْمَالْ أَجْزَاهَا .

ويمكن الجواب عنه بوجوه : الأوَّل : ما يومي إلَيْهِ هذَا الْخَبَرُ أَنَّ الْمُفْضَلَةَ  
من الصلاة الفريضة ، والمفضَّلُ عَلَيْهَا النافلة أو الحجَّ المفضَّل هو الفريضة وأنَّ المفضَّل  
علىَهَا النافلة ، أو المفضَّلة من الصلاة الفرائض اليومية ، والمفضَّلُ عَلَيْهَا سائرها كما يرشد  
إليه تخصيص الأذان والاقامة المشتملين على حِيَّ على خير العمل باليومية .

الثاني : حمل الثواب في الصلاة على التفضُّل ، وفي الحجَّ على الاستحقاق العرفي  
الواقعي كما حَقَّقْنَا في الكتاب الكبير .

الثالث : أن يراد بالحجَّ الذي فضَّلت الصلاة عليه ، حجَّ ساير الامم .

الرابع : ما قيل : ان المراد أنَّه لصرف زمان الحجَّ وال عمرة في الصلاة كان أفضَّل  
ولا يخفى عدم جريانه في أكثر الأخبار .

الخامس : أن يقال : أنَّه يختلف الاحوال والأشخاص كما نقل أنَّ النبي ﷺ  
سئل أيَّ الْأَعْمَالْ أَفْضَلْ ؟ فقال : الصلاة لاَوْلَ وفتها ، وسئل أيَّ الْأَعْمَالْ أَفْضَلْ ؟  
قال : برَّ الوالدين ، وسئل أيَّ الْأَعْمَالْ أَفْضَلْ ؟ فقال : حجُّ مبرور ، فخصَّ كلَّ سائل  
بما يليق بحاله من الْأَعْمَالْ فيقال : كان السائل الأوَّل عاجزاً عن الحجَّ ولم يكن له  
والدان فكان الأَفْضَل بحسب حاله الصلاة ، والثاني كان له والدان محتاجان إلى برَّه  
فكان الأَفْضَل له ذلك ، وكذا الثالث .

خير من عشرين صلاة نافلة و من طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال قلت: فماذا يتبعه؟ قال: الصوم.

السادس: أن يقال: لكلّ منها جهة فضل ليس ذلك للآخر ولا يغنى شيء منها عن الآخر فإنه إذا كانت الصلاة أفضّل الأعمال لا يغنى عن الصوم لأنّ له تأثيراً في الإيمان وكما له ليس في الصلاة كما أنّ الأغذية البدنية كالخبز والماء لا يغنى شيء منها عن الآخر فصح أن يقال صلاة واحدة خير من عشرين حجّة لأنّه يتربّى على الصلاة الواحدة أثر لا يتربّى بذلك على عشرين حجّة، وصح العكس أيضاً إذ يؤثّر الحجّ الواحد في النفس أثراً لا يؤثّر عشرون صلاة مثله، وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الكبير.

وأمّا حديث أفضّل الأعمال أحمزها على تقدير قسمها المراد به أنّ أفضّل كلّ نوع من العمل أحمز ذلك النوع كالوضوء في البرد وفي الحرّ، والحجّ ما شياً وراكباً والصوم في الصيف والشتاء وأشباهها، وما قيل: من أنّ الصلاة مع مقدّماتها من معرفة آدابها وتحصيل المسائل المتعلقة بها أحمز من الحجّ فهو ضعيف فإنّ للحجّ أيضاً مسائل كثيرة لا يمكن تحصيلها في سنين متتالية.

وهيئنا إشكال آخر وهو أنّ الحجّ مشتمل على الصلاة أيضاً، وإن كان مندوباً فالصلاحة فيه فرض فما معنى تفضيل الصلاة الفريضة على عشرين حجّة.

وأجيب عنه بأنّ المراد الحجّ بلا صلاة، واعتراض عليه بأنّ الحجّ بلا صلاة باطل فلا فضل له، فكيف يفضل عليه الصلاة؟ و الجواب أنّ المراد الحجّ مع قطع النظر عن الصلاة وثوابها، لا الحجّ الذي لم تكن معه صلاة، وهذا الإشكال ينحلّ بكثير من الاجوبة المتفقّدة عن الإشكال الأول لا سيّما تخصيص الصلاة بالفراش اليومنية فلا تقبل.

قوله: أحصى فيه أسبوعه، أي حفظها من غير زيادة ولا نقصان ولا سهو ولا شرك «وأحسن ركعتيه» أي يفعلهما في وقتهما ومكانهما مع رعاية الشرائط والكيفيات

قلت : وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ الصوم جنة من النار ، قال : إنْ قال : إنْ أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه نوبة دون أن ترجع إليه فتؤدي به بعينه ، إنْ الصلاة والزكاة والحج والعمر ولاية ليس يقمع شيء

والآداب المرعية فيها و قال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال أشار بذلك إلى ما جاء في ثواب عبادة اليومين وفضل الوقوف بالمشعررين أو فضل الحج و كونه سببا لحطّ السيئات ورفع الدرجات ، قوله : فما ذا يتبعه ، وفي بعض النسخ : بما ذا يتبعه أى رب أو المكلّف ، ولا يخفى أن هذا السؤال لافتة فيه . لأنّه مع ذكر الصوم أو لا في الأعمال المعدودة وتفضيل ما سواه علم أن الصوم بعدها إلا أن يكون ذلك تمهدًا للسؤال الثاني أو يقال : لما لم يكن كلامه ﷺ أو لا صريحاً في كون تلك الأعمال أفضل من غيرها فهذا السؤال لاستعلام أنه هل بين الصوم والحج عمل يكون أفضل منه .

قوله : قال رسول الله ﷺ ، في بعض النسخ و قال رسول الله ﷺ فيكون من كلام الراوي ، أى كيف يكون مؤخر عنها وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك وعلى النسخة الأخرى لعله إنما ذكر ﷺ حديثاً في فضل الصوم رفعاً طالعنى أن يتواتهم السائل أنه مما لا يفضل فيه ، أو أنه قليل الأجر و كونه جنة من النار لأنّ أعظم أسباب النار هو الشهوات ، و الصوم يكسرها ، و الظرف متعلق بجنة لضمته معنى الوقاية أو السر أو التبعيد ، وفي النهاية فيه : الصوم جنة أى نفي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات ، و الجنة الوقاية ثم ذكر ﷺ للفضل قاعدة كلية وهو أن الأفضل ما لم يتم شيء آخر مقامه .

وكان المراد بالتوبة هنا المعنى اللغوي أي الرجوع ، أو أطلق على ما ينوب مناب الشيء مجازاً أو أنه ﷺ طالما أطلق الذنب على الشرك وإن كان لعذر أطلق على ما يتداركه التوبة . قوله : أو قصرت ، يعني في شيء من شرائطه أو أركانه ، والحاصل أنّه ﷺ أشار إلى أقسام الفوت وأحكامه إجمالاً ، لأنّ الفوت إما للعذر مثل المرض

مكانها دون أدائها وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدبت مكانه أياماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقه ولأقضائه عليك وليس من تلك الأربعه شيء يجزيك مكانه غيره ، قال : ثم قال : ذرورة الأمر وسنامه و مفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ، إن الله عز وجل يقول : «من يطع الرسول فقد أطاع

وغيره أو التقصير أو التعمد في تركه ، أو السفر و شبهه ، واللازم إما القضاء فقط أو الكفارة فقط أو هما معاً أو لا هذا ولا ذاك ، وتفصيله في كتب الفروع ، والفرض بيان الفرق بين الصوم والأربعة الباقية بأن الأربعة لا تسقط مع الاستطاعة و الصوم يسقط في السفر مع القدرة عليه ، وذكر السفر على المثال ، ويمكن أن يكون عدم ذكر المرض لأنّه قد ينتهي إلى حال لا يقدر على الصوم فيه . ومع السقوط في السفر يؤدّي مكانه أياماً ، وقد يسقط القضاء أيضاً كما إذا استمرّ مرضه إلى رمضان آخر .

وكان فيه دلالة على بطلان قول من قال أنّ فاقد الطهورين تسقط عنه الصلاة أداءً وقضاءً ويحتمل أن يكون ذكر الشق الأول يستطرداً ويكون الفرض أن الصوم إذا فات قد يجب قضاوته وقد لا يجب ويسقط أصلاً ، بخلاف الأربعة فإنّها لا تسقط بحيث لا يجب قضاوتها ، فقوله : و جزيت مقابل لقوله أدبت أي وقد يكون كذلك .

فإن قلت : صلاة الحائض أيضاً ليس لها قضاء ؟ قلت : هناك لم يتعلّق الوجوب بها أصلاً لا أداءً ولا قضاءً ولا بدلاً ، وهيئنا عوض عن الصوم بشيء ، فيدل على أن الصوم عوضاً يقوم مقامه .

وذرورة الشيء بالضم و الكسر أعلاه ، و سنام البعير كسيحاب معروف و يستعار لأرفع الأشياء ، والمراد بالامر الدين ، وبطاعة الإمام إنقياده في كل أمر ونهي ، ولما كان معرفة الإمام مع طاعته مستلزم معرفة سائر أصول الدين وفروعه فهي كأنّها أرفع أجزاءه ، وكالسنام بالنسبة إلى سائر أجزاء البعير ، وكمفتاح الذي يفتح به جميع الامور المغلقة ، و المسائل المشكلة و كالباب لقرب الحق سبحاته ، وللوصول إلى مدينة علم

الله ومن توسلَيْ فما أرسلناك عليهم حفيظاً »<sup>(١)</sup> أما لopian رجلاً قام ليه وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحجج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولِيَ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلاته إليه ، ما كان له على الله جلَّ وعزَّ حقٌّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان ، ثمَّ قال : أولئك المحسنون هم يدخلون الله الجنة بفضل رحمته .

ع - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنَ يَحْيَى ، عَنْ عَيْسَى بْنَ السَّرِّيِّ أَبِي الْيَسْعَ قال : قلت لاَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ؓ : أَخْبَرَنِي بِدُعَائِمِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَسْعُ

الرسول ﷺ وتوجب رضا الرحمن ، ولا يحصل إلَّا بها .

والأصمير في قوله : بعد معرفته راجع إلى الإمام ، ويحتمل رجوعه إلى الله والاستشهاد بالآية لجميع ما ذكر أو لآخر إما مبني على أنَّ الآية إنما نزلت في ولاية الأئمة ؓ ، أو على أنَّ طاعة الإمام هي بعينها طاعة الرسول إما لأنَّه أمر بطاعته أو أنَّه نائب متابه ، فحكمه حكم المثوب عنه وقيل : لأنَّ الرسول في الآية شامل للإمام وهو بعيد .

قوله ؓ : ما كان له على الله حقٌّ في ثوابه ، لأنَّه لا تشمله آيات الوعد لأنَّه إنما وعد المؤمنين الثواب بالجنة وهو ليس من المؤمنين فلا يستحقُّ الثواب بمقتضى الوعد أيضًا وإن كان المؤمنون المحسنون أيضًا لا يستحقُّون الثواب بأصل أعمالهم ، لكن يجب على الله إثباتهم بمقتضى وعده .

قوله ؓ : أولئك المحسنون منهم ، الظاهر أنَّه إشارة إلى المخالفين ، والمزاد بهم المستضعفون فإنَّهم مرجون لامر الله ، ولذا قال : بفضل رحمته في مقابلة قوله : ما كان له على الله حقٌّ ، والحاصل أنَّ المؤمنين لهم على الله حقٌّ لوعده ، والمستضعفون ليس لهم على الله حقٌّ لأنَّه لم يعدهم الثواب بل قال : إما يعذَّ بهم وإما يتوب عليهم ، فأن أدخلهم الجنة فبمحض فضله ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى المؤمنين العارفين أي إنما يدخل المؤمنين الجنة وإدخالهم أيضًا بفضله لا باستحقاقهم والأول أظهر .

الحديث السادس : صحيح بسنديه .

أحداً التقصير عن معرفة شيء منها ، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد دينهولم يقبل [ الله ] منه عمله ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ولم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان بأنَّ نَبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ [ ﷺ ] وَالْإِقْرَادُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقُّ الْأَمْوَالِ الزَّكَاةَ

قوله لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : ولم يضق به ، الباء للتعدية و من في قوله مما هو فيه ، للتبعيض وهو مع مدخله فاعل لم يضيق أى لم يضيق عليه شيء مما هو فيه ، ويمكن أن يقرأ لجهل بالتنوين ، شيء بالرفع ، شيء فاعل لم يضيق ، وفي بعض النسخ « فيما » مكان « مما » فلعل الآخر فيه هترين ، وفي بعض النسخ ولم يضر به فيمكن أن يقراء على بناء المجهول ، و « جهله » فعل ماض ومن في مما صلة الضرد ، أو على بناء الفاعل وجنهل على المصدر فاعله ، و « من » إبتدائية يقال : ضر وضر به ، وفي تفسير العياشي ولم يضر ما هو فيه بجهل شيء من الأمور إن جنهل ، وقيل : يعني لم يضق أولم يضر به من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الاسلام و العمل بها جهل شيء جنهل من الأمور التي ليست هي من الدعائم ، فقوله : مما هو فيه ، تعليل لعدم الصدق أو الضرد وقوله : لجهل شيء تعليل للصدق أو الضرد ، وقوله : جنهل صفة لشيء ، وقوله : من الأمور عبارة عن غير الدعائم من شعائر الاسلام . انتهى . ولا يخفى ما فيه .

« حق في الاموال » إما مجرد بالعطف على ما جاء والزكاة بده و يكون تخصيصاً بعد التعميم ، وربما يخص ما جاء بالصلوة والزكاة وسائل الاخبار المتقدمة وهو بعيد ، وإما مرفوع بالخبرية للزكاة والزكاة مبتدا ، و يمكن أن يقراء حق على بناء الماضي المجهول ، وعلى التقدير بين الجملة معتبرة للتأكيد والتبيين وإنما لم يذكر الصارة لظهور أمرها فاكتفى عنها بما جاء به ، وأما رفعه بالعطف على الشهادة كما قيل فهو بعيد ، لأنَّه لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لم يتعرض فيه لسائل العبادات بل اقتصر فيه على الاعتقادات ، وقيل : أراد لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بالولاية المأمور بها من الله بالكسر الامارة وأولوية التصرف ، وبالامر بها ما ورد فيها من الكتاب و السنة كلاية المذكورة في

والولاية التي أمر الله عز وجل بها : ولاية آل محمد عليهما السلام ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف ممن أخذ به ؟ قال : نعم قال الله عز وجل : « يا أيتها الذين آمنوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَعْلَمُ بِمَا تُنذِّرُونَ »<sup>(١)</sup> وقال رسول الله

هذا الحديث ، وكما يَقُولُ إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ وَالْفَدِيْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ؛ أَقُولُ : بل الولاية بالفتح بمعنى المحبة والنصرة والطاعة وإعتقداد الامامة هنا أنسب كما لا يخفى .

قوله : هل في الولاية شيء دون شيء ، أقول : هذا الكلام يتحمل وجهين : أحدهما أن يكون المراد هل في الامامة شرط مخصوص وفضل معلوم يكون في رجل خاص من آل محمد يعني يقتضي أن يكون هو ولد الامر دون غيره يعرف هذا الفضل ممن أخذ به أى بذلك الفضل وادعاءه وادعى الامامة فيكون من أخذ به الامام أو يكون معروفاً ممن أخذ وتمسك به وتابع إماماً بسببه ، ويكون حجته على ذلك فاطرداد بالوصول الموصى للامام .

الثاني : أن يكون المراد به هل في الولاية دليل خاص يدل على وجودها ولزومها فضل أي فضل بيان وحججه وربما يقرء بالصاد المهملة أى برهان فاصل قاطع يعرف هذا البرهان ممن أخذ به أى بذلك البرهان ، والأخذ يتحمل الوجهين ، ولكل من الوجهين شاهد فيما سيأتي ، ويمكن الجمع بين الوجهين بأن يكون قوله شيء دون شيء إشارة إلى الدليل ، وقوله : فضل إشارة إلى شرائط الامامة وإن كان بعيداً وحصل جوابه أنه مثلاً أمر الله بطاعة أولى الأمر مقرونة بطاعة الرسول وطاعته فيجب طاعتهم ولا بد من معرفتهم ، وقال رسول الله : من مات ولم يعرف إمام زمانه ، أى من يجب أن يقتدى به في زمانه ، مات ميتة جاهلية ، والميتة بالكسر مصدر للتوع أو كموت أهل الجاهلية على الكفر والضلال ، فدل على أن لكل زمان إماماً لا بد من معرفته ومتابعته .

عَنْ أَنَّهُ : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ و كان علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال الآخرون : كان معاوية ، ثمَّ كان الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمَّ كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال الآخرون : يزيد بن معاوية وحسين بن عليٍّ ولا سواء قال : ثمَّ سكت ثمَّ قال : أزيـدك ؟ فقال له حكم الأعور : نعم جعلت فداك قال : ثمَّ كان عليٌّ بن الحسين ثمَّ كان محمد بن عليٍّ أبو جعفر وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجتهم وحالاتهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر ففتح لهم وبين لهم مناسك حجتهم وحالاتهم وحرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا

« وكان رسول الله » أى كان من يجب طاعته في زمن الرسول هو عَلَيْهِ السَّلَامُ و كان بعده عَالِمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وقال آخرون مكانه معاوية ، وإنما لم يذكر الغاصبين الثلاثة - تقية وإشعاراً بأنَّ القول بخلافتهم بالبيعة يستلزم القول بخلافة مثل معاوية فاسق جاهل كافر ، وبالجملة لـما كان هذا أشنع خصمه بالذكر مع أنَّ بطalan خلافته يستلزم بطalan خلافتهم.

« ثمَّ كان الحسن » أى في زمان المعاوية أيضاً ، ثمَّ كان الإمام الحسين في بعض زمن معاوية وبعض زمن يزيد عليهما اللعنة ، وحسين بن علي ثانية كأنَّه زيد من الرواية أو النسخ ، ويؤيـدـه عدم التكرار في رواية الكشـيـ ، ويـحـتمـلـ أنـ يـكـوـنـ جـلـةـ حـالـيـةـ بـحـذـفـ الـغـبـرـ أـىـ وـحـسـيـنـ بـعـلـيـ حـىـ ، وـقـدـ يـقـرـعـ حـسـيـنـ بـالـتـنـوـيـنـ فـيـكـوـنـ ابنـ عـلـيـ خـبـراـ أـوـ يـكـوـنـ ذـكـرـهـ أـوـ لـمـفـأـلـتـهـ عـلـيـهـ بـمـعـاـوـيـةـ وـذـانـيـاـ لـمـقـابـلـتـهـ بـيـزـيدـ ، فـالـعـنـىـ وـقـالـ آـخـرـونـ : يـزـيدـ بـنـ مـعـاـوـيـةـ وـالـحـسـيـنـ مـعـارـضـانـ ، أـوـ الـوـادـ بـمـعـنىـ مـعـ «ـ وـلـاـ سـوـاءـ » خـبـرـ هـبـتـاءـ مـحـذـفـ ، وـفـيـ بـعـضـ النـسـخـ مـكـرـرـ ثـلـاثـ مـرـآـتـ ، أـىـ عـلـيـ وـمـعـاـوـيـةـ لـاـ سـوـاءـ ، وـحـسـنـ وـمـعـاـوـيـةـ لـاـ سـوـاءـ وـحـسـيـنـ وـيـزـيدـ لـاـ سـوـاءـ .

والحاصل أنَّ الـأـمـرـ أـوـضـحـ مـنـ أـنـ يـشـتـبـهـ عـلـيـ أـحـدـ فـائـهـ لـاـ يـرـيـبـ عـاقـلـ فـيـ أـنـهـ إـذـاـ كـانـ لـابـدـ مـنـ إـمـامـ وـتـرـدـدـ الـأـمـرـ بـيـنـ عـلـيـ وـمـعـاـوـيـةـ فـعـلـىـ أـوـلـىـ بـالـإـمـامـةـ ، «ـ وـكـانـ »

يحتاجون إلى الناس وهكذا يكون الأمر والارض لا تكون إلاً بامام و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما تكون إلى مأذنت عليه إذ بلغت نفسك هذه - وأهوى بيده إلى حلقه . وانقطعت عنك الدنيا تقول : لقد كنت على أمر حسن . أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السري أبا اليسع ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

٧ - عدّة من أصحابنا ، عن مهمل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن مثنى الحنّاط عن عبد الله بن عباد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمس : الولاية والصلة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج .

٨ - على بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن أبان عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء مانودي بالولاية يوم العددي .

في الكلّ ناقصة لقوله عليهما وأبا جعفر ومن قال نصب أبا جعفر بتقديره أعني غفل عن ذلك ، ولكن في قوله : وكانت الشيعة ، وقوله ان يكون أبو جعفر ، وقوله حتى كان أبو جعفر تامة ، والمطراد بالكون في الآخرين ظهور أمره ورجوع الناس إليه ، وقيل : كانت ناقصة والظرف خبره ، والمطراد بالناس في الموضوعين علماء المخالفين ورواتهم .

« وهكذا يكون الأمر » أي هكذا يكون أسر الامامة دائمًا مردّاً بين معصوم من أهل البيت عليهم السلام فضلـه وورعـه وعصـمـته ، وجـاهـلـ فـاسـقـ بـيـنـ الـجـهـالـةـ وـالـفـسـقـ من خـلـفـاءـ الجـورـ « والـارـضـ لاـتـكـونـ إـلـاـ » بـامـامـ معـصـومـ « عـالـمـ بـجـمـيعـ ماـيـحـتـاجـ إـلـيـ الـامـةـ ، وـمـنـ لمـيـعـرـفـهـ مـاتـ مـيـتـةـ جـاهـلـيـةـ ، وأـحـوـجـ مـبـتـدـاءـ مـضـافـ إـلـيـ ماـ ، وـهـيـ مـصـدـرـيـةـ وـتـكـونـ تـامـةـ وـنـسـبةـ الـحـاجـةـ إـلـيـ الـمـصـدـرـ مـيـجازـ ، وـالـمـقـصـودـ نـسـبةـ الـحـاجـةـ إـلـيـ فـاعـلـ الـمـصـدـرـ باـعـتـبارـ بعضـ أـحـوـالـ وـجـوـدـهـ إـلـيـ مـتـعـلـقـ بـأـحـوـجـ وـ«ـمـاـ» مـوـصـولـةـ وـعـبـارـةـ عنـ التـصـدـيقـ بـالـوـلـاـيـةـ .

إـذـاـ ، ظـرـفـ وـهـوـ خـبـرـ أـحـوـجـ ، «ـأـوـمـيـ» كـلـامـ الرـاوـيـ وـقـعـ بـيـنـ كـلـامـهـ عليـهـ السـلامـ .

الـحـدـيـثـ السـابـعـ ضـعـيفـ عـلـىـ الـمـشـهـورـ .

الـحـدـيـثـ الثـامـنـ مـجـهـولـ .

٩ - على<sup>٢</sup> بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن عيسى بن السري قال : قلت لا<sup>١</sup> بى عبد الله لله عليهما السلام : حدثني عمّا بنى عليه دعائم الاسلام إذا أنا أخذت بها ذكى عملى ولم يضرني جهل ماجهلت بعده ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن<sup>٣</sup> نعم رسول الله عليه السلام والاقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل<sup>٤</sup> بها ولاية آل محمد عليهم السلام ، فإن رسول الله عليه السلام قال : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، قال الله عز وجل<sup>٥</sup> : «أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ» فكان على عليه السلام ثم صار من بعده حسن

الحديث التاسع صحيح وهو مختصر من الحديث السادس والراوى واحد .

وقال ابوالفتح الكراجي قدس سره في كنز الفوائد : جاء في الحديث من طريق العامة عن عبد الله بن عمر : ان رسول الله عليه السلام قال : من مات وليس في عنقه بيعة لامام ، أوليس في عنقه عهد لامام مات ميتة جاهلية ، وروى كثير منهم أنّه عليه السلام قال : من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وهذا الخبر ان يطابقان المعنى في قول الله تعالى : «يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أَنْسَ بِمَا مَنَّا فَمَنْ أُوتَى كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَأَوْيَكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتَبَارَكَ» ٦ .

فإن قال الخصوم : ان الامام هيئنا هو الكتاب ؟ فيل لهم : هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجّة توجب ذلك ولا بررهان ، لأنّ ظاهر التلاوة يفيد أن الامام في الحقيقة هو المقدم في الفعل والمطاع في الامر والنهي ، وليس يوصف بهذا الكتاب إلا أن يكون على سبيل الاتساع والمجاز ، والمصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى ، إلا أن يدعوا إلى الاصناف عنه الاضطرار ، وأيضاً فان أحد الخبرين يتضمن ذكر البيعة والعهد للامام ونحن نعلم أن لا بيعة للكتاب في أنفاس الناس ، ولا معنى لأن يكون له عهد في الرقب ، فعلم أنّ قولكم في الامام أنه الكتاب غير صواب .

(١) سورة النaml : ٥٩ .

(٢) سورة الاسراء : ٧١ .

نَمْ مِنْ بَعْدِهِ حَسِينٌ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ بْنُ الْحَسِينِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ، ثُمَّ هَكُذا يَكُونُ الْأَمْرُ، إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَصْلِحُ إِلَّا بِإِمَامٍ وَمَنْ ماتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَأَحْوَاجًا مَا يَكُونُ أَحَدٌ كَمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِذَا بَلَغَ نَفْسَهُ هُنَّا - قَالَ: وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - يَقُولُ حِينَئِذٍ: لَقَدْ كُنْتَ عَلَى أَمْرِ حَسِينٍ .

١٠ - عَنْهُ عَنْ أَبِي الْجَارِودِ قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَنَ رَسُولِ اللَّهِ الْأَعْلَمِ تَعْرِفُ مُوْدَّتِكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ إِلَيْكُمْ وَمَوَالِيَّتِكُمْ إِلَيْكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَلْتَ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ مَسَأْلَةً تُجَيِّنِنِي فِيهَا فَإِنِّي مَكْفُوفُ الْبَصَرِ قَلِيلُ الْمَشِيِّ وَلَا أَسْتَطِعُ زِيَارَتِكُمْ كُلَّهُ حِينَ قَالَ: هَاتِ حَاجَتِكَ، قَلْتَ: أَخْبَرْنِي بِدِينِكَ الَّذِي تَدِينُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَنْتَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ لِأَدِينَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ قَالَ: إِنَّ كُنْتَ أَفْصَرْتَ الْخُطْبَةَ فَلَا أَعْظَمْتَ الْمَسَأَلَةَ وَاللَّهُ لَا عَطَيْنِكَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي الَّذِي نَدِينُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، شَهادَةُ أَنَّ

فَانْ قَالُوا: مَا تَنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ الْأَمَامُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ قِيلَ لَهُمْ: أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ فَارَقَ الْأَمَّةَ بِالْوَفَاءِ، وَفِي أَحَدِ الْخَبَرِيْنَ أَنَّهُ إِمامُ الزَّمَانِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَيٌّ نَاطِقٌ مُوْجَدٌ فِي الزَّمَانِ فَأَمَّا مِنْ مَضِيِّ الْوَفَاءِ فَلَمْ يَكُنْ يَقُولُ أَنَّهُ إِمامٌ وَإِلَّا لَكَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمامًا زَمَانًا، إِلَى آخرِ ما قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ .

الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ ضَعِيفٌ .

وَضَمِيرُ عَنْهُ كَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى عَيْسَى بْنِ السَّرِّيِّ «إِنْ كُنْتَ أَفْصَرْتَ الْخُطْبَةَ»، الظَّاهِرُ أَنَّ الْخُطْبَةَ بِضَمِيرِ الْخَاءِ أَيْ مَا يَتَقدِّمُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنَاسِبِ قَبْلَ إِظْهَارِ الْمُطَلُّوبِ، وَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَّ خُطْبَةً قَصِيرَةً مَعَ طُولِهَا إِعْظَامًا لِلْمَسْأَلَةِ وَإِيَّادَانَا بِأَنَّهُ هَذَا الْمَقصُودُ الْجَلِيلُ يَسْتَدِعِي أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْخُطْبَةِ، وَقِيلَ: إِقْسَارُهِ أَيْسَارًا إِكْتِفَاؤُهُ بِالْاسْتِفَاهَ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَإِعْلَامٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ الْخُطْبَةَ بِالْكَسْرِ مُسْتَعْمَرَةً مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ وَهُوَ تَكْلِفٌ . قَالَ فِي النَّهَايَةِ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أُعْرَايَسًا جَاءَهُ فَقَالَ: عَلِمْنِي عَمَلاً يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ أَفْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَيْ جَئْتَ بِالْخُطْبَةِ قَصِيرَةً وَبِالْمَسْأَلَةِ عَرِيفَةً، يَعْنِي قَلَّتِ الْخُطْبَةُ وَأَعْظَمْتَ الْمَسْأَلَةَ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْوَلَايَةُ لِوَلِيْنَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ عَدُوِّنَا وَالْتَّسْلِيمُ لِأَمْرِنَا وَالْأَنْتِظَارُ قَائِمَنَا وَالْاجْتِهَادُ وَالْوَرْعُ.

١١ - عَلَىٰ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السَّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بشِيرٍ، عَنْ عَلَىٰ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتَهُ يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ظَاهِرَتِهِ فَقَالَ لَهُ: جَعَلْتَ فَدَاكَ أَخْبَرْنِي عَنِ الدِّينِ الَّذِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىِ الْعَبَادِ، مَا لَا يَسْعَهُمْ جَهَلُهُ وَلَا يَقْبِلُ مِنْهُمْ غَيْرُهُ، مَا هُوَ؟ فَقَالَ: أَعْدَ عَلَىٰ فَاعِدَّا عَلَيْهِ، فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَإِقْرَارُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ

وَالْتَّسْلِيمُ لِأَمْرِنَا» اى الرضا قلباً بما يصدر عنهم قوله وفعلاً من اختيارهم المهادون أو القتال أو الظهور أو الغيبة وساير ما يصدر عنهم مما يعجز العقول عن إدراكه والفهم عن إستنباط علته كما قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا كُلُّهُمْ مَا شَهَرُوا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا حِرْجًا مَمَّا قَضَيْتُ وَيَسْلِمُوا تَسْلِيمًا»<sup>(١)</sup> والاجتهد بذل المجهود في الطاعات، والورع الاجتناب عن المعاصي بل الشبهات والمسكر وها.

**الحديث الحادى عشر ضعيف على المشهور .**

قوله: «مَا لَا يَسْعَهُمْ» عطف بيان للدين أو مبتدء «وَمَا هُوَ» خبره ، قوله: أَعْدَ عَلَىٰ كَانَ الْأَمْرُ بِالْأَعْدَادِ لِسَمَاعِ الْحَاضِرِينَ وَإِقْبَالِهِمْ إِلَيْهِ أَوْ لِاُظْهَارِ حَسْنِ الْكَلَامِ وَالتَّلْذُذِ بِسَمْعِهِ وَكَانَهُ يَدْخُلُ فِي شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ كُلُّمَا يَتَعلَّقُ بِعِرْفَةِ اللَّهِ مِنْ صَفَاتِهِ وَفِي شَهَادَةِ الرِّسَالَةِ مَا يَتَعلَّقُ بِعِرْفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَصَفَاتِهِمْ ، وَكَذَا الْأَقْرَارُ بِالْمَعْدَادِ دَاخِلُ فِي الْأُولَى أَوْ فِي الْثَّانِيَةِ لَا خَبَارُ النَّبِيِّ بِذَلِكَ ، «وَإِقْرَارُ الصَّلَاةِ» حُذِفتَ التَّاءُ لِلَاختِصارِ ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِإِقامَتِهَا إِدَامَتِهَا ، وَقِيلَ: فَعَلَهَا عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي ، وَقِيلَ: فَعَلَهَا فِي أَفْضَلِ أَوْقَانِهَا وَقِيلَ: جَاءَ عَلَىٰ عِرْفِ الْقُرْآنِ فِي التَّعْبِيرِ مِنْ فَعْلِ الصَّلَاةِ بِلِفْظِ الْإِقْامَةِ دُونَ أَخْوَانِهَا ، وَذَلِكَ طَأْتَهَا اخْتَصَّتْ بِهِ مِنْ كَثِيرَةِ مَا يَتَوقَّفُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرائطِ وَالْفَرَائِضِ وَالسُّنْنِ وَالْفَضَائِلِ ، وَإِقامَتِهَا إِدَامَةُ فَعَلَهَا مِسْتَوْفَةٌ نَجْمِيعُ ذَلِكَ .

إليه سبلاً وصوم شهر رمضان، ثم سكت قليلاً، ثم قال: و الولایة - مر تین -، ثم قال: هذا الذى فرض الله على العباد ولا يسأل الرب العباد يوم القيمة فيقول ألا زدتني على ما افترضت عليك؟ ولكن من زاد زاده الله، إن رسول الله عليه السلام سُنّ سفناً حسنة جميلة ينبغي للناس الأخذ بها.

١٢ - الحسين بن محمد عن معلى بن محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن فضالة بن أبي توب عن أبي زيد الحلال ، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدي قال : سمعت أبو عبد الله عليه السلام يقول : إن الله عز وجل فرض على خلقه خمساً فرخص في أربع ولم ير خص

أقول : ويمكن أن يكون ذكر الاقامة لتشبيه الصلوة من الإيمان بمنزلة العمود من الفسطاط كما ورد في الخبر ، وإنما لم يذكر الجهاد لأنّه لا يجب إلا مع الإمام فهو تابع للولایة منه راج تختها ، أو لعدم تحقق شرط وجوبه في ذلك الزمان . قوله : مر تین أى كر الولایة تأكیداً .

قوله عليه السلام : هذا الذى فرض الله على العباد أى علم فرضها ضرورة من الدين « فيقول ألا زدتني » بالتشديد حرفه ضيق ، وإذا دخل على الماضي يكون للتعديل والتنديم ، وكان المعنى أنه لا يسئل عن شيء سوى هذه من جنسها ، كما أنه من أئم بالصلوات الخمس لا يسئل الله عن التوابل ومن أئم بالزكاة الواجبة لا يسئل عن الصدقات المستحبة وهكذا .

### الحديث الثاني عشر ضعيف .

قوله عليه السلام : فرخص في أربع كالقصير في الصلاة في السفر وتأخيرها عن وقت الفضيلة مع العذر ، وترك كثير من واجباتها في بعض الأحيان ، أو سقوط الصلاة عن الحائض والنفساء ، وعن فاقد الطهورين أيضاً إن قلنا به ، والزكاة عمران لم يبلغ ماله النصاب أولم يحل عليه الجحول ، أو لم يتمكن من التصرف فيه أو فقد سائر الشرائط ، والحج عمران لم يستطع أولم يدخل سربه وأشباه ذلك ، والصوم عن المسافر أو الشیخ الكبير أو ذى المطاش وأمثالهم ، بخلاف الولایة فإنها مع بقاء التكليف لا يسقط

في واحدة.

١٣ - عنه ، عن معلئي بن مهدى ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن إسماعيل الجعفى  
قال : دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام و معه صحيحة فقال له أبو جعفر عليه السلام : هذه  
صحيفة مخاصم يسأل عن الدّين الذي يقبل فيه العمل فقال : رحمك الله هذا الذى أريد ،  
فقال أبو جعفر عليه السلام : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله عبده  
و رسوله وتقر بمجاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا والتسليم  
لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمنا فإن لنا دولة إذا شاء الله جاء بها .

١٤ - علي بن ابراهيم، عن أبيه؛ وأبو علي الاشعري، عن محمد بن عبد الجبار  
جميعاً عن صفوان، عن عمر وبن حريث قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وهو في  
منزل أخيه عبدالله بن محمد فقلت له : جعلت فداك ماحو لك إلى هذا المنزل ؟ قال: طلب  
الترحه فقلت : جعلت فداك ألا أقص عليك ديني ؟ فقال : بلى ، قلت: أدين الله بشهادة

وجوبها في حال من الاحوال ، ويحتمل أن يراد بالرخصة أذنه لا ينتهي ترکها إلى حد الكفر والخلود في النار ، بخلاف الولاية فإن ترکها كفر والأول أظهره .

الحادي عشر الثالث ضعيف على المشهور

« صحيفه مخاصم »، اي مناظر مبادل سائل وفي بعض النسخ سئل اى فيها ، ويتحمل على هذه النسخة ان يكون مخاصم باسم رجل ، وقيل في بعض النسخ : سل فعل أمر يعني لانتظرنى بل سل من غير تعنت وهو أوضح ، انتهى .

وأقول : هارأيت هذه النسخة وفي وضوحه خفاء «وتقر» أى وإن تقر «والورع» أى عن محارم الله «والتواضع» أى الله ولا ولیاته أو الأعم <sup>عليهم السلام</sup> وإنتظار الفائم <sup>عليهم السلام</sup> يتضمن العلم بوجوده وظهوره وعدم الشك <sup>فيه</sup> والتسليم لغيبته والصبر على ما يلقاه من الأذى فيها والتمسك بما في يده من آثارهم والرجوع إلى رواة أخبارهم <sup>عليهم السلام</sup>.

الحادي عشر صحيح .

وفي القاموس : التزهـة التباعد ، و الاسم التزهـة بالضم ، و مكان تزهـة ككتف و

أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةً لَا  
رِيبٌ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصُومُ شَهْرِ رَمَضَانَ  
وَحِجَّةُ الْبَيْتِ وَالْوِلَايَةُ لِعَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ رَبِّ الْفَلَقِ وَالْوِلَايَةُ لِلْحَسَنِ وَ  
الْحَسِينِ وَالْوِلَايَةُ لِعَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ وَالْوِلَايَةُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَلَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ صَلَواتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَأَنَّكُمْ أُمَّتُكُمْ عَلَيْهِ أَحْيَى وَعَلَيْهِ أَمْوَاتُ وَأَدِينَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ وَ  
هَذَا وَاللَّهُ دِينُ اللَّهُ وَدِينُ آبَائِي الَّذِي أُدِينَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَاتَّقُ اللَّهَ وَ  
كَفُ لِسانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَلَا تَقْرُلْ إِنِّي هَدَيْتُ نَفْسِي بِلِ اللَّهِ هَذَا كَفَ شَكْرٌ مَا أَنْتَ

نَزِيْهٍ، وَأَرْضٌ نَزِهَةٌ بَكْسَرُ الزَّايِ وَنَزِيْهَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الرَّيْفِ وَعُمْقُ الْمَيَاهِ وَذِبَانُ الْقَرْيِ  
وَوَمَدُ الْبَحَارِ، وَفَسَادُ الْهَوَاءِ، نَزَهَ كَرْمٌ وَضَرَبَ نَزَاهَةٌ وَنَزَاهَيَةٌ وَالرَّجُلُ تَبَاعِدُ عَنْ  
كُلٌّ مَكْرُوهٌ فَهُوَ نَزِيْهٍ، وَاسْتَعْمَالُ التَّنْزِهِ فِي الْخَرْوَجِ إِلَى الْبَسَاتِينِ وَالْخَضْرِ وَالرِّيَاضِ  
غَلْطٌ قَبِيحٌ، وَهُوَ بِنَزَهَةٍ مِنَ الْمَاءِ بِالضمِّ بَعْدَ، انتهٰى .

وَأَقُولُ: كَفِي باسْتَعْمَالِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ظَاهِرًا شَاهِدًا عَلَى صَحَّتِهِ بِلِ فَصَاحَتِهِ  
وَإِنْ أَمْكَنْ حَمْلَهُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي صَحَّحَهَا مَعَ أَنَّهُمْ كُلُّ الْمُكْلَبِينَ قَدْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ  
بِعْرَفِ الْمَخَاطِبِينَ وَمَصْطَلِحَاتِهِمْ تَقْرِيْبًا إِلَى أَفْهَامِهِمْ .

وَقَالَ فِي الْمَصْبَاحِ قَالَ ابْنُ قَتِيْةَ: ذَهَبَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِ النَّاسِ خَرْجُوا يَتَنَزَّهُونَ  
إِلَى الْبَسَاتِينِ أَنَّهُ غَلْطٌ وَهُوَ عِنْدِي لَيْسَ بِغَلْطٍ لِأَنَّ الْبَسَاتِينِ فِي كُلِّ بَلْدٍ إِنْمَاءَكُونَ  
خَارِجَ الْبَلْدِ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَهَا فَقَدْ أَرَادَ الْبَعْدَ عَنِ الْمَنَازِلِ وَالْبَيْوَاتِ، ثُمَّ كَثُرَ  
هَذَا حَتَّى اسْتَعْمَلَتِ النَّزَهَةُ فِي الْخَضْرِ وَالْجَنَانِ .

قَوْلُهُ: أَدِينُ اللَّهَ أَئِي أَعْبُدُ اللَّهَ وَأَطِيعُهُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ  
أَئِي بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ أَوْ فِي الْخَلْوَةِ وَالْمَجَامِعِ مَعَ دَمَ الدَّقِيْةِ .

« وَكَفُ لِسانَكَ » تَخْصِيصُ الْمَسَانِ بِالذِّكْرِ بَعْدِ الْأَمْرِ بِالْتَّقْوَى مَطْلَقاً لِكُونِ  
أَكْثَرِ الشَّرُورِ مِنْهُ « وَلَا تَقْرُلْ إِنِّي هَدَيْتُ نَفْسِي » أَئِي لَا تَفْسِدْ دِينَكَ بِالْعَجَبِ، وَاعْلَمْ

الله عز وجل " به عليك ولا تكون ممّن إذا أقبل طعن في عينه وإذا أذبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس على كاهلك فاذلك أوشك ان حملت الناس على كاهلك أن يصدعوا شعب كاهلك .

١٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي جعفر عليه السلام : قال : ألا أخبرك بالاسلام أصله و فرعه

أن " الهدایة من الله سبحانه ، و هو نهي عن القول بالتفويض المطلق و إنكار مدخلية هداية الله و توفيقه و خذلانه في الفعل و الترك كما مر تحقیقه « ولا تكون ممّن إذا أقبل » أى كن من الاختيارات ليمدحك الناس في وجهك و ففاك ولا تكون من الاشارة الذين يذمّهم الناس في حضورهم و غيبتهم أو أمر بالحقيقة من المخالفين أو حسن المعاشرة مطلقا .

« ولا تحمل الناس على كاهلك » اى لا تسلط الناس على نفسك بتترك التفییة أو لا تحملهم على نفسك بكثرة المداهنة و المداراة معهم بحيث تتضرر بذلك ، كان يضمن لهم و يتحمل عنهم ما لا يطيق أو يطمعهم في أن يحكم بخلاف الحق " أو يوافقهم فيما لا يحل " ، وهذا أفيد وإن كان الاول أظاهر ، و قال الفيروز آبادی : الكاهل كصاحب : الحارك ، أو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق وهو الثالث الأعلى . وفيه ست فقراء ، وما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب ، و قال : الصدع الشق في شيء صلب ، و قال : الشعب بالتحرير بعد ما بين المنكبين .

#### الحديث الخامس عشر : صحيح .

قوله عليه السلام : ذرورة سنامه ، الاضافة يائیة أو لامیة إذ للسنام الذي هو ذرورة البعير ذرورة أيضا هي أرفع أجزاءه ، و إنما صارت الصلاة أصل الاسلام لأنها بدونها لا يثبت على ساق ، و الزكاة فرعه لأنّه بدونها لا تتم و قيل : لأنّها بدونه لا تصح ولا تقبل ، و الجهاد ذرورة سنامه لأنّه سبب لعلو الاسلام و ارتفاعه ، و قيل : لأنّه فوق كل " بر " كما ورد في الخبر ، و ذكر من أبواب الخير ثلاثة : أحدها : الصوم

و ذروة سلامه ؟ قلت : بلى جعلت فداك قال : أمنا أصله فالصلوة و فرعه الزكاة و ذروة سلامه الجهاد ، ثم قال : إن شئت أخبرتك بأبواب الخير ؟ قلت : نعم جعلت فداك قال : الصوم جنة من النار ، والصدقة تذهب بالخطيئة ، وقيام الرّجل في جوف الليل بذكر الله ، ثم قرأ عليهما : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع »<sup>(١)</sup>.

### ﴿باب﴾

﴿أن الاسلام يحقن به الدم [ و تؤدي به الامانة ] و أن الثواب على الایمان﴾

١ - على بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمر ، عن الحكم بن أبيمن ،

أى الواجب أو الأعم لا نه جنة من النار و مما يؤدى إليها من الشهوات ، وثانيها : الصدقة الواجبة أو الأعم فانها تکفر الخطايا و تذهبها ، وثالثها : صلاة الليل مدحه تعالى فاعلها بقوله : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع » حيث حصر الایمان فيهم او لا تم مدحهم بما مدحهم به ، ثم عظّم وأبهم جزائهم حيث قال : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خيراً سجّدوا و سبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون ، تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون » ويحتمل أن يكون المراد بأبواب الخير الصوم فقط ، فيكون ذكر ما بعده ثبرعاً ، والأول أظهر .

**باب أن الاسلام يحقن به الدم و ان الثواب على الایمان**

يقال : حقن دم فلان أي أنقذه من القتل .

**الحديث الأول مجھول بل حسن .**

ويدل على عدم تراويف الایمان و الاسلام و أن غير المؤمن من فرق أهل الاسلام لا يستحق الثواب الاخرى أصلاً كما هو الحق و المشهور بين الامامية

عن الفاسق الصيرفي شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول : الاسلام يتحقق

وستعرف أنَّ كلاًً من الاسلام و الایمان يطلق على معانٍ ، و ظاهر هذا الخبر أنَّ المراد بالایمان الاذعان بوجوده تعالى و صفاته الكمالية وبالتوحيد و المعاد والاقرار بنبوة نبينا عليهما السلام و إماممة الأئمة الاثنا عشر صلوات الله عليهم ، و بجميع ما جاء به النبي ﷺ ما علم منها تفصيلاً و ما لم يعلم اجمالاً و عدم الاتيان بما يخرجه عن الدين كعبادة الصنم ، والاسلام هو الاذعان الظاهري بالله وبرسوله وعدم إنكار ما علم ضرورة من دين الاسلام فلا يشترط فيه ولاية الائمة عليهما السلام ، ولا الاقرار القلبي فيدخل فيه المنافقون و جميع فرق المسلمين ممن يظهر الشهادتين عدى التوابق و الغلة و المحسنة و من أتى بما يخرجه عن الدين كعبادة الصنم و إلقاء المصطفى في القاذورات عمداً و نحو ذلك ، و سيأتي تفصيل القول في جميع ذلك إنشاء الله .

ثم انه ذكر عليهما السلام من التمرات المترتبة على الاسلام ثلاثة :

الاول : حقن الدم ، قال في القاموس : حقنه يتحققه و يتحققه حبسه ، ودم الفلان أفقده من القتل ، انتهى .

و ترتبت هذه التمرة على الاسلام الظاهري ظاهر ، لأنَّ في صدر الاسلام و زمن الرسول كانوا يكتفون في قرك قتل الكفار باظهارهم الشهادتين ، و بعده ظهرت طائفتان الشبهة بين المسلمين و اختلفوا في الامامة فخرجت عن كونه من ضروريات الدين ، فدم المخالفين و سائر فرق المسلمين محفوظة إلا الخوارج و التوابق ، فان ولاية أهل البيت و محبيتهم كانت من ضروريات الدين ، و إنما الخلاف كان في إمامتهم ، و الباغي على الامام يجب قتلها بنص القرآن ، و هذا الحكم إنما هو إلى ظهور القائم عليهما السلام إذ في ذلك الزمان ترتفع الشبهة و يظهر الحق بحيث لا يبقى لاحد عذر ، فحكم منكر الامامة في ذلك الزمان حكم سائر الكفار في وجوب قتلهم و غير ذلك .

و إنما المنافقون المظاهرون للعقائد الحقة ظاهراً و المنكرون لها قليلاً فيحتمل

بـه الدّم ، و تؤدّي به الامانة ، و تستحلّ به الفروج ؛ و التواب على الائمه .

عدم قبول ذلك منهم ، لحكمه عليهما السلام بعلمه في أكثر الأحكام ، و يحتمل قبوله منهم إلى أن يظهر منهم خلافه كما يظهر من أخبار دابة الأرض وأكثر الأخبار في ذلك مجملة .

الثاني : أداء الامانة و ظاهره عدم وجوب ردّ وديعة من لم يظهر الاسلام ، و هو خلاف المشهور و سایر الأخبار ، فـ" المشهور بين الاصحاب وجوب ردّ الوديعة ولو كان الموعع كافراً ، و قال أبو الصلاح : إن كان حربياً وجب أن يحتمل ما أودعه إلى سلطان الاسلام ، و يدلّ كثير من الأخبار على الاول ، فيمكن حمل الخبر على أن " الردّ على المسلم أكد أو أنه مما يحكم به أهل الاسلام . أو المراد بالامانة غير الوديعة مما حصل من أمواله في يد غيره ، أو المراد أن " الاسلام يصير سبباً لأن يؤدّي الأمانات إلى أهلها وفي الكل " تكليف ، والحمل على مذهب أبي الصلاح (ره) أيضاً يحتاج إلى تكليف لأنّه أيضاً يوجب ردّ أمانة الذمي ، فيمكن أن يقال : ردّ أمانة الذمي أيضاً بسبب الاسلام إذ هو بسبب أنه في أمان المسلمين و ذمتهم .

قال بعض الأفاضل : إن قيل : أداء أمانة الكافر أيضاً واجب فلم خص " بالمسلم ؟  
قلنا : إنما يجب أداء أمانة الكافر إذا صار في حكم المسلم بالذمة .

الثالث : إستحلال الفرج بالاسلام ، فيدلّ ظاهراً على عدم جواز نكاح الكافرة مطلقاً بل بملك اليمين أيضاً إلاً ما خرج بالدليل ، و كذا إنكاح الكافر ، وعلى جواز نكاح المسلمة مطلقاً و كذا نكاح المسلم من أيّ الفرق كان .

أما الأول ، فلا خلاف في عدم نكاح المسلم غير الكتايبة وفي تحريم الكتايبة أقوال : التحرير مطلقاً ، و جواز متعة اليهودية و النصرانية اختياراً ، و الدوام اضطراراً ، و عدم جواز العقد بحال ، و جواز ملك اليمين و جواز المتعة و ملك اليمين للיהودية و النصرانية ، و تحريم الدوام كما هو مختار أكثر المتأخرین تحريم نكاحهن " مطلقاً اختياراً ، و تجویزه مطلقاً اضطراراً ، و تجویز الوطى بملك اليمين

٢- عليٌّ ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أحد هماعرقلة  
قال : الایمان إقرار و عمل ، و الاسلام إقرار بلا عمل .

الجواز مطلقاً كما ذهب إليه الصّدوق ، وفي المجوسيّة إختلاف في الأقوال والروايات  
والأقرب جواز وطيها بملك اليمين ، والاحوط الترك في غير ذلك و إذا أسلم زوج  
الكتابية فهو على نكاحه وإن لم يدخل بها .

وأما الثاني و هو تزويج غير المؤمن من فرق المسلمين فالمشهور بإعتبار الایمان  
في جانب الزوج دون الزوجة ، وذهب جماعة إلى عدم إعتباره مطلقاً ، و الاكتفاء  
بمجرد الاسلام ولا يخلو من قوّة في زمان الهدنة ، ولا يصح نكاح الناصب المبغض  
لأهل البيت عليهم السلام مطلقاً .

ثم ذكر عليهم السلام ثمرة الایمان و هو ترتيب الثواب على أعماله في الآخرة فغير  
المؤمن الاثني عشرى المصدق قليلاً لا يترتب على شيء من أعماله ثواب في الآخرة  
ويلزمه الخلود في النار كما مرّ و سيأتي أيضاً إنشاء الله .

#### الحديث الثاني حسن كالصحيح .

ويدلّ على اصطلاح آخر للایمان و الاسلام و هو أنّ الاسلام نفس العقائد  
مع العمل بمقتضها من الاتيان بالفرائض و ترك الكبائر و هذا اصطلاح آخر غير  
الاصطلاح المتقدم ، وربما يأوّل هذا الخبر بأنّ المراد بالاقرار الاقرار بالشهادتين  
و بالعمل عمل القلب و هو التصديق بجميع ما أتى به النبي صلوات الله عليه وآله وسالم أو بأنّ المراد  
بالاقرار ترك الایذاء و الانكار ، و المراد بالعمل العمل الصحيح ، و الحمل فيما على  
المجاز أى الایمان سبب لأن يقرّ على دينه ولا يؤذى و يحكم عليه بأحكام المسلمين  
و سبب لصحة أعماله بخلاف الاسلام فانه يصير سبيباً للأوّل دون الثاني ، ولا يخفى  
بعده ، و يحتمل أن يكون المراد بالاقرار إظهار الشهادتين ، و بالعمل ما يقتضيه من  
التصديق بجميع ما جاء به النبي صلوات الله عليه وآله وسالم ، و منها الولاية فيرجع إلى الخبر الاول .

٣ - على بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن جميل بن دراج  
قال : سأله أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « قالت الأعراب آمنا قل لم

### الحديث الثالث صحيح .

« قالت الأعراب آمنا » قال البيضاوى : نزلت في نفر من بني أسد ، قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا له الشهادتين ، و كانوا يقولون لرسول الله صلوات الله عليه وسلم : أتيناك بالانتقال والعياش ولم تقاتلك كما قاتلك بنوفلان ، يريدون الصدقة ويمنون « قل لم تؤمنوا » إذ الإيمان تصدق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم وإلما منتم على الرسول عليه السلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة « ولكن قولوا أسلمنا » فان الاسلام إنقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به « و لما يدخل الایمان في قلوبكم » توقيتقولوا ، فإنه حال عن ضميره أي ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطى قلوبكم أستكم بعد .

و قال الطبرسى قدس سره : « قالت الأعراب آمنا » اى صدقنا بما جئت به « قل لم تؤمنوا » اى لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن « و لكن قولوا أسلمنا » اى أنفينا واستسلمنا مخافة السبى والقتل ، ثم يبين سبحانه أنه ان الإيمان محله القلب دون اللسان فقال : « و لما يدخل الایمان في قلوبكم » قال الزجاج : الاسلام إظهار الخصوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يتحقق الدليل ، فان كان مع ذلك الاظهار اعتقاد و تصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحب المسلم المؤمن حقاً ، فأماماً من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكر و فهو في الظاهر مسلم و باطنه غير مصدق وقد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله : « و لما يدخل » الى آخره ، اى لم تصدقوا بعد ما استلمتم تعوزاً من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر ، و المسلم التام الاسلام مظاهر للطاعة ، و هو مع ذلك مؤمن بها ، و الذى أظهر الاسلام تعوزاً من القتل غير مؤمن بالحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين ، انتهى .  
و بالجملة هذه الآية مما استدل به القائلون بعدم ترداد الاسلام والایمان ،

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا واطمئنوا بدخول الإيمان في قلوبكم «<sup>(١)</sup> فقال لي : ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام .

٤ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سفيان بن السمعط قال : سأله رجل أبا عبدالله عليه السلام عن الإسلام و الإيمان ، ما الفرق بينهما ؟ فلم يجده ثم سأله فلم يجده ثم التقيا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : كأنه قد أزف منك رحيل ؟ فقال : نعم فقال : فالقني في البيت ، فلقيه فسأله عن الإسلام و الإيمان ما الفرق بينهما ؟ فقال : الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مهداً عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حجّ البيت و صيام شهر رمضان فهذا الإسلام ، وقال : الإيمان

وأحب بعضهم بأن المراد بالإسلام هنا الانقياد الظاهري و هو غير المعنى المصطلح ، و الجواب بأن الأصل في الاطلاق الشرعي الحقيقة الشرعية ، و صرفها عنها يحتاج إلى دليل واستدلل أيضاً بها على أن الإيمان هو التصديق فقط لنيته إلى القلب ، و الجواب أنها لا تنفي اشتراط الإيمان القلبي بعمل الجوارح ، وإنما تنفي العجزية ، مع أن فيه أيضاً كلاماً .

#### الحديث الرابع مجهول .

و كان تأخير الجواب للحقيقة والمصلحة ، وفي القاموس : أزف التردد كفرح أزفاً وأزوفاً : دنا .

و يظهر من الخبر أن بين الإيمان والاسلام فرقين : أحدهما أن الإسلام هو الانقياد الظاهري ، ولا يعتبر فيه التصديق و الاذعان القلبي بخلاف الإيمان ، فإنه يعتبر فيه الاعتقاد القلبي بل القطعى كما سيأتي ، و ثانيهما : اعتبار الاعتقاد بالولاية ، و ذكر الاعمال إماماً بناءً على اشتراط الإيمان بالأعمال أو على أن المراد الاعتقاد

معرفة هذا الامر مع هذا فان أقر بها ولم يعرف هذا الامر كان مسلماً و كان ضالاً.

٥ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ؛ وعدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد جميعاً عن الوشاء ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب .

٦ - أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حكم بن أيمن عن قاسم شريك المفضل قال : سمعت أبي عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يتحقق به الدّم وتؤدي به الأمانة وتستحلّ به الفروج ، والثواب على الإيمان .

بها كما عرفت ، ويرشد إليه قوله : فان أقر بها ، أو الغرض بيان العقائد و جل الأعمال المشتركة بين أهل الإسلام والإيمان ، والوصف بالضلال و عدم إطلاق الكفر عليهم إماماً للتجيئ في الجملة ، أول عدم توهّم كونهم في الأحكام الدنيوية في حكم الكفار .  
الحديث الخامس موثق كالصحيح .

قوله : فمن زعم ، تنبئه على مغايرة المفهومين و تحقق مادة الافتراق بينهما ، و عموم الإسلام بالنسبة إلى الإيمان .

ال الحديث السادس حسن على الاصح وقد در شرحه .

### تحقيق و تبيين

إعلم أنَّ الذي ظهر لنا من مجموع الآيات المتصافرة والأخبار المتکاثرة الواردة في الإيمان والاسلام وحقايقهما وشرائطهما أنَّ لكلَّ منها إطلاقات كثيرة في الكتاب والسنة و لكلَّ منها فوائد و ثمرات تترتب عليه .

فالاول من معانى الإيمان مجموع العقائد الحقة والأصول الخمسة ، والثمرة المترتبة عليه في الدنيا الأمان من القتل ونهب الاموال والإهانة إلا أن يتأتى بقتل أو فاحشة يوجب القتل أو الحد أو التعزير ، وفي الآخرة صحة أعماله واستحقاق الثواب عليها في الجملة ، وعدم الخلود في النار ، واستحقاق العفو والشفاعة ، ويدخل

\* \* \* \* \*

في الكفر المقابل لهذا اليمان من سوى الفرقـة الناجية الإِماميَّة من فرقـ الاسلام وـغيرـهم ، فـأَنْتُم مـخلـدون فيـالنـار سـوـىـالـمـسـتـضـعـفـينـمـنـهـمـ كـمـاـسـيـأـتـيـ .

الثـانـيـ:ـالـاعـقـادـاتـالمـذـكـورـةـمـعـالـاتـيـانـبـالـفـرـائـضـالـتـىـظـهـرـوـجـوـبـهـاـمـنـالـقـرـآنـ وـتـرـكـالـكـبـائـرـالـتـىـأـوـدـعـالـلـهـعـلـيـهـالـنـارـ ،ـوـعـلـىـهـذـاـالـمـعـنـىـأـطـلـقـالـكـافـرـعـلـىـتـارـكـالـصـلـاـةـ وـتـارـكـالـزـكـاـةـ وـأـشـبـاهـهـمـ ،ـوـوـرـدـ:ـلـاـيـزـنـىـالـزـانـىـ وـهـوـمـؤـمـنـ ،ـوـلـاـيـسـرـقـالـسـارـقـ وـهـوـمـؤـمـنـ ،ـوـثـمـرـةـالـإـيمـانـعـدـمـاسـتـحـفـاقـالـإـلـالـ وـالـإـهـانـةـ وـالـعـذـابـ فـيـالـدـيـاـ وـالـآـخـرـةـ .

الـثـالـثـ:ـالـعـقـائـدـالـمـذـكـورـةـمـعـفـعـلـجـمـيـعـالـوـاجـبـاتـ وـتـرـكـجـمـيـعـالـمـحرـمـاتـ ،ـ وـثـمـرـتـهـالـلـيـحـوقـبـالـمـقـرـ بـيـنـ وـالـحـشـرـمـعـالـصـدـيـقـيـنـ وـتـضـاعـفـالـمـشـوـبـاتـ وـرـفـعـالـدـرـجـاتـ الـرـابـعـ:ـمـاـذـكـرـمـعـضـمـ فـعـلـالـمـنـدـوبـاتـ وـتـرـكـالـمـكـرـوهـاتـ بـلـالـمـبـاحـاتـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـأـخـبـارـصـفـاتـالـمـؤـمـنـ ،ـوـبـهـذـاـالـمـعـنـىـيـخـتـصـ بـالـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـصـيـاءـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـأـخـبـارـالـكـثـيرـتـفـسـيرـالـمـؤـمـنـينـ فـيـالـآـيـاتـبـالـأـمـمـةـالـطـاـهـرـيـنـصـلـوـاتـالـلـهـعـلـيـهـمـ ،ـوـقـدـ وـرـدـ فـيـتـفـسـيرـقـوـلـهـسـبـحـانـهـ:ـ«ـوـمـاـيـؤـمـنـأـكـثـرـهـمـ بـالـلـهـإـلـاـ وـهـمـمـشـرـكـونـ»ـ(١)ـأـنـ جـمـيـعـمـعـاصـيـالـلـهـبـلـالـتـوـسـلـبـغـيرـهـسـبـحـانـهـ دـاـخـلـةـ فـيـالـشـرـكـالـمـذـكـورـ فـيـهـذـهـالـآـيـةـ ،ـ وـثـمـرـةـهـذـاـالـإـيمـانـأـنـهـيـؤـمـنـعـلـىـالـلـهـفـيـجـيـزـأـمـاـهـ ،ـوـأـنـهـلـاـيـرـدـالـلـهـدـعـوـتـهـ وـسـاـيـرـ ماـوـرـدـ فـيـدـرـجـاتـهـمـ عـلـىـالـعـلـيـلـاـ وـمـنـازـلـهـمـعـنـدـالـلـهـ تـعـالـىـ .

وـأـمـاـالـإـسـلـامـفـيـطـلـقـغـالـبـاـعـلـىـالـتـكـلـمـبـالـشـهـادـتـيـنـ وـالـاقـرارـالـظـاهـرـىـ وـإـنـ لمـيـقـرـنـبـالـأـذـعـانـالـقـلـبـىـفـلـاـبـالـاقـرارـبـالـوـلـاـيـةـكـمـاـعـرـفـسـيـاـقـاـ ،ـوـثـمـرـتـهـإـنـمـاـتـظـهـرـ فـيـالـدـنـيـاـمـنـحـقـنـدـمـهـ وـمـالـهـ ،ـوـجـواـزـنـكـاحـهـ وـاسـتـحـفـاقـهـالـمـيرـاثـ وـسـاـيـرـالـاـحـکـامـ الـظـاهـرـةـلـلـمـسـلـمـيـنـ ،ـوـلـيـسـلـهـفـيـالـآـخـرـةـمـنـخـلـاقـ ،ـوـقـدـيـطـلـقـعـلـىـكـلـ"ـمـنـعـانـيـ الـإـيمـانـ حـتـىـالـمـعـنـىـالـأـخـيـرـ ،ـفـيـكـوـنـبـمـعـنـىـالـإـسـلـامـ وـالـإـقـيـادـالـتـامـ"ـ .

نَمْ إِنَّ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارَ الدَّالَّةَ عَلَى دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ يَحْتَمِلُ وَجْهَهَا: الْأَوَّلُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى ظَواهِرِهَا وَيُقَالُ : إِنَّ الْعَمَلَ دَاخِلٌ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ عَلَى بَعْضِ الْمَعْانِي .

الثاني: أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ أَصْلُ الْعَقَائِدِ لَكِنْ تَسْمِيهِ الْإِيمَانَ مُشَرِّفَةً بِالْأَعْمَالِ.

الثالث: أَنْ يُقَالُ بِزِيادةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاوُتِهِ شَدَّةً وَضَعْفًا ، وَتَكُونُ الْأَعْمَالُ كَثِيرَةً وَقَلِيلَةً كَاشِفَةً عَنْ حَصُولِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ تُلْكَ الْمَرَاتِبِ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ إِنَّ لَشَدَّةِ الْيَقِينِ مَدْخَلًا فِي كَثِيرَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ وَتَرْكِ الْمُنَاهِي ، وَقَدْ بَسْطَنَا الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ قَلِيلًا فِي كِتَابِ عَيْنِ الْحَيَاةِ ، وَسِيَتَضَعُ لَكَ بَعْضُ مَا ذَكَرْنَا فِي تَضَاعِيفِ الْأَخْبَارِ الْآتِيَةِ ، وَلَنَذْكُرْ هَنَا بَعْضَ مَا ذَكَرْهُ أَصْحَابُنَا فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَالْاسْلَامِ وَمَعَانِيهِمَا وَشَرائطِهِمَا: قَالَ الْمُحَقِّقُ الطَّوْسِيُّ قَدْسَ سُرُّهُ الْقَدُوسِيُّ فِي قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ: الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: فِيمَا بِهِ يَحْصُلُ اسْتِحْفَافُ الثَّوَابِ وَالْعَقَابِ ، قَالُوا: إِنَّ الْاسْلَامَ أَعْمَمُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَمَا كَوْنُهُ أَعْمَمُ فَلَا إِنْسَانٌ مِنْ أَفْرَادِ الْشَّهَادَتَيْنِ كَانَ حُكْمُهُمْ حُكْمَ الْمُسْلِمِينَ «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمِنًا قَلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا» وَأَمَا كَوْنُ الْاسْلَامِ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْإِيمَانُ فَلَقُولَهُ تَعَالَى : «إِنَّ الدِّينَ عِنْ دِلْلَةِ الْاسْلَامِ»<sup>(١)</sup> وَأَخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ فَقَالَ بَعْضُ السُّلْفِ: الْإِيمَانُ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ صَالِحٌ بِالْجَوَارِحِ ، وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: أَصْوَلُ الْإِيمَانِ خَمْسَةٌ: التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ وَالْاَقْرَارُ بِالنَّبُوَّةِ وَبِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْقِيَامُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَقَالَ الشِّيَعَةُ: أَصْوَلُ الْإِيمَانِ ثَلَاثَةُ التَّصْدِيقِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَاتِهِ ، وَالْعَدْلُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَالتَّصْدِيقُ بِنَبِيَّ الْأَنْبِيَاءِ وَالتَّصْدِيقُ بِعِامَّةِ الائِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْحُكَمِ الَّتِي يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ بِهَا حُكِمَ بِهَا دُونَ مَا فِيهِ الْخَلَافُ وَالْاَسْتَتَارُ ، وَالْكُفْرُ يَقْبَلُ الْإِيمَانَ ، وَالذَّنْبُ يَقْبَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحِ وَيُنْقَسِمُ إِلَى كَبَائِرٍ وَصَغَافِرٍ، وَيَسْتَحْقُ

المؤمن بالاجماع الخلود في الجنة ويستحق الكافر الخلود في العذاب وصاحب الكبيرة عند الخوارج كافر ، لأنّهم جعلوا العمل الصالح جزءاً من الايمان ، وعند غيرهم فاسقة ، والمؤمن عند المعتزلة والوعيدية لا يكون فاسقاً وجعلوا الفاسق الذي لا يكون كافراً منزلة بين المترلتين الايمان والكفر ، وهو عندهم يكون في النار خالداً وعند غيرهم المؤمن قد يكون فاسقاً وقد لا يكون ، وتكون عاقبة الامر على التقديررين الخلود في الجنة .

و قال (ره) في التجريد : الايمان التصديق بالقلب واللسان ولا يكفي الا دل لقوله تعالى : « واستيقنها أنفسهم »<sup>(١)</sup> و نحوه ، ولا الثاني لقوله تعالى : « قل لم تؤمنوا »<sup>(٢)</sup> و الكفر عدم الايمان إما مع الضد أو بدونه ، والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان به ، والنفاق إظهار الايمان به وإخفاء الكفر ، والفاشق مؤمن بوجود حده فيه .

وقال العلام نور الله ضريحه في الشرح : الناس في الايمان على وجوه كثيرة وليس هنا موضع ذكرها ، والذي اختاره المصنف (ره) أنه عبارة عن التصديق بالقلب واللسان معاً ولا يكفي أحدهما فيه ، أما التصديق القلبي فاته غير كاف لقوله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنها أنفسهم » و قوله تعالى : « فلما جاءتهم ما عرفوا كفروا به »<sup>(٣)</sup> فأثبتت لهم المعرفة والكفر ، أما التصديق اللساني فاته غير كاف أيضاً لقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا »<sup>(٤)</sup> الآية ، ولا شك في أن أولئك الأعراب صدقوا بالسنتمهم وقال (ره) : الكفر في اللغة هو التغطية ، وفي العرف الشرعي هو عدم الايمان أما مع الضد بأن يعتقد فساد ما هو شرط الايمان ، أو بدون الضد كالشاك الخالي من

(١) سورة النمل : ١٤ .

(٢) و (٤) سورة الحجرات : ١٤ .

(٣) سورة البقرة : ٨٩ .

\* \* \* \* \*

الاعقاد الصحيح والباطل والفسق لغة الخروج مطلقاً ، وفي الشرع عبارة عن الخروج عن طاعة الله تعالى فيما دون الكفر ، والنفاق في اللغة هو إظهار خلاف الباطن ، وفي الشرع إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، واحتلَّ الناس في الفاسق فقالت المعتزلة : أنَّ الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، وأنْبَثَوا هُمْ نَزَلَةَ بَيْنَ الْمَزَلَتَيْنِ ، وقال الحسن البصري : أَنَّهُ مُنَافِقٌ وَقَالَتِ الزِّيْدِيَّةُ : أَنَّهُ كافرٌ نَعْمَةٌ ، وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ : أَنَّهُ كافرٌ وَالْحَقُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُصْنَفُ وَهُوَ مُذَهَّبُ الْإِمَامِيَّةِ وَالْمَرْجَنَةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَجَاهَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَدَّ الْمُؤْمِنَ وَهُوَ الْمَصْدَقُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُوجَدٌ فِيهِ ، فَيُكَوِّنُ مُؤْمِنًا ، اتَّهَى .

وقال الشيخ المفید قدس سره في كتاب المسائل : إنْفَقْتَ الْإِمَامِيَّةَ عَلَى أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْأَقْرَارِ لَا يَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّهُ مُسْلِمٌ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا بِمَا مَعَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ وَالآثَامِ وَوَاقِفُهُمْ عَلَى هَذَا القولِ الْمَرْجَنَةُ كَافِيَّةٌ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَاطِبَةٌ ، وَنَفَرُ مِنَ الزِّيْدِيَّةِ ، وَأَجْمَعَتِ الْمَعْتَزَلَةُ عَلَى خَلَافِ ذَلِكَ وَزَعَمُوا أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبَائِرِ مَمْنُونٌ ذَكْرَ نَاهٍ فَاسِقٌ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ .

وقال قدس سره : إنْفَقْتَ الْإِمَامِيَّةَ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ غَيْرَ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا ، وَأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذِينَ الْمَعْنَيَيْنِ فِي الدِّينِ كَمَا كَانَ فِي الْلِّسَانِ ، وَوَاقِفُهُمْ عَلَى هَذَا القولِ الْمَرْجَنَةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، وَأَجْمَعَتِ الْمَعْتَزَلَةُ عَلَى عَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا .

وقال الشهيد الثاني قدس سره في رسالة الإيمان : أعلم أنَّ الإيمان لغة التصديق كما نص عليه أهلها ، وهو إفعال من الأم من بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها وحينئذ فكان حقيقة آمن به سكت نفسيه واطمأنت بسبب قبول قوله ، وإمتثال أمره ، ف تكون الباء للسببية ويحتمل أن يكون بمعنى أنه التكذيب والمخالفه كما ذكره بعضهم ، ف تكون الباء فيه زائدة ، والأولى كما لا يخفى

وأوفق لمعنى التصديق ، وهو يتعدى باللام كقوله تعالى : « وما أنت بمؤمن لذا »<sup>(١)</sup> « فَآمِنْ لَهُ لَوْطٌ »<sup>(٢)</sup> وبالباء كقوله تعالى : « آمَنَّا بِمَا أُنزَلْتَ »<sup>(٣)</sup> وأما التصديق فقد قيل : أنه القبول والاذعان بالقلب كما ذكره أهل الميزان ويمكن أن يقال : معناه قبول الخير أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان ، ويبدل عليه قوله تعالى : « قالت الاعراب آمَنَّا قَلْ لَمْ تَؤْمِنُوا »<sup>(٤)</sup> فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان وهم من أهل اللسان ، مع أن الواقع منهم هو الاعتراف باللسان دون الجنان لنفيه عنهم بقوله تعالى : « قَلْ لَمْ تَؤْمِنُوا » وإثبات الاعتراف بقوله تعالى : « وَلَكُنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا » الدال على كونه إقرارا بالشهادتين ، وقد سموه إيماناً بحسب عرفهم ، والذى نفاه الله عنهم إنما هو الإيمان في عرف الشرع ، وأما الإيمان الشرعي فقد اختلف في بيانحقيقة العبارات بسبب اختلاف الاعتبارات ، وبيان ذلك أن الإيمان شرعاً إنما أن يكون من أفعال القلوب فقط أو من أفعال الجوارح فقط أو منها معاً ، فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط وهو مذهب الاشاعرة وجمع من متقدمي الامامية ومتاخر لهم ومنهم المحقق الطوسي (ره) في فصله لكن اختلفوا في معنى التصديق فقال أصحابنا : هو العلم وقال الاشاعرية : هو التصديق النفسي وعنوا به أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر فهو أمر كسبى يثبت باختيار المصدق ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب كما في الضروريات وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين فقال : التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان

(١) سورة يوسف : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٦ .

(٣) سورة آل عمران : ٥٣ .

(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

معرفة وسبعين إنشاء الله تعالى قصور ذلك ، وإن كان الثاني فاماً أن يكون عبارة عن التلطف بالشهادتين فقط وهو مذهب الكرامية أو عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضأنا فلا وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والعالف والقاضي عبد الجبار أو عن جميعها من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل وهو مذهب أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم وأكثر معتزلة البصرة ، وإن كان الثالث فهو إماً أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات وهو قول المحدثين وجمع من السلف كابن مجاهد وغيره فإنهم قالوا أن "الایمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، أو يكون عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة ، ونسبة إلى طائفة منهم أبو حنيفة ، أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الاقرار باللسان وهو مذهب المحقق نصير الدين الطوسي (ره) في تجريداته ، فهذه سبعة مذاهب ، ذكرت في الشرح الجديد وغيره ، واعلم أن "مفهوم الایمان على المذهب الأول يكون تخصيصاً للمعنى اللغوي ، وأما على المذاهب الباقيه فهو منقول والتخصيص خير من النقل .

وهنا بحث وهو أن "القائلين بأن "الایمان عبارة عن فعل الطاعات كقدماء المعتزلة والعالف والخوارج لا ريب أنهم يوجبون إعتقداد مسائل الاصول وحيثنى فيما الفرق بينهم وبين القائلين بأنه عبارة عن أفعال القلوب والجوارح ؟ ويمكن الجواب بأن "إعتقداد المعارف شرط عند الأوّلين وشطر عند الآخرين .

ثم قال : إعلم أن "المحقق الطوسي قد سر " ذكر في قواعد العقائد ان "أصول الایمان عند الشيعة ثلاثة ثم ذكر ما نقلنا عنه سابقاً ثم قال : وذكر في شرح الجديد للتجريد أن "الایمان في الشرع عند الاشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجئه به ضرورة فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما عالم إجمالاً ، فهو في الشرع تصدق خاص ، انتهى .

فهؤلاء اتفقوا على أنّ حقيقة الایمان هي التصديق فقط ، وإن اختلفوا في مقدار المصدق به ، والكلام هيهنا في مقامين : الاول : في أنّ التصديق الذي هو الایمان المراد به اليقيني الجازم الثابت كما يظهر من كلام من حكينا عنه ، والثاني : في أنّ الاعمال ليست جزءاً من حقيقة الایمان الحقيقي ، بل هي جزء من الایمان الكمال ، أمّا الدليل على الأول فآيات بيسنات منها قوله تعالى : « إنّ الظنّ لا يغنى من الحق شيئاً » <sup>(١)</sup> والایمان حق بالنص والاجماع ، فلا يكفي في حصوله وتحققه الظنّ ، ومنها « إن يتبعون إلا الظنّ » <sup>(٢)</sup> « إن هم إلا يظنّون » <sup>(٣)</sup> و « إن بعض الظنّ إنّم » <sup>(٤)</sup> فهذه قد اشتهرت في التوبيخ على إتباع الظنّ ، والایمان لا يوبخ من حصل له بالاجماع فلا يكون ظنّاً ومنها قوله تعالى : « إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » <sup>(٥)</sup> فنفي عنهم الريب فيكون الثابت هو اليقين ، وفي العرف يطلق عدم الريب على اليقين .

ومن السنة المطهرة قوله عليه السلام : يا مقلب القلوب والأبرار ثبت قلبي على دينك ، والثبات هو الجزء والمطابقة ، وفيه منع لم لا يجوز أن يكون طلبه عليه السلام لأنّه الفرد الأكمل .

ومن الدلائل أيضاً الاجماع حيث ادعى بعضهم أنّه يجب معرفة الله تعالى التي لا يتحقق الایمان إلا بها بالدليل إجماعاً من العلماء كافة ، والدليل ما أفاد العلم ، والظنّ لا يفيده ، وفي صحة دعوى الاجماع بحث لوقوع الخلاف في جواز التقليد في المعارف الاصولية كما سند كره إنشاء الله تعالى .

(١) سورة النجم : ٢٧ .

(٢) سورة الانعام : ١١٦ .

(٣) سورة البقرة : ٧٨ .

(٤) سورة الحجرات : ١٢ .

(٥) سورة الحجرات : ١٥ .

واعلم أنَّ جميع ما ذكرنا من الأدلة لا يفيد شيء منه العلم بِأَنَّ الجزم والثبات  
معتبر في التصديق الذي هو الإيمان، إنَّما يُفْعَلُ الطَّنْ باعتبارهما لِأَنَّ الآيات قابلة  
للتأويل، وغيرها كذلك مع كونها من الآحاد.

نَمْ قَالَ رَفِعَ اللَّهُ دَرْجَتَهُ : إِعْلَمُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اطْبَقُوا عَلَى وَجْوبِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ بِالنَّظَرِ  
وَأَنَّهَا لَا تَحْصُلُ بِالتَّقْلِيدِ إِلَّا مِنْ شَذَّ مِنْهُمْ كَعَبِ الدَّاهِدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ وَالْحَشْوَيْهِ  
وَالْتَّعْلِيمِيَّهِ حِيثُ ذَهَبُوا إِلَى جَوازِ التَّقْلِيدِ فِي الْعَقَائِدِ الْاَصْوَلِيَّهِ كَوْجُودِ الصَّانِعِ وَمَا  
يُجْبِي لَهُ وَيُمْتَنَعُ وَالنَّبُوَّهُ وَالْعَدْلُ وَغَيْرُهَا ، بِلَذَهَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى وَجْوبِهِ ، لَكِنَّ اخْتَلَفَ  
الْفَائِلُونَ بِوَجْوبِ الْمَعْرِفَهِ أَنَّهُ عَقْلِيٌّ أَوْ سَمْعِيٌّ فَالْأَمَامَيْهُ وَالْمَعْتَزَلَهُ عَلَى الْأُولَى وَالْأَشْعَرِيَّهُ  
عَلَى الْثَّانِيِّ ، وَلَا غَرَضٌ لَنَا هُنَا بَيَانُ ذَلِكَ بِلَ يَسِانُ أَصْلَ الْوَجْوبِ الْمُتَفَقُ عَلَيْهِ .

ثم "استدل" بوجوب شكر المنعم عقلاً وشكراً على وجه يليق بكمال ذاته،  
بتوقف على معرفته، وهي لا تحصل بالظنّيات والتقليد وغيره، لاحتمال كذب الخبر  
وخطأ الامارة، فلا بدّ من النظر المفيد للعلم ثم قال : هذا الدليل وإنما يستقيم على  
قاعدة الحسن والقبح ، والاشاعرة ينكرون ذلك لكن كما يدلّ على وجوب المعرفة  
بالدليل يدلّ أيضاً على كون الوجوب عقلياً واعتراض أيضاً بأنّه مبنيّ على وجوب  
ما لا يتمّ الواجب المطلقاً إلا به ، وفيه أيضاً منوع الاشاعرة ، ومن ذلك أنّ الامة  
أجمعـت على وجوب المعرفة ، والتقليد وما في حكمـه لا يوجب العلم إذ لو أوجبه لزم  
اجتماع الصدّيقـين في مثل تقليدـ من يعتقد حدوثـ العالم ويعتقدـ قدمـه ، وقد اعترضـ  
على هذاـ بمنعـ الاجماعـ كيفـ والمخالفـ معرفـ ، بلـ عورضـ بوقوعـ الاجماعـ علىـ  
خلافـ ، وذلـكـ لتقريرـ النبي ﷺ وأصحابـ العوامـ علىـ ايمانـهمـ ، وهمـ الاكثرـونـ  
فيـ كلـ عصرـ معـ عدمـ الاستفسارـ عنـ الدلائلـ الدالةـ علىـ الصـانـعـ وصفاتهـ ، معـ أنـهمـ  
كانواـ لاـ يعلـموـنـهاـ وإنـماـ كانواـ مـقـرـ يـنـ بالـلـسـانـ وـمـقـلـديـنـ فـيـ الـطـارـفـ ، ولوـ كـانـتـ المـرـفـةـ  
واجـبةـ طـاـ جـازـ تـقـرـيرـهـ عـلـىـ ذـلـكـ ، معـ الـحـكـمـ بـاـيمـانـهـ ، وـأـجـبـ عنـ هـذـاـ بـاـنـهـ كانـواـ

يعلمون الأدلة إجمالاً كدليل الاعرابي" حيث قال : البصرة تدل على البعير ، وأنثر الأقدام على المسير ، أسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبر ، فلذا أقرّوا ولم يسألوا عن اعتقاداتهم أو أنهم كان يقبل منهم ذلك للتمرير ثم يبيّن لهم ما يجب عليهم من المعارف بعد حين .

ومن ذلك الاجماع على أنه لا يجوز تقليد غير الحق " وإنما يعلم الحق" من غيره بالنظر في أنَّ ما يقوله حقٌّ أم لا وحينئذٍ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والاستدلال ، وإذا صار مستدلاً امتنع كونه مقلداً فامتنع التقليد في المعارف الالهية ونقض ذلك بلزوم مثله في الشرعيات فاته لا يجوز تقليد المفتي إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعيٍّ ، فإن اكتفى في الاطلاع على ذلك بالظن" وإن كان مخططاً في نفس الأمر لحط ذلك عنه فليجر مثله في مسائل الاصول .

وأجيب بالفرق بأنَّ الخطأ في مسائل الاصول يقتضي الكفر ، بخلافه في الفروع فساغ في الثانية ما لم يسع في الاولى .

احتاج من أوجب التقليد في مسائل الاصول بأنَّ العلم بالله تعالى غير ممكن لأنَّ المكلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله وإلا لزم تكليف ما لا يطاق وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الحاصل ؟ والجواب عن ذلك على قواعد الامامية والمعزلة ظاهر ، فإنَّ وجوب النظر والمعرفة عندهم عقليٌّ لا سمعيٌّ ، نعم يلزم ذلك على قواعد الاشاعرة إذ الوجوب عندهم سمعيٌّ .

أقول : ويجب أيضاً معارضة بأنَّ هذا الدليل كما يدلُّ على امتناع العلم بالمعارف الأصولية يدلُّ على امتناع التقليد فيها أيضاً فينسد باب المعرفة بالله تعالى وكلَّ من يرجع إليه في التقليد لا بدَّ وأن يكون عالماً بالمسائل الاصولية ليصح تقليده ، ثم يجري الدليل فيه فيقال : علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن لأنَّه

حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استعمالاً أن يكون عالماً بأمره بالمقدّمات ، وكلما أجابوا به فهو جوابنا ، ولا مخلص لهم إلا أن يعترفوا بأنّ وجوب المعرفة عقليّ فيبطل ما ادعوه من أنّ العلم بالله تعالى غير ممكّن ، أو سمعيّ فكذلك .

فإن قيل : ربّما يحصل العلم لبعض الناس بتصفيّة النفس أو إلهامه إلى غير ذلك فيقلّده الباقيون ؟ قلنا : هذا أيضاً يبطل قولكم أنّ العلم بالله تعالى غير ممكّن ، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلاً على امتناع المعرفة بالسمع فيكون حجّة على الاشاعرة لا دليلاً على وجوب التقليد .

واحتاجوا أيضاً بأنّ النهي عن النظر قد ورد في قوله تعالى : « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » <sup>(١)</sup> والناظر يفتح باب الجدال فيحرم ، ولا نهى <sup>عن</sup> رأي الصحابة يتكلّمون في مسألة القدر فهم عن الكلام فيها ، وقال : إنّما هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا ، ولقوله <sup>عليه السلام</sup> : عليكم بدين العجائز ، وامراد ترك النظر ، فلو كان واجباً لم يكن منهياً عنه .

وأجيب عن الأوّل بأنّ المراد الجدال بالباطل كما في قوله تعالى : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » <sup>(٢)</sup> لا الجدال بالحق لقوله تعالى : « وجادلهم بما تي هي أحسن » <sup>(٣)</sup> والامر بذلك يدلّ على أنّ الجدال مطلقاً ليس منهياً عنه ، وعن الثاني بأنّ نهיהם عن الكلام في مسألة القدر على تقدير تسلیمه لا يدلّ على النهي عن مطلق النظر ، بل عنده في مسألة القدر ، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر في قوله تعالى : « أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خلَقَ اللَّهُ » <sup>(٤)</sup> وقد أثني على فاعله في قوله :

(١) و (٢) سورة غافر : ٤ - ٥ .

(٣) سورة التحـلـ : ١٢٥ .

(٤) سورة الروم : ٨ .

« ويتذكرون في خلق السماوات والأرض » <sup>(١)</sup> على أنّ نهיהם عن الخوض في القدر لعله لكونه أمراً غبياً وبحرأ عميقاً كما أشار إليه على <sup>تبارك</sup> بقوله : بحر عميق فلا تتجه ، بل كان مراد النبي <sup>صلوات الله عليه</sup> التفويف في مثل ذلك إلى الله تعالى ، لأنّ ذلك ليس من الأصول التي يجب اعتقادها ، والبحث عنها مفصلة .

وهيئنا جواب آخر عنهم معاً ، وهو أنّ النهي في الآية والحديث معقطع النظر عمّا ذكرناه إنّما يدلّ على النهي عن الجدال الذي لا يكون إلاّ من متعدد بخلاف النظر فإنه يكون من واحد ، فهو نصب الدليل على غير المدعى .

ومن الثالث بالمنع من صحة نسبة إلى النبي <sup>صلوات الله عليه</sup> فإنّ بعضهم ذكر أنه من مصنوعات سفيان الثوري فإنه روى أنّ عمر بن عبد الله المعتزلي قال : إنّ بين الكفر والإيمان منزلة بين المترتبين فقالت عجوز : قال الله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » <sup>(٢)</sup> فلم يجعل من عباده إلا الكافر والمؤمن ، فسمع سفيان كلامها فقال : عليكم بدين العجائز .

على أنه لو سلم فامراد به التفويف إلى الله تعالى في قضائه وحكمه ، والانقياد له في أمره ونهيه .

واحتاج من جوز التقليد بأنّه لو وجب النظر في المعارف الالهية لوجد من الصحابة ، إذهم أولى به من غيرهم لكنّه لم يوجد وإلاّ لنقل عنهم كما نقل عنهم النظر والمناظرة في المسائل الفقهية فحيث لم ينقل لم يقع فلم يجب .

وأجيب بالتزام كونهم أولى به لكنّهم نظروا وإلاّ لزم نسبةهم إلى الجهل بمعرفة الله تعالى وكون الواحد منا أفضل منهم وهو باطل اجماعاً إذ كانوا عالمين

(١) سورة آل عمران : ١٩١ .

(٢) سورة التغابن : ٢ .

\* \* \* \* \*

و ليس بالضرورة فهو بالنظر والاستدلال ، و أمّا إنّه لم ينقل النظر والمناظرة فلاتفاقهم على العقائد الحقة لوضوح الأمر عندهم حيث كانوا ينقولون عقайдهم عمّن لا ينطق عن الهوى ، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث والنظر بخلاف الأُخْلَافِ بعدم فاِنْتِهِمْ لِمَا كثُرَتْ شَبَهُ الصَّالِحِينَ واختلف أنظار طالبي اليقين لتفاوت أذهانهم في إصابة الحقِّ احتاجوا إلى النظر والمناظرة ليدفعوا بذلك شبه المصلحين ، ويقفوا على اليقين أمّا مسائل الفروع لِمَا كَانَتْ أَمْوَالًا ظَنِيَّةً إِجْتِهادِيَّةً خَفِيَّةً لِكَثْرَةِ تَعَارُضِ الْأَمَارَاتِ فيها وقع بينهم الخلاف فيها والمناظرة والتخطئة لبعضهم من بعض فلذا نقل .

و احتججوا أيضًا بـأنَّ النَّظَرَ مُظَنَّةُ الْوَقْعِ فِي الشَّهَادَاتِ وَالتَّورُّطُ فِي الْأَسْلَالَاتِ بخلاف التقليد فإِنَّهُ أبعد عن ذلك وأقرب إلى السَّلَامَةِ فَيَكُونُ أَوَّلِي وَلَاَنَّ الْأَصْوَلَ أَنْمَضَ أَدْلَلَةً مِنَ الْفَرَوْعَ وَأَخْفَى ، فَإِذَا جَازَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَسْهَلِ جَازَ فِي الْأَصْعَبِ بِطَرِيقِ أَوَّلِي ، وَلَاَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي التَّكْلِيفِ بِهِمَا فَإِذَا جَازَ فِي الْفَرَوْعَ فَلَيَجِزُ فِي الْأَصْوَلِ .

و اجتب عن الْأَوَّلِ بـأنَّ اعْتِقَادَ الْمُعْتَدِدِ إِنْ كَانَ عَنْ تَقْلِيدٍ لَزِمٌ إِمَّا التَّسْلِيلُ أَوِ الانتهاءُ إِلَى مَنْ يَعْتَقِدُ عَنْ نَظَرٍ لِاتِّفَاعِ الضَّرُورَةِ ، فَيُلَزِّمُ مَا ذَرْتُمْ مِنَ الْمَحْذُورِ مَعَ زِيادةِ وَهِيَ إِحْتمَالُ كَذَبِ الْمُخْبَرِ بِخَلَافِ النَّاظِرِ مَعَ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَكَبِّرُ نَفْسَهُ فِيمَا أَدْتَ إِلَيْهِ نَظَرَهُ .

على إنّه لو اتفق الانتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم أو بالالهام أو بخلق العلم فيه ضرورة فهو إنّما يكون لأفراد فرادارة لأنَّه على خلاف العادة فلا يتيسر لـكُلِّ أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائل فـيكثر إِحْتمَالُ الكَذَبِ بِخَلَافِ النَّاظِرِ فَإِنَّهُ لَا يَكَبِّرُ نَفْسَهُ ، وَلَاَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْوَقْفِ عَلَى الصواب .

و أمّا الجواب عن العلاوة فلاَّهُ لِمَا كَانَ الطَّرِيقُ إِلَى الْعَمَلِ بِالْفَرَوْعِ إِنَّمَا هو النقل ساغ لنا التقليد فيها ولم يقدح إِحْتمَالُ كَذَبِ الْمُخْبَرِ وَإِلَّا نَسْدٌ باب العمل

بها ، بخلاف الاعتقاديات فإن "الطريق إليها بالنظر ميسّر".  
 ثم قال رحمة الله بعد إطالة الكلام في الجواب عن حجّة الخصم : وأما المقام الثاني وهو أن "الأعمال ليست جزءاً من الإيمان ولا نفسه ، فالدليل عليه من الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة والاجماع ، أمّا الكتاب ف منه قوله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فـإن "العطف يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه ، فلو كان عمل الصالحات جزءاً من الإيمان أو نفسه لزم خلو "العطف عن الفائدة لكونه تكراراً ، ورد "بأن" الصالحات جمع معرف يشمل الفرض والنفل ، والسائلين بكون الطاعات جزءاً من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحظيات و حينئذ فيصح "العطف لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف ، فلم يدخل كله في المعطوف عليه ، نعم يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً في حقيقة الإيمان كالغواص .

ومنه قوله تعالى : «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» <sup>(١)</sup> اى حالة إيمانه وهذا يقتضي المغايرة .

ومنه قوله تعالى : «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُفْتَلُوا» <sup>(٢)</sup> فـإنه أثبت الإيمان من ارتكب بعض المعاصي فلا يكون ترك المنهيّات جزءاً من الإيمان .  
 و منه قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» <sup>(٣)</sup> فـإن "أمرهم بالقوى التي لا تحصل إلا بفعل الطاعات والانزجار عن المنهيّات مع وصفهم بالإيمان يدل على عدم حصول القوى لهم ، وإلا" لكان أمراً بتحصيل الحاصل .  
 و منه الآيات الدالة على كون القلب محلّاً للإيمان من دون ضميمة شيء .

(١) سورة طه : ١١٢ .

(٢) سورة الحجرات : ٩ .

(٣) سورة التوبه : ١١٩ .

آخر كقوله تعالى : « اولئك كتب في قلوبهم الإيمان »<sup>(١)</sup> ولو كان الأقراد أو غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه ما كان القلب محل جميعه ، وقوله تعالى : « ولما يدخل الإيمان في قلوبكم »<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : « وقلبه مطمئن بالإيمان »<sup>(٣)</sup> وكذا آيات الطبع والختم تشعر بأن محل الإيمان القلب كقوله تعالى : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون »<sup>(٤)</sup> و « ختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله »<sup>(٥)</sup> .

وأما السنة فكقوله ﷺ يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك وروى أن النبي ﷺ سأله جبريل عن الإيمان ؟ فقال : أن تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر .

وأما الأجماع فهو أن الامة أجمعـت على أن الإيمان شـرط لـسائر العـبـادات والشيء لا يكون شـرطـاً لنفسـه فـلا يـكون الإيمـان هو العـبـادات .

واماً أهل الثاني وهم الكرامـية فقد استـدلـوا على مذهبـهم بأن النبي ﷺ والصحابـة كانوا يكتـفـون في الخـروج عن الكـفر بـكلـمـتي الشـهـادـتين فـتـكـونـهـي الإيمـان إـذ لا واسـطةـ بينـ الكـفرـ وـالـإـيمـانـ ، لأنـ الكـفرـ عـدـمـ الإـيمـانـ ، ولـقولـهـ تعالىـ : « فـمـنـكـمـ كـافـرـ وـمـنـكـمـ مـؤـمـنـ »<sup>(٦)</sup> وبـقولـهـ ﷺ أـمـرـتـ أـقـاتـلـ النـاسـ حـتـىـ يـقـولـواـ لـإـلـهـ إـلـهـ إـلـهـ ، وـبـقولـهـ ﷺ لـاسـمـةـ حينـ قـتـلـ مـنـ تـكـلـمـ بـالـشـهـادـتـينـ : هـلـآ شـقـقـتـ قـلـبـهـ ، أوـ هـلـ

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات : ١٤ .

(٣) و (٤) سورة النحل : ١٠٨ - ١٠٩ .

(٥) سورة الجاثية : ٢٣ .

(٦) سورة التغابن : ٢ .

شققت قلبه ؟ على بعض النسخ ، يزيد بذلك الانكار عليه ، حيث لم يكتفى بالشهادتين هذه .

و الجواب عن الاُولِيَّ أنَّ الخروج عن الكفر بكلمة الشهادة إن أرادوا به الخروج في نفس الامر بحيث يصير مؤمناً عند الله سبحانه بمجرد ذلك من دون تصديق فهو منوع ، لم لا يجوز أن يكون إكتفاءهم بذلك للترغيب في الاسلام ، لا الحكم بالایمان وإن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر فهو مسلم لكن لا ينفعهم إذ الكلام فيما يتحقق به الایمان عند الله تعالى ، بحيث يصير المتصف به مؤمناً في نفس الامر لا فيما يتحقق بها الاسلام في ظاهر الشرع حيث لا يمكن الاطلاع على الباطن ، لأنّى لهم كانوا يحكمون بکفر من ظهر منه النفاق بعد الحكم بسلامه ، ولو كان مؤمناً في نفس الامر لما جاز ذلك ، وأمّا نفي الواسطة فهو مستقيم على أخذ الحكم في نفس الامر ، فانَّ حال المكْلَف في نفس الامر لا يخلو عن أحدهما ، وأمّا جعل لا إله إلا الله غاية للقتال ، فلا يدلُّ على أكثر من كونه للترغيب في الاسلام أيضاً بسبب حزن الدّماء ، على أنَّ النبي ﷺ ربما لا يطلع على بوطن الناس ، فكيف يؤمر بالقتال على ما لا يطلع عليه .

و أمّا أهل الثالث وهم قدماء المعتزلة الفائلون بأئمّة جميع الطاعات فرضاً و نفلاً ، فمن أمن دلائلهم على ذلك قوله تعالى : « وما أُمِرْتُ إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهُ مُخْلَصِينَ لِهِ الدِّينَ حَنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَؤْتُوا الزَّكُوْةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ »<sup>(١)</sup> و المشار إليه بذلك هو جميع ماحصر بـ«إلا» وما عطف عليه ، والدّين هو الاسلام لقوله تعالى : « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ »<sup>(٢)</sup> و الاسلام هو الایمان لقوله تعالى : « وَمَنْ يَسْتَعْنُ بِإِلَهٍ بَعْدَ إِلَهِ الْإِسْلَامِ »<sup>(٣)</sup> ولا ريب أنَّ الایمان مقبول من مبتغيه للنصر .

(١) سورة البينة : ٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

والاجماع، فيكون إسلاماً، فيكون ديناً فيعتبر فيه الطّاعات كما دلت عليه الآيات. والجواب المقنع من اتحاد الدينين في الآيتين فلا يذكر الوسط، ولو سلم اتحادهما فلا سلم أنَّ الایمان هو الاسلام ليكون هو الدِّين، فتعتبر فيه الطّاعات لم لا يجوز أن يكون الایمان شرطاً للإسلام أو جزءاً منه أو بالعكس ، وشرط الشيء وجزءٌ يقبل مع كونه غيره ، ولا يلزم من ذلك أن يكون الایمان هو الدِّين بل شرطه أو جزئه .

على أئمَّا لو قطعنا النظر عن جمسم ذلك فالآية الكريمة إنما تدلُّ على من أبى و طلب غير دين الاسلام ديناً له فلن يقبل منه ذلك المطلوب ، ولم تدل على أنَّ من صدَّق بما أوجبه الشارع عليه لكنه ترك فعل بعض الطّاعات غير مستحلاً أنَّه طالب لغير دين الاسلام ، إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه لعدم المنافاة بينهما ، فإنَّ الشخص قد يكون طالباً للطّاعة مریداً لها لكنه تركها إهمالاً و تقصيرأ ، ولا يخرج بذلك عن ابتلاءها .

و استدلوا أيضاً بقوله تعالى : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيضيِّعَ إيمانكُمْ »<sup>(١)</sup> أى صلاتكم إلى بيت المقدس ، واعتراض عليه بأنه لم لا يجوز أن يكون المراد به تصديقكم بتلك الصلاة . سلمنا ذلك لكن لا دالة لهم في الآية وذلك لأنَّهم زعموا أنَّ الایمان جميع الطّاعات ، و الصلاة إنما هي جزء من الطّاعات وجزء الشيء لا يكون ذلك الشيء . دأماً أهل الرابع وهم الفائلون بكونه عبارة عن جميع الواجبات وترك المحظورات ودون النوافل فقد يستدلُّ لهم بقوله تعالى : « إِنَّمَا يَتَقبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »<sup>(٢)</sup> والتقوى لا يتحقق إلا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه ، فلا يكون التصديق مقبولاً ما لم يحصل القوى ، وبما روى أنَّ الزاني لا يزني وهو مؤمن ، وبقوله عليه السلام : لا ايمان

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٢٧ .

لمن لا امانة له ، وبقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الكافرون »<sup>(١)</sup> وقد لا يحكم بما أنزل الله أو يحكم بماله ينزل الله مصدقاً فما تحقق اليمان بالتصديق لزم اجتماع الكفر واليeman في محل واحد وهو محال لتقابلهما بالعدم والملكة . والجواب عن الأول أنّه يجوز أن يكون المراد والله أعلم الأعمال الندية ، على أنا نقول أنّ ظاهر الآية الكريمة متروك فانها تدلّ ظاهراً على أنّ من أخلص في جميع أفعاله وكان قد سبق منه معصية واحدة لم يثبت عليها ويكون جميع الاعمال اللاحقة غير مقبولة ، والقول بذلك مع بعده عن حكمة الله تعالى من أفظع الفطایع فلا يكون مراداً ، بل المراد والله أعلم انّ من عمل عملاً إنما يكون مقبولاً إذا كان متحققاً فيه بأن يكون مخلصاً فيه لله تعالى وحينئذ فلا دلالة لهم في الآية الكريمة . مع أنا لو تنزلنا عن ذلك وقلنا بدلاتها على عدم قبول التصديق من دون التقوى فلا يحصل بذلك مدعاهم الذي هو كون اليeman عبارة عن جميع الواجبات « الخ » وللائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون اليeman عبارة عمّا ذكرتم مع التصديق بالمعارف الاصولية و عدم قبول الجزء إنما هو لعدم قبول الكلّ ، وأماماً الحديث الأول على تقديم تسلیمه فيما يحمله على المبالغة في الوجر أو تخصيصه بمن استعمله دليلاً للتخصيص في أحاديث اخر ، أو على نفي الكمال في اليeman ، وكذا الحديث الثاني . وأماماً الاستدلال بالآية فقد تعارض بقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الفاسقون »<sup>(٢)</sup> والفاشق مؤمن على المذهب الحق أو بين المترددين على غيره ويمكن أن يقال : الفسق لا ينافي الكفر إذ الكافر فاسق لغة وإن كان في العرف يبانيه لكنه لم يتحقق كونه عرف الشارع ، بل المعلوم كونه لا هل الشرع والأصول فلا تعارض حينئذ .

(١) سورة المائدة : ٤٤ .

(٢) سورة المائدة : ٤٧ .

أقول : والحق في الجواب أنَّ المراد والله أعلم : ومن لم يحكم بما أنزل الله، أى بما علم قطعاً أنَّ الله سبحانه وأنزله فانَّ العدول عنه إلى غيره مستحلاً أو الوقف عنه كذلك لاريب في كونه كفراً لأنَّه إنكار لما علم ثبوته ضرورة فلا يكون التصديق حاصلاً وحينئذ فالدلالة فيها على أنَّ من ارتكب معصية غير مستحلٍ أو مستحلاً مع كون تحريرها لم يعلم من الدين ضرورة يكون كفراً ، وإنما ارتكبنا هذا الأضمار في الآية ما دلُّ عليه النصُّ والاجماع من أنَّ الحكم لو أخطأ في حكمه لم يكن معه كفراً مع أنه يصدق عليه أنه لم يحكم بما أنزل الله .

واعلم أنَّه قد ظهر من هذا الجواب وجهاً آخر للجمع بين الآيتين ووقع التعارض بين ظاهرهما بأنَّ يراد من إحديهم ما ذكرناه في الجواب ومن الأخرى ومن لم يحكم غير مستحلٍ مع علمه بالتحرر فهو فاسق ، والحاصل أنَّه يقال لهم : إنْ أردتم بالطاعات والتبروك ما علم ثبوته من الدين ضرورة فتحن نقول بموجب ذلك ، لكن لا يلزم منه مدعَاكم ليجواز كون الحكم بکفره إنما ليجده ما علم من الدين ضرورة فيكون قد أدخل بما هو شرط الإيمان وهو عدم الجهد على ما قدّمناه ، أو تكون المذكورات جزءاً للإيمان على ما ذهب إليه بعضهم ، وإنْ أردتم الأعمَّ فلا دلالة لكم فيها أيضاً وهو ظاهر .

واماً أهل الخامس القائلون بأنَّه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان فيستدلُّ لهم بما استدلُّ به أهل التصديق مع ما استدلُّ به أهل الاعمال ومن أضاف الأقرار باللسان إلى الجنان ، وقد علمت تزييف ما سوى الأول وسيجيء إنشاء الله تعالى تزييف أدلة من أضاف الأقرار فلم يبق لذهبهم قرار .

نعم في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يشهد لهم وقد ذكر في الكافي وغيره منها جملة فمنها ما رواه علي بن ابراهيم عن العباس بن معرف عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبدالرحيم الصمير قال : كتبت مع عبد الملك بن أعين

إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ إِلَيْهِ أَخْرَى الْخَبْرُ ، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَلَى بْنِ ابْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ يُونُسِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَجْلَانَ أَبِي صَالِحٍ قَالَ : فَلَمْ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوْ قُنِيَ عَلَى حَدُودِ الْإِيمَانِ ، الْخَبْرُ . وَمِنْهَا : أَبُو عَلِيِّ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَارِ عَنْ صَفْوَانَ أَوْغَيْرِهِ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِيمَانِ ، الْخَبْرُ .

ثُمَّ قَالَ قَدْسُ سُرُّهُ : وَاعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْهَا مَا سَنَدَهُ غَيْرُ نَفْقِيٍّ كَلَّا وَلَّا ، فَإِنْ فِي سَنَدِهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَيْمٌ وَهُوَ مَجْهُولٌ مَعَ كُونِهِ مَكَاتِبَةً ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنْ سَنَدَهُ وَإِنْ كَانَ جَيِّدًا إِلَّا أَنَّ دَلَالَتَهُ غَيْرُ صَرِيحَةٍ فَإِنْ كَوْنُ الْمَذَكُورَاتِ حَدُودُ الْإِيمَانِ لَا يَقْضِي كُوْنُهَا نَفْسَ حَقِيقَتِهِ إِذْ حَدَّ الشَّيْءَ نَهَايَتِهِ وَمَا لَا يَجُوزُ تَجاوزَهُ ، فَإِنْ تَجاوزَهُ خَرَجَ عَنْهُ ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِمَوْجَبِ ذَلِكَ فَإِنْ مَنْ تَجاوزَ هَذِهِ الْمَذَكُورَاتِ بِأَنْ تَرَكَهَا جَاحِدًا لِرَبِّهِ فِي خَرْوَجِهِ عَنِ الْإِيمَانِ ، لَكِنْ لَعْلَّ ذَلِكَ لَكُونُهَا شَرْوَطًا لِلْإِيمَانِ ، لَا لَكُونُهَا نَفْسَهُ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَإِنْ دَلَالَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ جَيِّدَةً إِلَّا أَنَّ فِي سَنَدِهِ إِرْسَالًا مَعَ كُونِ الْعَلَاءِ مُشَتَّرًا بَيْنِ الْمُقْبُولِ وَالْمَجْهُولِ ، وَبِالْجَمْلَةِ فَهَذِهِ الرَّوْايةُ مُعَارِضَةٌ بِمَا هُوَ أَمْتَنُ مِنْهَا دَلَالَةً ، وَقَدْ تَقْدَمَ ذَلِكَ فَلَيْرَاجِعُ ، نَعَمْ لَأَرِيبُ فِي كُوْنُهَا مَؤِيَّدَةً مَا قَالُوهُ .

وَأَمَّا أَهْلُ السَّادِسِ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ التَّصْدِيقُ مَعَ كَلْمَتِي الشَّهَادَةِ فَفِيمَا مِنْ الْأَحَادِيثِ مَا يَصْلُحُ شَاهِدًا لَهُمْ ، وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ الْكَرَامِيَّةُ مَعَ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ التَّصْدِيقِ بِصَلْحٍ شَاهِدًا لَهُمْ ، وَقَدْ عَرَفْتُ مَا فِي الْأُولَيْنِ فَلَا نَعِيْدُهُ ، وَأَمَّا السَّابِعُ فَإِنَّهُ مَذَهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَّأَخَرِينَ مِنْهُمُ الْمُحْقِقُ الطَّوْسِيُّ (رَه) فِي تَجْرِيْدِهِ فَإِنَّهُ اعْتَبَرَ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مَعَ التَّصْدِيقِ الْأَقْرَارِ بِالْلِسَانِ ، قَالَ : وَلَا يَكُفِيُ الْأَوَّلُ اقْتُولُهُ تَعَالَى : « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ » <sup>(١)</sup> ابْتَلَتْ لِلْكُفَّارِ الْأَسْتِيقَانَ النُّفْسِيَّ وَهُوَ التَّصْدِيقُ الْقَلْبِيُّ ، فَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ الْقَلْبِيُّ فَقُطُّ لَزِمًا جَمْعَ الْكُفَّرِ وَالْإِيمَانِ وَهُوَ بَاطِلٌ لِتَقْابِلِهِمَا

(١) سورة النمل : ١٤ .

تقابل العدم وأملاكه ، ولا الثاني يعني الأفراد باللسان لقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا » <sup>(١)</sup> الآية ولقوله تعالى : « ومن الناس عن يقول آمنا بالله وبال يوم الآخر وماهم بمؤمنين » <sup>(٢)</sup> فأثبتت لهم تعالى في الآيتين التصديق باللسان ، ونفي عنهم الإيمان . أقول : الاستدلال على عدم الامتناع بالثاني مسلم موجه و كذلك عدم الامتناع بالأول ، أمّا على اعتبار الأفراد فيه بحث فأن الدليل أخص من المدعى ، إذالمدعى أن الإيمان لا يتحقق إلا بالتصديق مع الأفراد ، وب بدون ذلك يتم تحقق الكفر ، والآية الكريمة إنما دلت على ثبوت الكفر لمن جيداً أنكر الآيات مع علمه بحقيقةها وبينهما واسطة ، فإن من حصل له التصديق اليقيني في أول الأمر ، ولم يكن تلفظ بكلمات الإيمان لا يقال أنه منكر ولا جاحد ، وحيثئذ فلا يلزم إجتماع الكفر والإيمان في مثل هذه الصورة مع أنه غير مقر ولا تارك للأفراد جيداً كما هو المفروض ، هذا إن قصد بالآية الدلالة على اعتبار الأفراد أيضاً ، وإنما كان اعتبار الأفراد دعوى مجردة ، وقد عدلت ماعليه ، وأمّا دلالة الآية الكريمة على كفره في صورة جحده واستيقائه فنقول بموجبه لكن ليس لعدم إقراره فقط بل لأنّه خم إنكاراً إلى استيقان .

وبالجملة فهو من جملة العلامات على الحكم بالكفر كما جعل الاستخفاف بالشّارع أو الشرع ، ووطى المصحف علامه على الحكم بالكفر ، مع أنه قد يكون مصدقاً كما سبقت الاشارة إليه ، فنعم غاية ما يلزم أن يكون إقرار المصدق شرط الحكمنا بما نراه ظاهراً ، وأمّا قبل ذلك وبعد التصديق فهو مؤمن عند الله تعالى إذالم يكن تر كه للأفراد عن جهد .

على أنه يلزمه قدس سرّه أنّ من حصل له التصديق بالافتراض الأهمية ثم عرض له الموت فجاءه قبل الأفراد يموت كافراً ويتحقق العذاب الدائم مع إعتقاده

(١) سورة الحجرات : ١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨ .

وحدة الصانع وحقيقة ماجاء به النبي ﷺ، ولا أعلم أنّ مثل هذا المحقق يلتزم بذلك، والحاصل أنّه إن أراد رحمة الله أن كون الإنسان مؤمناً عند الله سبحانه ك بما هو ظاهر كلامه لا يتحقق إلا بمجموع الأمرين فالواسطة والالتزام لازمان عليه، وإن أراد أن كونه مؤمناً في ظاهر الشرع لا يتحقق إلا بالامرین معماً فالنرازع لخطى فان من اكتفى فيه بالتصديق يريد به كونه مؤمناً عند الله تعالى فقط، وأما عند الناس فلابد في العلم بذلك من الأقرار ونحوه.

واعلم أنّه يستدل بعضهم على هذا المذهب أيضاً بأنّا نعلم بالضرورة أن الإيمان في اللغة هو التصديق، والدلائل عليه كثيرة، فاما أن يكون في الشرع كذلك أو يكون منقولاً عن معناه في اللغة، والثاني باطل لأن أكثر الألفاظ تكرار في القرآن وكلام الرسول ﷺ لفظ الإيمان، فلو كان منقولاً عن معناه اللغوي لوجب أن يكون حاله كحال سائر العبادات الظاهرة في وجوب العلم به فلما لم يكن كذلك علمنا أنه باق على وضع اللغة.

إذأبنت هذه فنقول : ذلك التصديق إما أن يكون هو التصديق القلبي أو اللسانى أو مجموعهما ، والأول باطل لقوله تعالى : « فلما جاءهم ماعرفا كفروا به »<sup>(١)</sup> فأبنت لهم المعرفة مع أنّه حكم بکفرهم ولو كان مجرد المعرفة إيماناً لما صح ذلك وايضاً قوله تعالى : « فلما جاءتهم آياتنا بصرة قالوا هذاسحر مبين وجدوا بها واستيقنوا أنفسهم ظلماً وعلوا »<sup>(٢)</sup> ولا يصح أن يكون جدهم لها بقلوبهم حيث أثبت لهم الاستيقان بها ، فلابد أن يكون بألسنتهم حيث لم يقرّا بها وإذا كان الجهد باللسان موجباً للکفر كان الأقرار به مع التصديق القلبي موجباً للإيمان فيكون الأقرار من محققات الإيمان ، وأيضاً قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام إذ يقول لفرعون : « لقد علمت

(١) سورة البقرة : ٨٩ .

(٢) سورة النمل : ١٤ .

ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والارض»<sup>(١)</sup> فأثبتت كونه عالماً بـأن الله تعالى هو الذي أنزل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، فلو كان مجرد العلم هو الایمان لكان فرعون مؤمناً وهو باطل بنص القرآن العزيز وإجماع الانبياء عليه السلام من لدن موسى إلى محمد عليهما السلام، وأيضاً قوله تعالى : «فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكُمْ وَلَكُمْ الظالِمُونَ»<sup>(٢)</sup> من آيات الله يبححدون<sup>(٣)</sup> ومعنى ذلك والله أعلم : أنهم يبححدون ذلك بالسنن لهم ولا يكذبونك بقلوبهم أى يعلمون نبوتك ، ولا يستقيم أن يكون المعنى لا يكذبونك بالسنن لهم طنافاة يبححدون بالسنن لهم ، فيلزم أن يكونوا كذبوا بالسنن لهم ولم يكذبوا بها وبطلانه ظاهر فيجب تنزيه القرآن العزيز عنه .

ولك أن تقول : ثم لا يجوز أن يكون المعنى لا يكذبونك بالسنن لهم ولكن يبححدون نبوتك بقلوبهم كما أخبر الله تعالى عن المنافقين في سورتهم حيث قال وانشهد انك لرسول الله ، وكذا بهم الله تعالى حيث شهد سبحانه وتعالى بكذبهم فقال : «وَاللهُ يَشَهِدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» والمراد في شهادتهم اي فيما تضمنته من أنها عن صميم القلب وخلوص الاعتقاد كما ذكره جماعة من المفسرين حيث لم توافق عقيدتهم فقد علم من ذلك أنهم لم يكذبوا بالسنن لهم بل شهدوا بهما ، ولكنهم جحدوا ذلك بقلوبهم حيث كذا بهم الله تعالى في شهادتهم .

والجواب التكذيب لهم ورد على نفس شهادتهم التي هي باللسان لاعلى نفس عقيدتهم ، وبالجملة فهذا اصلاح نظيرأ لما نحن فيه ، على أن معنى الجحود كما قرر و هو الانكار باللسان مع تصديق القلب ، وما ذكر من الاحتمال عكس هذا المعنى .

ثم قال : والثاني باطل أمّا أو لاً فبالاتفاق من الامامية ، وأمّا ثالثاً فلقوله تعالى : «قَاتَ الْأَعْرَابَ أَمْنًا قَلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا»<sup>(٤)</sup> ولا شك أنهم كانوا

(١) سورة الاسراء : ١٠٢ .

(٢) سورة الانعام : ٣٣ .

(٣) سورة الحجرات : ١٤ .

صدقوا بالسننهم وحيث لم يكن كافيًّا نفي الله تعالى عنهم الإيمان مع تحققه ، وقوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وبال يوم الآخر وما هم بهؤلئين »<sup>(١)</sup> فأثبت لهم الأقرار والتصديق باللسان ، ونفي إيمانهم فثبت بذلك أنَّ الإيمان هو التصديق مع الأقرار .

تم قال : لا يقال : لو كان الأقرار باللسان جزءاً للإيمان للزم كفر الساكت ؟ لأنَّ نقول : لو كان الإيمان هو العلم أى التصديق لكان النائم غير مؤمن لكن لما كان النوم لا يخرجه عن كونه مؤمناً بالاجماع مع كونه أولى بأن يخرج النائم عن الإيمان لأنَّه لا يبقى معه معنى من الإيمان بخلاف الساكت ، فإنه قد يبقى معه معنى منه وهو العلم لم يكن السُّكوت مخرجاً بطريق أولى ، نعم لو كان الخروج عن التصديق والأقرار أو عن أحد هما على جهة الانكار والتجدد لخروج بذلك عن الإيمان ولذلك قلنا أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب والأقرار باللسان أو ما في حكمهما ، انتهي محصلة ما ذكره .

اقول : قوله : إنَّ النائم ينتفي عنه العلم أى التصديق غير مسلم ، وإنَّما المتنفي شعوره بذلك العلم وهو غير العلم ، فالتصديق حينئذ باق لكونه من الكيفيات النفسية ، فلا يزيله النوم وحينئذ فلا يلزم من عدم الحكم بانتفاء الإيمان عن النائم عدم الحكم باتفاقه عن الساكت بطريق أولى ، نعم الحكم بعدم اتفاقه عن الساكت على مذهب من جعل الأقرار جزءاً إما للزوم البحرج العظيم بدوران الأقرار في كلِّ وقت أو أن يكون المراد من كون الأقرار جزءاً للإيمان الأقرار في الجملة أى في وقت ما مع البقاء عليه ، فلا ينافي السُّكوت المجرد ، وإنَّما ينافي مع الجهد لعدم بقاء الأقرار حينئذ .

وأقول : الذى ذكره من الدليل على عدم النقل لا يدلُّ وحده على كون الأقرار جزءاً وهو ظاهر ، بل قصد به الدلالة على بطلان ماعتوى مذهب أهل التصديق ،

نم استدل على بطلان مذهب التصديق بما ذكره من الآيات الدالة على اعتبار الأقرار في الإيمان الشرعي تخصيصاً للغوى كما هو عند أهل التصديق وهذا جيد، لكن دلالة الآيات على اعتبار الأقرار ممنوعة، وقد ديننا ذلك سابقاً أن تكفيرونهم إنما كان لجحدهم الأقرار وهو أخص من عدم الأقرار فتكفيرونهم بالجحود لا يستلزم تكفيرونهم بمطلق عدم الأقرار ليكون الأقرار معتبراً.

نعم اللازم من الآيات إعتبار عدم الجحود مع التصديق وهو أعم من الأقرار وإعتبار الأعم لا يستلزم اعتبار الأخص وهو ظاهر.

وهذا جواب عن استدلاله بجميع الآيات، ويزيد في الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى ، في الحكاية عن موسى عليه وعلى نبينا الصّلواه والسلام : « لقد علمت ما أنزلت هؤلاء » <sup>(١)</sup> الآية أنه يجوز أن يكون نسب إلى فرعون العلم على طريق الملاطفة والملائمة حيث كان مأموراً بذلك بقوله : « فقولا له قولاً ليتنا ، لعله يتذكرة أو يخشى » <sup>(٢)</sup> وهذا شائع في الاستعمال كما يقال في المحاورات كثيراً، وأنت خير بأنه كذا وكذا ، مع أن المخاطب بذلك قد لا يكون عارفاً بذلك المعنى أصلاً ، بل قد لا يكون هناك مخاطب أصلاً كما يقع في المؤلفات كثيراً.

وعلى هذا فالاستدل الآية على ثبوت العلم لفرعون ، ولو سلم ثبوته كان الحكم بکفره للجحود للعدم الأقرار مطلقاً كما سبق بيانه .

واعلم أن المحقق الطوسي قد سرَّه اختار في فصوله الاكتفاء بالتصديق القلبي في تحقيق الإيمان فكان رحمة الله يحظى ماذكرناه ، وقد استدل بعض الشارحين بقوله تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » <sup>(٣)</sup> وبقوله تعالى : « ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » <sup>(٤)</sup> فيكون حقيقة فيه ، فلو أطلبه على غيره لزم الاشتراك أو المجاز

(١) سورة الاسراء : ١٠٢ . (٤) سورة طه : ٤٤ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ . (٣) سورة الحجرات : ١٤ .

باب

ان الایمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الایمان (٢)

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن المحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن سماعة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والإيمان  
أهما مختلفان ؟ فقال : إن الإيمان يشارك الإسلام والاسلام لا يشارك الإيمان ، فقلت :  
فصفهمالي ، فقال : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم عليه ، به

وهما خلاف الأصل ، والاقرار باللسان كاشف عنه والاعمال الصالحة ثمرة له .  
أقول : الذى ظهر مما حرّرناه أنَّ الایمان هو التصديق بالله وحده وصفاته  
وعدله وحكمته . وبالنبوة وبكلِّ ما عالم بالضرورة مجيء النبي ﷺ مع الاقرار بذلك  
وعلى هذا أكثر المسلمين بلادَ عيٍ بعضهم إجماعهم على ذلك ، و التصديق باقامة  
الائمة الاثني عشر عليهم السلام وبامام الزمان ، وهذا عند الامامية .

باب ان الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان

الحادي عشر

«أهما مختلفان» أي مفهوماً وحقيقة أم متساوياً بـ «مشاركة الإسلام»  
فـ «ال المشاركة وعدمهها إيماناً باعتبار المفهوم فـ «مفهوم الإسلام داخل في مفهوم الإيمان»  
دون العكس أو باعتبار الصدق فـ «كل مؤمن مسلم دون العكس»، أو باعتبار  
الدخول فـ «الداخل في الإيمان داخل في الإسلام بدون العكس» أو باعتبار الأحكام  
فـ «أحكام الإسلام ثابتة للإيمان بغير عكس».

«فصفهمالى «أى ييّن لي حقيقتهما «شهادة أن لا إله إلا الله» بيان لا جزاء للإسلام «به حققت» بيان لا حكام الإسلام، ويدل على التوارث بين جميع فرق المسلمين كما هو المشهور، والظاهر أن المراد بالشهادة والتصديق الأفراد الظاهري كمامر

حققت الدّماء وعليه جرت المناکح والمواريث وعلى ظاهره جماعة النّاس ، وألا إيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من العمل به والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إنَّ الإِيمان يشارك الاسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإِيمان

أنَّه إطلاقه الشَّائع ويتحمل التصديق القبلي فيكون إشارة إلى معنى آخر للإسلام، ويحتمل أن يكون أصل معناه الأفراط القبلي وإن ترتب الأحكام على الأفراط الظاهري ، بناءً على الحكم بالظاهر مالم يظهر خلافه ، لعدم إمكان الاطلاع على القلب كما قال ﷺ : فهل شفقت قلبه ؟ ولذا قال ﷺ وعلي ظاهره جماعة الناس فتأمل ، وعلى هذا فلا فرق بين الإيمان والاسلام إلا بالولاية والأفراط بالائمة ﷺ ، إذ في الإيمان أيضاً يحكم بالظاهر والأول أظهر ، والمراد بالهدى الولاية والاهتداء بالائمة ﷺ وما يثبت في القلوب إشارة إلى العقائد القلبية بالشهادة الظاهرة الاسلامية فكلمة «من» في قوله : من صفة الاسلام ، بيانٌ ، و يحتمل أن يكون ابتدائية أي ما يسرى من أثر الاعمال الظاهرة إلى الباطن ، وقوله : وما ظهر من العمل ، يدل على أنَّ الأعمال أجزاء الإيمان وإن أمكن حمله على الشهادتين كما يؤمِّي إليه آخر الخبر .

«أرفع من الاسلام» لأنَّه يصير سبباً لا حرزاً لشهادات الاخروية اولاً اعتبار الولاية فيه فيكون أكمل وأجمع .

قوله ﷺ : الإيمان يشارك الاسلام ظاهره أنَّه لا فرق بين العقائد اليمانية والاسلامية ، والفرق بينهما أنَّ في الإيمان يعتبر الأفراط الظاهري والتصديق الباطني معاً بخلاف الاسلام فإنه لا يعتبر فيه إلا الظاهر فقط ، وقد يأوْلُ بِأَنَّ المراد أنَّ الإيمان يشارك الاسلام في جميع الاعمال الظاهرة المعتبرة في الاسلام مثل الصلة والزكاة وغيرهما ، والاسلام لا يشارك الإيمان في جميع الأمور الباطنة المعتبرة في الإيمان ، لأنَّه لا يشاركه في التصديق بالولاية وإن اجتمعوا في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرّسالة ، قيل : ومنه يتبيَّن أنَّ الإيمان كالنوع والاسلام كالجنس ، وقد

في الباطن وإن اجتمعوا في القول والصفة .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن شهد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن موسى بن بكر ، عن فضيل بن يساد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان .

٣ - علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام ، إن الايمان موافق في القلوب والاسلام ماعليه المناكح والمواريث وحقن الدماء ؛ والايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان .

٤ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمدين محدثين خالد ، عن الحسن بن محبوب عن أبي الصباح الكناني قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أيهما أفضل : الايمان او الاسلام ؟ فـان من قبلنا يقولون : إن الاسلام أفضل من الايمان ، فقال : الايمان

يطلق الاسلام ويراد به هذا النوع مجازاً من باب إطلاق العام على الخاص ، ولعل قوله تعالى : « وأخر جننا من كان فيها » <sup>(١)</sup> الآية من هذا الباب ، فقول من زعم أنهما متراfang وتمسّك بهذه الآية مدفوع .

**الحديث الثاني :** ضعيف كالموقق وقد مرّ لقول فيه .

**ال الحديث الثالث :** حسن كالصحيح .

وهو خلاصة من الخبر الاول ، وفي النهاية بشيء وقر في القلب ، أى سكن فيه وثبت من الوقار الحلم والرزاقة ، وقر يقر وقاراً في المصباح : الوقار الحلم والرزاقة وهو مصدر وقر بالضم مثل جمل جمالاً ، ويقال أيضاً وقر يقر من باب وعد ، ووقد من باب وعد أيضاً أى جلس بوقار .

**ال الحديث الرابع :** صحيح .

« أيهما أفضّل » ؟ مبتدء وخبر ، والايام والاسلام تفسير مرجع الضمير ، أوهما

أرفع من الإِسلام قلت : فأوجدني ذلك قال : ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً ؟ قال : قلت : يضرب ضرباً شديداً قال : أصبت ، قال : فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً ؟ قلت : يقتل ، قال : أصبت الآخر أنَّ الكعبة أفضل من المسجد وأنَّ الكعبة تشرك المسجد لا يشرك الكعبة وكذلك الإِيمان يشرك الإِسلام والإِسلام لا يشرك الإِيمان .

٥ - عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن سعيد ، عن ابن محبوب ، عن عليٍّ بن رئاب ، عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : معنه يقول : الإِيمان ماستقرَّ في القلب وأفضى به إلى الله عزَّ وجلَّ وصدقه

مبتدء وأيدهما أفضل خبر «أوجدني ذلك» أي أجعلني أجده وأنهمه ، وفي القاموس : وجَدُ المطلوب كوعد وورم يجده ويجده بضم الجيم وجَدُ أوجده أدرَّ كه وأوجده انفناه ، وفلاناً مطلوبه أطفره به ، وبعد ضعف قوله كأجده .

قوله : متعمداً أي لا ساهياً ولا مضطراً ، وبدل على كفر من استخف بالكعبة فإنها من حرمات الله ووجوب تعظيمها من ضروريات الدين «الآخر أنَّ الكعبة» شبهه عليه السلام المعقول بالمحسوس إفهاماً للسائل وبياناً للعموم والخصوص ، وشرف الإيمان على الإسلام «وأنَّ الكعبة تشرك المسجد» أي في حكم التعظيم في الجملة وأنها يصدق عليها أنها مسجد وكعبة ، أوفي أنَّ من دخل الكعبة يحكم بدخوله في المسجد بخلاف العكس .

«والمسجد» أي جميع أجزاءه «لا يشرك الكعبة» في قدر التعظيم وعقوبة من استخف بها أولاً يصدق على كل جزء من المسجد أنه كعبة ، أوفي أنَّ من دخلها دخل الكعبة كما سيأتي ووجه الشبه على جميع الوجوه ظاهر .

المحدث الخامس - حسن .

قوله عليه السلام «أفضى به إلى الله» الضمير إما راجع إلى القلب أو إلى صاحبه أي أوصله إلى معرفة الله وقربه وثوابه فالضمير في أفضى راجع إلى ما ، ويحتمل أن يكون

العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره والإسلام ماظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها وبه حفنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ ، فخرجو بذلك من الكفر وأضيغوا إلى الإيمان ؛ والإسلام لا يشرك الإيمان والإيمان يشرك الإسلام وهذا في القول والفعل يجتمعان ، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الإيمان

راجعاً إلى المؤمن وضمير به راجعاً إلى الموصول أي وصل بسبب ذلك الاعتقاد أو أوصل ذلك الاعتقاد إلى الله كناءة عن علمه سبحانه بحصوله في قلبه ، وقيل : أى جعل وجه القلب إلى الله من الفضائل والأحكام أى الفضائل الدنيوية والحكام الشرعية ، قال في المصباح : أفضى الرجل بيده إلى الأرض بالآلف مسها بباطنه راحته قالها ابن فارس وغيره ، وأفضى إلى الشيء وصلت إليه والسر أعلمته به ، انتهى .

و قيل : أشار به إلى أن " المراد بما استقر" في القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية ، لأن " هذا المجموع هو المفضي إلى الله ، قوله : وصدقه العمل ، مشعر بأن العمل خارج عن الإيمان . و دليل عليه ، لأن " الإيمان وهو التصديق أمر قلبي " يعلم بدليل خارجي مع ما فيه من الإيمان إلى أن " الإيمان بلا عمل ليس بإيمان » والتسليم لأمره » أى الإمامة عبر هكذا تقية أو الأعم " فيشملها أيضاً ، ويتحمل أن يكون عدم ذكر الولاية لأن التصديق القلبي الواقع بالشهادتين مستلزم للقرار بالولاية فكان المخالفين ليس إذعنهم إلا إذغاها ظاهرياً لا خلا لهم بما يستلزم منه من الاقرار بالولاية ، فلذا أطلق عليهم في الاخبار إسم النفاق والشرك فتفطن .

« والإسلام ماظهر من قول أو فعل » أى قول بالشهادتين أو الأعم " و فعل بالطاعات كالصّلاة والزكاة والصوم والحجّ وغيرها ، فيدل على أن " الإسلام يطلق على مجرد الطاعات والشهادات من غير اشتراط التصديق « فخرجو بذلك من الكفر » أى من أن يجري عليهم في الدّنيا أحكام الكفار « وأضيغوا إلى الإيمان » أى نسبوا إلى الإيمان ظاهراً وإن لم يكونوا متّصفين به حقيقة « وهمما في القول والفعل يجتمعان »

يشرك الاسلام والا إسلام لا يشرك الایمان وقد قال الله عز وجل : « قالت الا عرب امّنا قل لهم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و ملأ يدخل الایمان في قلوبكم »<sup>(١)</sup> فقول الله عز وجل أصدق القول قلت : فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والاحکام والحدود وغير ذلك ؟ فقال : لا ، هما يجريان في ذلك مجرى واحد ولكن للمؤمن فضل على المسلم في اعمالهما وما يتقرّب به إلى الله عز وجل ؟ قلت : أليس الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »<sup>(٢)</sup> وزعمت أنهم

أى في الشهادتين والعبادات الظاهرة وإن خص الایمان بالولاية ، و ظاهر سياق الحديث لا يخلو من شوب تقيّه ، وكان المراد بالفضائل ما يفضل به في الدنيا من العطاء والاجر وأمثاله لا الفضائل الواقعية الاخروية أو ما يفضل به على الكافر من الانفاق والاعطاء والاكرام والرّعاية الظاهرة وقيل : أى في التكليف بالفضائل بأن يكون المؤمن مكلفاً ولا يكون المسلم مكفلاً بها .

وفي تفسير العياشي هكذا قال : قلت له : أرأيت المؤمن له فضل على المسلم في شيء من المواريث والقضايا والاحکام حتى يكون للمؤمن أكثر مما يكون للمسلم في المواريث أو غير ذلك ؟ قال : لا ، هما يجريان في ذلك مجرى واحداً إذا حکم الامام عليهما ، إلى آخر الخبر ، وهو أظهر ، فالفضائل تصحيف القضايا .

« في اعمالهما » أى صحتها و قبولها « و ما يتقرّب به إلى الله » أى من العقائد والاعمال فيكون تأكيداً أو تعميماً بعد التخصيص لشموله للعقائد أيضاً ، أو المراد بالاول صحة الاعمال ، وبالثاني كيفيتها فان المؤمن يعمل بما أخذنه من إمامه ، والمسلم ي العمل بيدع أهل الخلاف ، وقيل : المراد به الامام الذي يتقرّب بولايته و متابعته إلى الله تعالى ، فان إمام المؤمن مستجتمع لشرط الامامة وإمام المسلمين لشرط الفسق والجهالة .

قوله : أليس الله تعالى يقول ... أقول : هذا السؤال والجواب يحتمل وجوهاً :

(١) سورة الحجرات : ١٤ .      (٢) سورة الانعام : ١٦ .

مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ مع المؤمن ؟ قال : أليس قد قال الله عز وجل : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » <sup>(١)</sup> فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسانتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ويزيد الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ، قلت : أرأيت

« الاول » و هو الظاهر أن السائل أراد أنه إذا كانا مجتمعين في الحسنات والحسنة بالعشر ، فكيف يكون له فضل عليه في الاعمال والقربات مع أن الموصول من أدوات العموم فيشمل كل من فعلها ، فأجاب عليه السلام بأنها شریکان في العشر والمؤمن يفضل بมาก ادعيها ، ويرد عليه أنه على هذا يكون لاعمال غير المؤمن أيضاً ثواب وهو مخالف للاجماع والاخبار المستفيضة إلا أن يحمل الكلام على نوع من التقيية أو المصباح لتصور فهم السائل ، أو يكون المراد بالإيمان الخالص وبالإسلام أعم من الإيمان الناقص وغيره ، ويكون الثواب للأول وهو غير بعيد عن سياق الخبر بل لا يبعد أن يكون المراد المستضعف من المؤمنين الذين يظهرون الإيمان ولم يستقر في قلوبهم كما يرشد إليه قوله : وهم في القول والفعل مجتمعان ، وقد عرف اختلاف الاصطلاح في الإيمان فيكون هذا الخبر موافقاً لبعض مصطلحاته ، وقيل في الجواب : لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة ورفع شدتها لافي دخول الجنة إذ دخولها مشروط بالإيمان .

الثاني : أنه تعالى قال : « من ذا الذي يفرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » <sup>(١)</sup> والفرض الحسن هو العبادة الواقعة على كمالها وشرائط قبولها ، ومن جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسانتهم لغيرهم ، فيعطيهم لكل حسنة عشرة ، وربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن على المسلم ، ويزيد الله في حسناته على قدر صحة إيمانه ، وحسب كماله أضعافاً

من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الایمان ؟ فقال: لا ولتكنه قد أضيف إلى الایمان وخرج من الكفر وأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الایمان على الاسلام ، أرأيت لو بصرت رجالاً في المسجد أكنت شهدأتك رأيته في الكعبة ؟ قلت : لا يجوز لي ذلك ، قال : فلو بصرت رجالاً في الكعبة أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام ؟ قلت :

كثيرة حتى أنه تعطى بواحدة سبعماء أو أزيد وي فعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير الذي لا يعلمه إلا هو كما قال : « ولدينا زيد » <sup>(١)</sup> وقيل : أراد بما يشاء من الخير ايتاء العلم والحكمة و زيادة اليقين والمعرفة .

الثالث : ما ذكره بعض الافضل ويرجع إلى الثاني وهو أنَّ المراد بالفرض الحسن صلة الامام عليه السلام كما ورد في الاخبار، فالفرض من العجواب أنه كما أنَّ الفرض يكون حسناً وغير حسن ، والحسن الذي هو صلة الامام يصير سبباً لتضاعف أكثر من عشرة ، فكذلك الصلاة والزكاة والحج تكون حسنة وغير حسنة ، والحسنة ما كان مع تصديق الامام وهو يستحق المضاعفة لغيره ، والفاء في قوله : « فالمؤمنون » للبيان ، وقوله : يضاعف الله بتقدير قد يضاعف الله و إلا لكان الظاهر عشرة أضعاف ، « وينبئ الله » اي على السبعين أيضاً .

قوله : أرأيت من دخل في الاسلام ، كأنَّ السائل لم يفهم الفرق بين الایمان واسلام بساذ كره عليه السلام فأعاد السؤال وأوأنه لما كان تمسك في نفسه ما اشتهر بين المخالفين من عدم الفرق بينهما أراد أن يتضح الامر عنده أو قاس الدخول في المركب من الاجزاء المعقولة بالدخول في المركب من الاجزاء المقدارية ، فإنَّ من دخل جزءاً من الدار صدق عليه أنه دخل الدار ، فلذا أجابه عليه السلام بمثل ذلك لتفهيمه فقال : المتصرف بعض أجزاء الایمان لا يلزم أن يتصرف بجميع أجزائه حتى يتصرف بالایمان كما أنَّ من دخل المسجد لا يحكم عليه بأنه دخل الكعبة و من دخل الكعبة يحكم عليه بأنه دخل المسجد ، فكذا يحكم على المؤمن أنه مسلم ولا يحكم على كل مسلم أنه مؤمن .

نعم ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : إنَّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتَّى يدخل المسجد ، فقال : قد أصبت وأحسنت ، ثمَّ قال : كذلك الإيمان والاسلام .

### ﴿ باب ﴾

#### ﴿ آخر منه وفيه أن الاسلام قبل الايمان ﴾

١- على بن إبراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحمن القصير قال : كتبت مع عبد الملاك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو ؟ فكتب إلىَّ مع عبد الملاك بن أعين : سأله رجوك الله عن الإيمان والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالاَّرْدَنْ كان

ثمَّ اعلم أنه استدلَّ بهذه الاخبار على كون الكعبة جزءاً من المسجد الحرام ، ويرد عليه انه لا دلاله في أكثرها على ذلك ، بل بعضها يؤمِّي إلى خلافه كهذا الخبر ، حيث قال: أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد ، ولم يقل أكنت شاهداً أنه في المسجد ، وكذا قوله : لا يصل إلى دخول الكعبة حتَّى يدخل المسجد ، نعم بعض الاخبار تشعر بالجزئية .

#### باب آخر منه وفيه ان الاسلام قبل الايمان

##### الحادي الأول : مجهول .

قوله عليه السلام : والإيمان هو الاقرار «الع» هذا تفسير للإيمان الكامل والأخبار في ذلك كثيرة ، وعليه انعقد إصطلاح المحدثين منا ، قال الصدوق رحمة الله في الهداية: الاسلام هو الاقرار بالشهادتين وهو الذي يتحقق به الدماء ، والاموال ، ومن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد حقن ماله ودمه الابحقيهما وعلى الله حسابه ، والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد بالقلب وعمل بالجوارح ، وأنَّه يزيد بالأعمال وينقص بتركها ، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم بمؤمن ومثل ذلك مثل الكعبة و المسجد فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد ، وليس كل من دخل المسجد دخل الكعبة وقد فرق فقال الله عز اسمه

في كتابه بين الاسلام والايمان، فقال: «قالت الاًعراب آمناً قبل لهم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا» وقد بين الله عز وجل أنَّ الايمان قول وعمل، لقوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ فُلُوْبَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا» <sup>(١)</sup> وَأَمَّا قَوْلُهُ عز وجل: «فَآخِرُ جَنَاحِنَ كَانَ فِيهَا مُؤْمِنُونَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ» <sup>(٢)</sup> فليس ذلك بخلاف ما ذكرنا لأنَّ المؤمن يسمى مسلماً والمسلم لا يسمى مؤمناً حتى يأتي مع إقراره بعمل ، وأمّا قوله عز وجل: «وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَقْبِلَ مِنْهُ» <sup>(٣)</sup> الآية فقد سُئل الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: هو الاسلام الذي فيه الايمان ، انتهى .

وقال الشيخ المفيد قدس سره في كتاب المسائل: أقول: انَّ مرتكبي الكبائر من أهل المعرفة والاقرار مؤمنون بآياتهم بالله وبرسله وبما جاء من عنده وفاسقون بما معهم من كبائر الآثام ولا اطلق لهم اسم الفسوق ولا اسم الايمان ، بل اقيدهم جميعاً في تسميتهم بكلٍّ واحدٍ منهم وامتنع من الوصف لهم بهم على الاطلاق وأطلق لهم اسم الاسلام بغير تقييد، وعلى كلٍّ حال وهذا مذهب الامامية إلاّ بنى نوبخت رحمة الله ، فائهم خالفوا فيه واطلقوا للمساق اسم الايمان ، انتهى .

«والايمان بعضه من بعض » أي ترتيب أجزاء الايمان بعضها على بعض فانَّ الاقرار بالعقائد يصير سبباً للمعائد القلبية و العقائد تصير سبباً للاعمال البدنية أو المعنى أنَّ افراد الايمان و درجاته يترتب بعضها على بعض ، فانَّ الأدنى منها تصير سبباً لحصول الأعلى وهكذا إلى حصول أعلى درجاته فانَّ حصول قدر من اليقين يصير سبباً للاتيان بقدر من الاعمال بحسبه فإذا أتي بتلك الاعمال زاد الايمان القلبي فيزيد أيضاً العمل وهكذا ، فيترتّب كمال كلٍّ جزء من الايمان على كمال الجزء الآخر . ويحتمل ان يكون إشارة إلى اشتراط بعض أجزاء الايمان بعض ، فانَّ العمل لا ينفع بدون الاعتقاد والاعتقاد أيضاً مشروط في كماله و ترتّب الآثار عليه بالعمل

(١) سورة الانفال: ٣ .

(٢) سورة الذاريات: ٣٥ .

(٣) سورة آل عمران: ٨٥ .

وَالاِيمان بعده من بعض وهو دار و كذلك الا إسلام دار والكفر دار فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان ، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفاتي المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان ، ساقطًا عنه اسم

« وهو دار » أى الإيمان دار ، قيل : إنما شبه الإيمان والإسلام والكفر بالدار لأنَّ كلامها بمنزلة حصن لصاحبه يدخل فيها ويخرج منها كما أنَّ الدار حصن لصاحبه وقوله : وهو يشارك الإيمان قيل : معناه أنه كلما يتحقق الإيمان فهو يشاركه في التحقق ، وأمّا ما مضى في الأخبار أنه لا يشارك الإيمان فمعناه أنه ليس كلما تحقق الإيمان ، فلامنا فاة ، ويحتمل أن يكون سقط من الكلام شيء ، وكان هكذا : وهو يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان فيكون على وقته ماسبق ، انتهى .  
وأقول : الظاهر هنا المشاركة في الأحكام الظاهرة وفيما سبق نفي المشاركة في جميع الأحكام ، وقيل وسر ذلك أنَّ الأقرار بالتوحيد والرُّسالة مقدم على الأقرار بالولاية والعمل ، والمؤمن والمسلم بسبب الأول يخرجان من دار الكفر ويدخلان في دار الإسلام ثمَّ المسلم بسبب الاكتفاء يستقر في هذه الدار و المؤمن بسبب الثاني يتعرّق وينزل في دار الإيمان ، ومنه لاح أنَّ الإسلام قبل الإيمان وأنَّه يشارك الإيمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لفيماهو سبب للدخول في دار الإيمان ، وبهذا التقرير تندفع المخاوف بين قوله تعالى يَعْلَمُ اللَّهُ عَنْهُمْ هيئنا : وهو يشارك الإيمان ، وقوله سابقاً : والإسلام لا يشارك الإيمان .

قوله : فإذا أتى العبد كبيرة « الخ » يدل على أنَّ الصغيرة أيضاً مخرجة من الإيمان مع أنها مكفرة مع اجتناب الكبائر ، ويمكن حله على الأصرار كما يومئ إليه ما بعده ، أعلى أنَّ المراد بهما الكبيرة لكن بعضها صغيرة بالإضافة إلى بعضها التي هي أكبر الكبائر ، فاطرد بقوله تعالى يَعْلَمُ اللَّهُ عَنْهُمْ : نهى الله عنهم نهي عنها في القرآن « بإعاده عليها النار ، ويدل على أنَّ جحود المعاصي واستحلالها موجبان للارتداد ، وينبغي حلله على

الإيمان ونابتَ عليه اسم الاسلام فان تاب واستغفر عاد إلى دارالايمان ولا يخرجه إلى الكفر إلّا الجحود والاستحال أن يقول للحلال : هذا حرامٌ وللحرام : هذا حلالٌ ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإِسلام والآيمان، داخلاً في الكفر وكان بمنزلة

ما إذا كان من ضروريات الدين ، فيؤيد التأويل الثاني فانَّ أكثر ما نهى عنه في القرآن كذلك ، أو على ما إذا جيد واستحلّ بعد العلم بالتحرير ، ويدلّ على أنَّ المتردّ مسبحٌ للقتل وإن كان يفعل ما يؤذن بالاستخفاف بالدين ، ويؤمِّي إلى عدم قبول توبته للمقابلة ، فيحمل على الفطرى ، وعلى أَنَّه مستحقٌ للثمار وإن تاب .

وجملة القول فيه أنَّ أمر تدّ على ما ذكره الشهيد قدس سرّه في الدُّرس هو من قطع الاسلام بالاقرار على نفسه بالخروج منه أو ببعض أنواع الكفر سواء كان مما يقرُّ أهله عليه أم لا ، أو بإنكار ماعلم نبوته من الدين ضرورة أو بآيات ماعلم نفيه كذلك ، أو ب فعل دالٌّ عليه صريحاً كالسباحة للشمس والصنم ، وإلقاء المصحف في القذر قصداً وإلقاء النجاسة على الكعبة أو هدمها أو إظهار الاستخفاف بها .

وأما حكمه فالمشهور بين الأصحاب أنَّ الارتداد على قسمين فطريٌّ وملَّى ، فالاول إرتداد من ولد على الاسلام بأن انعقد حال إسلام أحد أبويه وهذا لا يقبل إسلامه لورجم إليه و يتحتم قتله ، وتبين عنه إمرأته وتعتقد منه عدّة الوفاة ، وتقسم أمواله بين ورته وهذا الحكم بحسب الظاهر لا إشكال فيه بمعنى تعين قتله ، وأما فيما بينه وبين الله فاختلفوا في قبول توبته فأكثر المحققين ذهبوا إلى القبول حذراً من تكليف ما لا يطاق لو كان مكلفاً بالاسلام أو خروجه عن التكليف مادام حيّاً كامل العقل وهو باطل بالاجماع وحينئذ فلو لم يطلع عليه أحد أولم يقدر على قتله فتاب قبلت توبته فيما بينه وبين الله تعالى وصحّت عباداته ومعاملاته ، ولكن لا تعود ماله وزوجته إليه بذلك ، ويجوز له تجديد العقد عليها بعد العدة أو فيها على إحتمال كما يجوز للزوج العقد على المعتدة بائناً حيث لا تكون مجرّة مؤبداً كالمطلقة بائناً ولا تقتل المرأة بالردة بل تحس دائماً وإن كانت مولودة على الفطرة و تضرب أوقات الصلوات .

من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فاخرج عن الكعبة وعن الحرم فضررت عنقه وصار إلى النار.

٢- عدّة من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، عن عَمَّانَ بْنَ عَيْسَى ، عن سَمَاعَةَ بْنَ مَهْرَانَ قَالَ : سَأَلَتْهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْاسْلَامِ قَالَ لَهُ : أَفْرَقَ بَيْنَ الْاسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ؟ قَالَ : فَأَضْرَبْ لِكَ مَثَلَهُ ؟ قَالَ : قُلْتَ : أُورِدُ ذَلِكَ ، قَالَ : مُثَلُ الْإِيمَانِ وَالْاسْلَامِ مُثَلُ الْكَعْبَةِ الْحَرَمَ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ يَكُونُ فِي الْحَرَمِ وَلَا يَكُونُ فِي الْكَعْبَةِ وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا حَتَّىٰ يَكُونَ مُسْلِمًا ، قَالَ : قُلْتَ : فَيَخْرُجُ مِنِ الْإِيمَانِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَلْتَ : فَيَصِيرُهُ إِلَى مَاذَا ؟ قَالَ : إِلَى الْاسْلَامِ أَوِ الْكُفَّرِ . وَقَالَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَأَفْلَتَهُ مِنْهُ بُولَهُ أَخْرَجَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْحَرَمِ فَفَسَلَ نُوبَهُ وَتَطَهَّرَ ، ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَبِالِّا فِيهَا مَعَانِدًا أَخْرَجَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَمِنَ الْحَرَمِ وَضَرَبَتْ عَنْقَهُ .

والثاني أن يكون مولوداً على الكفر فأسلم ثم ارتد فهذا يستتاب على المشهور  
فإن امتنع قتل ، واختلف في مدة الاستتابة فقيل ثلاثة أيام لرواية مسمع ، وقيل :  
القدر الذي يمكن معه الرجوع ، ويظهر من ابن الجنيد أن الارتداد قسم واحد  
 وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو مذهب العامة لكن لا يخلو من قوّة  
الحديث الثاني : موئق .

« فَيَخْرُجُ مِنِ الْإِيمَانِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَا يَخْرُجُهُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقُطْعَ إِمَّا الْمُعَاصِي  
وَتَرْكُ الطَّاعَاتِ بِنَاءً عَلَى دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ ، أَوْ إِنْكَارُ الْإِيمَانِ وَلَوْ ازْمَعْهَا ، وَمَا  
يَخْرُجُهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْاسْلَامِ مَعًا الْارْتِدَادُ وَمَا يَنْافِي دِينَ الْاسْلَامِ فَوْلًا أَوْ فَعْلًا وَالْقَرْدِيد  
فِي قَوْلِهِ إِلَى الْاسْلَامِ أَوِ الْكُفَّرِ لِذَلِكَ ، وَفِي الْقَامُوسِ : كَانَ الْأَمْرُ فَلَتَةً أَى فَجَاهَةً مِنْ غَيْرِ  
قَرْدِدٍ وَتَدْبِيرٍ ، وَأَفْلَتَنِي الشَّيْءُ وَتَفَلَّتْ مِنِّي انْفَلَتْ ، وَأَفْلَتَهُ غَيْرُهُ وَأَفْلَتَ عَلَى بَنَاءِ  
الْمُفْعُولِ مَاتَ فَجَاهَةً ، وَبِأَمْرِ كَذَا فَوْجِيَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْدِلَهُ ، وَفِي الْمُصَبَّاحِ أَفْلَتَ الطَّائِرُ  
وَغَيْرُهُ إِفْلَانًا تَخْلُصُ ، وَأَفْلَتَهُ إِذَا أَطْلَقَهُ وَخَلَصَتْهُ يَسْتَعْمَلُ لَازْمًا وَمَتَعْدِيَّا .

二三

١- عليُّ بن مَحْمَدُ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ آدَمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّزْقَ بْنِ مَهْرَانَ، عَنْ الْحَسِينِ بْنِ هِيمَونَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ [أُ] نَاسًا تَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مِحْكَمَاتٌ هُنَّ أَمُّ الْكِتَابِ وَآخِرَ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ

۱۰

إنما لم يعنون الباب لأنّه قريب من البابين السابقين في أنّه مشتمل على معانٍ للإسلام والإيمان، لكنّه كان فيه زيادة تفصيل وتفصيحة وفوائد كبيرة جعله باباً آخر.

## الحادي عشر الأول : مجهول .

قوله : وذلك أَنْ ، تعليل لتكلّمهم فيه بغير علم لَا نَهُمْ تكلّموا في متشابهٍ  
أيضاً مع أَنَّه لا يعلم تأويلاً إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، والمحكم في اللُّغَةِ المتنقَنِ ، وفي  
العرف يطلق على ماله معنى لا يحتمل غيره ، وعلى ما اتضحت دلالته وعلى مكان  
محفوظاً من النسخ والتخصيص أو منهما جمِيعاً ، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إِلَّا وجهاً  
واحداً ومتتشابه بمقابلة بكلّ من هذه المعانٰي .

- وقال الراغب : المحكم مالا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، والمتشبه من القرآن ما أشكل تفسيره متشابهه غيره ، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى .

**وقال الفقهاء :** المتشابه مالا يتبين ظاهره عن مراده وحقيقة ذلك أنَّ الآيات عند اعتبار بعضها بعض ثلاثة أضرب محكم على الاطلاق ، ومتشابه على الاطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه ، فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب ، متشابه من جهة اللفظ

فقط ومتشابه من جهة المعنى فقط ومتشابه من جهةهما ، فالمتشابه من جهة اللفظ ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ، وذلك إما من جهة غرابته نحو الأب ويزفون ، وإما من مشاركة في اللفظ كاليد والعين ، والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب ، وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو « وإن ختم ألا » تقططاً في اليتامي فانكحوا امطاب لكم » <sup>(١)</sup> وضرب لبس الكلام نحو « ليس كمثله شيء » <sup>(٢)</sup> لأنّه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع ، وضرب لنظم الكلام نحو « أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيمة » <sup>(٣)</sup> تقديره الكتاب قيمة ولم يجعل له عوجاً ، والمتشابه من جهة المعنى أو صفات الله تعالى وأوصاف القيامة فإنَّ تلك الصفات لا تتصور لنا إذا كان لا تحصل في نفوسنا صورة مالم نحسه أو لم يكن من جنس ما نحسه .

والمتشابه من جهة المعنى واللّفظ جميعاً خمسة أضرب .

الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو : « اقتلوا المشركين » <sup>(٤)</sup> .  
 والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو « فانكحوا امطاب لكم من النساء » <sup>(٥)</sup> .

والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو « فاتّقوا الله حقّ تفاته » <sup>(٦)</sup> .  
 والرابع من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها « وليس البرُّ بِأَنْ تَأْتِيَ الْبَيْوَتَ مِنْ ظُهُورِهَا » <sup>(٧)</sup> وقوله عز وجل : « إِنَّمَا النَّسِيْعُ زِيَادَةً فِي الْكُفَّارِ » <sup>(٨)</sup> فانَّ من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعدّر عليه معرفة تفسير هذه الآية .

الخامس من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشرط الصلة  
 والنكاح .

(١) و (٥) سورة النساء : ٣ . (٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة الكهف : ١ . (٤) سورة التوبة : ٥ .

(٦) سورة آل عمران : ١٠٢ . (٧) سورة البقرة : ١٨٩ .

(٨) سورة التوبة : ٣٧ .

وهذه الجملة إذا تصوّرت علم أن "كل" ماذ كره المفسّرین في تفسیر المتشابه لا يخرج عن التقاسیم نحو قول من قال : المتشابه «الم» وقول قنادة المحکم الناسخ والمتشابه المنسوخ، وقول الأصم : المحکم ما أجمع على تأویله والمتشابه ما اختلف فيه، ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعات وخروج دابة الأرض وكيفية الدابة و نحو ذلك ، و ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالالفاظ الغريبة والاحکام المغلقة ، و ضرب متعدد بين الامرین يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخین في العلم ويختفى على من دونهم وهو الضرب المشار إليه بقوله بِالْوَسْطَى فِي عَلَى لِلْقَلْبِ اللهم فقيه في الدين وعلمه التأویل .

وإذا عرفت هذه الجملة علم أن "الوقوف على قوله : إِلَّا اللَّهُ ، ووصله بقوله : والراسخون في العلم جائزان ، وإن "لكل واحد منهمما وجهاً حسب ما يبدل عليه التفصيل المتقدّم ، انتهى .

قوله تعالى : « منه آيات محکمات » قيل : أى احکمت عباراتها بأن حفظت عن الاجمال « هنَّ أُمُّ الکتاب » أى اصله يرد بِالْقَلْبِ إليها غيرها « وأخر متشابهات » قيل : أى محتملات لا يتضمن مقصودها إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء الر بَانِيُّنَ في استنباط معانيها ورد هَا إلى المحکمات وليتوصّلوا بها إلى معرفة الله وتوحیده .

وأقول : بل ليعلموا عدم استقلالهم في علم القرآن واحتياجهم في تفسيره إلى الامام المنصوب من قبل الله وهم الراسخون في العلم .

وروى العیاشی عن الصادق بِالْقَلْبِ أَنَّهُ سُئِلَ عن المحکم والمتشابه ؟ فقال : المحکم ما يعمل به، والمتشابه ما شبهه على جاهله، وفي رواية أخرى : والمتشابه الذي يشبه بعضاً ، وفي رواية أخرى فاما المحکم فتؤمن به وتعمل به وتدین به ، وأما المتشابه فتؤمن به ولا تعمل به « فاما الذين في قلوبهم زيف » أى ميل عن الحق كالمبتدعة

في قلوبهم زيف فيتبّعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا

« فيتبّعون ماتشابه منه » فيتعلّقون بظاهره أو بتأويله باطل « ابتغاء الفتنة » أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالتشابه . وفي مجمع البيان عن الصادق عليه السلام إن الفتنه هنا الكفر « وابتغاء تأويله » أي وطلب أن يأوّلوه على ما يشتهونه « وما يعلم تأويله » الذي يجب أن يحمل عليه « إلّا الله والراسخون في العلم » الذين ثبّتوا وتمكّنوا فيه .

وأقول: قدمن الكلام منّا في تأويل هذه الآية في كتاب الحجّة في باب ان الراسخين في العلم هم الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَحْلُّ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ : فاطنسوخات من المتشابهات كان هذا الكلام تمهيداً لما سيأتي من إختلاف الایمان المأمور به في مكة قبل الهجرة وفي المدينة بعدها واختلاف التكاليف فيما كمّا وكيفاً ، ردّاً على من استدلّ ببعض الآيات على أنّ الایمان نفس الاعتقاد بالتوحيد والنبوة فقط بلا مدخلية الاعمال او الولاية فيه ، بأنّ تلك الآيات أكثرها نزلت في مكة وكان الایمان فيها نفس الاعتقاد بالشهادتين أو التكلّم بهما ثمّ نسخ ذلك في المدينة بعد وجوب الواجبات وتحريم المحظّات ونصب الوالي والأمر بولايته .

ويحتمل أن لا يكون ذلك من قبيل النسخ ويكون ذكر النسخ لبيان عجزهم عن فهم معانى الآيات وخطاهم في الاستدلال بها كما أنّهم لا يعرفون الناسخ من المنسوخ ويستدلّون بالآيات المنسوخة على الاحكام مع عدم علمهم بنسخها وعد المنسوخات التي لا يعلم بنسخها من المتشابهات فالمنسوخه أخصّ مطلاً من المتشابه .

ولما كان المحكم غير المتشابه والناسخ غير المنسوخ ونقىض الاخصّ أعمّ من نقىض الاعم غَيْرِ الْأَسْلَوبِ في الفقرة الثانية فقال : والمحكمات من الناسخات للإشارة إلى ذلك وتسميتها غير المنسوخ مطلقاً ناسخاً إماً على التوسيع واطلاق لفظ الجزء على الكلّ أو لكونها ناسخة لشاريع السالفة أوللاباحة الاصليّة التي كانوا متمسّكين بها قبلها . ويمكن حمل الناسخ على معناه وحمل الكلام على الغالب بأن يكون الناسخ

الله ،<sup>(١)</sup> الآية فالمنسوخات من المشابهات؛ والمحكمات من الناسخات ، إن الله عز وجل

أيضاً أخصّ من المحكم ولا فساد فيه لعدم انحصار الآيات حينئذ في الناسخة والمنسوخة وقيل : لما كان بعض المحكمات مقصورة الحكم على الأزمنة السابقة منسوخاً بآيات آخر ونسخها خافياً على أكثر الناس فيزعمون بقاء حكمها صارت مشابهة من هذه الجهة ولهذا قال عليه السلام : فالمنسوخات من المشابهات .

وفي بعض النسخ من المشابهات ، وإنما غير الأسلوب في اختها لأن المحكم أخص من الناسخ من وجهه ، بخلاف المشابه فإنه أعم من المنسوخ مطلقاً ، انتهى .  
وفيه أن كون المشابه أعم من مطلق المنسوخ مطلقاً لا وجه له إلا أن يخص بمنسوخ لم يعلم نسخه كما أوأماناً إليه ، وقيل : الظاهر أن الفاء للتفسير لزيادة تفظيع حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات والمشابهات دون المحكمات والناسخات ، لأن المنسوخات من باب المشابهات في التشابه إذ يتبعه عليهم بنيتها وبقاءها والمحكمات من قبل الناسخات في الثبات والبقاء ، فإذا اتبعوا المشابهات اتبعوا المنسوخات لأنهما من باب واحد ، وإذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا الناسخات ، وإذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لأنهما أيضاً من باب واحد .

قوله : إن الله عز وجل بعث نوحًا ، هذا شروع في المقصود ، وحاصله أن الإيمان في بداية بعثة كل رسول كان مجرّد التصديق بالتوحيد والرسالة ومن مات عليه حينئذ كان مؤمناً ووجبت له الجنة ، فلما استجابوا لهم ذلك وكثرت أتباعهم وضعوا أعمالاً وشرايع وأوجبوا عليهم وأوعدوا على تركها النّار فصارت تلك الاعمال أجزاء للإيمان فأولى العزم من الانبياء كان نوحًا عليه السلام فحين بعثه أمرهم أو لاً بالتوحيد والاقرار بنبوته فقط ، وكان ذلك الإيمان حيث قال في سورة نوح : «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمٍ أَنْ أَنْذِرَ قَوْمًا مِّنْ قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيهِمْ عَذَابُ أَلِيمٍ» ، قال ياقوم إني لكم نذير مبين أن عبدوا الله » أى مخلصاً من غير شرك « واتقُوه » أى اتقوا عذابه الذي

بعث نوحًا إلى قومه «أن عبدوا الله واتقوه وأطيعون»<sup>(١)</sup> ثم دعاهم إلى الله وحده وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم بعث الأنبياء عليهم السلام على ذلك إلى أن بلغوا مجددًا عنه الله فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وقال : «شرع لكم من الدين ما وصي

قر ره على الشرك «وأطيعون» فيما أمركم بدواؤذنعوا النبي تني فلم يذكر فيما أذرهم به إلّا هذين الامرین .

«ثم دعاهم» أي ثم بعد ذلك استمر على هذه الدعوة زماناً طويلاً فكانت دعوه منحصرة في التوحيد ونفي الشريك ، وكان قبولهم ذلك منه مسكنز ما للإذعان بنبوته «ثم بعث الأنبياء» أي ثم بعث سایر أولى العزم في أول بعثتهم على هذا الأمر فقط ، إلى أن انتهت سلسلة أولى العزم وسائر الأنبياء إلى محمد ﷺ فكان عليه السلام في أول بعثته بمكة يدعوهم إلى التوحيد وما يتبعه من الاقرار بالنبوة بل المعاد أيضاً فاته أيضاً من الامور التي نزلت الآيات المشتملة على التهديدات العظيمة فيها قبل الهجرة ، فالمراد جميع أصول الدين سوى الامامة ، و ذكر التوحيد على المثال ، أو على أن الاقرار به مستلزم للاقرار بسائر الأصول ، ويؤيده قوله عليه السلام بذلك : والاقرار بما جاء به من عند الله .

قوله عليه السلام : وقال ، أي في سورة الشورى وهي مكية ، على ما ذكره المفسرون إلى قوله : «والذين استجابوا» «والذين إذا أصابتهم» إلى قوله : «لا يحبّ الظالمين» عن الحسين ، وعلى قول ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة «قل لا أستكم عليه أجرًا» إلى قوله : «لهم عذاب شديد» وعلى التقاضير الآيات المذكورة مكية .

والاستشهاد بالآية لأن الدين المشترك بين جميع الأنبياء هي الأصول الدينية التي لا تختلف باختلاف الشريائع ، مع أن قوله سبحانه : «كبر على المشركين ما تدعوههم إليه» يشعر بأن عمدة الدين في ذلك الوقت كانت التوحيد ونفي الشرك مع

بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ  
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبِيرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَعْجِزُ بِإِيمَانِهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي  
إِلَيْهِ مَنْ يَنْهَا بِهِ<sup>(١)</sup> فَبَعْثَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَى قَوْمِهِمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْأَقْرَارُ بِمَا جَاءَ[بِهِ]  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَنْ آمَنَ مَخْلُصًا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ

الْأَقْرَارُ بِالنَّبِيَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : «اللَّهُ يَعْجِزُ بِإِيمَانِهِ».

فَالظَّبَرِسِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْ بِهِ نُوحًا ، أَى  
بَيْنَ لَكُمْ وَنَهْجِ وَأَوْضَعِ مِنَ الدِّينِ وَالْتَّوْحِيدِ وَالْبَرَائَةِ مِنَ الشَّرِكِ مَا وَصَّيْ بِهِ  
نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ أَى وَهُوَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ يَا مُحَمَّدٌ وَهُوَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ  
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، ثُمَّ يَسِّرْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» وَإِقَامَةُ الدِّينِ  
الْمُسْتَكِبُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَوْجَبِهِ وَالدُّوَامُ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ «وَلَا تَتَفَرَّقُوا» أَى لَا تَخْتَلِفُوا  
فِيهِ وَاتَّقُوا فِيهِ وَاتَّقُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا «كَبِيرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
إِلَيْهِ» مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ ، وَرَفِضِ الْأَوْثَانِ وَنَرْكِ دِينِ الْآَبَاءِ لَا نَهُمْ قَالُوا  
أَجْعَلُ الْآَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، وَقَيْلٌ : مَعْنَاهُ نَقْلُ عَلَيْهِمْ وَعَظِيمُ اخْتِيَارِنَا لَكُمْ بِمَا تَدْعُوهُمْ  
إِلَيْهِ وَتَخْصِيصُكُمْ بِالْوَحْيِ وَالنَّبِيَّةِ دُونَهُمْ «اللَّهُ يَعْجِزُ بِإِيمَانِهِ مِنْ يَشَاءُ» أَى لَيْسَ لَهُمْ  
الْإِخْتِيَارُ لَا نَهُمْ اللَّهُ يَصْطَفِي لِرَسَالَتِهِ مِنْ يَشَاءُ عَلَى حَسْبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ قِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ  
وَقَيْلٌ : مَعْنَاهُ : اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ لِدِينِهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَنْهَا بِهِ<sup>(١)</sup> أَى وَيُرْشِدُ  
إِلَى دِينِهِ مَنْ يَقْبِلُ إِلَى طَاعَتِهِ أَوْ يَهْدِي إِلَى جَنَّتِهِ وَثَوَابُهُ مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالْمِنْيَةِ  
وَالْإِخْلَاصِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : فَمَنْ آمَنَ مَخْلُصًا ، أَى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ دُونَ لِسانَهُ فَقْطًا وَلَمْ يَخْلُطْهُ  
بِشَرِّكَ «وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ» كَأَنَّهُ إِشَارةٌ إِلَى إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ بِمَجْرِيِ الشَّهَادَةِ وَالْأَقْرَارِ وَإِنْ  
لَمْ يَعْمَلْ مِنَ الطَّاعَاتِ شَيْئًا وَلَمْ يَتَرَكْ سَائِرَ الْمُحْرَمَاتِ لَا نَهُمْ كَانُوا بِذَلِكَ مُؤْمِنًا فِي ذَلِكَ  
الْزَّمَانِ ، وَإِدْخَالُ الْمُؤْمِنِ النَّارَ ظُلْمٌ «وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ» امْتَارُهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ إِمْتَادُهُ تَعْذِيبٌ

ليس بظلام للهبيدوذ ذلك أن الله لم يكن يعذّب عباداً حتى يغلط عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار من عمل بها، فلما استجاب لكل "نبي" من استجواب له من قوله من المؤمنين، جعل لكل "نبي" منهم شرعة ومنهاجاً والشريعة والمنهج سبيل

من ترك العمل بالنّار، أو أنّه إن لم يدخل الجنة وأدخل النار كان ظالماً، وهذا الكلام يحتمل وجهاًين: أحدهما أن تكون المعاصي التي نهى عنها في مكة من المكر وهاز ويكون النهي عنها نهي تفريزه، والطاعات التي أمر بها فيها من المستحبات فالتعليل حينئذ ظاهر لأنّ التعذيب على ترك المستحبات أفعال المكر وهاز في الآخرة ظلم، وثانياًهما أن يكون النهي عن المعاصي نهي تحريم والامر بالطاعات أمر وجوب لكن لم يوعد على فعل المعاصي وترك الطاعات النار ولم يغلط فيهما وإنّما أوعد النار على المشرك والأخلاق بالعمايد وإنكار النبوة والمعاد فهـى كانت بمنزلة الفرائض لسعة كرمـه ورحمـته أن لا يؤاخـذ مجـتـنـبـ الكـبـائـرـ بـفـعلـ الصـغـائـرـ ، والـكـبـائـرـ وـغـيرـهاـ بـمـنـزـلـةـ الصـغـائـرـ وـسـاـيـرـ الـوـاجـبـاتـ ، وـقـدـ أـوـجـبـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـلـوـ عـذـبـ بـهـمـ بـهـاـ : كان ظـلـمـاـ مـنـ حـيـثـ الـأـخـلـالـ بـمـاـ اـوـجـبـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ عـفـوـ عـنـهـمـ أـوـ يـقـالـ : التعذـبـ بـالـنـارـ مـعـ تـرـكـ الـأـيـادـ بـهـاـ ظـلـمـ أـوـ يـقـالـ التعـذـبـ بـالـنـارـ العـظـيمـ الـأـلـيـمـ أـبـداـ أـوـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ بـمـحـضـ النـهـيـ مـنـ غـيـرـ تـهـديـدـ وـوعـيدـ وـتـغـلـيـظـ لـاسـيـنـماـ مـعـنـ كـمـلـتـ قـدـرـتـهـ وـوـسـعـتـ رـحـمـتـهـ ظـلـمـ ، أـوـ يـقـالـ : الـلـطـفـ عـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ وـاجـبـ وـأـعـظـمـ الـأـلـطـافـ التـهـديـدـ وـالـوعـيدـ بـالـنـارـ فـقـرـ كـهـنـظـلـمـ ، أـوـ يـقـالـ : أـطـلـقـ الـظـلـمـ عـلـىـ خـلـافـ الـأـوـلـىـ مـجـازـاـ وـالـكـلـ مـبـنـىـ عـلـىـ أـنـ "ـالـأـعـمـالـ وـالـتـرـوـكـ الـتـيـ هـىـ أـجـزـاءـ الـإـيمـانـ إـنـمـاـ هـىـ مـاـيـسـتـحـقـ"ـ بـتـرـ كـهـ الدـخـولـ بـالـنـارـ ، وـفـيـ مـكـةـ سـوـىـ الـعـقـائـدـ لـمـ تـكـنـ كـذـلـكـ وـلـمـ شـرـعـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ شـرـايـعـ وـجـعـلـ فـيـهـاـ فـرـائـضـ وـكـبـائـرـ يـسـتـحـقـ"ـ بـتـرـ كـهـ الـأـوـلـىـ وـفـعـلـ الـثـانـيـةـ دـخـولـ الـنـارـ جـعـلـتـهـ مـنـ أـجـزـاءـ الـإـيمـانـ .

«جعل لكلّ نبیٰ» اشارة إلى قوله تعالى في المائدة وهي مدفیّة : «لكلّ

وَسَنْتُهُ وَقَالَ اللَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ »<sup>(١)</sup> وَأَمْرَ كُلَّ نَبِيٍّ بِالْأَخْذِ بِالسَّبِيلِ وَالسَّنَةِ وَكَانَ مِنَ السَّنَةِ وَالسَّبِيلِ الَّتِي أَمْرَ بَعْدَهُ .

جعلناه منكم شرعة ومنهاجاً » قال البيضاوى : شرعة شريعة وهى الطريقة إلى الماء شبهه بها الدين لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وفروع بفتح الشين « ومنهاجاً » وطريقاً واضحاً في الدين من نهج الأمر إذا وضح ، واستدل به على أنّا غير متبعين بالشرايع المتقدمة ، انتهى .

وقال الراغب : الشرع نهج الطريق الواضح ، يقال : شرعت له طريقاً والشرع مصدر ، ثم جعل إسماً للطريق النهج فقيل له الشرع وشرعه وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين قال تعالى : « لِكُلِّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » فذلك إشارة إلى أمر بن أحدهما : ماسخر تعالى عليه كل إنسان من طريق يتبحر أه ممّا يعود إلى مصالح عباده وعمارة بلاده وذلك المشار إليه بقوله : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً » .

الثاني : ما قيض له من الدين وأمر به ليتبحر أه اختياراً مما يختلف فيه الشرايع ويقتضيه النسخ ، ودل عليه قوله : « نَمْ جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها »<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس : الشريعة ما ورد به القرآن والمنهج ما ورد به السنة وقوله : شرع لكم من الدين ما وصي به نوحًا ، الآية ، فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل ولا يصبح عليها النسخ كمعرفة الله ونحو ذلك من نحو مادرل عليه قوله : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

قال بعضهم : سميت الشريعة تشبيهاً بشرعية الماء من حيث أنّ من شرع فيها على الحقيقة روى وتطهر قال : وأعني بالرى ما قال بعض الحكماء : كنت أشرب فلا أرى ، فلم يعترض الله رويا بلا شرب ، وبالتطهير ما قال تعالى : « إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبُ

(١) سورة النساء : ١٦٣ .

(٢) سورة الحجية : ١٨ .

الله عز وجل <sup>عليهم السلام</sup> بها موسى <sup>عليه السلام</sup> أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبت ولم

عنكم الر جس أهل البيت ويظهر كم تطهيراً انتهى .

والشرعية والمنهاج متقاربان في المعنى كما أن اللفظين الذين فسّرها <sup>عليهم السلام</sup> بهما أيضاً متقاربان ، فيحتمل أن يكونا تفسيرين لكل منها أو يكون على الف والنشر .

فعلى الأول أطلق على أعمال الدين وأحكامه الشرعة لاصالتها العامل بها إلى الحياة الأبدية والتطهر من الأدنس الرديئة ، والمنهاج لأنها كالطريق الواضح الموصى إلى المقصود من الجنة الباقي والدرجات العالية .

وعلى الثاني المراد بالأول الواجبات وبالثاني المستحبات ، ولذا عبر <sup>عليهم السلام</sup> عن الثاني بالسنة ، وبالأول العبادات وبالثاني سائر الأحكام ، والوجه الأول أوفق بقوله : وكان من السبيل ، وإن أمكن أن يكون المراد من مجموعهما وإن كان من أحدهما .

قال الطبرسي (ره) الشرعة والشريعة واحدة وهي الطريقة الظاهرة ، والشريعة هي الطريقة التي يوصل منه إلى الماء الذي فيه الحياة فقيل : الشريعة في الدين الطريق الذي يوصل منه إلى الحياة في النعيم وهي الأمور التي يعبد الله بها من جهة السمع ، والأصل فيه الظهور ، والمنهاج الطريق المستمر يقال : طريق نهج ومنهج أي يبين ، وقال الطبر د : الشرعة : إبتداء الطريق والمنهاج الطريق المسطق قيل : وهذه الالفاظ إذا تكررت فلزيادةفائدة فيه وقد جاء أيضاً بمعنى واحد كقول الشاعر : أقوى وأفتر ، وهو بمعنى ، انتهى .

قوله : أن جعل عليهم السبت ، قال الراغب : أصل السبت قطع العمل ومنه سبت السير أي قطعه ، وسبت شعره حلقه ، وقيل : سمي يوم السبت لأن الله تعالى إبتدء بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقهما في ستة أيام كما ذكره فقطع عمله تعالى يوم السبت فسمى بذلك ، وسبت فلان صار في السبت .

يُستحلل أن يفعل ذلك من خشية الله ، أدخله الله الجنة ومن استخف بحقه واستحلله ماحرّم الله عليه من عمل الذي نهاه الله عنه فيه ، أدخله الله عزّ وجلّ النار وذلك حيث استحلوا الحيتان واحتبسوها وأكلوها يوم السبت ، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا

وقوله عزّ وجل : « يوم سبتم »<sup>(١)</sup> فيل : يوم قطعهم للعمل « ويوم لا يسبتون » فيل : معناه لا يقطعون العمل ، وفيل : يوم لا يكونون في السبت وكلاهما إشارة إلى حالة واحدة وقوله : إنّما جعل السبت أى ترك العمل فيه ، انتهى .

قوله ﷺ : ولم يستحل ، الظاهر أن المراد بالاستحلال هنا الجرأة على الله وانتهاك ماحرّم الله فكأنه عده حلالاً لقوله بذلك ولاشكوا في شيء مما جاء به

موسى .

وماقيل: دلّ على أن مخالفه الاحكام كفر يوجب دخول النار مع الاستحلال والظاهر أنه لا خلاف فيه بين الأمة ، وما ذلك إلا لأنّ الاقرار بها والعمل بها داخلان في الایمان ، وإذا كان كذلك كان تاركها وإن لم يستحل كافراً بعدّه بالنسار أيضاً . فلا يخفى ونهنـهـ « حيث استحلوا الحيتان » أى استحلوا صيدها أو أكلها أو حبسها أيضاً ، وقوله : يوم السبت ظرف لكل من احتبسوها وأكلوها أو لاستحلوا أيضاً أى استحلوا أو لاحبسها يوم السبت ثم استحلوا صيدها وأكلها فيه .

وقيل : يوم السبت ظرف لاحتبسوها لا أكلوها أى احتبسوها يوم السبت في مضيق بسد الطريق عليها ثم أصطادوها يوم الأحد وأكلوها ، فعلوا بذلك خيلة ولم تنفعهم لأنّ إحتباسها فيه هتك لحرمة ، فخرجوا بذلك من الایمان إلى الكفر ، ولذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن وأن يشكوا في رسالة موسى ﷺ وما جاء به ، ولذلك لم يصطادوا يوم السبت ، فعلم أن الایمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لأنّ المؤمن لا يغضب ولا يدخل النار .

وفيه شيء لأنّ استحلالهم الحيتان ينافي ظاهر أعدم شكّهم بما جاء به موسى .

أُشْرَكُوا بِالرَّحْمَنِ وَلَا شَكَوْا فِي شَيْءٍ مَمَّا جَاءَهُ هُوَ سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقَلَنَا لَهُمْ كَوْنَوْا قَرْدَةً خَاسِئِينَ»<sup>(١)</sup> ثُمَّ بَعْثَ

وَيُمْكِنُ دُفْعَهُ بِأَنَّ هَاجِأَهُ مُوسَى تَحْرِيمُ الْحَيَّاتِنَ يَوْمَ السَّبْتِ وَهُمْ أَسْتَحْلُوْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ وَلِعَقْبِهِمْ مَا لَهُمْ بِهِ احْتِبَاسٌ يَوْمَ السَّبْتِ، انتَهَى.

وَأَقُولُ: قَدْعِرْتُ مَعْنَى الْأَسْتَحْلَالِ وَهُوَ مَعْنَى شَايْعِ الْمَحَاوِرَاتِ، فَلَا يَرِدُ مَا أُورَدَهُ، وَأَمَّا الْجَوَابُ الَّذِي ذَكَرْتُ فَهُوَ يَضْعُفُ لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ، لَأَنَّ الْاحْتِبَاسَ إِذَا مِنْ يَكِنْ مِنْهِيًّا عَنْهُ فَكَيْفَ عَذَّبَهُ بِأَعْلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيمَا نَهَوْعَنْهُ عَادَ الْأَشْكَالُ مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ أَكْثَرِ الرَّوَايَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ أَنَّهُمْ بَعْدَ تَلِكَ الْحِيلَةِ تَعْدِيَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الصَّيْدِ وَالْأَكْلِ يَوْمَ السَّبْتِ فَاعْتَزَلُتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ يَمْسُخُوهُ، وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ بَيْنَهُمْ فَمَسْخُوهُ أَيْضًا لِتَرْكِهِمُ النَّهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ فِي مِجْمَعِ الْبَيَانِ: اخْتَلَفَتْ فِي أَنَّهُمْ كَيْفَ اصْطَادُوا فَقِيلَ: إِنَّهُمْ أَلْقَوُا الشَّبَكَةَ فِي الْمَاءِ يَوْمَ السَّبْتِ حَتَّىٰ كَانَ يَقْعُمُ فِيهَا السَّمْكُ ثُمَّ كَانُوا إِلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ الشَّبَكَةَ مِنَ الْمَاءِ إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ، وَهَذَا نَسْبَتْ مَحظُورٍ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: اتَّخَذُوا الْعِيَاضَ فَكَانُوا يَسْوِقُونَ الْحَيَّاتِنَ إِلَيْهَا وَلَا يَمْكِنُهُمْ إِلَّا خَرْجُونَهَا يَوْمِ الْأَحَدِ.

وَقِيلَ: أَنَّهُمْ إِصْطَادُوهُنَا وَتَنَاهُلُوهُنَا بِالْيَدِ يَوْمَ السَّبْتِ عَنِ الْحَسَنِ.

«وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» قَالَ الْبَيِّنُوْدِيُّ: السَّبْتُ مَصْدُرُ سُبْتِ الْيَهُودِ إِذَا عَظَمْتُ يَوْمَ السَّبْتِ وَأَصْلَهُ الْقُطْعَ، أَمْرُوا أَنْ يَجْرِي دُوهُ لِلْعِبَادَةِ فَاعْتَدَى فِيهِ نَاسٌ مِنْهُمْ فِي زَمْنِ دَادَ الْكَلَّا وَاشْتَغَلُوا بِالصَّيْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ قَرْيَةً عَلَى السَّاحِلِ يَقَالُ لَهَا الْبَلْدَةُ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ لَمْ يَمْقُتْ حَوْتٌ فِي الْبَحْرِ إِلَّا حَضَرَ هَنَاكَ وَأَخْرَجَ خَرْطُومَهُ وَإِذَا مَضَى تَفَرَّقَتْ فَحَضَرَوْا حَيَّاضًا وَشَرَعُوا إِلَيْهَا الْجَدَالُ، وَكَانَتِ الْحَيَّاتِنَ تَدْخُلُهَا يَوْمَ السَّبْتِ فَيَصْطَادُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ «فَقَلَنَا لَهُمْ كَوْنَوْا قَرْدَةً خَاسِئِينَ»

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٦٢.

الله عيسى عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأقر أربما جاء به من عند الله وجعل لهم شرعة ومنها جاً فهدمت السُّبْتُ الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السُّبْلِ والسنَّةِ التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سُبْلِ عيسى أدخله الله النار وإن كان الذي جاء به النَّبِيُّونَ جمِيعاً أن لا يشر كوا بالله شيئاً، ثمَّ بعث الله مُحَمَّداً رَسُولَهُ وَهُوَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ فَلَمْ يَمْتَ بِمَكَّةَ فِي تِلْكَ الْعَشْرَ سَنِينَ أَحَدٌ يَشَهِّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

جماعين بين صورة القردة، والخسوء وهو الصغار والطُّرد، قال مجاهد: ما هُسْخت صورهم ولكن قلوبهم فمثُلوا بالقردة كما مثُلوا بالحمار في قوله: «كميل الحمار يحمل أسفاراً» <sup>(١)</sup> وقوله: كونوا، ليس بأهل إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم، انتهى.

قوله: فهدمت، أي الشُّرُعَةُ والمنهاج أيضاً لكونه بمعنى الطريق يجوز فيه القاتُلُ، ويمكُن أن يقرء على بناء المجهول باضمار السنَّةِ في السُّبْتِ، وقوله: أن يعظموه بدل إشتمال للمضمير، وعامة عطف على السُّبْتِ «سبيل عيسى» أي شرائعه المختصة به. قوله عليه السلام: وإن كان الذي جاء به النَّبِيُّونَ أي هدمت شريعة عيسى عامة ما كانوا عليه وإن كان الذي جاء به النَّبِيُّونَ من التوحيد وسائر الأصول باقىَ الْمُتَغَيِّرُ، والعنى أدخله الله النار وإن كان منه الاقرار بما جاء به النَّبِيُّونَ وهو التوحيد، ونفي الشرك، وقوله: أن لا يشر كوا، عطف بيان أو بدل الموصول، وعلى الوجهين يحتمل كون كان تامةً وناقصة، وقيل: الموصول إسم كان وأن لا يشر كوا خبره ولها أيضاً وجه وإن كان بعيداً. قوله عليه السلام: عشر سنين، أقول: هذا مخالف لظاهر في تاريخ النبي ﷺ وطريقه وهو المشهور من أنه نزل أقام بعد البعثة بمكَّةَ ثلاثة عشرة سنة، فقيل: هو يعني على إسقاط الكسور بين العددتين وهو بعيد في مثل هذا الكسر، والذى سُبِّحَ لِي أَنَّه مبني على ما يظهر من الأُخْبَارِ أَنَّه نزل: «وَأَنذَرَ عَشِيرَاتَ الْأَقْرَبَيْنَ» وكان أول

(١) سورة الجمعة: ٥.

مَدْأَوْلَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِاقْرَارِهِ وَهُوَ إِيمَانُ التَّصْدِيقِ وَلَمْ يَعْذَّبْهُ اللَّهُ أَحَدًا ، مَنْ ماتَ وَهُوَ مُتَّبِعٌ لِّمُحَمَّدٍ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ أَشْرَكَ بِالْجَنَّةِ وَتَصْدِيقِ

بعته دعابني عبد المطلب وأظهر لهم رسالته ودعاهم إلى بيته والإيمان به ، فلم يؤمن به إلّا على "عَلَيْهِ السَّلَامُ" ثم خديجة رضي الله عنها ، ثم جعفر رضي الله عنه ، وكان على ذلك ثالث سنين حتى نزل : « فاصدح بما توهم وأعرض عن المشركين » <sup>(١)</sup> فدعا الناس إلى الاسلام فلذا لم يعد على "عَلَيْهِ السَّلَامُ" تملك الثلاث سنين من أيام البعثة ، وأنها لم تكن بعثة عامية مؤكدة .

قال على بن ابراهيم في قوله تعالى « فاصدح بما توهم » الخ ، أنها نزات بعكة بعد أن نبى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بثلاث سنين و ذلك أن النبوة نزلت على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يوم الاثنين ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ثم دخل أبو طالب على النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وهو يصلى على صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بجنبه وكان مع أبي طالب جعفر ف قال لها أبو طالب : صل جناح ابن عمك فوقف جعفر على يسار رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ فبدر رسول الله من بينهما فكان يصلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ على جعفر و زيد بن حارثة و خديجة ، فلما أتى لذلك ثالث سنين أنزل الله عليه « فاصدح بما توهم وأعرض عن المشركين ، إنما كفيناكم المستهزئين » <sup>(١)</sup> .

وفي اعلام الورى بعد ذلك فخرج رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وقام على الحجر وقال : يا معاشر قريش وبامعشر العرب أدعوكم إلى عبادة الله وخلع الانداد والأنعام وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله فأجيبوني تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، وتكون ملوكا في الجنة ، إلى آخر ما ذكر .

ويحتمل أن يكون مبنياً على إسقاط سني الهجرة إلى شعب أبي طالب ، أو إسقاط الثلاث سنين بعد وفاة أبي طالب رضي الله عنه ، لعدم تمكنته في هاتين المددتين

ذلك أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسُكْتَةً « وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ

مِنَ التَّبْلِيغِ كَمَا يَنْبَغِي لِكُنْتَهُمَا بِعِيدَانٍ ، وَالْأَظْهَرُ مَا ذَكَرَنَا أَوْلَاهُ .

قوله تَعَالَى : يشهد أن لا إله إلا الله، الظاهر أن المراد به الشهادة القلبية بالتوحيد والرّسالة وما يلزمها فقط أومع الاقرار باللسان أو عدم الانكار الظاهري لامجر د الاقرار باللسان بقرينة قوله : وهو ايمان التصديق ، وقد عرفت أن الایمان الظاهري فقط لا ينفع في الآخرة وإن احتمل التعميم ، ويكون قوله : إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِالرَّحْمَانِ ، أَى قُلْبًا إِسْتِثناءً مِنْهُ فَيُرْجَعُ إِلَى مَا ذَكَرَنَا أَوْلًا وَعَلَى الْأُوْلَى يَكُونُ إِسْتِثناءً مِنْ قطْعَةً .

وعلى التقديرتين يكون المراد بقوله : وهو ايمان التصديق أَنَّه الایمان بمعنى التصديق فقط ، ولا يدخل فيه الأعمال لاشرعاً ولا شطراً وإن كانت سبباً لكماله بخلاف الایمان بعد الهجرة فإن الأعمال قد دخلت فيه على أحد الوجهين وذلك لأنهم لم يكثروا بعد إِلَّا بِالشَّهَادَتِينَ فحسب ، وإنما نهوا عن أشياء نهي أدب وعظة وتحفيف ، ثم نسخ ذلك بالتغليظ في الكبائر والتوعاد عليها ، ولم يكن التغليظ والتوعاد يومئذ إِلَّا في الشرك خاصة ، فلما جاء التغليظ والإيعاد بالنار في الكبائر ثبت الكفر والعذاب بِالْمُخَالَفَةِ فِيهَا .

« وَصَدِيقُ ذَلِكَ » أَى دليل ما ذكرنا من التفاوت في التكاليف ومعنى الایمان قبل ان هجرة وبعدها .

وقال الفاضل الاسترابادي : بيان لا ول الواجبات على المكلفين وأن تكاليف الله تعالى ينزل على التدرج ، وفي كتاب الاطعمة من تهذيب الاحكام أحاديث صريحة في التدرج في التكاليف ، إنماهى .

ولنذكر تفسير الآيات التي أسقطت اختصاراً إماماً من الإمام تَعَالَى أو من الرواوى قال تعالى قبل تلك الآيات : « لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَنْعَدْ مَذْمُومًا مَخْذُولًا » ثم قال : « وَقَضَى رَبُّكَ » قيل : أَى أَمْرًا مقطوعاً به : « أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » لأنَّ

لاتعبدوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادَتِهِ خَيْرًا بَصِيرًاً  
أَدْبُ وَعَظَةٌ وَتَعْلِيمٌ وَنَهْيٌ خَفِيفٌ وَلَمْ يَعْدْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَاعِدْ عَلَى اجْتِرَاحِ شَيْءٍ مَمَّا نَهَا

غَايَةُ التَّعْظِيمِ لَا تَحْقِقُ إِلَّا مَنْ لَهُ غَايَةُ الْعَظَمَةِ وَنَهَايَةُ الْأَنْعَامِ « وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا » بِأَنَّ  
تَحْسِنُوا أَوْ أَخْسِنُوا بِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا لَا تَنْهَا السَّبِيلُ الظَّاهِرُ لِلْمَوْجُودِ وَالْتَّعْيِشُ « إِمَّا  
يُبَلِّغُنَّ » إِمَّا إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ زَيَّدَتْ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَأْكِيدْ « عِنْدَكَ الْكَبَرُ » فِي كِنْفَكَ وَكَفَالَتَكَ  
« أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقْلِلْ لَهُمَا أُفْ » إِنْ أَضْجَرْتَكَ « وَلَا تَنْهَرْهُمَا » أُفْ فَلَا تَزْجُرْهُمَا  
إِنْ ضَرَبَكَ « وَقُلْ لَهُمَا قُولًا كَرِيمًا » أُفْ حَسَنًا جَيْلاً « وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ »  
أُفْ تَذَلَّلْ لَهُمَا وَتَوَاضَعْ « مِنَ الرَّحْمَةِ » أُفْ مِنْ فَرْطِ رَحْمَتِكَ عَلَيْهِمَا « وَقُلْ رَبِّ أَرْجُوهُمَا  
كَمَارِبِيَّانِي صَغِيرًا » جَزَاءً لِرَحْمَتِهِمَا عَلَى وَقْرَبِيَّهُمَا وَإِرْشَادِهِمَا لِي فِي صَفَرِيِّ « رَبِّكُمْ  
أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلَّأُوَّلِيْنَ غَفُورًا » .

عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام الْأُوَّلِيْنَ الْتَّوَّابُونَ الْمُتَعْبُدُونَ « وَآتَ ذَا الْفَرَبِيِّ حَقَّهُ  
وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ لَا تَبْدِرْ رَبِّيْرًا » وَهُوَ صَرْفُ الْمَالِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي وَإِنْفَاقُهُ عَلَى  
وَجْهِ الْأَسْرَافِ « إِنَّ أَمْبَدِرِيْنَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » أُفْ أَمْثَالُهُمْ « وَكَانَ الشَّيْطَانُ  
لِرَبِّهِ كَفُورًا » أُفْ مُبَالَغًا فِي الْكُفَرِ .

« وَإِمَّا تُعرَضُنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةِ مِنْ رَبِّكَ تُرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قُولًا مَيْسُورًا، وَلَا  
تَجْعَلْ يَدِكَ مَعْلُوَةً إِلَى عَنْقَكَ وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَفَقَعَدْ مَلُومًا » أُفْ فَتَمِيرْ مَلُومًا  
عَنِ الدَّلَّهِ وَعَنِ النَّاسِ بِالْأَسْرَافِ وَسُوءِ التَّدِبِيرِ « مَحْسُورًا » أُفْ نَادِمًا أَوْ مُنْقَطِعًا بِكَ لَا شَيْءَ  
عِنْدَكَ « إِنَّ رَبِّكَ يَبْسِطُ الرُّزْقَ مِنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ » أُفْ يَوْسُعُهُ وَيَضِيقُهُ بِمَشِيَّتِهِ التَّابِعَةِ  
لِلْحُكْمَةِ « إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادَتِهِ خَيْرًا بَصِيرًاً » يَعْلَمُ سُرُّهُمْ وَعَلَانِيَّتِهِمْ .

قَوْلِهِ عليه السلام : أَدْبُ وَعَظَةٌ ، أُفْ كَلِّمَا ذَكَرَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ سُوَى صَدْرِ الْأَوْلَى وَهُوَ  
قَوْلُهُ : « وَقَضَى رَبِّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » تَأْدِيبٌ وَمَوْعِظَةٌ ، وَهَذَا هَبْنَى عَلَى أَنَّ  
قَوْلِهِ وَبِالْوَالِدِينِ يَتَقدِّمُ وَأَحْسِنُوا عَطْفًا عَلَى جَمْلَةٍ : قَضَى رَبِّكَ ، لَا إِنَّ فِيهَا تَأْكِيدًا  
وَنَهْيَيِدًا فِي الْجَمْلَةِ .

عنه وأنزلتهنّهياً عن أشياء حذّر عليها ولم يغفلّظ فيها ولم يتواعد عليها وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً \* ولا تقربوا الزنا إِنَّه كَانَ فَاحْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا \*» ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إِلَّا بالحقّ ومن

ويحتمل أن يكون المراد بعيدهما لكن وقع التهديد على الشرك فيما من وفديما سيأتي من الآيات كقوله : ولا تجعل مع الله إِلَهًا آخر .

فإن قيل : قوله : وَأَتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ، إِلَى قوله : « كَفُورًا » فيه وعيد وتهديد ؟ قلنا : ليس ممحض كونهم إخوان الشياطين تهديداً ووعيداً صريحاً بالنار ، بل قيل قوله كانوا ، يدلّ على أنّ في أواخر شرائع سائر أولى العزم كانت كذلك ، فلا يدلّ صريحاً على أنّ في تلك الشرعية أيضاً كذلك ، والاجترار الأكتساب .

« ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » قيل : اي مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم وأدّهم بناهم مخافة الفقر فنهاهم الله عنه ، وضمن لهم أرزاقهم فقال : « نحن نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً » اي ذنبًا كبيراً مما فيه من قطع التنسال واقتطاع النوع .

والخطأ الآخر ، يقال : خطأ خطأً كائناً إثناً ، وقرأ ابن عامر خطئاً بالتحريك وهو إسم من أخطأ ضد الصواب ، وقيل : لغة فيه كمثل ومثل وحدر وحدر ، وقرأ ابن كثير خطاءً باطئ والكسر ، وهو إمّا لغة أو مصدر خطئاً ، وقرى خطاءً بالفتح والمدّ ، وخطأ بحذف الهمزة هفتواً ومكسورةً وعلى التقادير ليس فيه تصريح بكل منه ذنبًا ، ولا ترتّب العقوبة عليه .

« ولا تقربوا الزنا » بالقصد وإتيان المقدّمات فضلاً أن تباشروه « إِنَّه كَانَ فَاحْشَةً » فعلة ظاهرة القبح زايدته « وَسَاءَ سَبِيلًا » اي وبئس طريقة طريقة ، وهو الغصب على الابناع المؤدى الى قطع الأنساب وهيج الفتن .

« ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إِلَّا بالحقّ » قيل : اي إِلَّا بأحدى ثلاثة خصال : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحسان ، وقتل مؤمن معصوم عمداً « وَمَنْ قَلَ مُظْلوماً » غير

قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلما يسرف في القتل إنّه كان منصوراً \* ولا تقرّ بوا  
مال اليتيم إِلَّا بِالّتِي هِي أَحْسَن حَتَّى يُبَلَّغ أَشَدُهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ  
مَسْؤُلًا \* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَمْ وَزَنُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا \* وَلَا تَنْقُضُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفَؤُادُ كُلُّهُ اَوْلَئِكَ كَانُ

مستوجب للقتل « فقد جعلنا لوليّه » للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث « سلطاناً »  
أى تسليطاً بالمؤاخذة بمقتضى القتل « فلا يسرف » أى القاتل « في القتل » بأن يقتل من  
لا يحقّ قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بامللة أو قتل غير القاتل  
« إنّه كان منصوراً » علّة النهي على الاستثناف ، والضمير إِمَّا للمقتول فإنه منصور  
في الدّنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب ، وإِمَّا لوليّه فان الله نصره حيث  
أوجب القصاص له وأمر الولاية بمعونته وإِمَّا الذي يقتل الولي إِسرافاً بايجاب القصاص  
والتعزير والوزر على المسرف .

« ولا تقرّ بوا مال اليتيم » فضلاً أن تصرّفوا فيه « إِلَّا بِالّتِي هِي أَحْسَنُ » أى  
إِلَّا بالطريقة التي هي أحسن « حَتَّى يُبَلَّغ أَشَدُهُ » غاية لجواز التصرّف الذي دلّ  
عليه الاستثناء « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ » بما عاهدكم الله من تکاليفه أو ما عاهدتمنوه وغيره  
« إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا » مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به ، أو مسؤل عنـه  
يسئـل النـاـكـثـ وـيـعـاتـبـ عـلـيـهـ أـوـيـسـئـلـ الـعـهـدـ لـمـ نـكـثـ تـبـكـيـتـاـ لـلـنـاـكـثـ كـمـاـ يـقـالـ لـلـمـؤـدـةـ  
بـأـيـ ذـنـبـ قـتـلـتـ ، وـيـجـوـزـ أـنـ يـرـادـ أـنـ صـاحـبـ الـعـهـدـ كـانـ مـسـؤـلـاـ .

« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَمْ » ولا تخسروا فيه « وَزَنُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » بالطيزان  
السوّيّ وهو روميّ عرب ، وقرء حزة والكسائي ومحض بكسر الفاف « ذلك خير  
وأحسن تأويلاً » أى وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع .

« ولا تتفق » ولا تتابع « ماليس لك به علم » مالم يتعلق به علمك تقليداً أو رجحاً  
بالغيب قيل : واحتاج به من منع من اتباع الظن ، وجوابه: أن المراد بالعلم هو الاعتقاد

عنه مسؤولًا \* ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً \* كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً \* ذلك مما أوحى إليك ربك من

الراجح المستفاد من سند ، سواء كان قطعياً أو ظنياً وإستعماله بهذا المعنى شائع ، وقيل : أنه مخصوص بالعقائد ، وقيل : بالرمي ونهاية الرزور « ان » السمع والبصر والرؤاين كل ألوانك » أي كل الأعضاء فأجرها مجرى العقلاء بما كانت مسؤولة عن أحوالها ، شاهدة عن صاحبها ، هذا .

وان » دأباء » وإن غالب على العقلاء لكنه من حيث أنه إسم جمع لهذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله : « والعيش بعد أولئك الأيام » .

« كان عنه مسؤولًا » في ثلاثة ضمير كل ، أي كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه ، يعني عمما فعل به صاحبه ، ويجوز أن يكون الضمير في عنه متصدر ولا تتفق ، أو لصاحب السمع والبصر ، وقيل : مسؤولًا مسند إلى عنه كقولك : غير المضوب عليهم ، والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لأن » الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم « ، وقيل : المراد بسؤال الجوارح إمامًا سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كما يظهر من أولئك أو جعلت بمنزلة ذوى العقول أو هم ذووا العقول مع الله تعالى « ولا تمش في الأرض مرحًا » أي ذارح وهو الاختيال ، وفي القاموس : المرح شدة الفرح والنشاط « إنك لن تخرق الأرض » لن يجعل فيها خرقاً بشدة وطأتك « ولن تبلغ الجبال طولاً » بمنظارتك و مدد عنقك و هو تهكم بالمخاتل و تعلييل للنهي بأن » الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل « كل ذلك كان سيئه » قيل : يعني المنهى عنه فان المذكورات مأمورات ومناهي ، وقرآن الحجازيان والبصريان « سيئة » على أنها خبر كان والاسم ضمير كل و « ذلك » إشارة إلى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله « عند ربك مكروهاً » بدل من سيئه أو صفة لها محمولة على المعنى .

« ذلك » إشارة إلى الأحكام المتقدمة « مما أوحى إليك ربك من الحكمة »

الحكمة ولا يجعل مع الله إله آخر فتلقى في جهنم ملوكاً مدحوراً<sup>(١)</sup> وأنزل في «والليل إذا يغشى» «فأنذر رتكم ناراً تلظى» لا يصلحها إلا الأشقي الذي كذب وتولى<sup>(٢)</sup> فهذا

التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به «و لا تجعل مع الله إلها آخر» كرده للتتبّيه على أن التوحيد هبة الأمر و منهاته و رأس الحكم و ملاكه «ملوماً»  
تلوم نفسك «مدحوراً» مطرداً بعيداً من رحمة الله .

وأقول : هذا شروع في ذكر الآيات التي نزلت بمكة مشتملة على الوعيد والتهديد في الشرك ونحوه بخلاف ما ورد في غيره مما مضى فان "كونه خطأ كبيراً أو فاحشة ومسئولاً ومسئولاً عنه ومكررها ليس في شيء منها تصریح بالعذاب والنکال الآخر وی" ولا يحتاج إلى ما يتکلّف بأن كان خطأً و كان فاحشة ، و مسئولاً ، و كان عنه مسئولاً ، و كان سبباً عند ربّك مكررها ، محمولة على أنها كانت في أواخر الأمم السابقة كذلك ، و مستصير في هذه الأمة أيضاً بعد ذلك كذلك فإنه في غاية البعد وزيادة «كان» في هذه المقامات كثيرة في الذكر الحميد كقوله « كان ربّك قدّيرأ » « وكان غفوراً رحيمأ » بالوجه ما ذكرنا فتفقّط .

«نار أَنْلَظَى» اى تلهب «لا يصليها» اى لا يلزمها مقاسيمًا شدّتها «إلاً الاشقي» قيل أى إلاً الكافر فانه الفاسق وإن دخلها لم يلزمها ولكن سماته أشقي ووصفه بقوله : «الذى كذب وتولى» اى كذب الحق و أعرض عن الطاعة كذا ذكره البيضاوى ، وقال في قوله تعالى بذلك : «وسيجنبها الانقى» اى الذى انقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلاً أن يدخلها و يصليها ، و مفهوم ذلك أن من انقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ، ولا يلزم ذلك صليها ، فلا يخالف الحصر السابق انتهى .

وقال الطيرسي، (ره) : لا يصلحها ، أى لا يدخل تلك النار و لا يلزمهها إلا

(١) سورة الاسراء : ٣٠ - ٣٩ .

(٢) سورة الليل : ١٥ - ١٦ .

الأشقى وهو الكافر بالله، الذي كذب بآيات الله ورسله وتوّلَّ، أى أعرض عن الإيمان، وسيجتُنِّبها، أى سيفجُتنِّب النار ويجعل منها على جانب «الاتفاق» المبالغ في التقوى «الذى يُؤْتى ماله» أى ينفقه في سبيل الله «يُتَزَكَّى» أى يكون عند الله ذكِيرًا لا يطلب بذلك رباءً ولا سمعة.

قال القاضي : قوله : لا يصلحها الآية ، لا يدخل على أنه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما تقوله الخوارج وبعض المرجئة ، وذلك لأنَّه نَكَرَ النار المذكورة ولم يعرُّفها ، فالمراد بذلك أنَّ ناراً من جملة النيران لا يصلحها إلا من هذه حاله ، والنيران دركات على ما بينه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين ، فمن أين عرف أنَّ هذه النار لا يصلحها قوم آخرُون ، وبعد فانَّ الظاهر من الآية يوجب أن لا يدخل النار إلا من كذب وتوّلَّ وجمع بين الأمرين ، فلا بدَّ للقوم من القول بخلافه لأنَّهم يوجبون النَّارَ لمن يتولَّ عن كثير من الواجبات وإن لم يكذب ، وقيل : إنَّ الاتفاق والأشقى المراد بهما التقى والشقى ، انتهى .

ثم أعلم أنه استدل بالآيات الأول على أنَّه عيد النار في مكة إنما كان على الكفار لأنَّه سبحانه حصر الصلى بالنار على الأشقي الذي كذب الرسول وتوّلَ عن قبول قوله في التوحيد أو الأعم ، ومن كذب الرسول وأعرض عملاً جاء به كافر مشرك ، فظهور أنه لم يكن يومئذ يستحق النار غير المشركين والكافر من الفساق وإليه أشار عليه السلام بقوله فهذا مشرك وهذا وجه حسن ، واستدلال متين لكن كيف يستقيم على هذا الآيات التالية وهي قوله : « وسيجتنبها الاتفاق » إلخ ، فانها تدل على أنَّ غير الاتفاق لا يجتنب النار .

ويمكن الجواب عنه بوجوه :

الأول : أن المضاد في قوله تعالى : لا يصلحها ، للحال واستعمل الصلى في سبيه مجازاً أى الحكم في الحال قبل الهجرة أنَّه لا يدخلها إلا المشرك ، وفي قوله

مشرك<sup>ُ</sup> وأنزل في «إذا السماء انشقت» «وأماماً من اوتني كتابه وراء ظهره فسوف يدعوه ثبوراً» ويصلى سعيراً «إنه كان في أهله مسروراً» «إنه ظنَّ أن لن يحور بلي»<sup>(١)</sup> فهذا مشرك وأنزل في [سورة] تبارك «كَلَمَا أَقْرَى فِيهَا فَوْجٌ سَأْلَهُمْ خَزْنَتْهَا أَلَمْ يَأْتُكُمْ

سيجيئها لاستقبال القريب إخباراً عن التكاليف المدنية بعد دخول الاعمال في الايمان فلا تنافي بينهما و تكون الآيات جمع دالة على الحكمين صريحاً .

الثاني . أن يقال أنَّ الآيات التالية نزلت بالمدينة كما روى في تفسير علي بن ابراهيم أنها نزلت في أبي الدحداح بالمدينة لكن ظاهر الرواية أنَّ الآيات الأولى أيضاً نزلت بالمدينة .

الثالث : أن يقال أنَّ الآيات الاخيرة وإن كانت دالة على عدم تجنب الفساق النار لكنها دلالة ضعيفة بالمفهوم ، فما يدلُّ صريحاً على دخول النار إنما هو في الكفار ، وما يدلُّ على حكم الفجّار فليس فيه وعيد صريح وتهديد عظيم بل يدلُّ دلالة ضعيفة على عدم الحكم بأنهم لا يدخلونها لاسيما مع العصر المتقدم و لعلَّ السرُّ في هذا الاجمال عدم اجترائهم على المعاصي .

«وأماماً من اوتني كتابه وراء ظهره» أى يؤتني كتابه بشماله من وراء ظهره، قيل: يغلب<sup>ُ</sup> يمناه إلى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره «فسوف يدعوه ثبوراً» أى يتمنى الثبور ويقول وابوراه وهو الهلاك «ويصلى سعيراً» أى نادأ مسيرة «إنه كان في أهله» أى في الدنيا «مسروراً» بطرأ بالظل والجاه فارغاً عن ذكر الآخرة «إنه ظنَّ أن لن يحور» أى لن يرجع بعد ان يموت «بابى» يرجع «ان ربيه كان به بصيراً» أى عاطلاً بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه «فهذا مشرك» لا أنه أنكر البعث وإنكاره كفر أو كان لا يذكره حينئذ إلا المشركون «كَلَمَا أَقْرَى فِيهَا فَوْجٌ أَلَمْ يَأْتُكُمْ خَزْنَتْهَا» أى خزنة جهنم «أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَذِيرٍ» يخوّفكـم هذا العذاب

نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا : ما فر لاله من شيءٍ<sup>(١)</sup> فهؤلاء مشركون  
وأنزل في الواحة<sup>(٢)</sup> «وَمَا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذَّبِ بَيْنَ الضَّالِّينَ» فنزل من حيم \* وتصليمة جحيم<sup>(٣)</sup>  
فهؤلاء مشركون وأنزل في الحافة<sup>(٤)</sup> «وَمَا إِنْ كَانَتْ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لِيْتَنِي لَمْ أَوْتُ  
كِتَابَهُ \* وَلَمْ أُدْرِكْ حِسَابَهُ \* يَا لِيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ \* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ - إِلَى قَوْلِهِ -

وهو توبخ وتبكيت .

« قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا » أى الرّسل وأفرطنا في التكذيب حتى  
نفيينا الانزال رأساً وبالغدا في نسبةهم إلى الضلال حيث قالوا بعد ذلك « إنْ أَنْتُمْ إِلَّا في  
ضلالٍ كَبِيرٍ » .

فهؤلاء مشركون لتكذيبهم بكتب الله ورسله « وَمَا إِنْ كَانَ مِنْ امْكَذَّبِينَ »  
بالبعث والرّسل وآيات الله « الضالّين » عن الهدى الذاهبين عن الصواب والحق  
« فَنَزَلَ مِنْ حِيمٍ » أى فنزل لهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من حيم جهنّم « وَ  
تَصْلِيمَةَ جَهَنَّمَ » أى إدخال نار عظيمة فهؤلاء مشركون للتصرّج بأنّهم كانوا من المكذّبین  
الضالّين .

« وَمَا إِنْ كَانَتْ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ » مثلاً رأى من فبح العمل وسوء العاقبة  
« يَا لِيْتَنِي لَمْ أَوْتُ كِتَابَهُ وَلَمْ أُدْرِكْ حِسَابَهُ » الهاء فيما وفيما بعدها للسكت ، ثبتت  
في الوقف وسقط في الوصل ، وقالوا : استحب الوقف لبيانها في الإمام ولذلك قوله  
ببيانها في الوصل « يَا لِيْتَهَا » أى ياليت الموتة التي متّها « كانت القاضية » أى القاطعة  
لأمرى فلم أبعث بعدها أو ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على « أو ياليت  
حياة الدنيا كانت الموتة و لم أخلق حيّا « مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ » أى مالى من المال و  
الطبع أو مانفى و المفعول ممحوف أو إستفهم إنكار معمول لأنّى وبعد ذلك .

« هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ » أى ملكي وسلطني أو حجستي التي كنت أحتج في

(١) سورة الملك : ٩ .

(٢) سورة الواحة : ٢٤ .

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup> فَهَذَا مُشَرِّكٌ، وَأُنزَلَ فِي طَسْمٍ «وَبِرَّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»  
وَقَيْلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* مَنْ دُونَ اللَّهِ هُلْ يَنْصُرُونَ كُنْكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ \* فَكَبَّكَبُوا  
فِيهَا مِنْ وَالْغَاوِينَ \* وَجَنُودُ إِبْلِيسِ أَجْعَوْنَ<sup>(٢)</sup> جَنُودُ إِبْلِيسِ ذَرَّ يَسْتَهِنُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَقَوْلُهُ:

الدُّنْيَا «خَذُوهُ» يَقُولُهُ اللَّهُ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ «فَغَلَوْهُ ثُمَّ الْجَحِيمُ صَلَوْهُ» أَى ثُمَّ لَا تَصْلُوهُ إِلَّا  
الْجَحِيمُ وَهِيَ النَّارُ الْعَظِيمُ لَا نَهُ كَانَ يَتَعَظَّمُ عَلَى النَّاسِ «ثُمَّ فِي سَلْسَلَةِ ذَرَعَهَا سَبْعُونَ  
ذَرَاعًا فَاسْلَكُوهُ» أَى فَادْخُلُوهُ فِيهَا بَأَنْ تَلْقَوْهُ عَلَى جَسَدِهِ «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»  
فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَعِيدُ بِالنَّارِ لِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفَّارِ فَهَذَا مُشَرِّكٌ .

قَوْلُهُ «فِي طَسْمٍ» أَى فِي الشَّعَرَاءِ «وَبِرَّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» فِي رِوَايَةِ مَكْشُوفَةٍ  
وَيَتَحَسَّرُونَ عَلَى أَنَّهُمُ الْمُسَوْقُونَ إِلَيْهَا وَقَيْلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ<sup>\*</sup>  
أَى أَيْنَ آلَهَتُكُمُ الَّذِينَ تَرْزَعُونَ أَنَّهُمْ شَفَاعَاؤُكُمْ «هُلْ يَنْصُرُونَكُمْ» بَدْعَ العَذَابِ عَنْكُمْ «أَوْ  
يَنْتَصِرُونَ» بِدْفَعَهُ عَنْ أَنفُسِهِمْ لَا نَهُمْ وَآلَهَتُهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ كَمَا قَالَ «فَكَبَّكَبُوا فِيهَا  
هُمْ وَالْغَاوِينَ» أَى الْآلهَةُ وَعِبَدُهُمْ وَالْكَبِكَبةُ تَكْرِيرُ الْكَبِّ لَتَكْرِيرِ مَعْنَاهُ، كَأَنَّ  
مِنْ أَفْقَى فِي النَّارِ يَنْكِبُ<sup>\*</sup> مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَسْتَقِرُ فِي قَعْدَرَهَا «وَجَنُودُ إِبْلِيسِ  
قَيْلُ : مُتَّبِعُوهُ مِنْ عَتَاهُ الْمُقْلِينَ أَوْ شَيَاطِينِهِ أَجْعَوْنَ» تَأْكِيدُ لِلْمُجْنَدِ إِنْ جَعْلَ مُبِينَ  
خَبْرَهُ مَا بَعْدِهِ، أَوْ لِلضَّمِيرِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ وَكَذَا الضَّمِيرُ الْمُنْفَصَلُ وَمَا يَعُودُ إِلَيْهِ فِي  
قَوْلِهِ : «فَالْوَالِوَاتِ هُنَّ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَالَّهُ إِنْ كَمَّا لَفِي ضَلَالٍ مَبِينَ» عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَنْطَقُ  
الْأَصْنَامُ فَتَخَاصِمُ الْعَبْدَةُ، وَيَؤْيِدُهُ الْخَطَابُ فِي قَوْلِهِ : «إِذْ نَسُوْيُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»  
أَى فِي إِسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمَائِرُ لِلْعَبْدَةِ كَمَا فِي قَالَوَا وَالْخَطَابِ  
لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّحَسُّرِ وَالنَّدَامَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مُعَذَّبُونَ بِمَبْدَءِ خَلَالِهِمْ مُعْتَرِفُونَ  
بِأَنَّهُمَا كَهْمٌ فِي الْضَّالَّةِ يَتَحَسَّرُونَ عَلَيْهَا، كَذَا ذَكَرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِ تِلْكَ  
الآيَاتِ .

(١) سورة الحاقة: ٢٥ - ٣٢ .

(٢) سورة الشعرا: ٩١ - ١٠٠ .

« وما أضلنا إِلَّا المُجْرِمُونَ » يعني المشركون الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتّباعهم على شر كهم وهم قوم مُجَرَّمٌ كُلُّهُمْ كَاذِبٌ ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد وتصديق ذلك قول الله عز وجل : « كَذَّ بْتُ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ »<sup>(١)</sup> « كَذَّ بْ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ »<sup>(٢)</sup> « كَذَّ بْتُ قَوْمٍ

قوله ﴿كَلَّا لَهُ مَا يَرَى﴾: يعني المشركون ، هو خبر لقوله « بحذف العائد ، اي يعني به ، و المعنی أنّ المراد بال مجرمین المشركون الذين اتبعهم هؤلاء القائلون على شر کهم و کلاهـما من أمة محمد ﷺ » و تصدقـيق ذلك « اي تصدقـيق أنّ المراد بهم المشركون من هذه الـأمة أنّ الله تعالى ذكر بعد تلك الآيات أحـوال المـشركون ، عـبدة الـآوثـان من كل أمة ، ولم يدخلـ فيـهم اليـهود و النـصارـى .

فالظاهر أن يكون المراد هنا أيضاً طائفة مخصوصة، وليس هم اليهود والنصارى  
لتقوله تعالى سابقاً : فكربلوا فيها هم و الغاوون ، لدلالته على أن " معبدهم في النار  
فلم يبق إلا أن يكونوا من هذه الأمة أو يكتفى بالوجه الأول ، ويقال : لـا كان  
الظاهر من الآيات الالـّاحقة إختصاص الكلام بعيدة الا وثان فالظاهر هنا أيضاً أن يكون  
المراد به من هـو من جنسـهم ولم يـبق من الـأمم المشهورة الذين تعرـضـ الله لـذـكرـهـم  
في القرآن إلا هذه الأمة فـهمـ المرادـونـ بهـ وـ قولـهـ : «ـ كـذـبـتـ قـبـلـهـمـ قـومـ نـوـحـ»ـ كـأنـهـ  
نـقـلـ باـلـعـنـيـ لـأـنـ تـلـكـ الـآـيـاتـ فـيـ سـوـرـةـ الشـعـرـاءـ وـلـيـسـ فـيـهاـ «ـ قـبـلـهـمـ»ـ وـ إـنـمـاـ هـوـ فـيـ صـرـوـ  
المـؤـمنـ ، وـ يـحـتمـلـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ مـصـحـفـهـمـ كـلـيـلـهـ هـكـذاـ .

هذا ما خطر بالبال ، و قيل : لعل "المراد أن" الفائلين بهذا القول أعنى قولهما : « وما أضلنا إلا المجرمون » هم مشركون نبيانا الذين اتبعوا آباءهم الملكة بين لا نبياء بدليل أن الله سبحانه ذكر عقيب ذلك في مقام التفصيل الملكة بين لا نبياء طائفة بعد طائفة، وليس المراد بهم أحدا من اليهود والنصارى الذين صدّقوا نبييهم وإنما

١٢ : سورة حس

١٧٦ : سورة الشعرا

لوط»<sup>(١)</sup> ليس فيهم اليهود والذين قالوا: عزير ابن الله ولا النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله سيدخل الله اليهود والنصارى النار ويدخل كلّ قوم بأعمالهم؛ وقولهم: «وما أضلنا إلّا المجرمون» إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عزوجل فيهم حين جعلهم إلى

أشر كوا من جهة أخرى وإن كان الفريقان يدخلان النار أيضاً فقوله: سيدخل الله ، إستدراك لدفع توهّم عدم دخولهما النار وعدم دخول غيرهما ممن أساء العمل ، انتهى .

قوله ﷺ : ليس هم اليهود ، تأكيد قوله : ليس فيهم ، أو المراد بالأوّل أنّه ليس في القائلين والمجرمين ، وبالثانية أنّه ليس في هؤلاء المكذّبين من الأمم السابقة ، وقيل : الأوّل نفي للتشريك ، والثانية نفي للاختصاص ، والأوسط أظهر .

و «قولهم» مبتدء «إذ دعونا إلى سبيلهم» ذلك من كلامه ﷺ ذكره تفسيراً للآية ، و قول الله خبر للمبتداء ، و يحتمل أن يكون ذلك مبتدء ثانياً إشارة إلى قولهم ، و قول الله خبره ، والمجموع خبر للمبتداء الأوّل ، و حاصله أنّ القولين حكايتان عن قصة واحدة ، و قيل : حين ظرف لقول الله مجازاً من قبيل وضع الدال موضوع المدلول .

ثم أعلم أنّ الآيات في سورة الأعراف هكذا : «حتى إذا جاءتهم رسالتنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عننا و شهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين ، قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجنّ و الانس في النار كلّما دخلت أمّة لعنت اختها حتى اذا اداروكوا فيها جميعاً ، قالت اخرين لهم لا ولهم ربّنا هؤلاء أضلوانا فآتاهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلّ ضعف ولكن لا - تعلمون ، و قالت أوليهم لا خريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» فظهر أنّ قوله : و قالت أوليهم لا خريهم ، من سهو النّساخ أو الرّواة

النّار: «قالت أوليئم لآخر يهم ربنا هؤلاء أعنلو نا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار» وقوله:  
«كُلّما دخلت أمة لعنت اختها حتى إذا أدار كوا فيها جيماً» بريء بعضهم من بعض  
ولعنة بعضهم بعضاً، يزيد بعضهم أن يوحّي بعضاً رجاء الفرج فيفلتوا من عظيم ما زل بهم

وأن «كلما دخلت» مقدم على السابق في الترتيب.

قالوا «و» في قوله : و قوله ، بمعنى مع ، مع أنه لا يبدل على الترتيب .

«كَلَمَا دَخَلْتُ أَمَّةً، أَيْ فِي النَّارِ» لَعْنَتْ أَخْتَهَا «الَّتِي ضَلَّتْ بِالْأَقْنَدَاءِ بِهَا» حَتَّى  
إِذَا دَادَ أَرْ كَوَا فِيهَا، أَصْلَ ادَّارَ كَوَا، فَأَدْغَمَ وَمَعْنَاهُ تَلَاقُهُمْ، أَيْ لِحْقَ آخِرِهِمْ  
أَوْ لِهِمْ فِي النَّارِ «فَالَّتِي أَخْرَيْهُمْ» دَخْولًا وَمَنْزَلَةً وَهُمُ الْاَتَّبَاعُ «لَا وَلِيَّهُمْ» إِذَ النَّخَطَابُ  
مَعَ اللَّهِ لَامْعَنْهُمْ «رَبُّنَا هُوَ لَاءُ أَضَلُّونَا» أَيْ سَنُّو الْأَنْجَانَ الْأَضَالَلَ فَاقْتَدَنَا بِهِمْ «فَآتَهُمْ عَذَابًا  
ضَعِيفًا مِنَ النَّارِ» أَيْ مَضَاعِفًا لَا نَهْمَ ضَلَّوا وَأَضَلُّوا.

« قال لـكـلّ ضـعـف » أـمـا الـقـادـة فـبـكـفـرـهـم وـتـضـلـيـلـهـم ، وـأـمـا الـأـتـبـاع فـبـكـفـرـهـم وـتـقـلـيـدـهـم « وـلـكـن لا تـعـلـمـون » مـالـكـم أـو مـا لـكـلـلـ فـرـيق « وـقـالـت أـوـلـيـهـم لـأـخـرـيـهـم ، فـمـا كـان لـكـم عـلـيـنـا مـن فـضـل » عـطـفـوـا كـلـامـهـم عـلـى جـوـابـهـم لـأـخـرـيـهـم ، وـبـنـوـهـ عـلـيـهـ ، أـئـى قـدـ ثـبـتـ أـن لـأـفـضـلـ لـكـم عـلـيـنـا ، وـإـنـا وـإـيـاـكـم مـتـساـوـون فـي الـضـلـالـ وـاسـتـحـقـاقـ العـذـابـ « فـذـوقـوا العـذـابـ » مـن قـوـلـ الـقـادـة أـو مـن قـوـلـ الـفـرـيقـينـ .

«أن يحجّ بعضاً» بضمّ الحاء أى يغلبه بالحجّة ، فى القاموس الحجّ «الغبة بالحجّة وفى المصباح حاجّة مجاجحة فحجّة بحجّة من باب قتل إذا غلبه فى الحجّة ، وقال : فلوجاً من باب قعد ظفر بما طلب ، و فلوج بحجّته أثبّتها ، وأفلج الله حجّته أظهرها ، وقال : أفلت الطائر وغيره إفلاتاً تخلص ، وأفلته أنا إذا أطلقته و خلصته ، يستعمل لازماً و متعدياً و فلت فلتاً من باب ضرب لفة و فلتته ، يستعمل

وليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معدنة ولات حين نجاة والآيات وأشباههنَّ مما نزل به بمكّة ولا يدخل الله النار إلاً مشرِّكاً، فلماً أذن الله لِمُحَمَّدَ ﷺ في الخروج من مكّة إلى المدينة بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مَحَمَّداً رسول الله عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة وحج البيت وصيام شهر رمضان وأنزل عليه

أيضاً لازماً ومتعدياً، وانفلت خرج بسرعة.

«وليس بأوان بلوى ولا اختبار» يعني أنهم يطمعون في غير مطعم ، فان الاحتجاج وطلب الدليل إنما ينفع في دار التكليف والاختبار لا في دار الجزاء بعد ظهور الأمر ودخول النار .

«ولا حين نجاة» أي ليس هذا الزمان حين نجاة يمكن التخلص من العذاب بالتوبه وغيرها ، وفي بعض النسخ ولات حين نجاة ، مقتبساً من قوله تعالى : «ولات حين مناص»<sup>(١)</sup> قال البيضاوي : أي ليس حين حين مناص ، و «لا» هي المشبهة بليس زيدت عليه افاء التأكيد كما زيدت على ربِّ ثم ، وخصت بلزم الاحيان وحذف أحد المعمولين ، وفيه : هي النافية للجنس ، أي ولا حين مناص لهم ، وفيه : المفعل والنصب باضماره أي ولا أرى حين مناص ، وفيه : أنَّ التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ، انتهى .

«والآيات» أي تلك الآيات المتقدمة «ولا يدخل الله» الجملة حالية أي نزلت تلك الآيات في حال كان الحكم فيها أن لا يدخل الله النار إلاً مشرِّكاً .

قوله عليه السلام : فلماً أذن الله ، قال المحدث الاستر ابادى : تصريح بأنَّ مصداق

الإسلام في مكّة أقلَّ من مصادقه في المدينة ، انتهى .

وعدَ الشهادتين واحدة لتلازمهما وكان الولاية أيضاً داخلة فيهما كما عرفت

وعدم التصرّح للتقيّة ، أو أنه عليه السلام استدلَّ بهذا الخبر المشهود بين العامة إزاماً

الحدود وقسمة الفرائض وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها وبها النار من عمل بها وأنزل في بيان القاتل «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً»<sup>(١)</sup> ولا يلعن الله مؤمناً قال الله عز وجل : «إِنَّ اللَّهَ لِعْنَ الْكَافِرِ بَنْ وَأَعْدَهُ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَالِدُوهُنَّ فِيهَا أَبْدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»<sup>(٢)</sup> وكيف يكون في المشيئة وقد ألمح به - حين جزاء جهنم - الغضب واللعنة وقد يبين ذلك من

عليهم ، وكأنه ذكر العبادات الأربع وتحصيصها لكونها أهم الفرائض أو لأنها صرحت بها في القرآن وأكملت عليها دون غيرها، أو أنه بنى عليها أو لا تم زيدت سائر الفرائض .

«وَمَنْ يُقْتَلُ مُؤْمِنًا مَتَعَمِّدًا» استدل به من قال بخلود أصحاب الكبائر في النار وأول بوجوه :

الاول أن المراد بالمتعمد من قتله لا يماني كما ورد في أخبار كثيرة فيكون كافراً .

الثاني : أن المراد بالخلود الملك الطويل .

الثالث : أن المراد أن هذا جزاؤه إن جازاه لكنه سبحانه لا يجازيه كما ورد في بعض أخبارنا .

الرابع : أن المراد بالتعمد المستحل .

الخامس: أنه يفعل فعلاً يستحق به دخول النار ، واستدل <sup>بكتابه</sup> على عدم ايمانه بأن الله لعنه ولا يلعن مؤمناً لقوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لِعْنَ الْكَافِرِ بَنْ وَأَعْدَهُ لَهُمْ سَعِيرًا»<sup>(٣)</sup> وكأنه استدل بمفهوم الوصف فيدل على حجيته ، ويمكن أن يكون لخصوص سياق الآية أيضاً مدخل فيه .

«وَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْمَشِائِةِ» اي كيف يكون أمر القاتل في مشيئة الله إن

(١) سورة النساء : ٩٥ .

(٢) و (٣) سورة الأحزاب : ٦٤ - ٦٦ .

شاء عذّبه و إن شاء غفر له ، و الحال أتّه قد أحق به بعد أن جزاء جهنّم الغضب و اللعنة المختصّين بالكافّار .

أقول : كونه في المشيّة إما مبني على ما ذكره أكثر المتكلّمين من أن خلف الوعيد قبيح على الله محال ، وأمّا خلف الوعيد فهو حسن و يجوز على الله تعالى وليس بكذب ، قال الطبرسي (ره) : و روی عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس في قوله : « فجزاؤه جهنّم » قال : هي جزاؤه فان شاء عذّبه و إن شاء غفر له ، و روی عن أبي صالح و بکر بن عبد الله وغيره أتّه كما يقول الانسان ملن يزجره عن أمر : إن فعلت فجز أؤك القتل و الضرب ، ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً ، إنتهى .

أو إشارة إلى قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويففر ما دون ذلك ملن يشاء »<sup>(١)</sup> فيدل على أن مادون الشرك ممّا يغفر والله ملن يشاء والقتل داخل في ذلك فيكون داخلا في المشيّة كما قال في مجمع البيان قال جماعة من التابعين : الآية الليثنة وهي « إن الله لا يغفر أن يشرك به » الآية ، نزلت بعد الشديدة ، وهي « و من يقتل مؤمناً متعصداً »<sup>(٢)</sup> الآية ، وعلى الأوّل فكأن جوابه عليك السلام مبني على أن آية القتال ليست مشتملة على الوعيد فقط بل على أتّه ممّن غضب الله عليه و لعنه ، فإذا دخل الجنة من غير توبّة أو غيرها مما يكفره يكون كذباً ، ولم يكن مغضوباً ولا ملعوناً مبعداً من رحمة الله .

و على الثاني مبني على وجهين : « الأوّل » أن القتل المذكور داخل في الشرك والكفر حيث لعنـه الله ، ولا يلعن إلا الكافر « والثاني » أتّه لا يكون داخلاً فيمن يشاء مغفرته حيث أخبر بأتّه مغضوب و ملعون ، وهذا صريح في عدم المغفرة و الوجوه كأنّها متقاربة .

الملعونون في كتابه وأنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً «إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظَلَمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ نَارًا وَسِيَصْلُوْنَ سَعِيرًا»<sup>(١)</sup> وذلك لأنَّ آكل مال اليتيم يجني يوم القيمة والنار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه حتى يعرفه كلُّ أهل الجمع أنَّه آكل مال اليتيم وأنزل في الكيل «وَيَلُّ لِلْمَطْفَقِينَ»<sup>(٢)</sup>

«وَقَدْ يَبْيَّنُ ذَلِكُمْ» المشار إلىه آية الأحزاب أى أنَّ اللَّهَ لَعْنَ الْكَافِرِينَ.

«وَأُنْزَلَ» أى في سورة النساء أيضاً «من أَكَلَهُ» بدل اشتمال مال اليتيم «إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظَلَمًا» قال في المجمع : أى ينتفعون بأموال اليتامي و يأخذونها ظلماً بغير حقٍّ ، ولم يرد به قصر الحكم على الأَكْل ، وإنَّمَا خصَّ لِأَنَّهُ معظم منافع المال المقصودة .

«إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ نَارًا» قيل فيه وجهان :

أحدهما : أنَّ النَّارَ تلتهب من أفواههم وأسماعهم وآذانهم يوم القيمة ليعلم أهل الموقف أنَّهم أكلة أموال اليتامي عن السَّدَى ، وروى عن الباقر عليه السلام أنَّه قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يبعث ناسٌ من قبورهم يوم القيمة تأجِّجُ أفواههم ناراً فقيل له : يا رسول الله من هؤلاء؟ فقرءَ هذه الآية .

والآخر : أنَّه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث أنَّ من فعل ذلك يصير إلى جهنَّمَ فيمتلى بالنار أجوافهم عقاباً على أكلهم مال اليتيم «وَسِيَصْلُوْنَ سَعِيرًا» أى يلزمون النار المسيرة للحرق ، وإنَّما ذكر البطون تأكيداً كما يقال : نظرت بعيوني ، وقلت بلسانِي ، وأخذت بيدي ومشيت برجلي ، انتهى .

«وَأُنْزَلَ فِي الْكِيلِ» فان قيل : سورة المطففين من سور المكَيَّة والغرض هنا بيان التكاليف المتتجددَة بالمدينة ؟ فلنا : لا عبرة بما ذكره المفسرون في ذلك مع أنَّهم اختلفوا في هذه السورة قال في مجمع البيان : مكَيَّة ، وقال المعدل مدينه عن الحسن والضحاك وعكرمة ، وقال ابن عباس وقتادة : إلَّا ثمانى آيات منها ، وهى :

(١) سورة النساء : ١٦٩ .

(٢) سورة المطففين : ٢ .

ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً ، قال الله عز وجل : «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهُدِيَوْمَ عَظِيمٍ»<sup>(١)</sup> وأنزل في العهد «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعِهْدِ اللَّهِ وَأَبْيَانَهُمْ نَمْنَأُلِيلًا»

«إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» إلى آخر السورة ، انتهى .

فالخبر يؤيد قول هؤلاء الجماعة و يؤيده ما رواه في مجتمع البيان في سبب نزول صدر السورة عن عذرمه عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل : «وَيْلٌ لِّلْمُطْفَفِينَ» فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، وروى عن النبي ﷺ قدم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة و معه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت الآيات ، ويعنى أن الطبرسى ذكرها في ترتيب نزول السور آخر السور المكية .

فيتمكن أن يكون نزولها بعد الهجرة فقبل نزول المدينة .

وفي القاموس : الويل حلول الشر ، وويل كلمة عذاب ، و واد في جهنم او بئر أو باب لها ، انتهى .

و استدل بـ<sup>البيان</sup> بأن الويل لم يطلق في القرآن إلا للمكافرين كقوله : «فَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا يَكْسِبُونَ»<sup>(٢)</sup> «وَيْلٌ لِّلْكَافِرِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»<sup>(٣)</sup> «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظلمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِ»<sup>(٤)</sup> «وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ»<sup>(٥)</sup> «يَا وَيْلَنَا مِنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا»<sup>(٦)</sup> «يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ»<sup>(٧)</sup> .

وفي المجمع : ويل للمطففين ، هم الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن ، قال الزجاج : وإنما قيل له : مطفف لأنّه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف .

«وَأَنْزَلَ فِي الْعِهْدِ» أي في سورة آل عمران وهي مدحية «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ

(١) سورة مریم : ٣٨ .

(٢) سورة البقرة : ٧٩ .

(٣) سورة إبراهيم : ٢ .

(٤) سورة همزة : ١ .

(٥) سورة قلم : ٣١ .

(٦) سورة الزخرف : ٦٥ .

(٧) سورة يس : ٥٢ .

بِعْهَدِ اللَّهِ، لَعَلَّ الْمُرَادُ بِالْعَهْدِ هُنَا عَلَى ظَاهِرِ سِيَاقِ الْمَحْدِثِ مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَخَالُفُوهُ، وَبِالْأَيْمَانِ الْأَيْمَانِ الَّتِي يَحْلِفُونَ بِهَا عَلَى الْمُسْتَقْبِلِ ثُمَّ يَخْالِفُونَهَا، وَيَحْتَمِلُ شَمْوَلَهُ لِلْيَمِينِ الْفَمْوِسُ الْكَاذِبَةُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْعَهْدُ شَامِلًا لِلْبَيْعَةِ وَمَا عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَنْفَضُّوهُ.

وَقَالَ الرَّاغِبُ : الْعَهْدُ : حَفْظُ الشَّيْءِ وَمِرَاعَاتُهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَسَمْيُ الْمُوْنَقِ الَّذِي يَلْزَمُ مِرَاعَاتَهُ عَهْدًا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأُوفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا »<sup>(١)</sup> أَيْ أُوفُوا لِفَظِ الْإِمَانِ، وَعَاهَدُ فَلَانَ إِلَى فَلَانَ أَيْ أَلْقَى الْعَهْدَ إِلَيْهِ وَأَوْصَاهُ بِحَفْظِهِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ »<sup>(٢)</sup> وَعَاهَدَ اللَّهُ تَارَةً يَكُونُ بِمَا رَكِّزَهُ فِي عَقْوَلِنَا، وَتَارَةً يَكُونُ بِمَا أَمْرَنَا بِهِ بِكِتَابِهِ وَبِسُنْنَةِ رَسُولِهِ، وَتَارَةً بِمَا نَلَزَمْهُ وَلَيْسَ بِلَازِمٍ فِي أُصْلِ الشَّرِيعَةِ كَالنَّذُورُ وَمَا يَجْرِي مِنْهُ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَلْكَ الْآيَةِ فَقَالَ الطَّبَّارِسِيُّ قَدَّسَ سُرُّهُ : نَزَّلَتْ فِي جَمَاعَةِ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ كَتَمْوَا مَا فِي التُّورَةِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَهُ، وَحَلَفُوا أَنَّهُ مِنْ عَنْدَ اللَّهِ لَئِلا تَفُوتُهُمُ الرِّيَاسَةُ، وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ أَقْبَاعُهُمْ عَنْ عَكْرَمَةِ، وَقَيْلٌ : نَزَّلَتْ فِي الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَخَصْمٍ لَهُ فِي أَرْضِ قَامِ لِيَحْلِفَ عَنْ دِرْسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَامَّا نَزَّلَتِ الْآيَةَ نَكَلَ الْأَشْعَثُ وَاعْتَرَفَ بِالْحَقِّ عَنْ أَبْنَى جَرِيجَ، وَقَيْلٌ :

نَزَّلَتْ فِي رَجُلٍ حَلْفٍ يَمِينًا فَاجْرَاهُ فِي تَفْقِيقِ سُلْطَتِهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّعْبِيِّ .

ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرِونَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَيْ بِسْتَدِلُّونَ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ هَا يَلْزَمُهُمُ الْوَفَاءُ بِهِ، وَقَيْلٌ : مَعْنَاهُ : إِنَّ الَّذِينَ يَحْصُلُونَ بِنَكْتَ عَهْدِ اللَّهِ وَنَفْضُهُ « وَأَيْمَانُهُمْ » يَلْزَمُهُمُ الْوَفَاءُ بِهِ، وَقَيْلٌ : أَيْ مَنْ نَذَرَ لَأَنَّهُ قَلِيلٌ فِي جَنْبِهِ مَا يَفْوَتُهُمْ مِنْ أَيِّ وَبَالِ أَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ « ثُمَّ نَذَرَ قَلِيلًا » أَيْ عَوْضًا نَذَرًا لَا تَنْهَى قَلِيلٌ فِي جَنْبِهِ مَا يَفْوَتُهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْعَقَابِ، وَقَيْلٌ : الْعَهْدُ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْكَفَّ عنِ الْمُعْصِيَةِ، وَقَيْلٌ : هُوَ مَا فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ مِنَ الزَّجْرِ عَنِ الْبَاطِلِ

اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم<sup>(١)</sup> والخلق: النصيب فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة وأنزل بالمدينة « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزنانية لا ينكحها إلا

و الانقياد للحق » .

« اولئك لاخلاق لهم » أي لا نصيب وافرًا لهم في نعيم الآخرة « ولا يكلّمهم الله » أي بما يسرّهم ، أو لا يكلّمهم أصلًا و تكون المحاسبة بكلام الملائكة إستهانة لهم « ولا يننظر إليهم يوم القيمة » أي لا يعطف عليهم ولا يزكيهم كما يقول الفائل للغير: « انظر إلى » ، يريد ارجعني « ولا يزكيهم » أي لا يطهرهم ، وقيل : لا ينزلهم منزلة الأذكياء ، وقيل : لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمفترة بل يعاقبهم ، وقيل : لا يحكم بآثائهم أذكياء ولا يسمّيهم بذلك بل يحكم بآثائهم كفراً فجراً « ولهم عذاب أليم » مولم موجع ، انتهى .

وقال البيضاوى : أي يستبدلون بما عاهدوا عليه من اليمان بالرسول والوفاء بالأمانات ، وبآيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمن به ولنصرته « ثمناً قليلاً » مداع الدنيا « ولا يكلّمهم الله » الظاهر أنّه كنایة عن غضبه عليهم لقوله : « ولا يننظر إليهم يوم القيمة » فإنّ من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلّم معه والاتفاق نحوه كما أنّ من اعتدّ بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه « ولا يزكيهم » ولا يشئ عليهم ، انتهى .

و ظاهر الخبر أنّ ناقض المهد واليمان لا يدخل الجنة أصلًا ، فيمكن حمله على الاستحال أو على أنه لا يدخل الجنة ابتداءً وحمله على المشركين والكافرين كما هو ظاهر المفسّرين ينافي سياق الحديث ، و يمكن حمله على أنّهم لا يستحقون دخول الجنة ولا يلزم على الله ذلك لعدم الوعد إلا أن يدخلهم الجنة بفضله . « و أنزل بالمدينة » أي في سورة النور وهي مدنة : « الزانى لا ينكح » قال في

زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين<sup>(١)</sup> فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا زانية

مجمع البيان : اختلاف في تفسيره على وجوه «أحدها» أن يكون المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية على سبب وهو أن رجلاً من المسلمين يستأذن النبي ﷺ في أن يتزوج أم مهزول وهي إمرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها ، فنزلت الآية عن ابن عباس وغيره ، والمراد بالأية النهي وان كان ظاهره الخبر « وثانية » أن النكاح هيئنا الجماع والمعنى أنها اشتراك في الزنا فهي مثله ، فيكون نظير قوله : «الخيثات للخيثين والخيثون لخيثيات»<sup>(٢)</sup> في أنه خرج مخرج الأغلب « وثالثة » أن هذا الحكم كان في كل زان و زانية ثم نسخ بقوله : « و أنكحوه الأيماني منكم » الآية<sup>(٣)</sup> عن سعيد بن المسيب وجماعة « ورابعها » أن المراد به العقد و ذلك الحكم ثابت فيما زنا بأمرأة فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها ، روى ذلك عن جماعة من الصحابة .

و إنما قرئ الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيماً لأمر الزنا و تحفظياً لشأنه ، ولا يجوز أن يكون هذه الآية خبراً لأنها بعد الزاني يتزوج غير زانية ، ولكن المراد هنا الحكم في كل زان أو النهي ، سواء كان المراد بالنكاح الوطى أو العقد وحقيقة النكاح في اللغة الوطى .

« وحرّم ذلك على المؤمنين » أي حرّم نكاح الزانيات أو حرّم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن « ولا يطأهن إلا زان أو مشرك ، النهي .

نعم المشهور بين الأصحاب كراهة نكاح المشهورات بالزنا ، وذهب الشیخان وجماعة إلى اشتراط التوبة في الحل سواء زنا بهامن أراد نكاحها أو غيره للآية المعتقدة وبعض الأخبار ، وأجيب عن الآية ثارة بأن المراد بالنكاح الوطى ، وآخرى بأنها منسوخة بقوله تعالى : « و أنكحوه الأيماني منكم »<sup>(٤)</sup> و بقوله : « فانكحوه ما طاب

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) سورة النور : ٢٦ .

(٣) و (٤) سورة النور : ٣٢ .

لهم<sup>(١)</sup> أو قوله : «وَأَحْلٌ لَكُمْ مَا ورَاءَ ذَلِكُمْ»<sup>(٢)</sup> وفي الأول أنه خلاف الظاهر، فأنه إن أريد الوطى لم يظهر للكلام فايده ظاهرة ، و في الثاني أنه خلاف الاصل مع أن<sup>٣</sup> الظاهر من طاب : حل<sup>٤</sup> ، ومن وراء ذلكم ، سائر أصناف النساء ، ولا ينافي عروض الحرمة لعروض زنا و نحوه .

و الظاهر أنه <sup>يَعْلَمُهُ</sup> استدل<sup>٥</sup> بالآية على أن<sup>٦</sup> الله تعالى أخرج الزناة والزداني في هذه الآية من عداد المؤمنين حيث قابل بين المؤمنين وبينهما ، إذ الظاهر من سياق الآية أن<sup>٧</sup> المراد أنه لا يليق نكاح الزاني إلا بزانية أو مشركة ، ولا نكاح الزانية إلا بزان أو مشرك ، وأما المؤمن فأنه لا يليق به هذا الفعل و هو محظى عليه إماً بمعناه أو بمعنى الكراهة الشديدة ، أو بمعنى المحرمية كما في قوله سبحانه : «وَحْرٌ مَّا  
عليه المراضع»<sup>(٨)</sup> فظهور أنه لم يسمها بالإيمان لما عرفت من المقابلة مع أنه جمع بينهما و بين المشرك فيه أيضاً إيماء بعدم إيمانهما .

و هذا وجده حسن خطر بالبال للآية و الخبر معًا فان<sup>٩</sup> حمل الآية على وجه آخر لا يستقيم ظاهراً فأنه إذا حمل النكاح على الوطى فالكلام إماً في قوّة النهي أو الخبر ، فعلى الأول المعنى النهي عن أن يطأ الزاني سوى الزانية و المشرك و جواز وطيه لهما ، وفيه مالا يخفى و كذلك العكس ، وعلى الثاني يكون كذباً إن أراد بالوطى غير الزنا أو الأعم<sup>١٠</sup> ، وإن أريد به الزنا كان الكلام خالياً عن الفائدة . و إذا حمل على العقد فلو كان في قوّة النهي كان مفادها النهي عن أن ينكح الزاني سوى الزانية والمشرك و تجويز نكاحه إياهما و تجويز نكاح الزانية بالزانية و المشرك ولم يقل به أحد ، ولو كان خبراً لزم الكذب ، فلابد<sup>١١</sup> من حمل الآية على ما ذكرنا فيتضح استدلاله <sup>يَعْلَمُهُ</sup> غاية الوضوح .

و يظهر منه عدم تمام الاستدلال بها على تحريم نكاحهما ، نعم قوله سبحانه :

(١) سورة النساء : ٣ .

(٢) سورة النساء : ٢٤ .

(٣) سورة القصص : ١٢ .

مؤمنة وقال رسول الله ﷺ : - ليس يمترى فيه أهل العلم أنه قال - : لا يزني الرّأني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، فأنه إذا فعل ذلك

« و حرم ذلك » فيه دلالة على التحرير إن لم نحمله على معنى الحرمان ، وحمله على الكراهة الشديدة مع وجود المعارض غير بعيد مع أنه يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الزنا ، ويكون الجملة حالية أو تعليلية .

قوله : ليس يمترى ، الامتناء الشك ، والجملة إلى قوله : أنه قال ، معتبرة ، وضمير « فيه » راجع إلى الرسول ، وقوله : أنه قال ، بدل اشتغال للضمير ، وقوله : لا يزني مفعول قال أولاً واعتراض ليبيان أن الخبر معلوم متواتر بين الفريقين ، و كان المراد بقوله : حين يزني وحين يسرق ، حين يصير عليهمما ولم يتبع ، ولا فساد في مفارقة الإيمان بالمعنى الذي ذكرناه ، حيث اشتمل على فعل الفرائض وترك الكبائر عنه ، وبها يستحق العذاب في الجملة لالخلود في النار ، ومن لم يقل بذلك أو له بتاؤ بيات بعيدة . قال في النهاية : في الحديث : لا يزني الزاني وهو مؤمن ، قيل : معناه النهي وإن كان في صورة الخبر ، والأصل حذف الياء من يزني ، أي لا يزن المؤمن ولا يسرق ولا يشرب ، فإن هذه الأفعال لا يليق بالمؤمن ، وقيل : هو وعيد يقصد به الردع كقوله عليه السلام : لا إيمان لمن لا أمانة له ، والمسلم من سلم المسلمين من لسانه وبيده ، وقيل : معناه لا يزني وهو كامل الإيمان وقيل : معناه أن الهوى يغطي الإيمان فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه ولا ينظر إلى إيمانه الناهي له عن إرتكاب الفاحشة ، فكان الإيمان في تلك الحالة قد انعدم .

و قال ابن عباس : الإيمان نزعه فإذا أذنب العبد فارقه ، و منه الحديث الآخر : إذا ذُنِيَ الرجل خرج منه الإيمان فوق رأسه كالظللة فإذا أفلح رجع إليه الإيمان ، وكل هذا ممحون على المجاز ونفي الكمال دون الحقيقة في رفع الإيمان وابطاله ، انتهى . وقيل : أنه ليس بمؤمن إذا كان مستحلاً ، وقيل : ليس بمؤمن من العقاب وقيل : المقصود نفي المدح ، أي لا يقال له مؤمن بل يقال : زان أو سارق ، وقيل : أنه

خلع عنه الإيمان كخلع القميص ، ونزل بالمدينة «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثماني جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أولئك هم الفاسقون \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكُوْنَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »<sup>(١)</sup> فبراء الله

لنجي البصيرة ، أى ليس هو ذا بصيرة ، وقال ابن عباس : أى ليس ذا نور وقيل : أى ليس بمستحضر الإيمان ، وقيل : أى ليس هو بعقل لأن " المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة و الحكم بالمرجوح بخلاف المعمول ، وقيل : المقصود نفي الحياة ، والحياة شعبية من الإيمان أى ليس بمستحي من الله سبحانه .

ولا يخفى ما في أكثر هذه الوجوه من البعد والركاكة .

«وأنزل بالمدينة» أى في سورة النور : «الذين يرمون المحصنات» أى يقذفون العفاف من النساء بالزنا «ثم لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهِيداً» أى بأربعة عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ما رموهن به من الزنا «فاجلدوهم ثماني جلدة» خبر الذين بتاؤيل «وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً» خبر ثان ، وتفكير شهادة للمعموم ، أى في أمر من الأمور كان أبداً تأكيد للمعموم أى مالم يتبع «وأولئك هم الفاسقون» أى هم في أعلى مراتب الفسق حتى كأنه لا فاسق غيرهم فقد عبر عنهم باسم الاشارة وعرف الخبر وأى بصميم الفصل مبالغة في إدعاء حصر الفسق فيهم وقصره عليهم .

قيل : ويمكن أن يكون حالاً أو إنعراضاً يجري مجرى التعليم لعدم قبول الشهادة «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» عن القذف وندموا ورجعوا بالتدارك «من بعد ذلك» أى من بعد إقامة الحدّ ، وقيل : من بعد الارْتِمَى «وَاصْلَحُوا» سرائرهم وأعمالهم فاستقاموا على مقتضى التوبة ، قالوا ومنه الاستسلام للحدّ والاستحلال من القذف والغم على عدم العود إلى ذلك ، وعلى ترك جميع المناهى على قول .

و في المجمع : ومن شرط توبه القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته «فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» علة الاستثناء .

قوله عليه السلام : « فبراء الله» الظاهر أنه عليه السلام استدل على عدم وصفهم بالإيمان

ما كان مقيضاً على الفريء من أن يسمى بالإيمان ، قال الله عز وجل : « أَفْمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يُسْتَوِونَ »<sup>(١)</sup> وجعله الله منافقاً ، قال الله عز وجل : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٢)</sup> وجعله عز وجل من أولياء إبليس ، قال : « إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ »

بوصفهم بالفاسق لأن في عرف القرآن لازم للكفر ولم يطلق فيه الفاسق إلا على الكافر كقوله تعالى : « أَفْمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا » ف مقابل بين الإيمان والفسق ، فدل على أن الفاسق ليس بمؤمن ، وقال : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » ف الشخص الفاسق في المدافق فيجعله الله منافقاً وجعله من أولياء إبليس حيث أطلق الفسق عليهم ، وأيضاً إذا نظرت في الآيات الكريمة وسبر لها لم تر الفاسق أطلق فيها إلا على الكافر . قال الراغب : فسق فلان : خرج من حد الشرع ، وذلك من قولهم فسق الر طب

إذا خرج عن فشره وهو أعم من الكافر ، والفسق يقع بالقليل من الذنب وبالكثير لكن تجده فيما كان كثيراً ، وأكثر ما يقال له التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحکامه أو ببعضه ، وإذا قيل للكافر الأصل فاسق فلا نته أخل بحكم ما ألزم العقل واقتضاء النطرة ، قال عز وجل : « فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ »<sup>(٣)</sup> « فَسَقُوا فِيهَا فَحْقٌ عَلَيْهَا الْقَوْلُ »<sup>(٤)</sup> « وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٥)</sup> « وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٦)</sup> « أَفْمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يُسْتَوِونَ »<sup>(٧)</sup> وقال : « وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٨)</sup> وقال تعالى : « وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا أُدِيَّهُمُ النَّارُ »<sup>(٩)</sup> « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمْسِيْهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ »<sup>(١٠)</sup> « وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ »<sup>(١١)</sup> « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(١٢)</sup> « وَكَذَّالِكَ حَقَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »<sup>(١٣)</sup> انتهى .

(١) سورة السجدة : ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٤) سورة النور : ٣ .

(٥) سورة النور : ٥٥ .

(٦) سورة السجدة : ٢٠ .

(٧) سورة الصاف : ٥ .

(٨) سورة يونس : ٣٣ .

(٩) سورة التوبه : ٦٧ .

(١٠) سورة الأسراء : ١٦ .

(١١) سورة النور : ٨ .

(١٢) سورة النور : ٥٥ .

(١٣) سورة الانعام : ٤٩ .

(١٤) سورة التوبه : ٦٧ .

فسق عن أمر ربّه<sup>(١)</sup> وجعله ملعوناً فقال : « إنَّ الَّذِينَ يرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاجِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِعْنَوْنَافِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » يوم شهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون<sup>(٢)</sup> وليست شهادة الجوارح على مؤمن إنما شهد على من حفت عليه كلمة العذاب ، فأماماً المؤمن فيعطي كتابه بيمينه قال الله عز وجل : « فَامْأَمْ مَوْلَاهُ عَذَابَ عَذَابِهِ »

« وَجَعَلَهُ أَئِي الرَّامِي « الْمُحْصَنَاتِ » أَيِ الْعَفَافِ « الْفَاجِلَاتِ » مَمَّا قَذَفَنَ بِهِ « الْمُؤْمِنَاتِ » بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ « لِعْنَوْنَافِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » بِمَا طَعَنُوا فِيهِنَّ « وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » لِعَظِيمِ ذُنُوبِهِم .

« يَوْمَ شَهَدَ عَلَيْهِمْ » ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب « ألسنتهم وأيديهم » يعترفون بها بانتفاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها . قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : وليست شهادة، يدل على أن شهادة الجوارح إنما هي للكفار كما ذكره جماعة من المفسّرين ، وذكره الشيخ البهائي (ره) في الأربعين .

قوله تعالى<sup>(٤)</sup> : فيعطي كتابه بيمينه ، أى فيقراءه ، ومن تنطق جوارحه يختتم على فيه ، لقوله تعالى : « أَلَيْوْمَ نَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنَكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ »<sup>(٥)</sup> أولان سياق آيات شهادة الجوارح تدل على غاية الغضب ، والآيات النازلة في المؤمنين مشتملة على نهاية اللطف كقوله سبحانه : « يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ انسَ بِاِمْامِهِمْ فَمَنْ أُوتَى »<sup>(٦)</sup> أى من المدعون « كِتَابَهُ بِيمِينِهِ » أى كتاب عمله « فَأَوْلَئِكَ يَقْرَئُونَ كِتَابَهُمْ » إبتهاجاً بما يرون فيه « وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا » أى ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء ، والفتيل : المقتول ، وسمى ما يكون في شق النواة فتيل الكون على هيئة ، وقيل : هو ما قتله بين أصابعك من خيط أو وسخ و يضرب به المثل في الشيء الحقير .

نعم اعلم ان هذا المضمون وقع في مواضع من القرآن المجيد أو لها في بنى -

إسرائيل : « فَمَنْ أُوتَى كِتَابَهُ بِيمِينِهِ » إلى آخر ما في الحديث .

(١) سورة الكهف : ٤٨ .

(٢) سورة النور : ٢٣ - ٢٤ .

(٣) سورة يس : ٦٥ .

(٤) سورة الاسراء : ٧١ .

هنَا وَتِي كُتَبَهُ بِيمِينِهِ فَأَوْلَئِكَ يَقْرُؤُنَ كُتَبَهُمْ وَلَا يَظْلِمُونَ فِيْلَا»<sup>(١)</sup> وَسُورَةُ النُّورِ اَنْزَلَتْ بَعْدَ سُورَةَ النِّسَاءِ وَتَصْدِيقَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ «وَاللَّاتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوْنَ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهَدُوْنَ فَأَمْسِكُوْهُنَّ

وَثَانِيهَا فِي الْحَاجَةِ «فَأَمْمًا مِنْ أُوتِيَ كُتَبَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كُتَبَيْهِ» وَ ثالِثَهَا فِي الْاَنْشَقَاقِ : «فَأَمْمًا مِنْ أُوتِيَ كُتَبَهُ بِيمِينِهِ فَسُوفَ يَحْسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا» . وَمَا فِي الْحَدِيثِ لَا يَوْافِقُ شَيْئًا مِنْهَا وَإِنْ كَانَ بِالْأَوْلَ أَنْسَبُ ، فَكَانَهُ مِنْ تَصْحِيفِ النَّسَاخِ أَوْ كَانَ فِي قِرَائِتِهِمْ عَلَيْهِمْ هَكُذا ، أَوْ نَقْلٌ بِالْمَعْنَى جَمِيعًا بَيْنَ الْآيَاتِ .

وَسُورَةُ النُّورِ اَنْزَلَتْ «كَانَ هَذَا جَوَابٌ عَنْ اعْتِرَاضِ مَقْدَرٍ» ، وَهُوَ أَنَّهُ طَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ مِرَّتَيْنِ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَهِيَ تَدَلُّ عَلَى دُمُودِ الْعَذَابِ عَلَى غَيْرِ الشَّرِكِ ، فَيُمْكِنُ كُونَهَا نَاسِخَةً لِلآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَقُوبَاتِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ وَعَدْمِ كُونِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَجَابَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّنْزِيلِ عَلَى عَدْمِ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَتِلْكَ الْآيَاتِ لَأَنَّ تَجْوِيزَ الْمَغْفِرَةِ مِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا يَنْفَيُ اسْتِحْقَاقَهُمْ لِلْعَذَابِ وَالْعِقَابِ وَخَرْوَجَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِأَحَدِ مَعَانِيهِ بِأَنَّ أَكْثَرَ مَا أُورِدَنَا مِنِ الْآيَاتِ وَاسْتَدَلَلَنَا بِهَا إِنَّمَا هِيَ فِي سُورَةِ النُّورِ وَهِيَ نَزَّلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النِّسَاءِ فَكَيْفَ تَكُونُ آيَةُ النِّسَاءِ نَاسِخَةً لَهَا ، فَلَوْ احْتَاجَتِ التَّوْفِيقِ إِلَى القُولِ بِالنَّسْخِ لَكَانَ الْأَمْرُ بِعِكْسِ مَا قَلَّمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَاقَائِلٌ بِالْفَضْلِ .

ثُمَّ اسْتَدَلَ عَلَيْهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ : «أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» وَالسَّبِيلُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الْمَحَدِ فِي سُورَةِ النُّورِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْغَرْضُ إِفَادَةً دَلِيلًا آخَرَ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ نَزَولِ الْأَحْكَامِ مَدْرَجًا وَنَسْخَ الْأَشَدَّ لِلْأَضْعَفِ لَكَنَّ الْأَوْلَ أَظَهَرَ .

«وَاللَّاتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ» ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْفَاحِشَةِ الزَّنَا ، وَقِيلَ : هِيَ الْمَسَاحَةُ «فَاسْتَشْهِدُوْنَ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ» الْخَطَابُ الْمُأْتَمَّ

في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً<sup>(١)</sup> و السبيل الذي قال الله عز وجل : « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات يسّرات لعلكم تذكرون »<sup>(٢)</sup> الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفه من المؤمنين ». <sup>(٣)</sup>

و الحكام بطلب أربعة رجال من المسلمين شهوداً عليهم و قيل : الخطاب للأزواج « فان شهدوا » اي الاربعة « فامسكوهن » اي فاحبسوهن « في البيوت حتى يتوفيهن » اي يدركهن « الموت » قيل : أريد به صيانتهن عن مثل فعلهن والأكثر على أنه على وجه الحد على الزنا قالوا : كان في بدؤ الاسلام إن فجرت المرأة و قام عليها أربعة شهود حبسن في البيت أبداً حتى تموت ، ثم نسخ ذلك بالرجم في المخصوصين والجلد في البكرین .

« أو يجعل الله لهن سبيلاً » اي بيان الحكم كما مر و قيل : بالتوبة أو بالنكاح المعنى عن السفاح ، وقالوا : لما نزل قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا » قال النبي ﷺ : خذوا عنى قد جعل الله سبيلاً .

« سورة » اي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة « أنزلناها » صفة « وفرضناها » اي فرضنا ما فيها من الأحكام « لعلكم تذكرون » فتتّقون الحرام « الزانية والزاني » قيل : اي فيما فرضنا او أنزلنا حكمهما وهو الجلد ، ويجوز أن يرفعا بالإبتداء والخبر « فاجلدوا » إلى قوله « رأفة » اي رحمة « في دين الله » اي في طاعته وإقامة حد « فتعطلوه أو تسامحوه فيه » إن كنتم تؤمنون « فان اليمان يقتضي البعد » في طاعة الله .

ثم اعلم ان عدم ذكر الولاية في هذا الخبر مع أنها الفرض الأصلى منه لنوع من التقيّة لأنه لَا يليق بالله أن يذكره إلزاماً عليهم حيث أنكروا كون الولاية جزءاً من اليمان .

(١) سورة النساء : ١٤ .

(٢) سورة التور : ٢-١ .

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن شبل بن إسماعيل ، عن محمد بن فضيل عن أبي الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لاً مير المؤمنين عليه السلام : من شهدأن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّداً رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ قال : وسمعته يقول : كان على عليه السلام يقول : لو كان إلا بِمَان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام . قال : وقلت لاً بِي عليه السلام : إنَّ عندنا قوماً يقولون : إذا شهدأن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّداً رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فهو مؤمن ، قال : فلم يضر بون المحدود ولم تقطع أيديهم ؟! وما خلق الله عزَّ وجلَّ خلقاً أكرم على الله عزَّ وجلَّ من المؤمن ، لأنَّ الملائكة خدام المؤمنين وأنَّ جوار الله للمؤمنين وأنَّ العجنَّة للمؤمنين وأنَّ المحور العين للمؤمنين ، ثمَّ قال : فما بال من جيد الفرائض كان كافراً ؟ .

**الحدث الثاني** : مجهول .

والحاصل أنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الْعَقوَبَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَيْسَ مَحْضَ الْعَقَائِدِ وَإِلَّا لَمْ يَفْرُضْ اللَّهُ الْفَرَائِضَ وَلَمْ يَتَوَعَّدْ عَلَى الْمُعَاصِي، وَأَيْضًا مَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ كِرَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَرَجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ يَنَافِي إِجْرَاءِ الْحَدُودِ عَلَيْهِمْ وَإِذْلَالِهِمْ وَإِهْانَتِهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ خَرْجَجَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ حِينَ اسْتِحْقَاقِهِمْ تِلْكَ الْعَقوَبَاتِ.

قوله : فما بال من جيد ؟ لعلَّ المعنى أَنَّهُ لو كان الإيمان ميَّض التكلم بالشهادتين أو الاعتقاد بهما . كما تزعمون لم يكن جحود الفرائض موجباً للكفر مع أنَّكم توافقوننا في ذلك لو رود الاخبار فيه ، فلم لا تقولون بعدم ايمان قارئي الفرائض ومرتكبي الكبائر أيضاً مع ورود الاخبار الكثيرة فيها أيضاً ، وقيل : المراد بجحود الفرائض ترکيها عمدأً من غير عذر فإنه يؤخذ بالاستخفاف و الجحد .

قال الشهيد الثاني رفع الله درجته في بيان حقيقة الكفر : عرفة جماعة بأنه عدم الایمان عمماً من شأنه أن يكون هؤلئنا سواء كان ذلك العدم بضد أو لا ينافي بالضد كان يعتقد عدم الاصول التي بمعرفتها يتحقق الایمان أو عدم شيء منها وبغير الضد

الحالى من الاعتقادين أى اعتقاد مابه يتحقق الإيمان واعتقاد عدمه، وذلك كالشاك أو الحالى بالكلية كذلك لم يقمع سمعه شيء من الأهور التى يتحقق الإيمان بها. ويمكن إدخال الشاك فى القسم الأول إذ الصد يخطر بباله وإلاً ما صار شاكاً، واعتراض عليه بأن الكافر قد يتحقق مع التصديق بالاصول المعتبرة فى الإيمان كما إذا ألقى إنسان المصحف فى الفازورات عامداً أو وطئه كذلك أو ترك الأقرار بالمسان جحداً و حينئذ فينتقض حد الإيمان منعاً و حد الكفر جمماً.

واجيب تارة بأننا لا نسلم ببقاء التصديق لفاعل ذلك، ولو سلمنا بجواز أن يكون الشارع جعل وقوع شيء من ذلك علامه وإهارة على تكذيب فاعل ذلك وعدم تصديقه فيحکم بكفره عند صدور ذلك منه، وهذا كما جعل الأقرار باللسان علامه على الحكم بالإيمان مع أنه قد يكون كافراً في نفس الأمر.

وتارة بأنه يجوز أن يكون الشارع حکم بكفره ظاهراً عند صدور شيء من ذلك حسماً ملادة جرأة المكالفين على إنتهاء حرماته وتعدي حدوده، وإن كان التصديق في نفس الأمر حاصلاً وغاية ما يلزم من ذلك جواز الحكم تكون شخص واحد مؤمناً و كافراً وهذا لامحذور فيه لأننا نحکم بكفره ظاهراً و إمكان ايمانه باطننا فالموضوع مختلف فلم يتحقق اجتماع المتقابلين ليكون محالاً، ونظير ذلك هاذ كرناه من دلالة الأقرار على الإيمان فيحکم به مع جواز كونه كافراً في نفس الأمر.

وأقول أيضاً: أن النقض المذكور لا يرد على جامعية تعريف الكفر وذلك لأنّه قد بيّن أنّ العدم المأمور فيه أعمّ من أن يكون بالضد أو غيره، وما ذكر من موارد النقض داخل في غير الضد كما لا يخفى، وحينئذ فجامعيته سالمة لصدقه على الموارد المذكورة والناقص والمجيب غفلاً عن ذلك.

ويمكن الجواب عن مانعية تعريف الإيمان أيضاً بأن نقول من عرف الإيمان بالتصديق المذكور يجعل عدم الاعيان بشيء من موارد النقض شرطاً في اعتبار ذلك

٣ - على <sup>:</sup> بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن سالم الجعفي قال : سأله أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان ؟ فقال : الإيمان أن يطاع الله فلا يعصي .

الصدقق شرعاً و تحقق حقيقة الإيمان .

والحاصل أننا لما وجدنا الشارع حكم بایمان المصدق و حكم بـكفر من ارتكب شيئاً من الامور المذكورة مطلقاً علمنا أنَّ ذلك التصديق إنما يعتبر في نظر الشارع إذا كان مجرِّداً عن ارتكاب شيء من موارد النقض وأمثالها الموجبة للكفر ، فكان عدم الامور المذكورة شرعاً في حصول الإيمان ، ولاريب أنَّ المشرط عدم عند عدم شرطه وشرط المعرفة التي يتوقف عليها وجود ما هيته ملحوظة في التعریف وإن لم يصرح بها فيه للعلم باعتبارها عقلاً ماتفترَّر في بداهة العقول أنه بدون العلة لا يوجب المعلول والشرط من أجزاء العلة كما صرَّحوا به في بحثها ، والكل لا يوجد بدون جزئه . وهذا الجواب والله أعلم قبله لم نجد لها غيرنا بل هي من هبات الواهب تعالى وتقدُّس ولم نعد لذلك مثلاً وإن لم نكن له أهلاً ، انتهى كلامه قدس سره .

وأقول : هذه التكفلات إنما يحتاج إليها إذا جعل الإيمان نفس العقائد ولم يدخل فيها الأعمال ومع القول بدخول الأعمال لاحاجة إليها ، مع أنَّ هذا التتحقق يهدم ما أنتهى سابقاً إذ يجري هذه الوجوه في سائر الأعمال والترك التي نفي كونها داخلة في الإيمان وما ذكره عليه السلام في آخر الحديث من الازمام على المخالفين يؤمِّن إلى هذا التتحقق فتأمله .

الحديث الثالث : مجيءه .

ويدلُّ على أحد المعانى التي ذكرنا للإيمان ، وحمله القوم على الإيمان الكامل ، وقال بعض المحققين ممن كان في عصرنا قدس سره : هذا مجمل القول في الإيمان ويفصله سائر الأخبار بعض التفصيل .

وأيضاً الضابط الكلى الذي يحيط بحدوده ومراتبه ويعرفه حق التعریف فهو أنَّ الإيمان الكامل الخالص المنهى تمامه هو التسليم لله تعالى و التصديق بما مر آت العقول .

\* \* \* \* \*

جاء به النبي ﷺ لساناً و قلباً على بصيرة مع امثال جميع الأوامر والنواهي كما هي، وذلك إنما يمكن تحقّقه بعد بلوغ الدعوة النبوية إليه في جميع الأمور أمّا من لم تصل إلى الدّعوة في جميع الأمور أو في بعضها لعدم سماuded أو عدم فهمه فهو ضالّ أو مستضعف ليس بكافر ولا مؤمن ، و هو أهون الناس عذاباً بل أكثر هؤلاء لا يرون عذاباً وإليهم الاشارة بقوله سبحانه : « إِلَّا الْمُسْتَضْعِفُينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوَالَدَانِ لَا يُسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا »<sup>(١)</sup> و من وصلت إليه الدعوة فلم يسلم ولم يصدق ولو بعضها إنما لاستكبار و علوّ أو تقليل للأسلاف و تعصيّ لهم أو غير ذلك فهو كافر بحسبه أي بقدر عدم تسلمه و ترك تصديقه كفر جحود و عذابه عظيم على حسب جحوده ، وإليهم الاشارة بقوله سبحانه : « أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْوَبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »<sup>(٢)</sup> .

و من وصلت إلى الدعوة فصدقّها بلسانه و ظاهره لعممة ماله أو دمه أو غير ذلك من الأعراض وأنكرها بقلبه وباطنه لعدم اعتقاده بها فهو كافر كفر نفاق وهو أشدّهم عذاباً و عذابه أليم بقدر نفاقه .

وإليهم الاشارة بقوله سبحانه : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمِنًا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يَخْادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، فِي قَلْوَبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْدِبُونَ » إلى قوله : « إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »<sup>(٣)</sup> .

ومن وصلت إليه الدعوة فاعتقدتها بقلبه وباطنه لظهور حقيقتها لدّيه وحجدها أو بعضها بلسانه ولم يعترض بها حسداً و بغياً وعتوّاً وعلوّاً أو تقليلها وتعصيّها أو غيرها

(١) سورة النساء : ٩٨ .

(٢) و (٣) سورة البقرة : ٧ - ١١ .

ذلك فهو كفر نهود، و عذابه قریب من عذاب المنافق .

وإليهم الاشارة بقوله عزوجل : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم و إنْ فرِيقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»<sup>(١)</sup> و قوله : «فَلَمَّا جاءهم ما عرَفُوا كفروا به فلمَنَة الله على الكافرين»<sup>(٢)</sup> و قوله : «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَبَيِّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاْءُعُونُ»<sup>(٣)</sup> و قوله : «وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعِصْمٍ وَنُكَفِّرُ بِعِصْمٍ وَيَرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَفَّا»<sup>(٤)</sup> و قوله : «أَفَتُؤْمِنُونَ بِعِصْمِ الْكِتَابِ وَتَكَفَّرُونَ بِعِصْمٍ إِلَى قَوْلِهِ : «أَشَدُّ الْعَذَابِ»<sup>(٥)</sup> .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه و قلبه ولكن لا يكون على بصيرة من دينه إماً لسوء فهمه مع استبداده بالرأي وعدم تابعيته للإمام أو فإنه المتفقى أثره حفلاً وإماً لتقليله ونعتصب لآباء والآلاف المستبدين بأرائهم مع سوء فهمهم أو غير ذلك فهو كفر ضلاله وعذابه على قدر ضلالته وقدر ما يضل فيه من أمر الدين .

وإليهم الاشارة بقوله عزوجل : «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَنْقُلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقُّ»<sup>(٦)</sup> حيث قالوا عزير ابن الله أو المسيح ابن الله ، و بقوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُ مَا طَبَّيْتُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»<sup>(٧)</sup> و يقول نبينا عليه السلام : اتَّخِذُ النَّاسَ رُؤْسَاءَ جَهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفَقُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه و قلبه على بصيرة واتباع للإمام أو فإنه الحق إلا أنه لم يتمثل جميع الأوصاف والتواهي بل أنتي بعض دون بعض بعد أن

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

(٣) سورة النساء : ٨٥ .

(٤) سورة النساء : ١٧١ .

(٥) سورة المائدة : ٨٧ .

(٦) سورة البقرة : ٨٩ .

(٧) سورة النساء : ١٥٠ .

اعترف بقبح ما يفعله ولكن لغلبة نفسه فهو فاسق عاصٍ و الفسق لا ينافي أصل الایمان، ولكن ينافي كماله، وقد يطلق عليه الكفر وعدم الایمان أيضاً إذا ترك كبار الفرائض أو أتى بكبائر المعااصي كما في قوله عز وجل : « وَلِلّهِ عَلٰى النَّاسِ حِجَّةٌ »<sup>(١)</sup> البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فانَ اللّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ،<sup>(٢)</sup> وقول النبي ﷺ : لا يزغى الزاني حين يزغى وهو مؤمن، وذلك لأنَّ ايمان مثل هذا لا يدفع عنه أصل العذاب ودخول النار وإن دفع عنه الخلود فيها فمحى لا يفيده في جميع الأحوال فكأنَّه مفقود .

والتحقيق فيه أنَّ المتردِّكَ إِنْ كانَ أَحَدُ الْأَصْوَلِ الْخَمْسَةِ الَّتِي بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَيْهَا أَوْ أَمْلَأَتِيَّ بِهِ إِحْدَى الْكَبَائِرِ مِنَ الْمُنْهِيَّاتِ خَاصَّةً . فَصَاحِبُهُ خَارِجٌ عَنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ أَيْضًا مَا مَلِمَ يَتَبَأْلِمُ بِهِ حَدِيثُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ لَمْ يَرْجِعْ فَهُوَ كَافِرٌ كَفَرَ بِاسْتَخْفَافٍ ، وَعَلَيْهِ يَحْمُلُ مَارُوا مِنْ دُخُولِ الْعَمَلِ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ ، رُوِيَّ أَبِي شَبَّابٍ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ مِنْ صَفَةِ الْإِيمَانِ إِلَّا بِتَرْكِ مَا أَسْتَحْقَقَ أَنْ يَكُونَ بِهِ مُؤْمِنًا ، وَإِنَّمَا اسْتَوْجَبَ وَاسْتَحْقَقَ أَسْمَ الْإِيمَانِ وَعَنْهُ بِأَدَاءِ كَبَارِ الْفَرَائِضِ مُوْسَوْلَةً ، وَتَرْكُ كَبَارِ الْمُعَااصِي وَاجْتِنَابُهَا وَإِنْ تَرَكَ صَفَارَ الطَّاعَةِ وَارْتَكَبَ صَفَارَ الْمُعَااصِي فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا تَارِكٌ لَهُ مَا لَمْ يَتَرَكْ شَيْئًا مِنْ كَبَارِ الطَّاعَةِ وَارْتَكَابِ شَيْءٍ مِنْ كَبَارِ الْمُعَااصِي فَمَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِقَوْلِ اللّهِ : « إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا »<sup>(٣)</sup> يعني مفقرة مادون الكبائر فانَّهُ ارتكبَ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الْمُعَااصِي كَانَ مَأْخُوذًا بِجُمِيعِ الْمُعَااصِي صَفَارَهَا وَكَبَارَهَا مَعَافِيًّا عَلَيْهَا مَعْذَبًا بِهَا .

إِلَى هُنَا كَلَامُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اذ اعترفت هذا فاعلم انَّ كُلَّ مِنْ جَهْلٍ أَهْرَأَ مِنْ أَمْوَالِ دِينِهِ بِالْجَهْلِ الْبِسِطِ فَقد

(١) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٢) سورة النساء : ٣١ .

نقص إيمانه بقدر ذلك الجهل ، وكل من أنكر حقّاً واجب التصديق لاستكمال أو هوى أو تقليد أو تعصي فله عرق من كفر الجحود ، وكل من أظهرا بلسانه مالم يعتقد بباطنه وقلبه لغير غرض ديني كالتحقير في محلها ونحو ذلك أو عمل عملاً آخر وبما لغرض دينوى فله عرق من النفاق ، وكل من كتم حقاً بعد عرفاته وأنكر مالم يوافق هواه قبل ما يوافقه فله عرق من التهديد ، وكل من استبد برأيه ولم يتبع إمام زمانه أو نائبه الحق أو من هو أعلم منه في أمر من الأمور الدينية فله عرق من الصلالة ، وكل من أتى حراماً أو شبيهه أو توانى في طاعة مصر على ذلك فله عرق من الفسق ، فان كان ذلك ترك كبير فريضة أو إتيان كبير معصية فله عرق من كفر الاستخفاف ، ومن أسلم وجهه لله في جميع الامور من غير غرض وهوى واتبع امام زمانه أو نائبه الحق آتياً بجميع أوامر الله ونواهيه من غير توانى ولامداهنة ، فإذا أذنب ذنبماً استغرى من قريب وتاب أو زلت قدمه استقام وأتى ب فهو المؤمن الكامل الممتحن ودينه هو الدين الخالص وهو الشيعي حقاً و الحالى صدقأً وأولئك أصحاب أمير المؤمنين، بل هو من أهل البيت عليهم السلام إذا كان عالماً بأمرهم محتملاً لسرهم كما قالوا: سلمان من أهل البيت .

## ﴿باب﴾

### ﴿فِي أَنَّ الْإِيمَانَ مُبَئِّثًا لِجَوَارِحِ الْبَدْنِ كُلِّهَا﴾

١ - عَلَيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ بَرِيدَفَالِ : حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرُ وَالرَّبِيعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدَاللهِ تَعَالَى قَالَ : قَلْتُ لَهُ : أَبِيهَا الْعَالَمُ أَخْبَرَنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا لَا يَقْبِلُ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا بِهِ ، قَلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَعْلَمُ الْأَعْمَالِ دَرْجَةً وَأَشْرَفُهَا مَنْزَلَةً وَأَسْنَاهَا حَظْنًا ،

### باب في ان الايمان مبئوث لجوارح البدن كلهما

يقال : بِثَ الْخَبْرِ وَأَبْشِهِ اَنْ شَرْهَ .

**الحادي الأول :** ضعيف على المشهور لكنه مؤيد بأخبار آخر ، وقد روى النعماني في تفسيره مثله عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومصاميمه دالة على صحته .  
**قوله تبارك الله :** الإيمان بالله ، هو مبقاء وأعلى خبره ، ويحتمل أن يكون المراد به جميع العقائد الإيمانية اكتفى بذكر أشرفها وأعظمها للزومها لسائرها مع أنّ كون التوحيد أشرف لا ينافي وجوب البقية واشتراطه بها ، والستنا الضوء و بالمدّ الرفع ، والحظ النصيب ، والمراد بالقول التصديق القلبي أو هو مع الأقراد اللسانى بالعقائد الإيمانية ، وفيه : هو الذي يعبر عنه بالكلام النفسي ، وقد يستدل بقوله : عمل كلّه ، على أنّ التصديق المكمل به ليس محضر العلم إذ هو من قبيل الانفعال ، بل هو فعل قلبي .

قال شارح المقاصد : والمذهب أنه غير العلم و المعرفة لأنّ من الكفار من كان يعرف الحقّ ولا يصدق به عناداً و استكباراً ، قال الله تعالى : « الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون<sup>(١)</sup> و قال : « و انَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ » من ربهم و ما الله بغافل عما يعلمون<sup>(٢)</sup> و قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلْتَ هُؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »<sup>(٣)</sup> فاحتسب إلى الفرق بين العلم بما جاء به النبي صلوات الله عليه و هو معرفته وبين التصديق ليصح كون الأول حاصلاً للمعاندين دون الثاني ، و كون الثاني ايماناً دون الأول ، فاقتصر بهم على أنَّ ضدَّ التصديق هو الانكار والشكيب ، و ضدَّ المعرفة النكارة والجهالة ، و إليه أشار الغزالى حيث فسرَ التصديق بالتسليم ، فأنَّه لا يكون مع الانكار والاستكبار بخلاف العلم والمعرفة و فصل بعضهم زيادة التفصيل ، و قال : التصديق عبارة عن ربط القلب بما علم من أخبار المخبر و هو أمر كسبى يثبت باختيار المصدق ، و لهذا يؤمر و يثاب عليه بل يجعل رأس العبادات بخلاف المعرفة فأنَّها ربما تحصل بلا كسب كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة أنه جدار أو حجر ، و حققه بعض المتأخرین زيادة تحقيقاً فقال : المعتبر في الإيمان هو التصديق الاختياري ، و معناه نسبة التصديق إلى المتكلَّم اختياراً و بهذا القيد يمتاز عن التصديق المنطقي المقابل للتصوُّر ، فأنَّه قد يخلو عن الاختيار كما إذا أدعى النبي صلوات الله عليه النبوة و أظهر المعجزة فوق في القلب صدفه ضرورة ، من غير أن ينسب إليه اختياراً فأنَّه لا يقال في اللغة أنه صدفه فلا يكون ايماناً شرعياً ، كيف و التصديق مأمور به فيكون فعلاً اختيارياً زائداً على العلم لكونه كيفية نفسانية أو انفعالاً و هو حصول المعنى في القلب ، و الفعل القلبي ليس كذلك بل هو ايقاع النسبة اختياراً الذي هو كلام النفس ، و يسمى عقد القلب فالسوفطائي عالم بوجود النهار و كذا بعض الكفار بنبوة النبي صلوات الله عليه لكنهم ليسوا بمصدِّقين لأنَّهم لا يحكمون اختياراً بل ينكرون .

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٣) سورة الاسراء : ١٠٢ .

قال : قلت : ألا تخبرني عن الإيمان ، أقولُ هو وعملُ أم قول بلا عمل ؟ فقال : الإيمان

و كلام هذا القائل متراجِد يميل ثارة إلى أن التصديق المعتبر في الإيمان نوع من التصديق المنطقي لكونه مقيداً بالاختيار و كون التصديق العلمي أعمّ لا فرق بينهما إلّا بزورِم الاختيار و عدمه ، وقارة إلى انه ليس من جنس العلم اصلاً لكونه فعلاً اختيارياً ، و كون العلم كيفية أو انفعالاً ، و على هذا الأخير أصر بعض المعنيين بتحقيق الإيمان ، وجزم بأن التسلیم الذي فسّر به الغزالى التصديق ليس من جنس العلم ، بل أمر و راءه معناه « كردن دادن و كرويدن و حق دانستن مر آنراكه حق دانسته باشي » و يؤيده ما ذكره إمام الحرمين أن التصديق على التحقيق كلام النفس لكن لا يثبت كلام النفس إلّا مع العلم .

ونحن نقول : لاشك أن التصديق المعتبر في الإيمان هو ما يعبر فيه في الفارسية « بکرویدن وبادر کردن و راستگوی داشتن » اذا أضيف إلى الحكم « و راست داشتن و حق داشتن » ، إذا أضيف إلى الحكم ، ولا يكفي مجرد العلم و المعرفة الخالي عن هذا المعنى ، ثم أطال الكلام في ذلك و آل تحقيقه إلى أنه ليس شيء وراء العلم و المعرفة .

و قال المحقق الدواني في شرح العقائد : إنّمأنه لو فسّر التصديق المعتبر في الإيمان بما هو أحد قسمى العلم فلا بد من اعتبار قيد آخر ليخرج الكفر العنادي ، وقد عبر عنه بعض المتأخرین بالتسليم و الانقياد ، و جعله ركناً من الإيمان ، والأقرب أن يفسّر التصديق بالتسليم الباطنى و الانقياد القلبى و يقرب منه ما قيل : أن التصديق أن تنسب باختيارك الصدق إلى أحد وهو يحوم حول ذلك و ان لم يصب المخبر ، انتهى .

والحق أن إثبات معنى آخر غير العلم و المعرفة مشكّل ، و كون بعض أفراده حاصلاً بغير اختيار لا ينافي التكليف به ملن لم يحصل له ذلك و ترتب الثواب على ما حصل بغير الاختيار إماً تفضّل أو هو على الثبات عليه وإظهاره و العمل بمقتضاه ،

عمل كأنه و القول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله يبيّن في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حججته ، يشهد له به الكتاب و يدعوه إليه ، قال : قلت : صفة لي جعلت فداك حتى أفهمه ، قال : للإيمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمما التام المنهى تمامه

و الكلام النفسي الذي ذكروه ليس وراء التصور و التصديق شيئاً ، نعم المعنى الذي نفهمه هيئنا زايداً على العلم هو العزم على إظهار ما يعتقد أو على عدم إنكاره ظاهراً بغير ضرورة تدعوا إليه ، و يمكن عده من لوازم الإيمان أو شرائطه كما يؤمّن إليه بعض الآيات والأخبار ، والعلم لو سلم أنه من قبيل الانفعال فعده عملاً على سبيل التوسيع باعتبار أسبابه و مباديه .

قوله عليه السلام : بفرض ، الباء للسببية و ضمير «نوره» و «حججته» راجعون إلى الفرض ، و ضمير «له» إلى العامل ، و قيل : إلى كونه عملاً ، و قيل : إلى الله ، والأول أظهر ، و من أرجع ضمير «به» إلى الفرض و ضمير «له» إلى كونه عملاً لو عكس كان أنساب ، و قوله : واضح ، و ثابتة ، ثبات للفرض ، و ضمير يدعوه ، المستقر راجع إلى الكتاب ، و البازز إلى العامل ، و قيل : الظاهر أن يشهد ، و يدعوه حال عن فرض ، و أن ضمير له وإليه راجع إلى الله ، و ضمير «به» والبازز في يدعوه للفرض ، والمراد بدعاء الكتاب ذلك الفرض إليه سبحانه نسبته إليه ، و بيانه أنه منه ، و يحتمل أن يكون حالاً عن الإيمان وأن يكون ضمير له و يدعوه راجعاً إليه و ضمير به و إليه للعمل ، أى يشهد الكتاب للإيمان بأنّه عمل ، و يدعوه الكتاب للإيمان إلى أنّه عمل ، انتهى .

ولا يخفى بعدهما ، و في تفسير العياشي : يشهد له بها الكتاب ، و يدعوه إليه فضمير بها راجع إلى الحجة .

« للإيمان حالات» كأنه إشارة إلى الحالات الثالثة أي التام والنافق ، و الراوح و الدّرجات هرائب الرجحان فإنها كثيرة بحسب الكمية و الكيفية ، و الطبقات مراتب النقصان ، و المنازل ما يلزم تلك الدّرجات و الطبقات من القرب إليه

وَمِنْهُ النَّاقُصُ الْبَيِّنُ نَفْصَانُهُ وَمِنْهُ الرَّاجِحُ الرَّأْدُ رِجْحَانُهُ، قَاتَ : إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَتَمُّ  
وَيَنْفَضُ وَيُزِيدُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَاتَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِرْضُ  
الْإِيمَانَ عَلَى جُواوِرِ بْنِ آدَمَ وَقَسْمُهُ عَلَيْهَا وَفِرْقَهُ فِيهَا فَلِيْسَ مِنْ جُواوِرَهُ حَارِجَةً

سِبْحَانَهُ وَالْمَبْعُدُ عَنْهُ ، وَالْمَطْهُوبَاتُ امْتَرْتَبَةٌ عَلَيْهَا .

وَقَيلَ : إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ مِرَاتِبَ مُتَكَثِّرَةٍ وَهِيَ حَالَاتُ الْإِنْسَانِ بِاعْتِبَارِ قِيَامِهَا  
بِهِ ، وَدَرَجَاتُ بِاعْتِبَارِ تَرْقِيَّهُ مِنْ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَطَبَقَاتُ بِاعْتِبَارِ تَفاُوتِ مِرَاتِبِهَا فِي  
نَفْسِهَا ، وَكَوْنِ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَمَنَازِلُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْزَلُ فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا  
فَمِنْهُ التَّامُ وَهُوَ إِيمَانُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُوصِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا شَتَّالَهُ عَلَى جَمِيعِ أَجْزَاءِ  
الْإِيمَانِ مِنْ فَمِ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْكَبَائِرِ وَإِنْ تَفَوَّتْ بِاِنْضَمَامِ سَائِرِ الْمَكْمُلَاتِ مِنْ  
الْمُسْتَحْبَثَاتِ وَتَرْكِ الْمَكْرُوهَاتِ زِيَادَةً وَنَفْصَانًا ، أَوْ الْمُرَادُ بِالْتَّامِ أَمْنَتْهُ تَمامَهُ دَرْجَةُ النَّبِيِّ  
نَبِيٌّ وَأَوْحَيَاهُ نَبِيٌّ ، وَمِنْ النَّاقُصُ الْبَيِّنُ نَفْصَانُهُ وَهُوَ أَقْلَى مِرَاتِبِ الْإِيمَانِ الَّذِي  
بَعْدُهُ الْكُفَرُ ، وَمِنْهُ الرَّاجِحُ وَفِيهِ أَفْرَادٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ التَّفاُوتِ فِي الْكَمِيَّةِ وَالْكِيفِيَّةِ .  
ثُمَّ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ الْكَلَامَ وَجَهِينَ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى فَعْلِ  
الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْكَبَائِرِ حَاصِلًا فِي الْجَمِيعِ لِعدَمِ صَدَقِ الْإِيمَانِ بِدُونِ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ  
الدَّرَجَاتُ وَالْمَنَازِلُ بِاعْتِبَارِ تَلَكَ الْأَعْمَالِ وَنَفْصَانِهَا وَانْضَمَامِ فَعْلِ سَائِرِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ  
سَائِرِ الْمُحْرَّمَاتِ وَفَعْلِ الْمَنْدُوبَاتِ وَتَرْكِ الْمَكْرُوهَاتِ، بِالْمُبَاحَاتِ وَالْمُنْتَصَافِ بِالْإِخْلَاقِ  
الْسُّنْنِيَّةِ وَالْمُلْكَاتِ الْعُلَيَّةِ .

وَثَانِيَهُمَا : أَنْ يَكُونَ الْقَدْرُ الْمُشْتَرِكُ حَصُولُ الْإِيمَانِ فِي الْجَمِيلَةِ وَالْكَاملِ مَا يَكُونُ  
مُشْتَمِلًا عَلَى جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ وَهُوَ إِيمَانُ حَقِيقَةِ وَالنَّاقُصِ التَّامِ مَالِمٌ يَكُونُ فِيهِ سُوءُ الْعَقَائِدِ  
الْحَقِيقَةِ وَالدَّرَجَاتُ الْمُتَوَسِّطَةُ تَخْتَلِفُ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ أَجْزَاءِ الْإِيمَانِ وَقَلْتَهَا فَالْمُؤْمِنُ  
حَقِيقَةُ هُوَ الْفَرَدُ الْأَوَّلُ، وَإِطْلَاقُهُ عَلَى الْبَوَافِي عَلَى التَّوْسِعِ لَا تَفْتَأِعُ الْكُلُّ بِاِنْتِفَاءِ أَحَدِ  
الْأَجْزَاءِ وَلَكُلِّ مِنْهُمَا شَوَاهِدٌ لِفَظًا وَمَغْنِي فَتَأْمِلُ ، فَلَمَّا عَسَرَ فَهْمُهُ عَلَى السَّائِلِ  
لَا إِفْتَهُ بِمَصْطَلِحَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَعْدَ السُّؤَالَ لِزِيَادَ التَّوْضِيحِ .

إِلَّا وَقَدْ كَتَلتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وَكَلَّتْ بِهِ أَخْتَهَا، فَمِنْهَا قُلْبُهُ الَّذِي يَعْقُلُ وَيَفْهَمُ وَهُوَ أَمِيرٌ بِدِنَهُ الَّذِي لَا تَرْدُ الجَوَارِحُ وَلَا تَصْدُرُ إِلَّاً عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ وَ

قوله عليه السلام : به يعقل ويفهم ، قيل : العقل العلم بالقضايا الضرورية ، والفقه ترتيبها لنتائج القضايا النظرية ، والفهم العلم بالنتيجة .

أقول : ويحتمل أن يكون العقل معرفة الأصول العقلية ، والفقه العلم بالأحكام الشرعية ، والفهم معرفة سائر الأمور المتعلقة بالمعاش وغيره ، والمراد بالقلب النفس الناطقة سميت به لتعلقها أو لا بالروح الحيواني المنبعث منه أو القلب الصنوبرى من حيث تعلق النفس به ، وقيل : مجلد الادراك هذا الشكل الصنوبرى ، عملاً بظواهر الآيات والأخبار وسيأتي تحقيقه في مجله إنشاء الله .

قال الراغب في المفردات : قال بعض الحكماء حيث ما ذكر الله القلب فاشارة إلى القلب والعلم ، نحو : «إن» في ذلك لذكرى ملن كان له قلب <sup>(١)</sup> وحيث ما ذكر الصدر فاشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها ، وقوله : «رب اشرح لي صدري» <sup>(٢)</sup> فسؤال لاصلاح قواه ، وكذا قوله : «ويشف صدور قوم مؤمنين» <sup>(٣)</sup> إشارة إلى اشتفائهم ، وقوله : «ولكن تعنى القلوب التي في الصدور» <sup>(٤)</sup> اي العقول التي هي مندرجة بين سائر القوى وليس بمهمادية والله أعلم بذلك .

وقال : قلب الانسان قيل : سمى به لكررة نقلبه ويعبر بالقلب عن المعانى التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك ، فقوله : «وبلغت القلوب العناجر» <sup>(٥)</sup> اي الارواح «ان» في ذلك لذكرى ملن كان له قلب <sup>(٦)</sup> اي علم وفهم ، وكذلك «وجعلنا على قلوبهم أكنةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» <sup>(٧)</sup> وقوله : «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» <sup>(٨)</sup>

(١) و (٤) سورة ق : ٣٧ .

(٣) سورة التوبة : ١٤ .

(٥) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٧) سورة الانعام : ٢٥ .

(٨) سورة التوبة : ٨٧ .

منها عيناه اللتان يبصر بهما واذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله؛ و لسانه الذي ينطق به و رأسه الذي فيه وجهه ، فليس من هذه جارحة إلا وقد كُلّت من الايمان بغير ما و كُلّت به اختها بفرض من الله تبارك اسمه . ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها .

فرض على القلب غير ما فرض على السمع ، و فرض على السمع غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين و فرض على الرّجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فاما ما فرض

وقوله : «ولتطمئن به قلوبكم»<sup>(١)</sup> اي ثبتت به شجاعتكم ويزول خوفكم ، وعلى عكسه «وقدف في قلوبهم الرّعب»<sup>(٢)</sup> وقوله : «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين»<sup>(٣)</sup> وقوله : «وقلوبهم شتى»<sup>(٤)</sup> اي متفرق وقوله : «ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»<sup>(٥)</sup> . وقيل : العقل ، وقيل : الرّوح ، فاما العقل فلا يصح عليه ذلك و مجاهذه مجاز قولهم : تجري من تحتها الانهاد ، و الانهاد لا تجري و إنما يجري اماء الذي فيه ، انتهى .

والورود حضور الماء للشرب ، والصدر والصدور الانصراف عنه ، وهذا مثل في انّها لا تفعل شيئاً إلا بأمره كما يقال في الفارسية : لا يشرب الماء إلا بأمره و إذنه . و البطش تناول الشيء بصولة و قوة ، و الباه في بعض النسخ بدون الهمزة و في بعضها بها ، قال الجوهري : الباه مثل العجاج لغة في الباعة وهو الجماع «ينطق به» الجملة نعمت للفرض و ضمير به في الموصعين للفرض ، و ضمير لها و عليها للجارحة ، و اللام للاتفاق ، وعلى للأضرار وإرجاع ضمير «به» الى الايمان كما قيل يقتضي خلوّ الجملة عن العائد و ارجاع ضمير «لها» هنا الى الجارحة يؤيد ارجاع ضمير «له» سابقاً الى العامل .

(١) سورة الانفال : ١٠٠ .

(٢) سورة الحشر : ٤ .

(٣) سورة الفتح : ٤ .

(٤) سورة الحشر : ١٤ .

(٥) سورة الحج : ٤٦ .

على القلب من الإيمان فالاقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم يتمْنَد صاحبة ولاؤلاً وأن تَبَدَّل عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبيٍّ أو كتاب . فذلك ما

قوله : فالاقرار ، أى الاقرار القلبي لأنَّ الكلام في فعل القلب وان احتمل أن يكون المراد الاقرار اللساني لأنَّه إخبار عن القلب ، لكن ذكره بعد ذلك في عمل اللسان ربما يأبى عن ذلك وان احتمل توجيهه ، والمعطوفات عليه على الاوَّل عطف تفسيره وَكَائِنَهَا إشارة إلى مراتب اليقين والإيمان القلبي ، فانَّ أَقْلَ مراتبه الاذعان القلبي ولو عن تقليد أو دليل خطابي ، والمعرفة ما كان عن برهان قطعي و العقد هو العزم على الاقرار اللساني وما يتبعه ويلزمه من العمل بالأركان ، والرضا هو عدم إنكار قضاء الله وأدامرها ونواهيه ، وأن لا ينفل على شيء من ذلك بمخالفته لهوى نفسه ، والتسليم هو الانقياد التام للرسول فيما يأتي به لاسيما ما ذكر في أمر أو صياغة وما يحكم به بينهم ، كما قال تعالى : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسأموا تسليمها»<sup>(١)</sup> فظاهر أنَّ الاقرار بالولاية ايضاً داخل في ذلك بل جمِيع ما جاء بد النبي ﷺ .

وقوله بأن لا إله إلا الله ، متعلق بالاقرار لأنَّ ما ذكر بعده تفسير وكميل له ، والصاحبة الزوجة ، والاقرار عطف على الاقرار ، والمراد الاقرار بسائل أنبينا الله وكتبه ، والمستتر في « جاء » راجع إلى الموصول ، وما قبله : انَّ قوله بأن لا إله إلا الله «البخ» متعلق بالاقرار والمعرفة والعقد ، وقوله والاقرار بما جاء من عند الله ، وهو فهو على أن لا إله فيكون الاوَّلان بياناً للأخيرين والأخير بياناً للأوَّل ، فلام يخفى مافيه من أنواع الفساد .

وقال المحدث الاسترابادي : المعرفة جاء في كلامهم معان : أحدها ، التصور مطلقاً وهو المراد من قولهم على الله التعریف والبيان أى ذكر المدعى والتنبیه عليها

(١) سورة النساء : ٤٥ .

فرض الله على القلب من الإقرار والمعروفة وهو عمله وهو قول الله عز وجل : «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالایمان ولكن من شرح بالكفر صردا»<sup>(١)</sup> وقال : «ألا يذكر الله

إذ لا يجب خلق الاذعان كما يفهم من باب الشك وغير ذلك من الابواب «وثانيها» الاذعان القلبي وهو المراد من قولهم أقر وا بالشهادتين ولم يدخل معرفة أن محمدًا رسول الله ﷺ في قلوبهم «وثالثها» عقد القضية الاجمالية مثل نعم وبلي ، وهذا العقد ليس من باب التصور ولا من باب التصديق «ورابعها» العلم الشامل للتصور والتصديق وهو المراد من قولهم العلم والجهل من صنع الله في القلوب ، انتهى . وفيه ما فيه

والآية الاولى من سورة النحل «من كفر بالله من بعد ايمانه» قيل : بدل من الذين لا يؤمنون ، وما بينهما اعتراض ، أو من أولئك أو من الكاذبون ، أو مبتدئ خبره محذوف دل عليه قوله : فعليهم غضب ، ويجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون عن شرطية محذوفة الجواب «إلا» من أكرهه على الاقراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأنـ «الكفر لغة يعم» القول والعقد كالایمان ، كذا ذكره البيضاوى ، والظاهر أنـه منقطع «وقلبه مطمئن» بالایمان لم يتغير عقيدته «ولكن من شرح بالكفر صردا» اي اعتقده وطاب به نفساً «فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم» وقد ورد في أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامّة أنها نزلت في عمّار بن ياسين حيث أكرهه وأبويه ياسراً دسمية كفار مكنة على الارتداد فأبى أبواه فقتلوهما وهمما أول قتيلين في الاسلام وأعطاهم عمّار بلسانه مكرهاً فقيل : يارسول الله إنـ عمّاراً كفر ، فقال : كلاماً إنـ عمّاراً مليء ايماناً من قرنه إلى قدمه ، و اختلط الایمان بلحمه ودمه فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي يجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال : مالك إنـ عادوا لك فعد لهم بما قلت .

وعن الصادق عليه السلام فأنزل الله فيه : «إلا من أكرهه الآية فقال له النبي ﷺ

ـ تطمئن» القلوب «<sup>(١)</sup> وقال : «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم»<sup>(٢)</sup> وقال : «إن

عندھا : ياعمار إن عادوا فعد ، فقد أنزل الله عذرک وامرک أن تعود إن عادوا .  
وبالجملة الآية تدل على أن بعض أجزاء الایمان متعلق بالقلب وان استدل  
القوم بها على أن الایمان ليس إلا التصديق القلبي .

والآية الثانية «الذين آمنوا وَتَطْمَئِنُ قلوبهم بذكرا الله» قيل : اى أنساً به  
وإعتماداً عليه ورجاءً منه أو بذكر رحمة بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله  
الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات  
«ألا بذكرا الله تطمئن القلوب» اى تسكن إلهي .

وقال في المجمع : معناه الذين اعمروا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة  
نبیه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكين قلوبهم بذكرا الله وتأنس إليه ، و الذكر  
حضور المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكرأ والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس  
أيضاً يسمى ذكرأ «ألا بذكرا الله» الخ ، هذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما  
 وعد الله به من النعيم والثواب ، انتهى .

وكأنه استدلاله نَبَّالَهُ بالآية مبني على أن المراد بذكر الله العقائد الایمانية  
والدلائل المفضية إليها إذ بها تطمئن القلب من الشك والاضطراب ، ويؤيده قوله  
في الآية السابقة : «وقلبه مطمئن بالایمان» .

قوله سبحانه : «إن تبدوا ما في أنفسكم» قال الطبرسي (ره) : أى تظهروها  
وتعلمواها من الطاعة والمعصية أو العقائد «أو تخفوه» أى تكتموه «بحاسبيكم به الله»  
أى يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه ، وقيل : معناه إن تظهروا الشهادة أو تكتموها فان الله  
يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة ، وقيل : إنها عامة في الأحكام التي  
تقدّم ذكرها في السورة ، خوفهم الله تعالى من العمل بخلافها وقال قوم : إن هذه

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) سورة المائدة : ٤١ والآية هكذا «قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» .

تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء<sup>(١)</sup> فذلك

الآية منسوخة بقوله : «لَا يَكْلُفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»<sup>(٢)</sup> ورروا في ذلك خبر أضيقاً، وهذا لا يصح لأنَّ تكليفاً ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإنما المراد بالآلية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستورد عننا ، وأمما مالا يدخل في التكليف من الوساوس والهوا جس مما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنده دلالة العقل ، ولقوله عليه السلام : ويفى لهذه الأمة عن نسبتها وما حدثت به أنفسها وعلى هذا تجوز أن تكون الآية الثانية بيُنْتَ الأولى وأذالت توهُّم من صرف ذلك إلى غير وجه المراد ، والظنُّ أنَّ ما يخطر بالبال ويتجدد به النفس مما لا يتعلّق بالتوكيل فـ«ان° الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك .

«فيغفر لمن يشاء» منهم رحمة وفضلاً «ويعذب من يشاء» منهم ممتن استحق العقاب عدلاً «و الله على كلّ شيء قدير» من المغفرة والعقاب ، عن ابن عباس ، ولفظ الآية عامٌ في جميع الأشياء، والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي إنَّ الله سبحانه لا يؤخذ به ، وإنما يؤخذ بما يعزّم الإنسان ويعقد قلبه عليه مع إمكان التحفظ عنه فيصير من أفعال القلب فيجازيه على ما يجازيه على أفعال الجوارح ، وإنما يجازيه جزاء العزم لجزاء عين تلك المعصية لـ«أنَّه لم يباشرها ، وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإنَّ العازم على فعل الطاعة يجازي على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار أنَّ المنتظر للصلوة في الصلاة مادام ينتظراها ، وهذا من لطائف ما أنعم الله على عباده ، انتهى .

و الظاهر من الأخبار الكثيرة التي يأتي بعضها في هذا الكتاب عدم مؤاخذة هذه الأمة على الخواطر والعزم على المعاصي ، فيمكن تخصيص هذه الآية بالعائد كما هو ظاهر هذه الرواية وإنْ أمكن أن تكون نية المعصية والعزم عليها معصية يغفرها الله للمؤمنين ، فالمراد بقوله : «من يشاء» المؤمنون و يؤتيه ما ذكره المحقق

الطوسي و غيره أن أراده القبيح قبيحة فتأمل .

و يظهر من بعض الأخبار أن هذه الآية منسوخة وقد خفّفها الله عن هذه الامة كماروى الدليلي في إرشاد القلوب بسانده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهما السلام في خبر طويل في معراج النبي ﷺ قال : ثم عرج به حتى انتهى إلى ساق العرش و ناجاه بما ذكره الله عز و جل في كتابه ، قال تعالى : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيغْفِرُ مِنْ يَشاءُ وَيَعْذِبُ مِنْ يَشاءُ » و كانت هذه الآية قد عرضت على سائر الامم من ادن آدم إلى أن بعث محمد ﷺ فأبوا جميعاً أن يقبلوها من تعلقها ، و قبلها محمد ﷺ فلما رأى الله عز و جل منه و من أمته القبول خفف عنه ثقلها ، فقال الله عز و جل : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه »<sup>(١)</sup> ثم أن الله عز و جل تكرّم على محمد ، و أشفع على أمته من تشديد الآية التي قبلها هو وأمته فأجاب عن نفسه و أمته فقال : « وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ مَنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَبِهِ وَرَسُلِهِ لَا نَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ دُرْسَلَهِ » فقال الله عز و جل لهم المغفرة والجنة إذا فعلوا ذلك ، فقال النبي : « سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » يعني المرجع في الآخرة فأجابه قد فعلت ذلك بتائيبي أمتك قد أوجبت لهم المغفرة ، ثم قال الله تعالى : أَمَّا إِذَا قَبَلْتُهَا أَنْتَ وَأَمْتَكَ وَقَدْ كَانَتْ عَرَضَتْ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّمِ فَلَمْ يَقْبِلُوهَا فَحَقَّ عَلَى أَنْ أُرْفِعَهُمَا عَنْ أَمْتَكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا مَا كَسَبَتْ » من خير « وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ » من شر ثم أَللَّهُ عز و جل نبيه أَنَّه قال : « رَبُّنَا لَا تَؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا » فقال الله سبحانه وَهُوَ أَعْطَيْتُكَ لَكَ أَمْتَكَ ، إِلَى آخر الخبر .

وَمَمَّا امْخَالُفُونَ فَهُمْ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، قَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : يَرْوِي عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : طَافَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَاءَ أَبُو بَكْرَ وَعُمَرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ

عوف ومعاذ وناس إلى النبي ﷺ ف قالوا : يا رسول الله كلفنا من العمل ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وإنه لذنب ف قال النبي ﷺ : فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل : سمعنا وعصينا ف قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا : سمعنا وأطعنا واشتد ذلك عليهم فمكثوا في ذلك حولاً فأنزل الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » فنسخت هذه الآية فقال النبي ﷺ : إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثوا به أنفسهم هالم يعلموا أو تكلموا به .

واعلم ان محل البحث في هذه الآية ان قوله : « إن تبدوا » يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي تردد على القلب ولا يمكن من رفعها ، فاطمئنوا بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق ، والعلماء أجابوا عنه من وجوه :

الاول : ان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزز على إدخاله في الوجود ، ومنها ما لا يكون كذلك بل يكون أموراً خاطرة بالبال مع ان الإنسان يكرهها ولكن لا يمكنه دفعها عن نفسه ، فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به ، والثاني لا يكون مؤاخذاً به ، لأن ترى إلى قوله تعالى : « لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم »<sup>(١)</sup> وقال في آخر هذه السورة « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقال : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة »<sup>(٢)</sup> هذا هو الجواب المعتمد .

الوجه الثاني : أن كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو . و قوله : « وإن تبدوا » النج ، فالمراد منه أن يدخل ذلك العمل في الوجود إما ظاهراً أو على سبيل الخفية ، وأما ما يوجد في القلب من العزائم والارادات ولم يتصل بالعمل فكل ذلك في محل العفو ، وهذا الجواب ضعيف لأن أكثر المؤاخذات إنما يكون

(١) سورة البقرة : ٢٢٥ .

(٢) سورة النور : ١٩ .

\* \* \* \* \*

بأفعال القلوب ، ألا ترى أنّ اعتقاد الكفر والبدع ليس إلاً من أعمال القلوب وأعظم أنواع العقاب من قبّ عليه أيضاً وأفعال الجواح إذا خلت من أعمال القلوب لا يترتب عليها عقاب كأفعال النائم والساهي ، فثبتت ضعف هذا الجواب .

**والوجه الثالث :** أَنَّه تعالى يؤخذ بها ، ومؤاخذتها من العموم في الدنيا ، وروى ذلك خبراً عن عائشة عن النبي ﷺ .

**الوجه الرابع :** أَنَّه تعالى قال : « يحاسبكم بدم الله » ولم يقل يؤخذكم به الله ، وقد ذكر نافي معنى كونه حسبياً ومحاسباً وجوهها ، منها: كونه عالماً بها ، فرجع المعنى إلى كونه تعالى عالماً بالضمائر و السرائر و روى عن ابن عباس أَنَّه تعالى إذا جمع الخلاقين يخبرهم بما كان في نفوسهم ، فالمؤمن يخبره و يغفو عنه ، وأهل الذوباب يخبرهم بما أخفوا من التكذيب والذنب .

**الوجه الخامس :** أَنَّه تعالى ذكر بعد هذه الآية « فيغفر ملء إشاء و يعذب من إشاء » فيكون الغفران نصيبياً ملء كان كارهاً لورود تلك الخواطر ، والعذاب ملء كان مصراًً علىها مستحسناً لها .

**الوجه السادس :** قال بعضهم : المراد بهذه الآية كتمان الشهادة و هو ضعيف وإن كان وارداً عقيبه .

**الوجه السابع :** مامر أَنَّها منسوخة بقوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وهذا أيضاً ضعيف بوجه « أحدهما » إنّ هذا النسخ إنما يصح لقولنا أَنَّهم كانوا قبل هذا النسخ مأمورين بالاحتراز عن تلك الخواطر التي كانوا عاجزين عن دفعها ، و ذلك باطل لأنّ التكليف قطّ ما ورد إلا بما في القدرة ، ولذلك قال ﷺ : بعثت بالحنينية السُّمْحة السُّهْلة .

**الثاني :** أَنّ النسخ إنما يحتاج إليه لو دلت الآية على حصول العقاب على تلك الخواطر ، وقد بيّنا أَنَّها لاتدلّ على ذلك .

ما فرض الله عز وجل على القلب من الا إقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الايمان وفرض الله على اللسان القول و التعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به قال الله تبارك و تعالى «قولوا للناس حسناً»<sup>(١)</sup> وقال : «قولوا آمنا بالله وما نزل إلينا وما أنزل إليكم

الثالث : أن نسخ الخبر لا يجوز وإنما يجوز نسخ الأوامر والنواهي ، واختلفوا في أن الخبر هل ينسخ أم لا ، انتهى .

وقال أبو المعين النسفي : قال أهل السنة والجماعة : العبد مؤاخذ بما عقد بقلبه نحو الزنا والمواطنة وغير ذلك ، أمّا إذا خطر بباله ولم يقصد فلا يؤاخذ به ، وقال بعضهم لا يؤاخذ في الصورتين جميعاً ، وحجتهم قوله ﷺ : عفى عن أمّي ما خطر بي بالهم مالم يتكلموا ويفعلوا ، وحجّتنا قوله تعالى : «وان تبدوا ما في أنفسكم» الآية ، فثبتت أنه مؤاخذ بقصده ، وما ذكرتم من الحديث فمحمول على ما خطر بباله ولم يقصد ، أمّا إذا قصد فلا ، انتهى .

« وهو رأس الايمان » كأن التشبيه بالرأس باعتبار أن باتفاقه ينتفى الايمان رأساً كما أن باتفاق الرأس لا تبقى الحياة ، ويفسد جميع البدن .

قوله ﷺ : القول ، أي ما يجب التكلم به من الأوامر كالظهور بالحق والأمر بالمعروف ، والنهي عن المأكرون ، والقراءة والاذکار في الصلاة وأمثالها ، فيكون قوله : والتعبير تخصيصاً بعد التعميم طرید الاهتمام .

« وقول الناس حسناً » قال البيضاوى : أي قول حسناً وسمّاه حسناً للجمالية ، وقرء حزة ويعقوب والكسائي حسناً بفتحيدين ، انتهى .

افول : في بعض الاخبار عن الصادق عليه السلام أنّه قال : يعني قولوا لهم رسول الله عليه السلام ، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام : نزلت في اليهود ثم نسخت بقوله : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله»<sup>(٢)</sup> الآية ، وفي بعض الروايات أنّه جسن المعاشرة والقول الجميل ،

(١) سورة البقرة : ٨٣ .

(٢) سورة التوبه : ٤٩ .

وإلهنا إلهكم واحد ونحيط به مسلمون<sup>(١)</sup> وفهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله وفرض على السمع أن يتنتزه عن الاستماع إلى ما حرم الله وأن يعرض عمما لا يحل له ممّا نهى الله عز وجل عنه والاصفاء إلى ما أ Sexted الله عز وجل فقال في ذلك : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزء بها فلا تقدروا معهم

وفي بعضها أنّه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكأنّ التعميم أولى في المناسب التعميم في القول أو لا ويريد أنّ في تفسير النعmani هكذا : وأمّا ما فرضه على اللسان فقوله عز وجل في معنى التفسير ماعقده القلب وأقر به أو جحده « قولوا آمنا بالله » الآية ، وقوله سبحانه : وقولوا للناس حسناً ، وقوله سبحانه : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا » <sup>(٢)</sup> فأمر سبحانه بقول الحق ونهى عن قول الباطل .

نمّان الآية الثانية ليست في المصاحف هكذا ، ففي سورة البقرة « قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط » <sup>(٣)</sup> وفي سورة العنكبوت : « قولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحيط به مسلمون » <sup>(٤)</sup> فالظاهر أن التغيير من النسخ أو نقل الآيتين بالمعنى ، وفي النعmani موافق للأولى ولعله كان في الخبر الآitan فأسقطوا عجز الاولى وصدر الثانية .

والتنزه الاجتناب « وأن يعرض » عطف على « أن يتنتزه » والإصفاء عطف على الموصول في قوله : عمما لا يحل .

« وقد نزل عليكم في الكتاب هذه الآية في سورة النساء ، وفي تفسير على بن ابراهيم إن آيات الله هم الأئمة كالبيهقي ، وروى العياشي في تفسيرها : إذا سمعت

(١) و (٤) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٢) سورة النساء : ١٧١ .

(٣) الآية : ١٣٦ .

حتى يخوضوا في حديث غيره <sup>(١)</sup> ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال : « وإنما ينسينك الشيطان فلا تقدر بعد الذكرى مع القوم الظالمين <sup>(٢)</sup> وقال ، « فبشر عباد »

الرجل يجحد الحق ويكتذب به ويقع في أهله فهم من عنده ولاتهاده ، قال الراغب : والخوض الشرع في الماء والمرور فيه ، يستعار في الامور وأكثر ماورد في القرآن ورد فيما يلزم الشرع فيه ، وتنمية الآية « انكم إذاً مثلهم إنَّ اللَّهُ جامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا » والاستثناء في سورة الأنعام حيث قال : « وإذا رأيتُ الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإنما ينسينك الشيطان <sup>(٣)</sup> الآية ويحمل أن يكون قوله تعالى : « وقد نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ إِشَارَةً إِلَى مَا نَزَّلَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامَ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ كَالتَّفَسِيرِ لِتِلْكَ الْآيَةِ فَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَذِّرِ آيَةَ النَّسَاءِ بِلَيْلَةِ الْمَسْكَنِ أَنَّ الْخُوضَ فِي الْآيَاتِ الْمَذَكُورَ فِي الْأَنْعَامَ هُوَ الْكُفُرُ وَالْإِسْتَهْزَاءُ بِهَا ، وَإِلَّا كَانَ الْمَنَاسِبُ ذِكْرُ الْآيَةِ الْمُتَصَلَّةُ بِالْإِسْتِثْنَاءِ فَفَفَطَنْ .

وروى العياشى عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال : الكلام في الله والجدال في القرآن قال منه القصاص « وإنما ينسينك الشيطان » أى النهى « فلا تقدر بعد الذكرى » أى بعد أن تذكره « مع القوم الظالمين » أى معهم ، فوضع الظاهر موضعه تنبئه على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام ، وفي الحديث عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب فيه إمام ، أو يفتتاب فيه مسلم إنَّ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : « وَإِذَا رَأَيْتَ » الآية .

« نَمْ » إنَّ الخطاب في الآية إنما خطاب عام أو الخطاب ظاهراً للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه والمراد به الأمة ، لأنَّ النسيان لا يجوز عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه لاسيما إذا كان من الشيطان ، فإنَّ من جوز السهو والنسيان عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه كالصدق (ره) إنما جوز الإساءة من

(١) سورة النساء : ١٣٩ .

(٢) و (٣) سورة الأنعام : ٦٨ .

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب »<sup>(١)</sup> وقال عز وجل : « قدأفتح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون \* والذين هم للزكاة فاعلون »<sup>(٢)</sup> و قال : « إذا سمعوا

الله تعالى للمصلحة لامن الشيطان .

« فيبشر عبادى» الاضافة للتشريف ، وأحسن القول ما فيه رضا الله أو أشد رضاه ، وما هو أشق على النفس ، وهذه الكلمة جامعة يندرج فيها القول في أصول الدين وفروعه والصلاح بين الناس والتميز بين الحق والباطل ، وايشار الأفضل فالأفضل ، وفي رواية هو الرّجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمع لايزيد فيه ولا ينقص منه .

« أولئك الذين هداهم الله » لدینه « وأولئك هم أولوا الالباب » اي العقول السليمة عن منازعة الهوى والوهم والعادات و « عبادى » في النسخ باثبات الياء موافقاً لرواية أبي عمرو بر رواية موسى حيث قرء في الوصل بفتح الياء وفي الوقف باسكنها ، وقرء الباقون باسقاط الياء والاكتفاء بالكسرة .

« الذين هم في صلاتهم خاشعون » قيل : أي خائفون من الله متذللون له يلزمون أبصارهم مساجدهم وفي تفسير على بن ابراهيم غضبك بصرك في صلاتك و إقبالك عليها ، وسيأتي تفسيره في كتاب الصلاة إنشاء الله .

« والذين هم عن اللغو معرضون » قيل : اللغو ما لا يعنيهم من قول أو فعل ، وفي تفسير على بن ابراهيم يعني عن الغنا والملاهي ، وفي إرشاد المفید عن أمير المؤمنين عليهما السلام كل قول ليس فيه ذكر فهو لغو ، وفي المجمع عن الصادق عليهما السلام قال : أن يقول الرّجل عليك بالباطل أويأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه الله ، قال : وفي رواية أخرى أنه الغنا والملاهي ، وفي الاعتقادات عنه عليهما السلام انه سُئل عن الفحش أبخل الاستماع لهم ،

(١) سورة الزمر : ١٨ .

(٢) سورة السجدة : ٢ .

اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم<sup>(١)</sup> و قال: «إذا مرّ واكراماً<sup>(٢)</sup> فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغي إلى مالا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه، مما لا يحل له وهو من الإيمان ، فقال تبارك و تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم»<sup>(٣)</sup> فنهى لهم أن ينظروا

فقال : لا ، والحاصل أن "اللغو كل" مالا خير فيه من الكلام والأصوات ، ويكفي في الاستشهاد كون بعض أفراده حراماً مثل الغنا والدف والصنج والطنبور والأكاذيب وغيرها .

وقال في سورة القصص : «إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»<sup>(٤)</sup> قال على بن ابراهيم : اللغو الكذب وال فهو والغنا ، وقال في الفرقان : «إذا مرّوا باللغو من واكراماً<sup>(٥)</sup> أى معرضين عنه مكررين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ، وفي أخبار كثيرة تفسير اللغو في هذه الآية بالغناء والملاهي .

قوله : من الإيمان ، «من» تبعيضية «وأن لا يصغي» عطف بيان لهذا ، وقيل : من الإيمان مبتدء وأن لا يصغي خبره ، وفيه ما فيه .

«قل للمؤمنين يغضوا» الخطاب للرسول ﷺ ويفضوا مجزوم بمقدير اللام ، أى ليغضوا فالمقصود تبليغهم أمر ربهم أو حكاية مضمون أمره ﷺ أو منصوب بمقدير أن أى أمرهم أن يفيناً «قل لهم» في معنى مرهم ، وقيل : أنه جواب الأمر أى قل لهم غضوا يغضوا ، واعتراض بأى هـ حينئذ ينبغي الفاء أى فيغضوا وفيه : انه سهل ليكن محدوداً وأبعد منه ما يقال : إن التقدير : قل لهم غضوا فانتك إن تقل لهم يغضوا وأصل الغض النقصان والغض كما في قوله : «واغض من صوتك» وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة وأباء سيبويه وقيل : إنه للتبعيض ، ولعله الوجه ،

(١) سورة القصص : ٥٥ .

(٢) سورة الفرقان : ٧٢ .

(٣) سورة النور : ٣٠ .

إلى عوراتهم و أن ينظر المرأة إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن يُنظر إليه وقال : « و قل للمؤمنات يغضبن من أبصارهن ويحفظن فروجهن »<sup>(١)</sup> من أن تنظر إحداهن إلى فرج اختها و تحفظ فرجها من أن يُنظر إليها و قال : كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فايتها من النظر ثم نظم مافرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى فقال : « وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم

وليس المراد نقص المبصرات وتبعيضها ولا الأبصار بل النظر بها وهو المراد مما قيل : المراد غض البصر وغضنه بما يحرم النظر إليه والاقتصار به على ما يحل ، وكذا قوله : « ويحفظوا فروجهم » اي إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيديهم ، فلما كان المستثنى هنا كالشاذ النادر مع كونه معروفاً معلوماً بخلافه في غض الأبصار أطلق الحفظ هنا وقيد الغض بحرف التبعيض ، وفي الكشاف ويجوز أن يراد مع حفظهما عن البداء وهذه الرواية وغيرها تدل على أن المراد بحفظ الفرج هنا ستره عن أن ينظر إليه أحد وكذا ظاهر الرواية تخصيص غض البصر بترك النظر إلى العورة .

قوله تعالى : ثم نظم،أقول : وفي تفسير النعmani : ثم نظم تعالى مافرض على السمع والبصر والفرج في آية واحدة فقال : وما كنتم، وهو ظهر ، وما هنا يحتاج إلى تكليف في إدخال اللسان والقلب ، فقيل : المراد بالاستثار ترك ذكر الأعمال القبيحة في المجالس « وان يشهد » بقدرين من أن يشهد متعلقاً بالاستثار بتضمين معنى الخوف ، فقوله تسترون إشارة إلى فرض القلب واللسان معاً ، ويحتمل أن يكون المراد بالآية الأخرى الجنس أي الآيتين ، والقواعد داخل في الآية الثانية وكذا اللسان لأن قوله : « لاتفق » عبارة عن عدم متابعة غير المعلوم بعدم التصديق به بالقلب وعدم إظهار العلم به باللسان .

« وما كنتم تسترون » قبل هذه الآية في حم التنزيل : « ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى إذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما

كما نوا يعملون ، و قالوا الجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرّة وإليه ترجعون » قال الطبرسي (ره) : أى شهد عليهم سمعهم بما قرء من الدعاء إلى الحق « فأعرضوا عنه » ولم يقبلوه وأبصارهم بمارأوه من الآيات الدالة على خدائية الله فلم يؤمنوا وسائل جلودهم بما باشروه من المعاصي والأعمال القبيحة ، وقيل في شهادة الجوارح قوله : أحدهما : أن الله تعالى يبنيها بنية الحري ويبلغها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابها ، والآخر : أن الله تعالى تفعل الشهادة فيها وإنما أضاف الشهادة إليها مجازاً ، وقيل : في ذلك أيضاً وجه ثالث وهو أنه يظهر فيه أماراته الدالة على كون أصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازاً كما يقال : عيناك تشهدان لسحرك ، وقيل : إن المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكنائية عن ابن عباس والمفسرون ثم قال : « وما كنتم تسترون أن يشهد » أى من أن يشهد عليكم سمعكم ، معناه وما كنتم تستخفون أى لم يكن مهيئاً لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بما تعملون ، فجعلها الله شاهدة عليكم في القيمة ، وقيل : معناه وما كنتم ترتكبون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنوون ذلك ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون لجهلكم بالله تعالى ، فهوأن عليكم إرتكاب المعاصي لذلك .

دروى عن ابن مسعود أنّها نزلت في ثلاثة نفر تسانداً وفقالوا : أترى إن الله تعالى يسمع تسانداً .

ويجوز أن يكون المعنى أنكم عملتم عمل من ظن أن عمله يخفي على الله كما يقال أهلكت نفسى أى عملت عمل من أهلك النفس ، وقيل : إن الكفار كانوا يقولون إن الله لا يعلم ما في أنفسنا لكنه يعلم ما نظهر عن ابن عباس .

« وذلكم ظنكم الذي ظنتم بريّكم أردتكم » ذلكم مبتدء ، وظنكم خبره ، وأردتكم خبر ثان ، ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من ذلكم ، ويكون المعنى وظنكم الذي ظنتم بربكم أنّه لا يعلم كثيراً مما تعملون أهلكم إذ هؤن عليكم أمر المعاصي

سمحكم ولا بآثاركم ولا جلودكم<sup>(١)</sup> يعني بالجلود : الفرج والافخاذ وقال : « ولا تقف عاليـس لـثـكـ بـهـ عـلـمـ إـنـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـفـوـادـ كـلـ أـلـئـكـ كـانـ عـنـهـ مـسـؤـلاـ »<sup>(٢)</sup> فـهـذـاـ ماـفـرـضـ اللهـ عـلـىـ الـعـيـنـيـنـ مـنـ غـضـبـ الـبـصـرـ عـمـاـ حـرـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـهـ عـلـمـهـمـاـ وـهـ مـنـ الـإـيمـانـ وـفـرـضـ اللهـ عـلـىـ الـيـدـيـنـ أـنـ لـاـ يـبـطـشـ بـهـمـاـ إـلـىـ مـاـ حـرـمـ اللهـ وـأـنـ يـبـطـشـ بـهـمـاـ إـلـىـ مـاـ أـمـرـ اللهـ

وـأـدـىـ بـكـمـ إـلـىـ الـكـفـرـ » فأـصـبـحـتـمـ مـنـ الـخـاسـرـيـنـ » أـىـ فـظـلـلـتـمـ مـنـ خـسـرـتـ تـجـارـتـهـ ، لـأـنـكـمـ خـسـرـتـمـ الـجـنـةـ وـخـضـتـمـ فـيـ النـارـ ، اـنـتـهـىـ .

فـانـ قـيـلـ : هـذـهـ الـآـيـاتـ فـيـ السـوـرـ الـمـكـيـّـةـ وـكـذـاـ قـوـلـهـ : « وـلـاـ تـقـفـ » الـنـحـ ، كـمـاـ مـرـ » فـيـ الـخـبـرـ السـاـبـقـ فـكـيـفـ صـارـ أـعـمـالـ الـجـوـارـحـ فـيـهاـ جـزـءـاـ مـنـ الـإـيمـانـ ، وـكـيـفـ يـوـعـدـ عـلـيـهـاـ .

فـالـتـ قـلـتـ : لـعـلـ الـوـعـيـدـ فـيـهـ باـعـتـبـارـ كـفـرـهـمـ وـشـرـكـهـمـ لـأـنـهـاـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـهـمـ إـنـمـاـ فـعـلـواـ ذـلـكـ كـفـرـاـ بـالـلـهـ وـاستـهـانـةـ بـأـمـرـهـ وـظـنـهـمـ أـنـهـ سـبـحـانـهـ لـاـ يـعـلـمـ كـثـيرـاـ مـمـاـ يـعـمـلـونـ فـالـوـعـيـدـ عـلـىـ شـرـكـهـمـ وـإـتـيـانـهـمـ بـتـلـكـ الـأـعـمـالـ مـنـ جـهـةـ الـاسـتـخـفـافـ وـالـاسـتـحـلـالـ وـقـفـواـ مـالـيـسـ لـهـمـ بـهـ عـلـمـ كـانـ فـيـ أـصـوـلـ الـدـيـنـ مـعـ أـنـهـ قـدـمـرـ أـنـهـ لـيـسـ فـيـهـ وـعـيـدـ بـالـنـارـ وـكـوـنـ جـمـيـعـ آـيـاتـ حـمـ مـكـيـّـةـ لـمـ يـبـتـ لـعـدـمـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ قـوـلـ الـمـفـسـرـيـنـ مـنـ الـعـامـةـ ، وـيـحـتـمـلـ أـنـ يـكـوـنـ الـغـرـضـ هـذـاـ مـحـضـ كـوـنـ الـأـعـمـالـ مـتـعـلـقـةـ بـالـجـوـارـحـ وـأـنـ لـهـاـ مـدـخـلـاـ فـيـ الـإـيمـانـ وـإـنـ كـانـ مـدـخـلـيـتـهـاـ فـيـ كـمـاـ لـهـ ، وـالـمـقـصـودـ فـيـ الـخـبـرـ السـاـبـقـ كـانـ أـمـرـاـ آـخـرـ ، وـكـذـاـ الـكـلـامـ فـيـ قـوـلـهـ : « وـلـاـ تـمـشـ فـيـ الـأـرـضـ مـرـحـاـ » فـانـهـاـ أـيـضاـ مـكـيـّـةـ .

قـوـلـهـ : إـلـىـ مـاـ حـرـمـ اللهـ ، مـثـلـ الـقـتـلـ وـالـضـرـبـ وـالـتـهـبـ وـالـسـرـقةـ وـكـتـابـةـ الـجـوـرـ وـالـكـذـبـ وـالـظـلـمـ وـمـسـ الـأـجـانـبـ وـنـحـوـهـاـ » وـفـرـضـ عـلـيـهـمـاـ مـنـ الصـدـقـةـ وـصـلـةـ الرـحـمـ » إـنـ إـيـصالـ الصـدـقـةـ إـلـىـ الـفـقـرـاءـ وـالـخـيـرـ إـلـىـ الـاقـرـباءـ وـالـضـرـبـ وـالـتـهـبـ وـالـبـطـشـ وـالـقـتـالـ فـيـ الـجـهـادـ وـالـطـهـورـ لـلـصـلـاـةـ مـنـ فـرـوضـ الـيـدـ ، وـقـيـلـ : يـفـهـمـ مـنـهـ وـجـوبـ اـسـتـعـمـالـ الـيـدـ فـيـ غـسلـ الـوـجـهـ ، وـهـ إـمـاـ لـأـنـهـ الـقـرـدـ الـفـالـبـ أـوـلـاـنـدـ فـرـدـ الـوـاجـبـ التـخـيـرـىـ .

(١) سورة فصلت : ٢٢ . (٢) سورة الاسراء : ٣٦ .

عَزَّ وَجْلٌ وَفِرْضٌ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَصَلَةِ الرَّحْمِ وَالْجِهادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالظَّهُورِ لِلصَّلَاةِ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسِحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ »<sup>(١)</sup> وَقَالَ : « فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاضْرِبُ الرَّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَنَاقَ فَامْنَأُوهُمْ بَعْدَ وَإِمْمَانِهِمْ فَدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا »<sup>(٢)</sup> فَهَذَا مَا فَرِضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدِيْنِ لِأَنَّ الضربَ مِنْ علاجِهِمَا وَفِرْضَ عَلَى الرَّجُلَيْنِ أَنْ لَا يَمْشِي بِهِمَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَفِرْضٌ عَلَيْهِمَا الْمَشِيُّ إِلَى هَا

وَاقُولُ : يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَسْلُ الْوَجْدِ دَاخِلًا فِيمَا سِيَّأَتِي مِنْ قَوْلِهِ : وَقَالَ فِيمَا فَرِضَ اللَّهُ .

« فَضْرِبُ الرَّقَابِ » ضَرِبُ الرَّقَابِ عِبَارَةً عَنِ القَتْلِ بِضَرْبِ الْعُنْقِ ، وَأَصْلُهُ فَاضِرُّ بِوَا الرَّقَابِ ضَرِبًا ، حَذْفُ الْفَعْلِ وَأَقْيَمُ الْمَصْدُرُ مَقَامَهُ ، وَأُضِيفَ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالْأَنْخَانِ أَكْثَارٌ الْقَتْلُ أَوْ الْجَرَاحُ بِحِيثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى النَّهْوِ وَضُ ، وَالْوَنَاقُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مَا يَوْنَقُ بِهِ وَشَدَّهُ كَنْيَاةً عَنِ الْاَسْرِ ، وَ « مَنْتَأً » وَ « فَدَاءً » مَفْعُولُ مَطْلَقِ الْفَعْلِ مَحْذُوفٌ أَيْ فَإِمَّا تَمْنَوْنَ مَنْتَأً ، وَإِمْمَانَهُمْ فَدَاءً ، وَأَوْزَارُ الْحَرْبِ أَنْقَالُهُمَا آلَاتُهَا كَالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ وَغَيْرِهِمَا ، وَهُوَ كَنْيَاةً عَنِ إِنْقَضَاءِ أَمْرِهِ .

وَالْمَرْوِيُّ وَمَذْهَبُ الْأَصْحَابِ أَنَّ الْأَسِيرَ إِنْ أَخْذَ وَالْحَرْبَ قَائِمَةً تُعِينُ فَتْلَهُ إِمْمَانًا بِضَرِبِ عَنْقِهِ أَوْ بِقَطْعِ يَدِهِ وَرِجْلِهِ مِنْ خَلَافِ وَتَرْكِهِ حَتَّىٰ يَنْزَفْ وَيَمْوتُ ، وَإِنْ أَخْذَ بَعْدَ اِنْقَضَاءِ الْحَرْبِ تَخِيرُ الْإِمَامِ بَيْنَ الْمَنْ وَالْفَدَاءِ وَالْأَسْتِرْفَاقِ ، وَلَا يَجُوزُ الْقَتْلُ . وَالْأَسْتِرْفَاقُ عِلْمٌ مِنَ السُّنْنَةِ ، وَالْعَلاجُ : الْمَزَاوِلَةُ ، « أَنْ لَا يَمْشِي » بِصِيغَةِ الْمُجْهُولِ ، وَالْبَاءُ فِي « بِهِمَا » لِلْأَلْلَةِ ، وَالظَّرْفُ نَائِبُ الْفَاعِلِ وَقَوْلُهُ تَلَقَّلَهُ : فَقَالَ ، لَعَلَّهُ لِيْسَ لِتَفْسِيرِ مَا تَقْدِمُ وَالْأَسْتِدَالُ عَلَيْهِ ، بَلْ لِبَيَانِ نَوْعٍ آخَرَ مِنْ تَكْلِيفِ الرَّجُلَيْنِ وَهُوَ نَوْعٌ الْمَشِيِّ ، وَمَا ذَكَرَ سَابِقًا كَانَ غَایَةُ الْمَشِيِّ ، وَفِي رِوَايَةِ النَّعْمَانِيِّ : أَمْمَانًا مَا فَرَضَهُ اللَّهُ

(١) سورة المائدة : ٧ .

(٢) سورة محمد (ص) : ٤ .

يرضى الله عز وجل<sup>١</sup> فقال : « ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً »<sup>(١)</sup> وقال : « واقتصر في مشيتك وأغضض من صوتك إن أذكر الأصوات لصوت الحمير »<sup>(٢)</sup> وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل<sup>٣</sup> به وفرضه عليهما : « اليوم نختم على أفواههم وتتكلّمنا

على الرجالين فالسعي بهما في ما يرضيه ، واجتناب السعي فيما يسخطه ، وذلك قوله سبحانه : « فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع »<sup>(٤)</sup> وقوله سبحانه : « ولا تمش في الأرض مرحًا »<sup>(٥)</sup> وقوله : « واقتصر في مشيتك وأغضض من صوتك » وفرض الله عليهما القيام في الصلوة فقال : « وقوموا الله قاتنين »<sup>(٦)</sup> ثم أخبر أن الرجالين من الجوارح التي تشهد يوم القيمة حين تستنطق بقوله سبحانه : « اليوم نختم » الآية .

وقال البيضاوي : « واقتصر في مشيتك » توسط فيه بين الدبيب والاسراع ، وعنه<sup>بِإِلَهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ</sup> : سرعة المشي تذهب بها المؤمن « وأغضض من صوتك » وانقص منه واقصر « إن أذكر الأصوات » أوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم<sup>سِيمًا</sup> منها قافه<sup>(٧)</sup> ولذلك يمكنني عنه فيقال : طويل الأذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراجهم خارج الاستعارة وبالغة شديدة ، وتوحيد الصوت لأن<sup>٨</sup> المراد تفضيل الجنس في النكرو دون الآحاد ، أو لأن<sup>٩</sup>ه مصدر .

وقال في قوله سبحانه : « اليوم نختم على أفواههم » بأن نمنعها عن كلامهم « وتتكلّمنا أيديهم » الخ ، بظهور آثار المعاصي عليها ودلائلها على أفعالها أوبانطاق الله إليها ، وفي الحديث أنهم يجحدون وبخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلّلمهم أيديهم وأرجلهم ، انتهى .

(١) سورة لقمان : ١٨ .

(٢) سورة لقمان : ١٩ .

(٣) سورة الجمعة : ٩ .

(٤) سورة الأسراء : ٣٧ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣٨ .

(٦) نهاية الحمار : صوته .

أيدهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون<sup>(١)</sup> فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرّجلين وهو عملهما وهو من الإيمان وفرض على الوجه السجود له بالليل والنّهار في مواعيit الصلاة فقال : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخبر لعنة تفلحون »<sup>(٢)</sup> فهذه فريضة جامدة على الوجه واليدين والرّجلين

وقيل : هذا إينافي ماروى أنّ الناس في هذا اليوم يتحجّرون لأنفسهم، ويسعى كلّ منهم في فكاك رقبته كما قال سبحانه : « يوم تأني كلّ نفس تجادل عن نفسها » والله يلقن من شاء حجّته كما في دعاء الوضوء : اللّهم لقني حجّتى يوم القاتك ، لأنّ الختم مخصوص بالكافر كما قاله بعض المفسرين ، أو أنّ الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما في الرواية السابقة ، و بالجملة الختم يقع في مقام و المجادلة في مقام آخر .

قوله : فهذا أيضاً ، كأنّه إشارة إلى ما تشهد به الجوارح ، فمن في قوله « مماً» تبعيضية ، أو إلى التكليم والشهادة فمن تعليلية ، ويتحقق أن يكون إشارة إلى جميع ما تقدّم ، وقال البيضاوي في قوله تعالى : « اركعوا واسجدوا » اي في صلاتكم أمرهم بهما لأنّهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام ، أو صلوا وعيّر عن الصلاة بهما لأنّهما أعظم أركانهما ، أو اخضعوا لله وخرّوا له سجّداً واعبدوا ربكم بسائر ما تبعيدكم به « وافعلوا الخير » وتحرّدوا ما هو خيراً صلح فيما تأتون وتذرون كنواشف الطّاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق « ولعلكم تفلحون » اي افعلنوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقّنين له ، واثقين على أعمالكم .

وأقول : « لعل » من الله موجبة ، و هذه فريضة جامدة أي ما ذكر في هذه الآية من الركوع والسبود العبادة و فعل الخير ، و مدخلية الأعضاء المذكورة في تلك الأعمال في الجملة ظاهرة .

(١) سورة يس : ٦٥ .

(٢) سورة الحج : ٧٧ .

وقال ، في موضع آخر : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ أَحَدًا »<sup>(١)</sup> و قال فيما فرض على الجوارح من الطهور و الصلاة بها وذلك أنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمَا صَرَفْ نَبِيَّهُ وَالشَّفِيعَ

« وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » ظاهره أَنَّهُ تَكَبَّلَهُ فِسْرُ الْمَسَاجِدِ بِالْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ الَّتِي تَسْجُدُ عَلَيْهَا ، اى خلقت لأنَّ يعبد اللَّهُ بِهَا فَلَا تَشْرُكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ فِي سَجْدَةِ كُمٍّ كُمٍّ عَلَيْهَا ، وهذا التفسير هو المشهور بين المفسِّرين و المذكور في صحيحَ حَمَادَ و المروي عن أبي جعفر الثاني تَكَبَّلَهُ حِينَ سُئِلَهُ الْمُعْتَصِمُ عَنْهَا ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ جَبِيرٍ وَالزَّجَاجُ وَالْفَرَاءُ فَلَا عَبْرَةُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَنَّ الْمَرَادُ بِهَا الْمَسَاجِدُ الْمُعْرَفَةُ ، وَلَا بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : هِيَ بِقَاعٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلُّهَا ، وَلَا بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : هِيَ الْمَسَاجِدُ الْحَرَامُ ، وَالْجَمْعُ بِالْعِتَارَ أَنَّهُ قَبْلَةُ لِجَمِيعِ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : هِيَ الْمَسَاجِدُاتُ جَمْعٌ مَسَاجِدٌ بِالْقُتْحِ مَصْدَرًا أَيِّ الْمَسَاجِدُاتُ لِلَّهِ فَلَا تَقْعُلُ لِغَيْرِهِ .

وَقَالَ فِي الْفَقِيهِ : قَالَ أَمِيرُ الظُّمُرَنِينَ تَكَبَّلَهُ فِي وَصِيَّتِهِ لَابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بْنِي لَا تَقْلِيلًا مَا تَعْلَمْ بِلَ لَا تَقْلِيلًا كُلَّ مَا تَعْلَمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلُّهَا فَرَأَيْضَ يَحْجُجْ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُكَ عَنْهَا ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ أَسْتَعْبِدُهَا بِطَاعَتِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُمُوا إِلَيْهِ قَوْلُهُ : لَعْلَكُمْ تَفْلِحُونَ » فَهُوَ ذَيْهُ فَرِيَضَةُ جَامِعَةٍ وَاجِبَةٍ عَلَى الْجَوَارِحِ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » الْخَ ، يَعْنِي بِالْمَسَاجِدِ الْوَجْهُ وَالْيَدِينَ وَالرَّكْبَتَيْنَ وَالْأَلْبَامِينَ . الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ .

قَوْلُهُ : وَقَالَ فِيمَا فَرَضَ عَلَى الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهُورِ وَالصَّلَاةِ بِهَا ، أَى بِالْجَوَارِحِ وَكَانَ مَفْعُولُ الْقَوْلِ مَبْحَذُوفًا إِيْمَانًا ، أَوْ « مِنَ الطَّهُورِ » مَفْعُولُهُ بِزِيَادَةِ مَنْ ، أَوْ بِمَقْدِيرِ شَيْئًا أَوْ كَثِيرًا أَوْ اسْتَرَادَ قَالَ ذَلِكَ أَى آيَةُ الْمَسَاجِدِ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهُورِ وَالصَّلَاةِ ، لَا أَنَّ الطَّهُورَ أَيْضًا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسَاجِدِ .

وَعَلَى التَّقَادِيرِ قَوْلُهُ : وَذَلِكَ ، إِشَارَةً إِلَى كَوْنِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ دَلِيلًا عَلَى كَوْنِ

إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم »<sup>(١)</sup> فسمى الصلاة إيماناً فمن لقى الله عز وجل حافظاً لجوارحه

الإيمان مبشوّثاً على الجوارح لأنّها إنما دلت على أنّ الله تعالى فرض أعمالاً متعلقة بتلك الجوارح، ولم تدل على أنها إيمان فاستدل على ذلك بأنّ الله تعالى سمي الصلاة المتعلقة بجميع الجوارح إيماناً فتم به الاستدلال بالأيات المذكورة على المطلوب .

و الظاهر أنّ في العبارة سقطاً أو تحريفاً أو اختصاراً مخلاً من الرواية أو من المصنف إذ في تفسير النعmani وأمّا ما افترضه على الرأس فهو أن يمسح من مقدمه بالماء في وقت الطهور للصلاحة بقوله : « و امسحوا برؤسكم » و هو من الإيمان وفرض على الوجه الفسل بما عند الطهور ، فقال : « يا أيتها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم »<sup>(٢)</sup> و فرض عليه السجود على اليدين والركبتين والرجلين الركوع وهو من الإيمان ، وقال فيما فرض الله على هذه الجوارح من الطهور والصلوة وسماته في كتابه إيماناً حين تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فقال المسلمين : يا رسول الله صارت صلاتنا إلى بيت المقدس و ظهورنا ضياءاً فأنزل الله : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها » إلى قوله « وما كان الله ليضيع إيمانكم » فسمى الصلاة والطهور إيماناً ، انتهى .

و يحتمل أن يكون مفعول القول : و ما كان الله ليضيع إيمانكم ، أو مبهماً يفسّره ذلك ، حذف لدلة التعليل عليه و قوله : وذلك ، تعليل لقوله إلى النزول ، و قوله : فأنزل الله ، ليس جواباً لما لعدم جواز دخول النساء عليه بل الجواب محدود ، بقدر ما أتزل وجه الحكمة في الصرف فأنزل .

قوله : فمن لقى الله ، عند الموت أو في القيمة أو الأعم « حافظاً لجوارحه »

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٦ .

موقياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عز وجلّ عليها لقى الله عز وجلّ مستكملاً لا يمانه وهو من أهل الجنة ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله عز وجلّ فيها لقى الله عز وجلّ ناقص الإيمان.

قلت : قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه ، فمن أين جاءت زيادته ؟ فقال : قوله الله

عن المحرمات « موفياً كلّ جارحة » التوفيقية إعطاء الحقّ وافياً تماماً ويمكن أن يقرء كلّ بالرفع وبالنصب « مستكملاً لا يمانه » اي حكملاً له ، في القاموس : أكمله ومستكمله وكمله أتمّه وجيده « ومن خان في شيء هنّها » اي من الجوارح بفعل المنهيات أو تعدى ما أمر الله عز وجلّ في الجوارح ، ويحمل أن يكون الخيانة أعمّ من ترك المأمورات وفعل المنهيات ، والتعدى باتفاق الفرائض على وجه البدعة ومخالفاً لما أمر الله ، وفي النعماني : و من كان مضيئاً لشيء مما فرضه الله تعالى في هذه الجوارح و تعدى ما أمر الله به وارتكب ما نهاه عنه لقى الله ناقص الإيمان .

وأقول : حكم ~~عذاباً~~ في الأول بدخول الجنة أى من غير عقاب ، وفي الثاني لم يحكم بدخول النار ولا بعدم دخول الجنة لأنّه يدخل الجنة ولو بعد حين ، وليس دخوله النار مجزوماً به لاحتمال عفو الله تعالى وغفرانه .

قوله : فمن أين جاءت زيادته ، يفهم منه أنّ السائل فهم من الزيادة كون ما يشترط في الإيمان متحققاً و زاد عليه ، لا أنه يكون الزائد بالنسبة إلى الناقص ، وإنما يتحقق إلى السؤال لأنّ كلّ نفس إذا سلب كان زايداً بالنسبة إليه ، فالأفراد ثلاثة : تام الإيمان وهو الذي اعتقد العقائد الحقيقة كلّها ، و عمل بالفرائض واجتنب الكبائر وإن أتى بشيء منها تاب بعده ولم يصر على الصغار ، وناقص الإيمان وهو الذي أتى مع العقائد الحقيقة بشيء من الكبائر ولم يتتب منها أو ترك شيئاً من الفرائض ولم يتداركها أو أصر على الصغار ، وزائد الإيمان وهو الذي زاد في العقائد على ما يجب كما وكيفاً كما سيأتي ، وفي الأعمال بايتاء سائر الواجبات والمستحبات وترك الصغار والمحظيات ، وكلّما زادت العقائد والأعمال كما وكيفاً زاد الإيمان

**عز وجل :** « و إِذَا هَا أَنْزَلْت سُورَة فِي هُنْمٍ مِنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبَشِرُونَ » وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ هُرْزٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِم »<sup>(١)</sup> وَقَالَ: « نَحْنُ نَفْعَلْنَا عَلَيْكَ بِمَا هُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرِبِّهِمْ »

فَإِذَا عَرَفَتْ هَذَا فَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى مَا تَكَلَّفَهُ بَعْضُهُمْ أَنْهُ مَلِّا ذَكْرَهُ أَنَّ الْإِيمَانَ مَفْرُوضٌ عَلَى الْجَوَارِحِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْفَعُ وَعَلَمَ السَّائِلُ الْأَوَّلُ صَرِيعًا مِنَ الْآيَاتِ الْمَذَكُورَةِ، وَالثَّانِي ضَمِنًا أَوْ إِلْتَزَامًا مِنْهَا لِلْعِلْمِ الضرُورِيِّ بِأَنَّ الْعِلْمَ يَزِيدُ وَيَنْفَعُ سَأْلُ عَنِ الْآيَاتِ الدَّالِّةِ عَلَى الثَّانِي صَرِيعًا، أَوْ قَصْدُهُ مِنَ السُّؤَالِ أَنَّهُ قَدْ فَهَمَ مَمَّا ذَكَرَ نَفْعَانَ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيِّ وَتَمَامَهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَمَلَ يَزِيدُ وَيَنْفَعُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ التَّصْدِيقِيِّ وَأَيْمَّةُ آيَةٍ تَدْلِيْلٌ عَلَيْهَا؟ وَفِيهِ حِينَئِذٍ اسْتَخْدَامٌ إِذْ أَرَادَ بِلْفَظِ الْإِيمَانِ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيِّ، وَبِضمِيرِهِ الْإِيمَانِ التَّصْدِيقِيِّ، وَعَلَى الْقَدِيرِيْنَ لَا يَرِدُ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ نَفْعَانَ الْإِيمَانِ وَتَمَامَهُ فَقَدْ عَلِمَ زِيَادَتَهُ، لَأَنَّ فِي التَّامِّ زِيَادَةً لَيْسَ فِي النَّافِعِ، إِنَّهُ .

**« فِيهِمْ »** قال البيضاوي : فمن المنافقين « من يقول » إنكاراً واستهزاءً « أَيْكُمْ زادَتْهُهُ » السورة « إيماناً » وقرء أَيْكُمْ بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا » بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها و بما فيها إلى إيمانهم « وَهُمْ يَسْتَبَشِرُونَ » بنزولها لأنّها سبب لزيادة كما لهم وارتفاع درجاتهم « وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ هُرْزٌ » فزادتهم رجساً إلى رجسهم كفرأً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها « وَمَا تَوَلَّهُمْ كُفَّارٌ وَهُمْ كَافِرُونَ » واستحقهم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه « وَزَدَنَاهُمْ هَدِيًّا » أي هداية إلى الإيمان أو زدناهم بسبب الإيمان ثباتاً وشدّةً يقين وصبر على المكاره في الدين كما قال « وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَذِهِ الْهَدَايَا الْخَاصَّةُ الْرَّبِّيَّةُ زِيَادَةُ إِيمَانِ الَّذِي كَانُوا بِهِ مَتَّصِفِينَ حِيثُ قَالَ تَعَالَى

وزدناهم هُدًى «<sup>(١)</sup> ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولا ستوى النعم فيه ولا ستوى الناس و بطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله ، وبالنقصان دخل المفترطون النار .

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْمُغَبَّةِ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ وَ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ، جَمِيعًا ، عَنْ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ الْجَلَبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ [الحسن ، عن الحسن بن] هارون قال : قال لي أبو عبد الله

أولاً : إنهم فتية آمنوا بربهم « ولو كان كله واحداً اي كل الإيمان واحداً لازمة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر ، لأن الفضل إنما هو بالإيمان فلا فضل مع مساواتهم فيه » ولا ستوى النعم« اي نعم الله بالهدایات الخاصة في الإيمان « ولا ستوى الناس » في دخول الجنة أو في الخير والشر ، وبطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات والكلمات والموازن كلها باطلة بالكتاب والسنة .

« ولكن بتمام الإيمان » باعتبار أصل التصديق والعمل بالفرض أو بالواجبات وترك الكبائر والمنهيّات « دخل المؤمنون » المتصفون به « الجنة » وبالزيادة في الإيمان » بضم ساين الواجبات مع المندوبات أو المندوبات وترك الصفات مع المكر وها ، أو المكر وها وتحصيل الآداب المرغوبة والأخلاق المطلوبة « تفاضل المؤمنون » المتصفون بها بدرجات الجنة العالية ، والمنازل الرفيعة في قربه تعالى « و بالنقصان » في التصديق أو التقصير في الأفعال الواجبة وارتكاب المحرمات « دخل المفترطون » في النار إن لم ينجوا بفضله وغفوه سبحانه .

الحادي ثالثاً : مجهول ، و الظاهر زيادة عن أبيه عن النسخ لأن محدث بن يحيى عطف على العدة ، والبرقى هو محدث بن خالد كما هو المصح به في بعض النسخ ،

**عليه السلام:** «إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفَوَادَ كُلُّ أَوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا»<sup>(١)</sup> قال : يسأل السمع عمّا سمع والبصر عمّا نظر إليه والفؤاد عمّا عقد عليه .

٣ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سأله عن الإيمان فقال : شهادة أن لا إله إلا الله [ وأن محمداً رسول الله ] والقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : العمل من الإيمان ؟ قال . نعم ، الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل .

وأحمد البرقى وابن عيسى يرويان عن محمد البرقى .

### الحديث الثالث : مرسى

قوله : شهادة أن لا إله إلا الله أى التكليم بكلمة التوحيد والقرار به ظاهراً وإنما أكتفى بها عن الأقرار بالرّسالة لتلزمهما أو هو داخل في قوله : والأقرار بما جاء من عند الله ، والضمير في « جاء » راجع إلى الموصول أى الأقرار بكل ما أرسله الله من نبي أو كتاب أو حكم ما علم تفصيلاً و مالم يعلم إجمالاً ، وكل ذلك الأقرار الظاهري .

وقوله : ما استقر في القلوب ، الأقرار القلبي بجميع ذلك ، وهذا أحد معانى الإيمان كما عرفت ، ولا يدخل فيه أعمال الجوارح سوى الأقرار الظاهري بما صدق به قلباً ، ولما كان عند السائل أن الإيمان محسن العلوم والعقائد ولا يدخل فيه الأعمال استبعد كون الشهادة التي هي من عمل الجوارح من الإيمان ، فأجاب عليه السلام بأن العمل جزء الإيمان .

« ولا يثبت الإيمان أى لا يتحقق واقعاً أولاً يثبت الإيمان عند الناس إلا بالاقرار والشهادة التي هي عمل الجوارح ولا يستقر الإيمان إلا بأعمال الجوارح ، فإن التصديق الذي لم يكن معه عمل يزول ولا يبقى .

٤ - عدّة من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْكَانَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَلْتُ لَهُ مَا إِلَّا إِسْلَامٌ ؟ فَقَالَ : دِينُ اللَّهِ أَسْمَهُ إِلَّا إِسْلَامٌ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا حِيثُ كُنْتُمْ وَبَعْدَ أَنْ تَكُونُوا فَمَنْ أَفْرَى بِدِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَا أَمْرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ .

٥ - عَنْهُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ الْمَحْبَبِيِّ ، عَنْ أَبِي بَوْبَرْجَانَ الْحَرَّ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ سَلَامٌ : إِنَّ خِيَثَمَةَ ابْنِ أَبِي خِيَثَمَةَ يَحْدُثُ ثَنَاءً عَنْكَ أَنَّهُ سَأَلَكَ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَلْتُ لَهُ : إِنَّ

#### الحديث الرابع : مرسل

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : دِينُ اللَّهِ أَسْمَهُ إِلَّا إِسْلَامٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الدِّينَ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ إِلَّا إِسْلَامٌ »<sup>(١)</sup> وَقَوْلُهُ : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ إِلَّا إِسْلَامًا »<sup>(٢)</sup> .

« وَهُوَ دِينُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا حِيثُ كُنْتُمْ » أَيْ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا فِي عَالَمِ مِنَ الْعَوَالِمِ أَيْ حِينَ لَمْ تَكُونُوا فِي عَالَمِ الْأَجْسَادِ ، وَلَا فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَبَعْدَ أَنْ تَكُونُوا فِي أَحَدِ الْعَوَالِمِ ، أَوْ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا وَتَوْجِدُوا عَلَى هَذَا الْهِيَكلِ الْمُخْصُوصِ حِيثُ كُنْتُمْ فِي الْأَظْلَةِ أَوْ فِي الْعِلْمِ الْأَزْلَى « وَبَعْدَ أَنْ تَكُونُوا » فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ ، وَالْأُولُ أَظْهَرُ ، وَعَلَى التَّقْدِيرِ بِنِ الْمَرَادِ عَدْمِ التَّغْيِيرِ فِي الْأَدِيَانِ وَالْأَزْمَانِ « فَمَنْ أَفْرَى بِدِينِ اللَّهِ » أَيْ الْعَقَائِيدِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ بِالْأَقْرَارِ بِهَا فِي كُلِّ دِينٍ قَلْبًا وَظَاهِرًا « فَهُوَ مُسْلِمٌ وَمَنْ عَمِلَ » أَيْ مَعَ ذَلِكَ الْأَقْرَارِ « بِمَا أَمْرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ » مِنَ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْكَبَائِرِ أَوْ الْأَعْمَمِ « فَهُوَ مُؤْمِنٌ » وَهَذَا أَحَدُ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ .

#### ال الحديث الخامس : صحيح .

وَسَلَامٌ يَحْتَمِلُ أَبْنَى الْمَسْتَنِيرِ الْجَعْفِيِّ ، وَابْنَ أَبِي عُمْرَةِ الْخَرَاسَانِيِّ وَكَلاهُمَا مَجْهُوْلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخِيَثَمَةُ بَفْتَحِ الْخَاءِ ثُمَّ الْيَاءِ الْمُشَنَّأَةِ السَّاَكِنَةِ ثُمَّ الْمُشَنَّأَةِ الْمُفْتَوْحَةِ غَيْرِ مَذَكُورٍ فِي الرِّجَالِ .

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

الإسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا ووالى ولينا وعادى عدوٌ نا فهو مسلم فقال : صدق خيّثة ، قلت : وسائلك عن الإيمان فقلت : الإيمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لا يعصي الله ، فقال : صدق خيّثة .

قوله : من استقبل قبلتنا ، أى دين من استقبل فقوله : فهو مسلم ، تفريغ وتأكيد ، أو قوله : فهو مسلم قائم مقام العائد لأنَّه بمنزلة فهو صاحبه ، أو فهو المتصف به « وشهد شهادتنا » أى شهادة جميع المسلمين .

« ونسك نسكنا » أى عبد كعبادة المسلمين فیأئنی بالصلوة والركوة والصوم والحجّ ، أو المراد بالنّسک أفعال الحجّ أو الذبح ، قال الراغب : النسک العبادة والناسک العابد ، واختص بأعمال الحجّ ، وال manusak موافق النسک وأعمالها ، والنسیكة مختصة بالذبيحة ، قال : « فدیة من صیام أو صدقة أو نسک » <sup>(١)</sup> وقال تعالى : « فإذا قضیتم مناسکكم » <sup>(٢)</sup> وقال : « منسکاً هم ناسکوه » <sup>(٣)</sup> .

« ووالى ولينا » أى ولی جميع المسلمين « وعادى عدوٌ نا » أى عدوٌ جميع المسلمين وهم المشركون وسائر الكفار فهذا يشمل جميع فرق المسلمين .

« و التصدیق بكتاب الله » يدخل فيه الاقرار بالرّ سالمة والامامة والعدل والمعاد « و أن لا يعصي الله » بالعمل بالفرائض وترك الكبائر أو العمل بجميع الواجبات وترك جميع المحيرات ، والحاصل أنَّه يتحمل أن يكون المراد بالاسلام الاسلام الظاهري و ان لم يكن مع التصديق القلبي ، و بالإيمان العقائد القلبية مع الاقرار بالولاية والاتيان بالأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : والى ولينا وعادى عدوٌ نا ، موالاة أولياء الائمة عليهم السلام و معاداة أعدائهم ، فالاسلام عبارة عن الاذعان بجميع العقائد الحقة ظاهراً أو ظاهراً وباطناً والأيمان عبارة عن إنصمام العقائد القلبية والأعمال معه أو الأعمال فقط ، و على كلٍّ تقدير يرجع إلى أحد اطعاني المتقدمة لهما .

(١) سورة البقرة : ١٩٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٠ .

(٣) سورة الحج : ٦٧ .

ع - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى ، عَنْ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ جَمِيلِ  
ابن دِرْرَاجَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَأَنْ "خَدْرًا" رَسُولُ اللَّهِ ، قَلْتُ : أَلِيسْ هَذَا عَمَلٌ؟ قَالَ : بَلِّي ، قَلْتُ : فَالْعَمَلُ مِنْ الْإِيمَانِ؟  
قَالَ : لَا يَشْتَهِي لِهِ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْعَمَلُ مِنْهُ .

٧ - بعض أصحابنا، عن علي بن العباس، عن علي بن ميسر، عن حماد بن عمرو النصيبي قال سأله رجل العالم عليه السلام فقال: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل عمل إلا به، فقال: وما ذلك؟ قال: الإيمان بالله، الذي هو أعلى الأعمال درجة وأحسنها حظاً وأشرفها منزلة، قلت: أخبرني عن الإيمان أقول وعمل أم قول بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كلّه، و القول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيته في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه، قلت: صفت لي ذلك حتى أفهمه، فقال: إنَّ الإيمان حالات و درجات وطبقات و منازل فمنه التامُ المتهى تمامه ومنه الناقص المتهى نقصانه ومنه الزائد الراجح زبادته، قلت: وإنَّ الإيمان ليتمُ ويزيد وينقص؟ قال: نعم، قلت: و

**الحاديـث الـسادـس :** صحيح و مضمونه قرير من الـحدـيـث الـثـالـث .

«أليس هذا عمل» كذا في النسخ بالرفع ولعله من تصحيف النساخ ويحتمل أن يكون إسم ليس ضمير الشأن و يكون مبنياً على لغة بني تميم حيث ذهبوا إلى أن» ليس إذا انتقض فيه يحمل على ما في الاعمال ، والنفي هنا منتفض بالاستفهام الا نكاري .

**قوله تعالى :** لا يثبت له الإيمان ، الضمير راجع إلى المؤمن المدلول عليه  
بالإيمان .

**الجديث السابع** : ضعيف على المشهور .

و هو حزء من الحديث الأول متغيرات مخلةً .

منها ، قوله : **بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ، فَإِنَّ الصَّحِيفَةَ** **بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** وَقُولُهُ :

كيف ذلك ؟ قال : إنَّ اللَّهَ تَبارُكُ وَتَعَالَى فَرِضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ بَنِي آدَمَ وَقَسَّمَهُ عَلَيْهَا وَفَرَّقَهُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِمْ جَارِحةٌ إِلَّا وَهِيَ مُوَكَّلَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وَكَلَتْ بِهِ أَخْتَهَا ، فَمِنْهَا قَبْلَهُ الذِّي بِهِ يَعْقُلُ وَيَفْقَهُ وَيَفْهَمُ وَهُوَ أَمِيرُ بَدْنِهِ الَّذِي لَا تَوَدُّ الْجَوَارِحُ وَلَا تَصْدُرُ إِلَّا عنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ ؛ وَمِنْهَا يَدَاهُ اللَّسْطَانُ يَبْطِشُ بِهِمَا وَرِجَالُهُ اللَّسْطَانُ يَمْشِي بِهِمَا وَفَرْجُهُ الَّذِي الْبَاهُ مِنْ قَبْلِهِ وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنْطَقُ بِهِ الْكِتَابُ

بَيْنَهُمَا الْأَصْحُّ بَيْنَ ، وَقَوْلُهُ : الْمُنْتَهَى نَفْصَانَهُ ، كَأَنَّ الْبَيْنَ نَفْصَانَهُ أَصْحَّ ، وَقَوْلُهُ : لَا تَوَرِّدُ عَلَى بَنَاءِ الْمُجْهُولِ وَالْأَصْحُ لَا تَرُدُّ كَمَا فِي بَعْضِ النَّسْخِ هُنَا أَيْضًا .

قَوْلُهُ : يَنْطَقُ بِهِ الْكِتَابُ يَظْهَرُ مِمَّا مِنْ أَنَّهُ سَقَطَ هُنَا نَحْوَ مِنْ سَطْرَيْنِ ، مِنْ يَنْطَقُ بِهِ إِلَى يَنْطَقُ بِهِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّفَ فِي تَصْحِيفِ مَا فِي النَّسْخِ بِأَنْ يُقَالُ مِنْ عَمَلِ الْلَّسْانِ أَنَّ مَا يَكْتُبُ فِي الْكِتَابِ يَصِيرُ مُتَلَفِّظًا بِهِ ، فَكَأَنَّ الْكِتَابَ يَنْطَقُ بِسَبَبِ الْلَّسْانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : « هَذَا كَتَابُنَا يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ » <sup>(١)</sup> وَ« يَشَهِدُ » عَلَى بَنَاءِ الْمُفْعُولِ « بِهِ » أَيْ بِالْكِتَابِ « عَلَيْهَا » أَيْ عَلَى الْلَّسْانِ بِتَأْوِيلِ الْجَارِحةِ ، وَفِي الْمُصَبَّاحِ قَالَ الْفَرَاءُ : لَمْ أَسْمَعْ الْلَّسْانَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَذَكُورًا ، وَقَالَ أَبُو عُمَرْ وَبْنُ الْعَلاءَ : الْلَّسْانُ يَذَكُرُ وَيَؤْنَثُ ، اِنْتَهِي .

وَقَدْ صَرَّحَ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا بِأَنَّهُ يَذَكُرُ وَيَؤْنَثُ ، أَوْ الْمَرَادُ بِالْلَّسْانِ عِنْدَ إِرْجَاعِ الضَّمِيرِ الْكَلِمَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ ، فَلَذَا أَنْتَ قَالَ الْجَوَهْرِيُّ : الْلَّسْانُ جَارِحةُ الْكَلَامِ وَقَدْ يَكْتُنُ بِهَا عَنِ الْكَلِمةِ فَيَؤْنَثُ حِينَئِذٍ ، اِنْتَهِي .

فِيهِ اسْتِخْدَامٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْكِتَابِ أَوْ لَا " كِتَابُ الْأَعْمَالِ " وَيُمْكِنُ إِرْجَاعُ ضَمِيرِ بِهِ إِلَى الْلَّسْانِ وَضَمِيرِ عَلَيْهَا إِلَى الْجَوَارِحِ ، أَيْ تَوَاحِذُ الْجَوَارِحُ بِمَا يَشَهِدُ الْلَّسْانُ عَلَيْهَا .

كُلُّ ذَلِكَ خَطَرٌ بِالْبَالِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهَا لَا يَخْلُو مِنْ بَعْدِ ، وَقَيْلُ : الظَّاهِرُ

و يشهد به عليهما ؛ و عيناه اللتان يبصر بهما ؛ و اذناء اللسان يسمع بهما و فرض على القلب غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السمع و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين و فرض على الرّجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فاما ما فرض على القلب من الإيمان فالاقرار المعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرّضا بأن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أحداً ، صدماً ، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً وأنَّ مُحَمَّداً وَاللَّهُوَكَلَّهُ عَبْدِهِ وَرَسُولُهِ .

٨ - مُحَمَّدُ بنُ الْحَسْنِ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ بْنِ خَارِجَةٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَسْلِيْلَهُ يَقُولُ : - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ

أَنَّ الْمَرْادُ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنِ وَالضَّمِيرِ فِي « يَشَهَدُ » راجِعٌ إِلَيْهِ وَفِي « بِهِ » إِلَى النُّطْقِ أَوْ إِلَى الْلِّسَانِ بِحَذْفِ مَضَافِ أَيِّ بِأَقْوَالِهِ ، وَفِي « عَلَيْهَا » إِلَى الْلِّسَانِ وَنُطْقِ الْقُرْآنِ بِأَقْوَالِ الْلِّسَانِ خَيْرًا وَشَرًّا وَشَهادَتِهِ عَلَيْهَا كَثِيرٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادُ بِالْكِتَابِ كِتَابُ الْإِيمَانِ وَصَحِيفَتِهِ وَشَهادَتِهِ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَاهِرَةً ، وَرَبِّمَا يَقْرَئُ الْكِتَابَ بِضَمِّ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ بَأْنَ يَرَادُ بِهِ الْحَفْظَةُ لِلْإِعْمَالِ .  
الْحَدِيثُ الثَّامِنُ : مَجْهُولٌ .

وَمَفْعُولٌ يَقُولُ قَوْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ ، وَإِعَادَةُ « فَقَالَ » لِلتَّأكِيدِ لِطُولِ الْفَصْلِ ، وَقَدْ مِنَّ أَنَّ الْمَرْجَةَ قَوْمٌ يَقُولُونَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مُعْصِيَةُ كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةُ ، وَيُظَهِّرُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْاقْرَارُ الظَّاهِرِيُّ وَلَا يَشْتَرِطُ فِيهِ الْاعْتِقَادُ الْقَلْبِيُّ ، وَكَذَا الْكُفْرُ إِنَّكُمْ غَيْرَ مَشْهُورٍ عَنْهُمْ ، قَالَ فِي الْمَوَاقِفِ وَشَرَحَهُ : مِنْ كَبَارِ الْفَرَقِ الْاسْلَامِيَّةِ الْمَرْجَةُ لِقَبِيبِهِ لَا نَهُمْ يَرْجِئُونَ الْعَمَلَ عَنِ النِّيَّةِ إِذْ يَؤْخِذُونَهُ ، أَوْ لَا نَهُمْ يَقُولُونَ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مُعْصِيَةُ كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةُ ، فَهُمْ يَعْطُونَ الرّجاءَ وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ لَا يَهْمِزَ لَفْظُ الْمَرْجَةَ وَفِرْقَهُمْ خَمْسٌ : الْيُونَسِيَّةُ أَصْحَابُ يَوْنَسَ النَّمِيرِيِّ ،

**المرجنة في الكفر والايمان وقال : إنهم يحتجّون علينا و يقولون : كما أنَّ الكافر**

قالوا : الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحبّة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ، ولا يعاقب عليها ، والعبيدية أصحاب عبيد المكذب زادوا على اليونسية أنَّ علم الله لم ينزل شيئاً غيره ، وأنَّه تعالى على صورة الانسان ، والفسائية أصحاب غسان الكوفي قالوا : الايمان هو المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما إجمالاً لا تفصيلاً وهو يزيد ولا ينقص ، وغسان كان يحكى عن أبي حنيفة وهو افتراه عليه ، فأنه لما قال الايمان هو التصديق ولا يزيد ولا ينقص ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان ، والثوابانية أصحاب الثوابان المرجىء قالوا : الايمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسوله وبكل ما لا يجوز في العقل أن يعقله ، وأمّا ماجاز في العقل أن يعقله فليس الاعتقاد به من الايمان وأخيراً العمل كلّه من الايمان ، والثوثمية أصحاب أبي معاذ الثومني قالوا : الايمان هو المعرفة والتصديق والمحبّة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول وترك كلّه أو بعضه كفر ، وليس بعضه إيماناً ولا بعض إيمان ، وكل معصية لم يجمع على أنه كفر فصاحبها يقال : أنه فسق وعصى وانه فاسق ، ومن ترك الصلاة مستحلاً كفر لتکذيبه لما جاء به النبي ﷺ ومن تركها بنية القضاء لم يكن كفر ، قالوا السجود للصلوة ليس كفراً بل هو علامه الكفر ، فهذه هي المرجنة الخالصة ، ومنهم من جمع إلى الارجاء القدر ، انتهى .

قوله : كما أنَّ الكافر ، كأنَّه قاس الايمان بالكفر فانَّ من أنكر ضرورياته من ضروريات الدين ظاهراً من غير تقىية فهو كافر وإن لم يعتقد ذلك ، فإذا أقرَّ بما جاء به النبي ﷺ يجب أن يكون مؤمناً غير معذّب وإن لم يعتقد بقلبه شيئاً من ذلك ، ولم يضمُّ إليه أفعال الجوارح من الطاعات وترك المعاصي فأجاب ﷺ بأنه مع بطلان القياس لا سيما في المسائل الاصولية فهو قياس مع الفاوق ، ثم شبهه عليه السلام بالأمررين بالاقرار والانكار ليظهر الفرق ، فانَّ إثبات الضروري مستلزم لترك جزء من أجزاء الايمان وهو الاقرار الظاهري فهو بمثابة إقرار الانسان على نفسه ، فأنه لا يكفي

عندنا هو الكافر عند الله فـكذلك نجد المؤمن إذا أقرّ بما يراه أنه عند الله مؤمن ، فقال  
ـ سبحان الله و كيف يستوي هذان و الكفر إقرار من العبد فلا يكلّف بعد إقراره  
ببيتة و الإيمان دعوى لا يجوز إلا ببيتة و ببيتة عمله و نيته ، فإذا اتفقا فالعبد  
عند الله مؤمنُ والكافر موجودٌ بكلّ جهة من هذه الجهات الثالث من نية أو قول أو  
عمل والأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان  
و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عند الله كافر و قد أصاب من أجرى عليه أحكام

بيتة على إقراره بل يحكم بموجب الإقرار عليه و ان شهدت البيتة على خلافه ،  
بخلاف إظهار الإيمان و التكلم به ، فاته و إن أتي بجزء من الإيمان و هو الإقرار  
الظاهري لكن عمدة أجزاءه التصديق القلبي وهو مع ذلك مدعاً لا بد له من شاهد  
من عمل الجوارح عند الناس و من النية و التصديق عند الله ، فإذا اتفق الشاهدان  
وهما التصديق و العمل ثبت إيمانه عند الله ، وما كان التصديق القلبي أمراً لا يطلع  
عليه غير الله لم يكلف الناس في الحكم بما يراه إلا بالقرار الظاهري والعمل فأنهم ما  
شاهدان عدلان يحكم بهما ظاهراً و إن كانوا كاذبين عند الله .

و الحال أنَّه ~~يتحقق~~ شبه الإقرار الظاهري بالدعوى في سائر الدعوى ،  
و كما أنَّ الدعوى في سائر الدعوى لا تقبل إلا ببيتة فـكذا جعل الله تعالى هذه  
الدعوى غير مقبولة إلا بشاهدين من قلبه و جواحد فلا ثبت عنده إلا بهما ، وأما  
عند الناس فيكفيهم في الحكم الإقرار و العمل الظاهري كما يكتفى عند الضرورة  
بالشاهد واليمين ، فالإيمان من كتب من ثلاثة أجزاء ولا يثبت الإيمان الواقعى إلا  
بتتحقق الجميع فهو من هذه الجهة يشهد سائر الدعوى لازوم ثلاثة أشياء في تحققها  
الدعوى والشاهدين .

ويمكن أن يكون الأصل في الإيمان الأمر القلبي ~~ولما~~ لم يكن ظهوره للناس  
إلا بالاقرار والعمل ، فجعلهما الله من أجزاء الإيمان أو من شرائطه ولو ازمه .  
وقد أصاب » أي حكم بالحق « الصواب .

المؤمنين بظاهر قوله و عمله .

ثم اعلم أن أكثر المتكلمين من الخاصة والعامة اختلفوا في أن الایمان هل يقبل الزبادة والنقسان كما يدل عليه بعض أخبار هذا الباب أم لا و منهم من جعل هذا الخلاف فرع الخلاف في أن الأعمال داخلة فيه أم لا ، قال إمامهم الرازى في المحصل : الایمان عندنا لا يزيد ولا ينقص لأنّه ملائكة كان إسمًا لتصديق الرسول في كل ماعلم بالضرورة مجبيه به ، وهذا لا يقبل التفاوت فسمى الایمان لا يقبل الزبادة والنقسان ، و عند المعترض له ملائكة كان إسمًا لأداء العبادات كان قابلاً لهما ، و عند السلف ملائكة كان إسمًا للأفراط والاعتقاد والعمل فكذلك ، والبحث لغوى ولكل واحد من الفرق نصوص ، والتوفيق أن يقال : الأعمال من ثمرات التصديق ، فما دل على أن الایمان لا يقبل الزبادة والنقسان كان مصروفاً إلى أصل الایمان ، ومدل على كونه قابلاً لهما فهو مصروف إلى الایمان الكامل ، انتهى .

وقال الشهيد الثاني قدس سره في رسالة العقائد : حقيقة الایمان بعد الاتصال بها بحيث يكون المتصف بها من عند الله تعالى هل تقبل الزبادة أم لا ، فقيل بالثانية لما تقدم من أنه التصديق القلبى الذى بلغ الجزم والثبات ، فلا تصور فيه الزبادة عن ذلك ، سواء أتى بالطاعات وترك المعا�ي أم لا ، وكذا لا تعرض له النقيصة وإلا لما كان ثابتاً وقد فرضناه كذلك هذا خلف وأيضاً حقيقة الشيء لو قبلت الزبادة والنقسان كانت حقائق متعددة ، وقد فرضناها واحدة ، هذا خلف ، وإن قلت : حقيقة الایمان من الأمور الاعتبارية للشارع وحينئذ فيجوز أن يعتبر الشارع للایمان حقائق متعددة متفاوتة زبادة ونقساناً بحسب مراتب المكلفين في قوّة الادراك وضعفه ، فإنما نقطع بتفاوت المكلفين في العلم والادراك ؟ قلت : لو جاز ذلك وكان واقعاً لو جب على الشارع بيان حقيقة ايمان كل فرقه متفاوتون في قوّة الادراك ، مع أنه لم يبين ما ورد من جهة الشارع فيما به يتحقق الایمان من حديث جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأحاديث قد مر ذكره ، وليس فيه شيء يدل على تعدد الحقائق بحسب

تفاوت قوى المكلفين .

وأعما مادرد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة مما يشعر بقبوله الزيادة والنقصان كقوله تعالى : « و إِذَا تَلَيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا » <sup>(١)</sup> و قوله تعالى : « لَيَزَدُ دَارِي إِيمَانًا مَعَ ايمانهم » <sup>(٢)</sup> و قوله تعالى : « لِيُسْ عَلَى الدِّينِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقُوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » <sup>(٣)</sup> وكذا ما ورد من أمثال ذلك في القرآن العزيز فمحمول على زيادة الكمال وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة الذي هو محل النزاع ، والإية الثانية صريحة في ذلك فان قوله تعالى : « مع إيمانهم » يدل على أن أصل الإيمان ثابت ، أو على من كان في عصر النبي حيث كانوا يسمعون فرضاً بعد فرض منه <sup>لَا يَلِمُ</sup> فيزداد إيمانهم به لأنهم لم يكونوا مصدقاً فين به قبل أن يسمعوه .

وحاصله أن الحقيقة الشرعية للإيمان لم تكن حصلت بتمامها في ذلك الوقت ، فكان كلما حصل منها شيء صدقاً به ، واعتراض بأن من كان بعد عصر النبي <sup>لَا يَلِمُ</sup> يمكن في حقه تجدد الاطلاع على تفاصيل الفرائض المتوقف عليها الإيمان فإنه يجب الاعتقاد إجمالاً فيما علم أجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، ولاريب أن إعتقد الأمور المتعددة تفصيلاً أزيد وأظهر عند النفس من اعتقادها إجمالاً فعلم من ذلك قبول حقيقة الإيمان الزيادة .

أقول : فيه بحث فان الجازم بحقيقة الجملة جازم بحقيقة كل جزء منها وإن لم يعلمه بيته ، الأقرى أنا بعد علمنا بصدق النبي <sup>لَا يَلِمُ</sup> جازمون بصدق كل ما يخبر به وإن لم نعلم تفصيل ذلك جزءاً أجزاء ، حتى لو فصل ذلك علينا واحداً واحداً لما زداد

(١) سورة الأنفال : ٢ .

(٢) سورة النتح : ٤ .

(٣) سورة المائدة : ٩٣ .

ذلك الجزم ، نعم الزائد في التفصيل إنّما هو إدراك الصور المتعددة من حيث التعّدّد والشخص وهو لا يوجب زيادة في التصديق الجمالي العاجز ، فانّ هذه الصور قد كانت مجززاً بها على تقدير دخولها في الهيئة الجمالية ، وإنّما الشاذ عن النفس إدراك خصوصياتها وهو أمر خارج عن تحقق الحقيقة المجزوم بها ، نعم لا ريب في حصول الاكملية به وليس الكلام فيها .

وقد أجاب بعض المفسّرين عن الآية الثالثة بأنّ تكرار الایمان فيها ليس فيه دلالة على الزيادة ، بل إنّما يكون باعتبار الأزمنة الثلاثة أو باعتبار الأحوال الثلاث ، حال المؤمن مع نفسه ، وحاله مع النّاس ، وحاله مع الله تعالى ، ولذا بدأ الایمان بالاحسان كما يرد إليه قوله ذاللشّيئه في تفسير الاحسان : أنّ تعبد الله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، أو باعتبار امراض الثلاث المبدء والوسط والمنتهى ، أو باعتبار ما ينبغي فانه ينبغي ترك المحرمات حذرًا عن العقاب ، وترك الشبهات ببعداً عن الوقوع في المحمرّمات وهو مرتبة الورع ، وترك بعض المباحثات المؤذنة بالنقص حفظاً للنفس عن الخسّة ، وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة ، أو يكون هذا التكرار كناءة عن أنه ينبغي للمؤمن أن يجدد الایمان في كل وقت بقلبه ولسانه وأعماله الصالحة ، وعيّر عنه على بقائه <sup>(١)</sup> والثبات عليه عند الذهول ليصير الایمان ملكة للنفس فلا يزال له عروض شبهة ، انتهى .

قيل : في بيان قبول الایمان الزيادة أنّ الثبات والدّوام على الایمان أمر زائد عليه في كلّ وقت و زمان ، و حاصل ذلك يرجع إلى أنّ الایمان عرض لأنّه من الكيفيّات النفسيّة و العرض لا يبقى زمانين بل بقاوه-إنّما يكون بتجديد دالاً مثال . اقول : وهذا مع بنائه على ما لم يثبت حقيقته بل نفيه فليس من الزيادة في شيء ، إذ لا يقال للمائل الحاصل بعد إنعدام مثله أنه زائد و هذا ظاهر ، و قيل في

(١) استظهر في هامش المخطوط أن يكون الاصل « حرصاً منه على بقائه » .

توجيهه قبوله الزيادة : أنَّه بمعنى زِيادة ثُمرته من الطَّاعات وإشراق نوره وضيائه في القلب وأنَّه يزيد بالطَّاعات وينقص بالمعاصي .

أقول : هذا التوجيه وجيه لو كان النزاع في مطلق الزيادة لكنَّه ليس كذلك بل النزاع إنَّما هو في أصل حقيقته لافي كما لها .

وастدلّ بعض المحققين على أنَّ حقيقة التصديق الجازم الثابت تقبل الزيادة والنقصان بأنَّا نقطع أنَّ تصديقنا ليس كتصديق النبي ﷺ .

أقول : لا زَرِيبَ فِي أَنَّا قَاطَعُونَ بِأَنَّ تَصْدِيقَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْوَى مِنْ تَصْدِيقَنَا وأَكْمَلَ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَدِلُّ عَلَى اختلاف أصل حقيقة الإيمان الَّتِي قَدَّرَهَا الشَّارِع باعتقاد أمور مخصوصة على وجه الجزم والثبات ، فَإِنَّ تَلِكَ الْحَقِيقَةَ إِنْمَاهِيَّ مِنْ إِعْتِبارَاتِ الشَّارِعِ، وَلَمْ يَعْهُدْ مِنَ الشَّارِعِ اختلاف حقيقة الإيمان باختلاف المُكَلَّفِينَ فِي قوَّةِ الْإِدْرَاكِ، بِحِيثَ يَحْكُمُ بِكُفْرِ قَوْيِ الْإِدْرَاكِ لَوْكَانَ جَزْمُهُ بِالْعِلْمِ الْأَلْهَيِّ كِبِيرٌ مِنْ هُوَ أَعْسَفُ إِدْرَاكًا مِنْهُ، نَعَمُ الَّذِي تَفَاقَرَ فِيهِ الْمُكَلَّفُونَ إِنَّمَا هُوَ مَرْأَتِ كَمَالِهِ بَعْدَ تَحْقِيقِ أَصْلِ حَقِيقَتِهِ الَّتِي يَخَاطِبُ بِتَحْصِيلِهَا كُلَّ مُكَلَّفٍ وَيَعْتَبِرُ بِهَا مُؤْمِنًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْتَحِقُّ التَّوَابَ الدَّائِمَ وَبِدُونِهَا الْعِقَابُ الدَّائِمُ، وَأَمَّا تَلِكَ الْكَمَالَاتُ الْزَائِدَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ بِاعْتِبَارِ قَرْبِ الْمُكَلَّفِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِسَبِيلِ اسْتِشْعَارِهِ لِعِظَمَةِ اللَّهِ وَكَبَرِ يَائِهِ وَشَمْولِ قَدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَذَلِكَ لَا شَرَاقَ نَفْسِهِ وَإِطْلَاعَهَا عَلَى مَا فِي مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِنْقَانِ وَالْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا لَاحَظَتْ هَذِهِ الْبَدَايِعَ الْغَرِيبةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَحَارُ فِي تَعْقِلَهَا مَعَ عِلْمِهَا بِأَنَّهَا تَشَرِّكُ فِي الْإِمْكَانِ وَالْإِفْتَقَارِ إِلَى صَانِعِهَا وَيَبْدِيهَا مَتَوْحِّدَ فِي ذَاتِهِ بِذَاهَهِ انْكَشَفَ عَلَيْهَا كَبْرِيَاءُ ذَلِكَ الصَّانِعِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَّهُ وَإِحْاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَكْثُرُ خَوْفُهَا وَخَشْبَتِهَا وَاحْتِرَامُهَا لِذَلِكَ الصَّانِعِ حَتَّى كَأَنَّهَا لَا تَشَاهِدُ سَوَاهِ وَلَا تَخْشِي غَيْرَهُ، فَتَنْقَطِعُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَيْهِ وَتَسْلِمُ أَزْمَمَهَا أَمْوَارُهَا إِلَيْهِ حَيْثُ عَلِمَتْ أَنَّ لَارْبَ غَيْرَهُ وَأَنَّ امْبَدَءَ مِنْهُ وَالْمَعَادَ إِلَيْهِ، فَلَا تَرْزَالَ شَاخِصَةً مُنْتَظَرَةً

لأمره حتى تأيتها فتفرّج إلية من ضيق الجھالة إلى سعة معرفته ورحمته ولطفه ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

وکذا ما ورد من السنة المطهرة مما يشعر بقوله الزیادة والنقصان يمكن حمله على ما ذكرناه كحديث الجوارح ، ذكره في الكافي باسناده عن أبي عمر والزیری عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : صفة لي يعني الایمان جعلت فداك حتى أفهمه ، فقال : الایمان حالات ودرجات ، إلى قوله : وبالنقصان دخل المفتر طون النار ، انتهى .

ثم قال (ره) : إن علم أن سند هذا الحديث ضعيف لأن في طريقه بكل بن صالح الرازی وهو ضعيف جداً كثیر التفرد بالغرائب ، وأبو عمر والزیری وهو مجهول فسقط الاستدلال به ، ولو سلم سنته فلا دلالة فيه على اختلاف نفسحقيقة الایمان التي يترتب عليها النجاة ، وجعل الناقص عنها يترتب عليه دخول النار ، فلم يكن إيماناً وإلأم يدخل صاحبه النار بقوله تعالى : أعد الله للمؤمنين والمؤمنات جنات .

وجعل الزیادة في الایمان مما يوجب التفاضل في الدّرجات ، ولا ريب أن هذه الزیادة لو ترك واقتصر المكلف على ما يحصل به التمام لم يعاقب على ترك هذه الزیادة ، ولا أنه عليه السلام جعل التمام موجباً للجنة فكيف يوجب العقاب ترك الزیادة مع أن ما دونه وهو التمام يوجب الجنة ، وعلى هذا فتكون الزیادة غير مكلف بها فلم تكن داخلة في أصل حقيقة الایمان لأنّه مكلف به بالنص والاجماع ، فيكون من الكمال ، فظاهر بذلك كون الحديث دليلاً على عدم قبول حقيقة الایمان للزیادة والنقصان ، لا دليلاً على قبولهما ، وهذا استخراج لم نسبق إليه ، وبيان لم يعثره غيرنا عليه .

على أن هذا الحديث لو قطعنا النظر عمّا ذكرنا وحملناه على ظاهره لكان

معارضاً بما سبق من حديث جبرئيل للنبي ﷺ حيث سُئلَ عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، أي تصدق بذلك، ولو بقى من حقيقته شيء سوى ما ذكره له ليسَنَه له، فدل على أن حقيقته تتم بما أجابه بالقياس إلى كل مكلف أمّا للنبي ﷺ فلا ذُرْه الم Cobb به حين سأله، وأمّا الغير فلتاتسي به وطريق الجمع بينهما حينئذٍ حمل ما في حديث الجوارح من الزيادة عن ذلك على مرتبة الكمال ببيننا سابقاً.

وهيئنا بحث و هو أن حقيقة الإيمان لما كانت من الأمور الاعتبارية للشارع كان تحديدها إنما هو يجعل الشارع يقريره لها، فما يعلم حينئذٍ مقداره وحقيقة إلا منه، وحيث رأينا ما وصل إلينا من خطاباته تعالى غير قاطع في الدلالة على تعين قدر مخصوص من أنواع الاعتقاد والأعمال بحيث تشتراك الكل في التكليف به من غير تفاوت بين قوى الأدراك وضعيفه، بل رأيناها متفاوتة في الدلالة على ذلك يعلم ذلك من تتبع آيات الكتاب العزيز والسنّة المطهرة وقد سبق نبذة من ذلك ولا يجوز الاختلاف في خطاباته، ولا أن يكلّف عباده بأمر لا يبيّن لهم مراده تعالى منه، لاستحالة تكليف ما لا يطاق وإخلاله باللطف ورأينا الاكثر وروداً في كتابه بذلك الامر بالاعتقاد القلبي من غير تعين مقدار مخصوص منه بقاطع يوقفنا على اعتباره أمكن حينئذ أن يكون مراده منه مطلق الاعتقاد العلمي سواء كان علم الطّائفة أو علم اليقين أو حق اليقين أو عين اليقين ف تكون حقيقة واحدة وهو الاذعان القلبي والاعتقاد العلمي، والتفاوت بالزيادة والنقصان إنما هو في أفراد تلك الحقيقة ومن مشخصاتها فلا يمكن داخلاً في الحقيقة المذكورة، وما ورد مما ظاهره الاختلاف في الدلالة على مراد الشارع منه يمكن تنزيله على تفاوت الأفراد المذكورة كعلم الطمأنينة وعلم اليقين وغيرهما فيكون كل واحد منها مراداً وكافياً في امتثال أمر الشارع.

وهذا هو المناسب لسهولة التكليف واختلاف طبقات المكلفين في الأدراك كما

لا يخفى ، وبذلك يسهل الخطب في الحكم بایمان أكثر العوام الذين لا يتيسر لأنفسهم الاتصال بالعلم الذي لا يقبل تشكيك المشكك ، فإن علم الطمأنينة متيسّر لكل واحد ، وعلى هذا فيكون ما تشعر النفس به من الأزيد ياد في التصديق والاطمینان عند ما تشاهده من برهان أو عيان ، إنما هو انتقال في أفراد تلك الحقيقة وتبدل واحد بأخر ، والحقيقة واحدة .

لا يقال : أفراد الحقيقة الواحدة لا تنافي الاجتماع في القوّة العاقلة فإن أفراد الحيوان والإنسان يصلح اجتماعها في القوّة العاقلة وما نحن فيه ليس كذلك ، إذ لا يمكن إتصاف الحصول بنفس علم الطمأنينة وعلم اليقين في حالة واحدة لتضاد هما وبهذا يزول الاول بحصول الثاني فلا يكون ما ذكرت أفراد حقيقة واحدة بل حقائق .

قلت : لا نسلم أن أفراد كل حقيقة يصح اجتماعها في الحصول عند القوّة العاقلة ، بل قد لا يصح ذلك ما بينها من التضاد كما في البياض والسوداد فانها فردان لحقيقة واحدة هي اللون مع عدم صحة إجتماعهما في محل واحد لا خارجاً ولا زهناً .

بقى هيهنا شيء وهو أنه لا ريب في تحقق الایمان الشرعي بالتصديق الجازم الثابت وإن أخل المتّصف به ببعض الطاعات ، وقارب بعض المنهيّات عند من يكتفى في حصول الایمان باذعان الجنان ، فإذا كان الأمر كذلك فلامعنى للنزاع عند هؤلاء في أن حقيقة الایمان هل تقبل الزرايدة والنقصان ، إذ لو قبلت شيئاً منهما لم تكن واحدة بل متعددة ، لأن القابل غير المقبول ، والعارض غير المعروض فان دخل الزائد في مفهوم الحقيقة بحيث صار ذاتياً لها تعدد وقبيل ، وكذا الناقص إذا خرج عنها فلا تكون واحدة ، وقد فرضناها كذلك ، لهذا خلف ، وإن لم يدخل ولم يخرج شيء منهما كانت واحدة من غير نقصان وزرايدة فيها بل هما راجمان إلى الكمال وعدهما

وحيئذٍ فيبقى محل النزاع هل يقبل كما لها الزيادة والنقصان ، وأنت خبير بأنّ هذا مما لا يختلف في صحته اثنان ، وقد ذكر بعض العلماء أنّ هذا النزاع إنما يتمشى على قول من جعل الطاعات من الإيمان .

وأقول : الذي يقتضيه النظر أنّه لا يتمشى على قولهم أيضاً ، وذلك لأنّ ما اعتبروه في الإيمان من الطاعات إما أن يردوها به توقف حصول الإيمان على جميع ما اعتبروه أو عليه في الجملة ، وعلى الأول يلزم كون حقيقته واحدة ، فاذا ترك فرضًا من تلك الطاعات يخرج من الإيمان و على الثاني يلزم كون ما يتحقق به الإيمان من تلك الطاعات داخلاً في حقيقته وما زاد عليه خارجاً ف تكون واحدة على التقديرتين ، فليس الزيادة والنقصان إلا في الكمال على جميع الأقوال ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال شارح المقاصد : ظاهر الكتاب والسنة وهو مذهب الأشاعرة والمعتزلة والمصحكي عن الشافعى وكثير من العلماء أنّ الإيمان يزيد وينقص ، وعند أبي حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء وهو اختيار إمام الحرمين أنّه لا يزيد ولا ينقص لأنّه إيم للتصديق بالبالغ حدّ الجزم والإذعان ولا يتضور في الزيادة والنقصان ، والمصدق إذا ضم الطاعات إليه أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغير أصلًا وإنما يتفاوت إذا كان إسماً للطاعات المتفاوتة قلة وكثرة ، ولهذا قال الإمام الرازى وغيره : إنّ هذا الخلاف فرع تفسير الإيمان ، فان قلنا : هو التصديق فلا يتفاوت ، وإن قلنا هو الأعمال فمتفاوت .

وقال إمام الحرمين : إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقاً كما لا يفضل علم علماً ومن حمله على الطاعة سرّاً وعلناً وقد مال إليه الفلاسفي فلا يبعد إطلاق القول بأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ونحن لا نؤثر هذا ، ثم قال : ولقائل أن يقول : لانسلم أنّ التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت فهو وضعفاً كما في التصديق

بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم لأنَّه إمَّا نفس الاعتقاد القابل للتفاوت أو مبنيٌ عليه قلة وكثرة كما في التصديق الاجمالي والتفصيلي الملاحدة بعض التفاصيل وأكثُر، فإنَّ ذلك من الإيمان لكونه تصدِيقاً بما جاء به النبي ﷺ إجمالاً فيعامل إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً.

لا يقال : الواجب تصديق يبلغ حدَ اليقين وهو لا يتفاوت ، لأنَّ التفاوت لا يتضُور إلا باحتمال النقيض .

لأننا نقول : اليقين من باب العلم والمعرفة ، وقد سبق أنَّه غير التصديق ، ولو سلم أنَّه التصديق وأنَّ المراد به ما يبلغ حدَّ الاعذان والقبول ويصدق عليه المعنى المسمى بـ<sup>ع</sup>كرويدن ليكون تصدِيقاً قطعاً فلا نسلم أنَّه لا يقبل التفاوت ، بل للبيتين مراتب من أجلِي البديهيَّات إلى أخفى النظريَّات ، و كون التفاوت راجماً إلى مجرد الجلاء والخفاء غير مسلم بل عند الحصول وزوال التردُّد التفاوت بحاله ، وكفاك قول الخليل : « ولَكُنْ لِيَطْمَئِنْ قَلْبِي » وعن علي رض : لو كشف الغطاء ما ازدَدت يقيناً .

على أنَّ القول بـ<sup>ع</sup>أنَّ المعتبر في حقِّ الكلِّ هو اليقين وأنَّ ليس للظاهرُ الغالب الذي لا يخطر معه النقيض بالبال حكم اليقين محلُّ نظر .

احتَاجَ القائلون بالزيادة والنقصان بالعقل والنقل أَمَا العَقْلُ فلَا نَهُ لِوَلِمْ يتفاوت لكان إيمانَ أحد الأمةَ بالمنهمك في الفسق مساوياً لتصديق الانبياء واللازم باطل قطعاً وأَمَا النقل فلكلثرة النصوص الواردة في هذا المعنى ، قال الله : « وَإِذَا تَلَتَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا »<sup>(١)</sup> « لَيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ »<sup>(٢)</sup> « وَيُزَدَّدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا »<sup>(٣)</sup> « وَهَذَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا »<sup>(٤)</sup> « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا »<sup>(٥)</sup> وعن

(١) سورة الانفال : ٢٠ . (٢) سورة الفتح : ٤ .

(٣) سورة المدثر : ٣١ . (٤) سورة الأحزاب : ٢٢ .

(٥) سورة التوبة : ٢٤ .

ابن عمر قلنا : يا رسول الله ان "الإيمان يزيد و ينقص" ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة و ينقص حتى يدخل صاحبه النار .

و أجيبي بوجوهه : الأول : أن "المراد الزيادة بحسب الدّوام و الثبات و كثرة الأَزْمَانِ و السَّاعَاتِ" وهذا مَا قال إمام الحرمين : النبي ﷺ يفضل من عداه باستمرار تصديقـه و عصمة الله إيمـاه من مخـاـمـر الشـكـوكـ ، والتـصـدـيقـ عـرـضـ لاـيـقـيـ ، فيـقـعـ لـنـبـيـ متـواـلـيـاـ و لـغـيرـهـ عـلـىـ الـفـتـراتـ ، فـثـبـتـ لـنـبـيـ أـعـدـادـ مـنـ الـإـيمـانـ لـأـيـشـتـ لـغـيرـهـ إـلـاـ بـعـضـهـ ، فـيـكـونـ إـيمـانـهـ أـكـثـرـ ، وـ الـزـيـادـةـ بـهـذـاـ الـمـعـنـيـ مـاـلـازـمـ فـيـهـ .

و ما يقال : من أن "حصول المثل بعد إنعدام الشيء لا يكون زيادة ، مدفوع بأن" المراد زيادة أعداد حصلت وعدم البقاء لأنافي ذلك .

الثاني : أن "المراد الزيادة بحسب زيادة المؤمن به ، و الصحابة كانوا آمنوا في الجملة و كان يأتي فرض بعد فرض ، وكانوا يؤمنون بكل" فرض خاص ، و حاصله أن "الإيمان واجب اجمالاً فيما علم إجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، والناس متفاوتون في ملاحظة التفاصيل كثرة و قلة ، فتفاوت إيمانهم زيادة و نقصاناً و لا يختص ذلك بعصر النبي ﷺ على ما يتوجهـ .

الثالث : أن "المراد زيادة ثمرة و إشراق نوره في القلب فانه يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصي ، و هذا مما لا يخفاء فيه ، و هذه الوجه جيدة في التأويل لو ثبت ان التصديق في نفسه لا يقبل التفاوت والكلام فيه، إنما ينتهي .

والحق أن "الإيمان يقبل الزيادة و النقصان ، سواء كانت الأفعال أجزاءه أو شرائطه أو آثاره الدالة عليه ، فإن التصديق القلبي بأي معنى فسر لا ريب أنه يزيد ، و كلما ازدادت آثاره على الأعضاء و الجوارح فهي كثرة و قلة تدل على مرتب الإيمان زيادة و نقصاناً ، و كل منهما يتغير على الآخر ، فإن كل مرتبة من مرتب الإيمان يصير سبباً لقدر من الأفعال المناسبها ، فإذا أتي بها قوى الإيمان

## ﴿باب﴾

### ﴿السبق إلى الإيمان﴾

١ - علی بن ابراهیم ، عن أبيه ، عن بکر بن صالح ، عن القاسم بن برد قال : حد ثنا أبو عمر والزبيري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : إِنَّ الْإِيمَانَ درجات ومنازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم ، قلت : صفة لي رحمك الله حتى أُفهِّمه ، قال : إِنَّ اللَّهَ سَبَقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا يَسْبِقُ بَيْنَ الْخَيْلِ يَوْمَ الرَّهَانِ ، ثُمَّ فَضَّلَهُمْ

القلبي ، و حصلت هرتبة أعلى تقتضي عملاً أكثر ، وهكذا وسيأتي مزيد تأييد ذلك في الأخبار إنشاء الله تعالى .

### باب السبق إلى الإيمان

**الحديث الأول :** ضعيف ، و تتمة من الحديث الكبير المذكور في الباب السابق .

« درجات » أي ذو درجات أو نفسه باعتبار إضافة الدرجات وقيل : الدرجات مراتب الترقيات ، والمنازل مراتب التنزلات ، ويحتمل أن يكون المقصود منها واحداً أطلق عليهما اللفظان باعتبارين « انَّ اللَّهَ سَبَقَ » على بناء التعديل المعلوم ، ويسْبِقُ على بناء التعديل المجهول ، اي قرر السبق وقدره بينهم في الإيمان ، ونذهب بهم إليه كما يسابق بين الخيل يوم الرهان ، والخيل جماعة الأفراس لا واحد له ، وقيل : واحده خائل لأنَّه يختال وجمعه أخيال وخيول ، ويطلق الخيل على الفرسان ، أيضاً و المراهنة و الرهان بالكسر المسابقة على الخيل ، وكأنَّه سبَقَ سبَهْ مدةً الحياة بالمضمار والأرواح بالفرسان ، والأبدان بالخيول ، والعلم الذي يسبقه إليه منتهي مراتب الإيمان ، و السبق الذي يراهن عليه الجنة ، فمنهم من سبق الكلَّ وبلغ الغاية وهو رسول الله عليه السلام ، و منهم من تأخر عن الكلَّ ، و منهم من

على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كلّ أمرٍ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوقًا ولا مفضولًا ، ففضل بذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذاً لحق آخر هذه الأمة أو تلها ، نعم ولتقدّم موهם إذا لم يكن من سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه

بقى في وسط الميدان و منازلهم بحسب العوائد والأعمال كمّاً وكيفًا لا يتناهى . قوله عليه السلام : فجعل كلّ أمرٍ منهم ، أي أعطاه ما يستحقه من الكرامة والأجر والذكر الجميل ، قيل في الاقتصاد بنفي النقص دون الزيادة إيماء إلى جوازها من باب التفضيل وإن لم يستحق .

«ولا يتقدم» أي في الفضل والثواب «مسبوق» في الإيمان «سابقاً» فيه ولا مفضول في الكلمات والأعمال الصالحة سابقاً فيما «تفاضل» استيفاف بياني «بذلك» أي بالسبق «أوائل هذه الأمة» أي من تقدّم إيماءه من الصحابة «أواخرها» منهم أو الأعمّ من الصحابة وغيرهم أو الصحابة على التابعين ، و التابعين على غيرهم ، و ظاهره السبق الزماني إشعاراً بأنّ الغاصبين للخلافة و إن فرض منهم تحقق إسلام و عمل صالح فلا يجوز تقديمهم على أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كان أولهم إيماناً وأسبقهم مع قطع النظر عن سائر الكلمات والفضائل التي استحق بها التقدّم .

ويحتمل أن يكون المراد أعم من السبق الزماني والسبق بحسب الرتبة وكمال اليقين ، فالآخرية بحسب الكلمة لا للكيفية فإنّها تابعة للمكلمات النفسانية والحقائق الإيمانية التي هي من الأعمال القلبية لكنّه بعيد عن السياق ، وقوله : نعم تأكيد لقوله : للحق ، وقوله ولتقدّم موهם عطف على قوله : نعم ، أو على قوله : للحق ، وقوله : إذالم يكن إعادة للشرط السابق تأكيداً .

أو المعنى أنه لو لم يكن للسبق الزماني مدخل في الفضل ، للزم أن يجوز لحقوق المتأخرین السابقین أو تقدّمهم عليهم مع عدم تتحقق فضل في أصل الإيمان وشرائطه

ولكن بدرجات لا يُمان قدّم الله السابقين وبالاً بطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاته وصوماً وحجّاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم

ومكملاً لته للسابقين على اللاحقين ، فاللحوظ في صورة المساواة ، والتقدير في صورة زيادة إيمان اللاحقين على إيمان السابقين ، والحال أنه ليس كذلك فأنّ لهم بالتقدير الزماني فضلاً عليهم ، ذماراً بالفضل ما هو غير السبق الزماني ، وقوله : ولكن إضراب عن قوله : نعم ولتقدّر موهم « الغ » .

أو المراد بالدرجات ما هو باعتبار السبق الزماني من الأولين أو من بعضهم مقدّر من على الأولين اي مطلقاً ، لكن ليس كذلك بل ربما كان بعض الأولين باعتبار السبق أفضلاً من كثير من الآخرين وإن كانوا أقلّ منهم عملاً باعتبار تقدّر لهم وبقيهم وصعوبتهم الإيمان في ذلك الزمان ، وبسبب أنّ لهم مدخلاً عظيماً في إيمان الآخرين .

والحاصل أنّ المسابقة تكون بحسب الرتبة والزمان ، فمن اجتماع فيه كأمير المؤمنين صلوات الله عليه فهو الكامل حقّ الكمال ، والسابق على كلّ حال ، ومن اتفق عندها أمران فهو الناقص المستحق للخذلان والوبال ، وأماماً إذا تعارض الأمران فظاهر الخبر أنّ السابق زماناً أفضلاً وأعلى درجة من الآخر ، وقال بعض المحققين: الغرض من هذا الحديث أن يبيّن أنّ تفاضل درجات الإيمان بقدر السبق والمبادرة إلى إجابة الدعوة إلى الإيمان .

وهذا يحمل عدة معان : أحدها : أن يكون المراد بالسبق السبق في الذرّة وعند الميثاق كما مرّ أنّه سئل رسول الله ﷺ بأى شيء عسبت ولد آدم ؟ قال : إنّي أول من أفرّ بربيّ إن الله أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم أنت بربكم قالوا بل ، فكنت أول من أجاب ، وعلى هذا يكون المراد بأولriel هذه الأمة وأوآخرها أوأليها وأوآخرها في الآخر والأجابة هناك فالفضل للمتقدّر في قوله بل ، والمبادرة إلى

بعضًا عند الله لكان الآخرون بكمة العمل مقدمين على الأولين ولكن أبي الله عزوجلَّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولئها ، ويقدم فيها من أخر الله أو يؤخر فيها

ذلك ، ثم المقدم والمبادر .

والمعنى الثاني أن يكون المراد بالسبق السبق في الشرف والرتبة والعلم والحكمة وزيادة العقل وال بصيرة في الدين ، ووفوسهم الإيمان الذي ذكرها ، ولا سيما اليقين كما يستفاد من الأخبار الآتية ، وعلى هذا يكون المراد بأوائل هذه الأمة وأخرها أوائلها وأخرها في مراتب الشرف والعلم ، فالفضل للأعقل والأعلم والأجمع للكمالات ، وهذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول لتلازمهما ووحدة ما لهما واتحاد ميصلحهما ، والوجه في أن الفضل للسابق على هذين المعنيين ظاهر لامرية فيه ، وممكناً يدل على إرادة هذين المعنيين الذين مرجعهما إلى واحد قوله عليه السلام : ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون إلى قوله : من قدم الله ، ولا سيما قوله : أبي الله أن يدرك آخر درجات الإيمان أول لها .

ومن تأمل في تتمة الحديث أيضاً حق التأييل يظهر له أنه المراد إنشاء الله تعالى .

والمعنى الثالث أن يكون المراد بالسبق السبق الزمانى في الدنيا عند دعوة النبي عليه السلام إياهم إلى الإيمان ، وعلى هذا يكون المراد بأوائل هذه الأمة وأخرها في الإجابة للنبي عليه السلام وقبول الإسلام والتسليم بالقلب والانقياد للتکاليف الشرعية طوعاً ، ويعرف الحكم في سائر الأزمنة باتفاقية .

وبسبب فضل السابق على هذا المعنى أن السبق في الإجابة المحق دليل على زيادة البصيرة والعلم والشرف التي هي الفضيلة والكمال .

والمعنى الرابع أن يراد بالسبق السبق الزمانى عند بلوغ الدعوة فيعم الأزمنة المتأخرة عن زمان النبي عليه السلام .

وهذا المعنى يحتمل وجهيـن : أحدهما : أن يكون المراد بالأوائل والأخر ما ذكرناه أخيراً ، وكذا السبب في الفضل ، والآخر : أن يكون المراد بالأوائل من

من قدم الله . قلت : أخبرني عمّا ندب الله عز وجل المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عز وجل : « ساقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله »<sup>(١)</sup> وقال : « السابقون

كان زمن النبي ﷺ ، وبالآخر من كان بذلك ، ويكون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الاسلام وترك ما نشأوا عليه في تلك الزمن ، وسهولته فيما بعد استقرار الأمر وظهور الاسلام وانتشاره في البلاد ، مع أن الأوائل سبب لاهتماء الآخر إذ بهم وبنصرتهم استقر ما استقر وقوى مقواه وبان ما استبان والله المستعان ، انتهى . قوله : أخبرني عمّا ندب الله ، ملأ دل كلامه سبقاً على أنه تعالى طلب منهم الاستباق إلى الإيمان سئله الرواى عن الآيات الدالة عليه .

« ساقوا إلى مغفرة » كذا في سورة الحديد ، وفي سورة آل عمران : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم »<sup>(٢)</sup> و كان مقتضى الجمع بين الآيتين أن المراد بالمسارعة المسابقة ، وإى سارعوا مسابقين إلى سبب مغفرة من ربكم من الإيمان والأعمال الصالحة « وجنة » أى إلى جنة « عرضها كعرض السماء والأرض » وفي آل عمران « عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

قال المحقق الأردبيلي قدس سره : كنى بالعرض عن مطلق المقدار وهو متعارف ، ونقل على ذلك الأشعار في مجتمع البيان ، أو لا أنه ملائم أن عرضه الذي هو أقل من الطول عرفاً في غير المساوى علم أن طوله أيضاً يكون إما أكثر أو مثله . وقال الفاضي : ذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لأنّه دون الطول ، وعن ابن عباس كسبع سماوات وسبعين أرضين لووصل بعضها بعض ، وظاهر الآية وجوب المسارعة أو رجحانها إلى الطاعة الموجبة للدخول في الجنة وأعظمها الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والترقي إلى مقاماتها العالية . « أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » ظاهر هذه الآية وغيرها من الآيات

(١) سورة الحديد : ٢١ .

(٢) الآية : ١٣٣ .

**السابقون وأولئك المقربون**<sup>(١)</sup> وقال : «**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**

والروايات أن **الجنة مخلوقة الآن وكذا النار** وقال بها أصحاب ، وصرّح بالشيخ المفید في بعض رسائله وقال : إن **الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة وظاهر الآية أنها في السماء ، والظاهر أن المراد به أنها تكون بعضها في السماء ويكون البعض الآخر فوقها ، أو يكون أبوابها فيها فوق الكل** ، وماذ كره الحكماء غير مسموع شرعاً وهو ظاهر كما قبل أن النار تحت الأرض فتكون الآية دليلاً على بطلان ما قالوه ، انتهى .

وقال البيضاوى : فيه دلالة على أن **الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم** ، وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنهما غير مخلوقتين وأنهما تختلفان يوم القيمة .

« وقال **أى في الواقع** : «**والسابقون السابقون** » قال البيضاوى : **أى الذين سبقو إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلهم وتوان ، أو سبقو إلى حيازة الفضائل والكمالات أو الأنبياء فإنهم مقدموا أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبي النجم : «**وشعرى شعرى** » **أو الذين سبقو إلى الجنة** . «**أولئك المقربون** » «**في جنات النعيم** » **أى الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعلىت مراتبهم** .**

« وقال **أى في التوبة** «**والسابقون الأولون** » في المجمع **أى السابقون إلى الإيمان وإلى الطاعات ، وإنما مدحهم بالسبق لأن** **السابق إلى الشيء يتبعه غيره** فيكون متبعاً وغيره تابع له ، فهو إمام فيه وداع له إلى الخير سبقه إليه ، وكذلك من سبق إلى الشر يكون أسوء حالاً لهذه العلة «**من المهاجرين** » **الذين هاجروا من مكانة إلى المدينة ، وإلى العجاشة** «**والأنصار** » **أى ومن الانصار الذين سبقو**

والذين اتبّعوهم بحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه<sup>(١)</sup> فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبّقهم، ثم ثنتي بالأنصار ثم ثلث بالتبعين لهم بحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله عزوجل به أولياءه بعضهم على بعض، فقال عزوجل: « تلك الرسول فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلام الله

نظرائهم من أهل المدينة إلى الإسلام، وقرء يعقوب والأنصار بالرّفع فلم يجعلهم من السابقين، وجعل السبق للمهاجرين خاصة « والذين اتبّعوهم بحسان » أي بأفعال الخير والدخول في الإسلام بعدهم وسلوك منها جهنم، ويدخل في ذلك من بعدهم إلى يوم القيمة « رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » قال: وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين وهم يتّهم على غيرهم طالحهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها مفارقة العشائر والأقربين منها هبّاينة المأثور من الدين ومنها نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو، ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه، انتهى.

وقال بعضهم: السابقون الأوّلون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرًا وأسلموا قبل الهجرة، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل بيعة العقبة الثانية كانوا اسبعين، وقال بعض المخالفين: كلمة « من » للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة.

قوله عليه السلام: « ثم ذكر « كلمة ثم للترافق بحسب المرتبة، إذ سورة البقرة نزلت قبل سورة التوبه والحديد « فقال الله عزوجل » أي في سورة البقرة « تلك الرسول قيل: إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة أو المعلومة للرسول أو جماعة الرسول واللام للاستغراق .

« فضلنا بعضهم على بعض » بأن خصّصناه بمنقبة ليست لغيره « منهم من كلام الله » تفصيل له وهو موسى، وقيل موسى وتمد صلاته عليهما وآلها، كلّ موسى ليلة

(١) سورة التوبه: ١٠٠ .

ورفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الآية - <sup>(١)</sup> وقال : « ولقد فضلنا بعض

الحيرة في التطور ، وتهجاً ليلة المراج ، حين كان قاب قوسين أو أدنى وبينهما بون بعيد ، وفي المصاحف : ورفع بعضهم درجات ، وليس فيهما فوق بعض ، فالزيادة إما من الرّواة والنّسّاخ أو منه <sup>تبارك</sup> زاده للبيان والتفسير ، وهذه الزيادة مذكورة في سورة الزخرف حيث قال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » <sup>(٢)</sup> فيحتمل أن يكون الزيادة للإشارة إلى الآيتين ، قيل : ورفع بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباينة وهو محمد <sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> فإنه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المترتبة المتعاقبة بتعاقب الدّهر والفضائل العلمية والعملية الفائمة للمحسر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف ، المستغنى عن التعين ، وقيل : ابراهيم خصّه بالخلة التي هي أعلى المراتب ، وقيل : إدريس لقوله تعالى : « ورفعناه مكاناً عليّاً » وقيل : أولوا العزم من الرّسل ، وبعد ذلك « فآتينا عيسى بن مريم الـبيـنـاتـ وأيـدـناـهـ بـرـوحـ الـقـدـسـ ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم من بعد ما جائزهم الـبـيـنـاتـ ولكنـ اخـتـلـفـواـ فـمـنـهـمـ من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ». « وقال » أى في سورة الأسرى : « ولقد فضلناه » إنـجـ.

قال البيضاوى : أى بالفضائل الفسائية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا يكثـرـ الأـمـوـالـ وـالـأـتـيـاعـ حتـىـ دـاـوـدـ فـانـ شـرـفـهـ بـمـاـأـوـحـىـ إـلـيـهـ مـنـ الـكـتـابـ لـاـبـمـأـوـتـىـ منـ أـمـالـكـ ، وـقـيـلـ : هـوـ إـشـارـةـ إـلـىـ تـفـضـيـلـ رـسـوـلـ اللهـ <sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> لـقـولـهـ : « وـآـتـيـنـاـ دـاـوـدـ زـبـوـرـاـ » تـبـيـهـ عـلـىـ وـجـهـ تـفـضـيـلـ وـهـوـأـنـهـ خـاتـمـ الـأـنبـيـاءـ وـأـمـتـهـ خـيرـ الـأـمـمـ الـمـدـلـولـ عـلـيـهـ بـمـاـ كـتـبـ فيـ الزـبـورـ مـنـ أـنـ الـأـرـضـ يـرـثـهـ عـبـادـ الـصـالـحـونـ .

« وقال » أى في الأسرى أيضاً قيل : هو عطف على ثم ذكر لا على قوله : فقال ،

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

النبيين على بعض<sup>(١)</sup> وقال : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً »<sup>(٢)</sup> وقال : « هم درجات عند الله »<sup>(٣)</sup> وقال : « ورؤت كل ذي فضل فضله »<sup>(٤)</sup> وقال : « الذين آمنوا وهاجروا وجاحدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم

لعدم اختصاص ما يذكر بعده بالآولى بل هو في مطلق المؤمنين « كيف فضلنا » قيل : أى في الرزق ، وفي المجتمع بأن جعلنا بعضهم أغنىاء وبعضهم فقراء وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحاء وبعضهم مرضى على حسب ها علمناه من المصالح « وللآخرة أكبر درجات » أى درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل ، فينبغي أن يكون رغبتهم فيها وسعيهم لها أكثر .

« وقال أى في آل عمران « هم درجات عند الله » قيل : شبّهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب ، أو هم ذوو درجات فقال : « والله بصير بما يعملون » .

« وقال أى في هود « ورؤت كل ذي فضل أى في دينه « فضله » أى جراء فضله في الدّنيا والآخرة ، وبدل على عدم تفضيل المفضول .

« وقال أى في التوبة « وهاجروا » أى إلى الرّسول وفارقوا الأوطان وتركتوا الأقارب والجيران ، وطلبو مرضاة الرحمن « وجاحدوا في سبيل الله بأموالهم » بصرفها « وأنفسهم » ببذلها « أعظم درجة عند الله » أى أعلى رتبة وأكثر كرامة ، ممن لم يستجمع هذه الصفات أؤمن أهل السقاية والعمارة عندكم ، إذن بذلها « أجعلتم سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاحد في سبيل الله لا يستوفون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين » .

« وقال أى في سورة النساء ، وقبل الآية : « لا يُستوى الفاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على الفاعددين درجة وكلاً

(١) سورة الأسراء : ٥٥ .

(٢) سورة الأسراء : ٢١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦٣ .

(٤) سورة هود : ٣ .

درجة عند الله<sup>(١)</sup> وقال : « فضيل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيماً \* درجات منه ومغفرة ورحمة »<sup>(٢)</sup> وقال : « لا يُستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا »<sup>(٣)</sup> وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات »<sup>(٤)</sup> وقال : « ذلك بأنهم لا يصيّبهم ظمآن ولا نصب ولا مخصصة في سبيل

عدالة الحسنى وفضيل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيماً » قال البيضاوى : نصب على المصدر لأنَّ فضيل بمعنى آجر ، أو المفعول الثاني له لتضمنه معنى الـ إعطاء كأنَّه قال : وأعطائهم زيادة على القاعدين أجرًا عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة ، كلَّ واحد منها بدل من أجراً ، ويجوز أن ينتسب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطاً وأجرًا على الحال عنها ، تقدَّمت عليها لا تتها نكرة « ومغفرة ورحمة » على المصدر باضمار فعلهما ، وتتممة الآية « وكان الله غفوراً رحيمًا » .

« وقال أى في سورة الحديد : « لا يُستوى منكم » قال البيضاوى : بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوَّة اليقين وتحرُّى المحاجات حتَّى على تحرُّى الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق ، وذكر القتال للاستطراد ، وقسم من أنفق مبذوف لوضوِّه وذلة ما بعده عليه ، والفتح فتح مكَّةٌ إذْ أعزَّ الإسلام به وكثير أهله وقلَّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق .

« من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا أى من بعد الفتح ، والتتممة « وَكَلَّا وَدَعَ اللَّهُ الْحَسْنِي وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

« وقال أى في سورة المجادلة والآية هكذا : « يأيُّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسِّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشروا فانشروا يرفع الله « والتفسح التوسيع « وإذا قيل انشروا » أى انهضوا للتتوسيعة أوطأ أمرتم به كصلوة أو

(١) سورة التوبه : ٢٠ .

(٢) سورة النساء : ٩٦ .

(٣) سورة الحديد : ١٠ .

(٤) سورة المجادلة : ١١ .

الله ولا يطؤون موطنًا يغيط الكفار ولainالون من عدو نيلًا إلا كتب لهم به عمل صالح<sup>(١)</sup> وقال : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » <sup>(٢)</sup> وقال : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » <sup>(٣)</sup> فهذا ذكر درجات الإيمان

جهاد أو انتقاموا في المجلس « يرفع الله الذين آمنوا منكم » بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة « والذين أتوا العلم » ويرفع العلماء منهم خاصة « درجات » بما جعوا من العلم ، وقد مر تفسيرهم بالآئمة عليهم السلام .

« وقال » أى في سورة التوبة حيث قال : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ، ولا يربووا بأنفسهم عن نفسه » ذلك ، قيل : إشارة إلى مادل عليه قوله : ما كان ، من النهي عن التخلف أو وجوب المتابعة لأنّهم بسبب أنّهم « لا يصيّبهم ظمآن » أى شيء من العطش « ولا نصب » أى تعب « ولا مخصصة » أى مجاعة « في سبيل الله ولا يطاؤن » أى لا يدرسوه « موطنًا » أى مكاناً « يغطي الكفار » أى يغضبونهم وطيه « ولا ينالون من عدو نيلًا » كالقتل والأسر والنّهب « إلا كتب لهم به عمل صالح » أى إلا استوجبو الثواب وذلك مما يوجب المسابقة « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

« وقال » أى في المزمل : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » يمكن أن يكون عدم ذكر تتمة الكلام لاختصار ، فإن التتمة « هو خيراً وأعظم أجرًا » أى من الذي تؤخر ونه إلى الوصيّة عند الموت ، وخيراً ثانى مفعولي « تجدوه » وهو تأكيد أوفى أو هو مبني على قراءة هو خير بالرفع كما في الشواذ ، فالكلام إلى قوله : عند الله ، تمام قوله : هو ، مبتدء وخير خبره وهي جملة أخرى مؤكدة لازولى . « ومن يعمل مثقال ذرّة » الذرّة هي النملة الصّفيرة ، أو الهمباء المنبعث في الجو

(١) سورة التوبة : ١٢٠

(٢) سورة البقرة : ١١٠ . والمزمل : ٢٠

(٣) سورة الزمر : ٨-٧

## باب

( درجات الإيمان )

١ - عدد من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وضع الإيمان على سبعة أَسْهَمِهِ عَلَى الْبَرِّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحام ، ثُمَّ قَسَّمَ ذَلِكَ بَيْنَ

و بالجملة هذه الآيات كلّها تدلّ على اختلاف مراتب المؤمنين في الثواب والدرجات عند الله تعالى والمنازل في الجنة كما لا يخفى .

### باب درجات الإيمان

الحديث الأول : مجھول بمداد

والبر الإحسان إلى نفسه وإلى غيره ويطلق غالباً على الإحسان بالوالدين والأقرىء والأخوان من المؤمنين كما ورد من خالص الإيمان البر بالأخوان .

والصدق هو القول المطابق للواقع ويطلق أيضاً على مطابقة العمل للمقول والاعتقاد ، وعلى فعل القلب والجوارح المطابقين لقواعد الشرعية والموازين العقلية ومنه الصديق وهو من حصل له مملكة الصدق في جميع هذه الأمور ، ولا يصدر منه خلاف المطلوب عقلاً ونقلأً كما صرّح به المحقق الطوسي (ره) في أوصاف الأشraf .

واليقين الاعتقاد الباجز المطابق للواقع ، وفي عرف الأخبار هو مرتبة من اليقين يصير سبباً لظهور آثاره على الجوارح ويطلق غالباً على ما يتعلق بأمور الآخرة ، وبالقضاء والقدر كما مستعرف ، وله مراتب أشير إليها في القرآن العزيز وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين كما قال تعالى : « لو تعلمون علم اليقين لترؤون الجحيم ثم لترونها عين اليقين » (١) وقال سبحانه : « وتصليه جحيم ان هذا وهو حق اليقين » (٢) .

(١) سورة التكاثر : ٥ - ٧ . (٢) سورة الواقعة : ٩٥ .

النّاس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأُسْهَم فهو كامل ، محتمل ؛ وفُسْم لبعض النّاس  
الأسهم ولبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى [الـ] سبعة ، ثم قال : لا  
تحملوا على صاحب السهم سهرين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوه ثم قال :

وقالوا : الاول من تبة أرباب الاستدلال كمن لم ير النار واستدل بالدخان ،  
والثاني من تبة أصحاب المشاهدة والبيان كمن رأى النار بعينها بعينه ، والثالث من تبة  
أرباب اليقين كمن كان في وسط النار وانصَف بصفاتها وإن لم يصر عينها كالحديدة  
المحمّاة في النار فاذلك تظنّها ناراً وليس بنار ، وهذا هي التي زلت فيها الأقدام وضلت  
العقول والآحالم وليس محل تحقيقها هذا المقام .

والرضا هو إطمئنان النفس بقضاء الله تعالى عند البلاء والرخاء وعدم الاعتراف  
عليه سبحانه قولاً وفعلاً في شيء من الأشياء .

والوفاء هو العمل بعهود الله تعالى من التكاليف الشرعية و ما عاهد الله تعالى  
عليه وألزم على نفسه من الطاعات والوفاء ببيعة النبي والأئمّة صلوات الله عليهم ،  
والوفاء بعهود الخلق مالم تكن في معصية ، والعلم هو معرفة الله ورسوله وحججه وما  
أمر به ونهى عنه ، وعلم الشرائع والأحكام والحاابل والحرام ، والأخلاق ومقدّماتها .  
والحلم هو ملكة حاصلة للنفس مانعة لها عن المبادرة إلى الانتقام وطلب التسلط  
والترفع والغلبة .

« فهو كامل » أي في الإيمان محتمل لشرائطه وأركانه ، قابل لها كما ينبغي  
« ولا تحملوا على صاحب السهم سهرين » أي لما كانت الفواليات والاستعدادات متفاوتة  
ولم يكفل الله كل أمرٍ إلا على قدر قابليته فلا تحملوا في العلوم والأعمال والأخلاق  
على كل أمرٍ إلا بحسب طاقته ووسعه كما مر : إنما يدافِ الله العباد في الحساب  
على قدر ما أنهم من العقول في الدنيا .

نعم للأعلى أن ينقل الأدنى إلى درجته بالتعليم والتذيع والرفق حتى يصل  
إلى درجته إن كان قابلا لذلك كما سيأتي إن شاء الله وعلى الأدنى أن يسعى ويقتصر

كذلك حتى ينتهي إلى [١١] سبعة .

٢ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان ، عن يعقوب بن الضحاك ، عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبدالله عليهما السلام قال : بعثني أبو عبدالله عليهما السلام في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتربين قال : وكان فراشي في العائر الذي كننا فيه زولاً ، فجئت وأنا بحال فرميتن بيضي فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبدالله عليهما السلام قد أقبل قال : فقال : قد

إلى الله تعالى لأن يوفقه المصود إلى درجة العليا « فتبهضوهم » في بعض النسخ بالضاد وفي بعضها بالظاء وهذا معجمتان متقاربان معنى ، قال في القاموس : بهضى الأمر كمنع وأبهضى أي فدحني وبالظاء أكثر ، وقال : بهظه الأمر كمنع غلبه ونقل عليه وبلغ به مشقة ، والراحلة أوقرها فأتعبها .  
الحديث الثاني مجہول .

والحيرة بالكسر بلد كان قرب الكوفة ، وأناثاً كيد للضمير المنصوب في بعثني ، وناً كيد المنصوب والمجرور بالظرفون جائز و « جماعة » عطف على الضمير أو اللاد بمعنى مع « معمدين » الظاهر أنه بالعين المهملة على بناء الأفعال أو التفعيل ، في القاموس : العتمة - محرّكة - ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة ، واعتم وتم سار فيها أو أورد وأصدر فيها ، وظلمة الليل ورجوع الأبل من المرعى بعد ما تمسى ، انتهى .

أى رجمنا داخلين في وقت العتمة ، وفي أكثر النسخ بالفين المعجمة من الفم  
وكانه تصحيف <sup>(١)</sup> ، وبما يقرء مفتنمين من الغنيمة وهو تحريف ، والhair المكان المطمئن .

(١) الظاهر ان ذهابه (ع) من المدينة الى الحيرة كان بأمر الخليفة أعني المنصور وهو عليه اللعنة يحتال في قتله (ع) وكانت مواليه مفتنمين لذلك ، ويترصدون حاله ومال أمره مع المنصور ويتظرون رجوعه ، وقوله « أنا بحال » أى بحال سره من الفم كما فسره في الوافي ، وعليه فيما في أكثر النسخ هو الاصح .

أيتهاك أوفال : جئناك ، فاستويت جالساً وجلس على صدر راشي فسألني عما بعثني له فأخبرته . فيحمد الله ثم جرى ذكرِ ذكرِ قوم فقلت : جعلت فداك إنما تبرأ منهم ، إنهم لا يقولون ما تقول . قال : فقال : يتولون ولا يقولون ما تقولون تبررون منهم ؟ قال : قلت : لا - قلت : نعم قال : فهوذا عندنا مالييس عندكم فينبعي لتأن تبرأ منكم ؟ قال : قلت : لا - جعلت فداك - قال : وهوذا عند الله مالييس عندنا أفتراء أطربنا ؟ قال : قلت : لا والله جعلت فداك مانفعك ؟ قال : فتو لهم ولاتبرروا منهم ، إن من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان ومنهم من له ثلاثة أسهم ، ومنهم من له أربعة أسهم ، ومنهم من له خمسة أسهم ، ومنهم من له ستة أسهم ، ومنهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبعي أن يحمل صاحب السهم على ماعليه صاحب السهمين ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الشّلة ولا صاحب الشّلة على ماعليه صاحب الأربعة ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة ، وسأضرب لك مثلاً إن رجلاً كان له جار

والبستان « وأنا بحال » أي بحال سوء من الضف والكلام « أنهم لا يقولون ما تقول » اي من هرائب فضائل الأئمة عليهم السلام وكمالاتهم ومراتب معرفة الله ودقائق مسائل القضاء والقدر وأمثال ذلك مما تختلف تكاليف العباد فيها بحسب أفهمهم واستعداداتهم لافي أصل المسائل الاصولية ، أو المراد إختلافهم في المسائل الفروعية والأولى أظهر ، وأماماً حمله على أدعية الصلاة وغيرها من المستحبات كما قيل فهو في غاية البعد وإن كان يوافقه التمثيل المذكور في آخر الخبر « يتولون ولا يقولون » الخ ، إستفهام على الانكار .

« فهو ذاعندنا » اي من المعاشر والعلوم والأخلاق والاعمال « مالييس عندكم فينبعي لنا » على الاستفهام « أطربنا » اي عن الإيمان والثواب أو عن درجة الاعتبار . قوله : ما فعل ؟ ملأفهم من كلامه بكلامه نفي التبرئ تزداد في أنّه هل يلزم منه التولى أو عدم ارتکاب شيء من الأمرين فان نفي أحدهما لا يستلزم ثبوت الآخر « أن يحمل صاحب السهم على ماعليه صاحب السهمين » أي يقاس حاله بحاله ويتحقق

و كان نصرايياً فدعاه إلى الإسلام و زينه له فأجابه فأنا سحيراً فقريع عليه الباب فقال له : من هذا ؟ قال : أنا فلان قال : وما حاجتك ؟ فقال : توضأ و البس ثوبك و مرّ بنا إلى الصلاة قال : فتوضأ و لبس ثوبك و خرج معه ، قال : فصلّيا ماشاء الله ثم صلّيا الفجر ثم مكثا حتى أصبحنا ، فقام الذي كان نصرايياً يربد منزله فقال له الرجل : أين تذهب ؟ النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ، ثم قال : وما بين الظهر والعصر قليل ؟ فاحتبسه حتى صلّى العصر ، قال : ثم قام وأراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إن هذا آخر النهار وأقل من أوله فاحتبسه حتى صلّى المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلّى العشاء الآخرة ثم تفرّقا فلمّا كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وما حاجتك ؟ قال : توضأ و لبس ثوبك و اخرج بنافل ، قال : اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني و أنا إنسان مسكين و على عيال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدخله في شيء آخر جه منه - أو قال : أدخله من مثل ذه و آخر جه من مثل هذا .

منه ما يتوقع من الثاني من الفهم والمعرفة والعمل « وزينه له » أى حسن الإسلام في نظره « فأنا سحير » هو تصغير السحر وهو سدس آخر الليل أو ساعة آخر الليل وقيل : قبيل الصبح ، والتغيير لبيان أنه كان قريباً من الصبح أو بعيداً منه « ومرّ بنا » أى معنا « وخرج معه » أى إلى المسجد « ماشاء الله » ، أى كثيراً « حتى أصبحنا » أى دخلا في الصباح ، والمراد الإسفار وإنتشار ضوء النهار وظهور الحمرة في الأفق . قال في المفردات : الصبح والصبح أول النهار وهو وقت ما الحمر الأفق

بحاجب الشمس .

قوله : وأقل من أوله ، أى مما انتظرت بعد الفجر لصلوة الظهر « أدخله في شيء » أى من الإسلام صار سبباً لخروجه من الإسلام رأساً أو المراد بالشيء الكفر أى دخله بجهله في الكفر الذي أخرجه منه « أو قال أدخله في مثل هذا » أى العمل الشديد « وأخرجه من مثل هذا » أى هذا الدين القويم .

## ﴿باب آخر منه﴾

١ - أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أبان ، عن شهاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟ فقال : إن الله تبارك و تعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعه وأربعين جزءاً . ثم جعل الأجزاء

### باب آخر منه

أى هذا باب آخر يمكن عده من الباب الأول وإنما جعله باباً آخر لأنَّ الباب الأول كان مبنياً على قسمة الإيمان بسبعة أسمهم ، وأخبار هذا الباب مبنية على أكثر أو أقلَّ أو بعض في أخبار الباب السابق بالسهام ، وفي أخبار هذا الباب بالأجزاء والدرجات والمنازل ، وعلى التقدير بينهما لأنَّه لما كان تعدد درجات الإيمان و منازله متفاوتة تارة بحسب الأخلاق الحسنة كثرة وقلة وشدة وضعفاً ، وتارة بحسب الاعتقادات الحقة فوَّ وضعفاً كلاًّ وبعضاً ، وتارة بحسب الأفعال الصالحة كثرة وقلة ، خالصة ومشوبة ، ولا يدخل شيء من ذلك تحت الحصر والعد يمكن اعتبار تقسيمها بوجوه مختلفة ، بدخول بعضها تحت بعض و عدمه ، وقسمتها إلى الأجناس وإلى الأنواع وإلى الأصناف .

الحديث الأول: مجهول .

« لم يلم أحد أحداً » اي في عدم فهم الدقائق والقصور عن بعض المعرف أو في عدم اكتساب الفضائل والأخلاق الحسنة ، وترك الإيتان بالنواقل والمستحبات وإلاً فكيف يستقيم عدم الملاماة على ترك الفرائض والواجبات و فعل الكبائر والمحرّمات وقد مرَّ أنَّ الله تعالى لا يكلّف الناس إلا بقدر وسعهم وليسوا بمحظوظين في فعل المعااصي ولا في ترك الواجبات لكن يمكن أن لا يكون في وسع بعضهم معرفة دقائق الأمور

أعشاراً فيجعل الجزء عشرة أعشار، ثم قسمه بين الخالق فيجعل في رجل عشر جزء في آخر عُشر يجزء حتى بلغ به جزءاً تاماً وفي آخر جزءاً وعشراً جزءاً وآخر جزءاً وعشري جزءاً وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تاماً، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعه وأربعين جزءاً، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرين و كذلك صاحب العُشرين لا - يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحداً أحداً .

٢ - تَجَّهُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلَىٰ

وغرامض الأسرار فلم يتكلفو بها، وكذا عن تحصيل بعض مراتب الأخلاق والميقات وغيرها من المكارم، فليسوا بمملومين بتر كها ، فالتكاليف بالنسبة إلى العباد مختلفة بحسب اختلاف قابليةائهم واستعداداتهم ، ولا يستحق من لم يكن قابلاً لرتبة من المراتب المذكورة أن يلام لم لاتفهم هذا المعنى ولم تفعل الصلوة كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يفعله منزلة ، وهكذا قوله عليه السلام : بلغ بها ، كأنه جعل كل جزء من الشهاد السبعة امتقدمة سبعة .

قوله عليه السلام : فيجعل الجزء عشرة أعشار، لأن هذا المتأكيد والتوضيح ، ورفع توهّم أن المراد جعل كل جزء عشراً من مرتبة فوقه ، فيصير المجموع أربعين وتسعين عشرأ «حتى بلغ به» الباء للتعميد والضمير راجع إلى الإيمان ، أو إلى الرجل المطلق المفهوم من رجل لا إلى الرجل المذكور ولا إلى آخر لا ختال المعنى وهذا أظهر لقوله : حتى بلغ بأرفعهم إلا عشر جزء ، أي من القابلية أو قابلية عشر جزء من الإيمان وهكذا في الباقي .

الحديث الثاني ضعيف

والقرار السياسي باياع القراطيس « عشر درجات » كأنه عليه السلام عد كل تسعه

ابن أبي عثمان ، عن عبد بن عثمان ، عن عبد بن حمّاد الخزّاز ، عن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز إنَّ الإِيمان عشر درجات بمنزلة السُّلْمِ يصعد منه مرفة بعد مرفة فلَا يقولنَّ صاحب الائتين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر ، فلَا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو

وأربعين جزءاً من السَّابق درجة ، أو هذه الدرجات لبعض مراتب الإيمان لا لكثيرها ، وفيه : يجوز أن يراد بالإيمان هنا التصديق أو الكامل المر كتب منه ومن العمل «ليصعد» على بناء المجهول «ومنه» نائب مناب الفاعل ، وفيه «من» بمعنى في ، والضمير راجع إلى السُّلْمِ ، والمرفأة بالفتح والكسر إسم مكان ، أو آلة وهي الدرجة ، وفي المصباح المرقي والمرتفق موضع الرقى ، والمرفأة مثله ، ويجوز فيها فتح الميم على أنه موضع الارتفاع ، ويجوز الكسر تشبيهاً باسم الآلة كالملطحة ، وأنكر أبو عبيد الكسر ، انتهى «هو» منصوبة على الظرفية للمكان «لست على شيء» أى من الإيمان أو الكمال «فلاتسقط» ، أى من الإيمان أو من درجة الاعتبار «من هو دونك» أى أسفل منك بدرجة أو أكثر فارفعه إليك .

فإن قلت : كيف يرفعه إليهم مع أنه لا يطيقه كما مر في الخبر السابق ؟ قلت : يمكن أن تكون الدرجات المذكورة في الخبر السابق درجات الفابلات والاستعدادات ولذا تسبّبها إلى أصل الخلق ، والدرجات المذكورة في هذا الخبر درجات الفعلية والتحقق فيمكن أن يكون رجلان في درجة واحدة من الفابلية فسعي أحدهما وحصل ما كان قابلا له والآخر لم يسع ، وبقى في درجة أسفل منه فلو كلّفه أن يفهم دفعه ما فهمه في أزمه متطلولة يعسر الأمر عليه بل يصير سبباً لضلالته وحياته ، بل ينبغي أن يرافق به ويكلمه تدريجاً حتى يبلغ إلى تلك الدرجة ، كما أنَّ الكاتب الجيد الخط إذا كلف أميناً لم يكتب فقط أن يكتب مثله في يوم أو شهر أو سنة لكن تكليفه مطلاً يطاق ، بل يجب أن يرقيه تدريجاً حتى يصل إلى مرتبته ، وكذا في مراتب العقلية من

فوقك ، و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برقق ولا تحملنَّ عليه مالا يطيق فتكسره ، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن شهيد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسakan ، عن سديرين قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إنَّ المؤمنين على منازل منهم على واحدة و منهم على اثنتين و منهم على ثلات و منهم على أربع و منهم على خمس و منهم على ست و منهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو ، و على صاحب المتنين ثلاثاً لم يقو ، و على صاحب الثالثات أربعًا لم يقو ، و على صاحب

لم يحصل شيئاً منها لا يمكن إفادته دفعه جميع المسائل الغامضة ، ولو أتيت إليه لتحير ، بل لم يطق فهمها وضلَّ عن السُّبْيل و المعلم الأديب الكامل يرقيه أو لا من البديهيَّات إلى أوايل النظريَّات و منها إلى أواسطها ، و منها إلى غواصتها فلا ينكسر ولا يتغير .

و يمكن أن تحمل القدرة المذكورة في الخبر السابق على الوسع أى الامكان بسهولة فلا ينافي المذكور في هذا الخبر ولكن الأول أظهر .

و ربما يجادل بأنه لما لم يكن معلوماً لصاحب الدرجة العليا عدم قابلية صاحب الدرجة السُّفلَى بل (بما يظن) أنه قابل للترقى فهو مأمور بهذا رجاءً لتحقيق مظنته ولا يخفى ما فيه « فتكسره » اي تكسر إيمانه و تضلله لأنَّه يرفع يده عمماً هو فيه ، ولا يصل إلى الدرجة الأخرى فيتحير في دينه أو يكتفه من الطاعات مالا يطيقها فيسوء ظنه بما كان يعمله فيتركتهما جميعاً كما مرَّ في الباب السابق .

« فعليه جبره » أي يجب عليه جبره و ربما لا ينجبر و يلزم إصلاح ما أفسد من إيمانه و ربما لم ينصلح .

**الحديث الثالث :** ضعيف على المشهود والمراد بالمنازل الدرجات .

الْأَرْبَعُ خَمْسًا لَمْ يَقُو ، وَ عَلَى صَاحِبِ الْخَمْسِ سَتًّا لَمْ يَقُو ، وَ عَلَى صَاحِبِ السَّبْعَةِ سَبْعًا لَمْ يَقُو ، وَ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتِ .

٤ - عنْهُ ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ الْحَكْمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ ، عَنْ الصَّبَاحِ بْنِ سَيَاْبَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ : مَا أَفْتَمُ وَالْبَرَاءَةَ ، يَبْرُءُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُهُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُهُمْ أَنْفَذُ بَصَرًا مِنْ بَعْضٍ وَ هِيَ الدَّرَجَاتُ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتِ كَأَنَّهُ أَطْعَنَى وَ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ الدَّرَجَاتُ الَّتِي تَنْقَسِمُ هَذِهِ الْمَنَازِلِ إِلَيْهَا فَإِنَّ كَلَّا مِنْهَا يَنْقَسِمُ إِلَى سَبْعِينَ دَرْجَةً كَمَا مَرَّ فِي الْخَبَرِ الْأَوَّلِ ، وَ قَبْلُهُ : أَى بَقِيَّةِ الدَّرَجَاتِ إِلَى الْعَشْرِ الْمَذَكُورِ فِي الْخَبَرِ الثَّانِي ، أَوْ الْمَرَادُ بِالدَّرَجَاتِ الْمَنَازِلُ أَى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَا تَنْقَسِمُ الدَّرَجَاتُ فَيَكُونُ تَأْكِيدًا وَ الْأَوَّلُ أَظَهَرُ .

**الحادية الرابع** : كالسابق .

«أَنْفَذَ بَصَرًا» أَى بَصِيرَةٌ كَمَا فِي بَعْضِ النَّسْخَ يَعْنِي فَهْمًا وَ فَطَانَةً «وَهِيَ الدَّرَجَاتُ» أَى درجات الایمان فَكُلَّ مِنْهُمْ عَلَى دَرْجَةٍ مِنْهُ فَلَا تَبْرُأُوا مِنْهُمْ وَ لَا تَخْرُجُوهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ ، أَوْ هِيَ الدَّرَجَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ : «هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> وَغَيْرُهُ .

## باب

### نسبة الاسلام

١ - عدّة من أصحابنا، عن أَحْمَدَ بْنَ مَعْلُونَ بْنَ خَالِدٍ، عن بعْضِ أَصْحَابِنَا رَفِعَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا نُسَبِّنُ الْإِسْلَامَ نَسْبَةً لَا يَنْسَبُهُ أَحَدٌ قَبْلِيًّا وَلَا يَنْسَبُهُ أَحَدٌ بَعْدِيًّا إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ، إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْعَمَلُ، وَالْعَمَلُ هُوَ الْأَدَاءُ، إِنَّ

### باب نسبة الاسلام

الحديث الأول : مرفوع .

«لَا نُسَبِّنُ الْإِسْلَامَ نَسْبَةً» يقال نسبت الرّجل كنصرت ، وقيل : وَ كضربت أَى ذَكَرَت نَسْبَتَهُ ، وَ المَرَادُ بِيَانِ الْإِسْلَامِ وَ الْكِتْشَفِ التَّامِّ عَنْ مَعْنَاهِ قَيْلٍ : مَلَّا كَانَ نَسْبَةً شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ يُوضَّحُ أَمْرُهُ وَ حَالُهُ وَ مَا يَؤْوِلُ هُوَ إِلَيْهِ أَطْلَقَ هُنَا عَلَى الإِيَاضَاحِ مِنْ بَابِ ذَكْرِ الْمَلْزُومِ وَ إِرَادَةِ الْلَّازِمِ .

وَ أَقُولُ : كَانَ الْمَرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا الْمَعْنَى الْأَخْصُّ مِنْهُ الْمَرَادُ بِالْإِيمَانِ كَمَا يُؤْمِنُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَ قَوْلُهُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى بِيَقِينِهِ فِي عَمَلِهِ ، وَ حَاصِلُ الْعِبْرِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالْأَنْقِيَادُ ، وَ الْأَنْقِيَادُ التَّامُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَقِينِ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ وَالْأَذْعَانُ الْكَاملُ بِالْأَصْوَلِ الْخَمْسَةِ أَوْ تَصْدِيقُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْأَنْمَةُ الْهَدَاةُ ، وَ التَّصْدِيقُ لَا يَظْهُرُ أَوْ لَا يَفْيِدُ إِلَّا بِالْأَقْرَارِ الظَّاهِرِيِّ ، وَ الْأَقْرَارُ التَّامُ لَا يَكُونُ أَوْ لَا يَظْهُرُ إِلَّا بِالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ شَهُودُ الْإِيمَانِ كَمَا مِنْهُ ، وَ الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ شَاهِدُ الْإِيمَانِ هُوَ أَدَاءُ مَا كَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لَا إِخْتِرَاعُ الْأَعْمَالِ وَ إِبْدَاعُهَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْمُبَتَدِعُهُ .

وَ الْأَدَاءُ اسْمُ الْمُصْدِرِ الَّذِي هُوَ التَّأْدِيَةُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْأَدَاءِ تَأْدِيَتِهِ

المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه ، إنَّ المؤمن يرى يقينه في عمله و الكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبر وإنكار

و اتصاله إلى غيره ، فيدل على أنَّ التعليم ينبغي أن يكون بعد العمل و أنَّه من لوازِم الإيمان ، فظُهر أنَّ العمل في بعضها حقيقىٌ و في بعضها مجازىٌ .

و قيل : أشار عليه السلام إلى أنَّ الإسلام و هو دين الله الذي أشار إليه جلَّ شأنه بقوله : «إنَّ الّذين عند الله الإسلام»<sup>(١)</sup> يتوقف حصوله على ستة أمور ، و العبارة لا تخلو من لطف وهو أنَّه جعل التصديق الذي هو الإيمان الخالص الحقيقىٌ بين ثلاثة وثلاثة ، و اشتراك الثلاثة التي قبله في أنَّها من مقتضياته وأسباب حصوله ، و اشتراك الثلاثة التي بعده في أنَّها من لوازمه و آثاره و ثمراته ، وبالجملة جعل التصديق الذي هو الإيمان وسطاً و جعل أول مراده الإسلام ثمَّ التسليم ثمَّ اليقين ، و جعل أول مراده من جهة المسببات الاقرار بما يجب الاقرار به ، ثمَّ العمل بالجوارح ، ثمَّ أداء ما افترض الله به ، انتهى .

«إنَّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه» كأنَّه بيان لما بين سبقاً و فرْدَه من أنَّ الإسلام لا يكون إلاً بالتسليم لأنَّمَة الهدى و الانقياد لهم فيما أمر وابه ونهوا عنه وأنَّه لا يكون ذلك إلاً بتصديق النبيٍ و الأئمة عليهم السلام و الاقرار بما صدر عنهم و أداء الاعمال على نهج ما يسمونه لأنَّ الإيمان ليس أمراً يمكن إختراعه بالرأي و النظر ، بل لابدَ من الأخذ عمن يؤدي عن الله .

«فالمؤمن يرى» على بناء المجهول أو المعلوم من باب الافعال «يقينه» بالرفع أو بالنصب «في عمله» بأنَّ يكون موافقاً لما صدر عنهم ولم يكن مأخوذاً من الآراء و المقايس الباطلة ، و الكافر بعكس ذلك «ما عرفوا» أي المخالفون أو المنافقون «أمرهم» أي أمور دينهم فروعاً و أصولاً فضلوا و أضلوا لعدم اتباعهم أنَّمَة

## الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة .

الهدى وأخذهم العلم منهم « فاعتبروا إنكار الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثة » المخالفة لحكمة الكتاب والسنة المبتنية على آرائهم الفاسدة ، و المخالفون داخلون في الأول أو في الثاني بل فيه ما حقيقة .

و أقول : روى السيد الرضي رضي الله عنه في نهج البلاغة جزءاً من هذا الخبر هكذا . و قال عليه السلام : لا نسبن الاسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلى ، الاسلام هو التسليم ، و التسليم هو اليقين ، و اليقين هو التصديق ، و التصديق هو الاقرار ، و الاقرار هو الاداء و الاداء هو العمل .

وقال ابن أبي الحديد : خلاصة هذا الفصل يقتضي صحة مذهب أصحابنا المعترلة في أن الاسلام و الإيمان عبارتان عن معنى واحد ، و أن العمل داخل في مفهوم هذه اللفظة ، ألا ترى جعل كل واحدة من اللفظات قائمة مقام الأخرى في إفاده المفهوم ، كما يقال : الميث هو الأسد و الأسد هو السبع ، و السبع هو أبو الحارث فلا شبهة أن الليث يكون أبو الحارث اي أن الاسماء متراوفة ، فاذا كان الأول المفظات الاسلام ، و آخرها العمل دل على أن العمل هو الاسلام ، و هكذا يقول أصحابنا أن تارك العمل أى تارك الواجب لا يسمى مسلماً ، فان قلت : كيف يدل على أن الاسلام هو الإيمان ؟ قلت : لأن كل من قال أن العمل داخل في مسمى الاسلام قال ان الاسلام هو الإيمان ، فان قلت : لم يصل عليه السلام كما نقوله المعترلة لأنهم يقولون الاسلام إسم واقع على العمل وغيره من الاعتقاد و النطق باللسان و هو عليه السلام جعل الاسلام هو العمل ؟ قلت : لا يجوز أن يزيد غيره لأن لفظ العمل يشمل الاعتقاد و النطق باللسان و حرکات الأركان بالعبادات إذ كل ذلك عمل و فعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب وبعضه من أفعال الجوارح ، و القول بأن الاسلام هو العمل بالأركان خاصة لم يقل به أحد ، انتهى .

و قال ابن ميمون : هذا قياس مفضول من كثيرون من قياسات طويت نتائجها و ينتهي

القياس الأول أنَّ الاسلام هو اليقين ، والثاني أُنْه التصديق ، والثالث أُنْه الاقرار ، والرابع أُنْه الاداء ، والخامس أُنْه العمل .

أمّا المقدمة الاولى فلأنَّ الاسلام هو الدخول في الطاعة و يلزمـه التسليم لله و صدق اللازم على مازرمه ظاهر ، و أمّا الثانية فلأنَّ التسليم الحق إِنْمَا يكون ممْنَ تيقُّن استحقاق المطاع للتسليم له فالـيـقـين من لوازـمـ التـسـلـيمـ للـهـ ، و أمّا الثالثة فلأنَّـ اليـقـينـ بـذـلـكـ هـسـتـلـزـمـ لـلـتـصـدـيقـ بـماـجـأـهـ بـهـ عـلـىـ لـسـانـ رـسـوـلـهـ مـنـ وجـوبـ طـاعـتـهـ ، فـصـدـقـ عـلـىـ اليـقـينـ بـهـ أـنـهـ تـصـدـيقـ لـهـ ، وـ أمـمـاـ الـرـابـعـةـ فـلـأـنـ التـصـدـيقـ للـهـ فـيـ وجـوبـ طـاعـتـهـ إـقـرـارـ بـصـدـقـ اللـهـ ، وـ أمـمـاـ الـخـامـسـةـ فـلـأـنـ الـاقـرـارـ وـ الـاعـتـرـافـ بـوـجـوبـ أـمـرـ يـسـتـلـزـمـ أـداءـ المـقـرـ "ـ المعـتـرـفـ مـاـ أـقـرـ بـهـ ، وـ كـانـ إـقـرـارـهـ اـدـاءـ لـازـمـاـ ، وـ السـادـسـةـ أـنـ أـداءـ مـاـعـتـرـفـ بـهـلـهـ مـنـ الطـاعـةـ الـوـاجـبـةـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ عمـلاـ ، وـ بـيـوـلـ حـاـصـلـ هـذـاـ التـرـتـيبـ إـلـىـ إـنـتـاجـ أـنـ الـاسـلـامـ هـوـ الـعـمـلـ اللـهـ بـمـقـضـيـ أـوـ اـمـرـهـ ، وـ هـوـ تـفـسـيرـ الـخـاصـةـ كـمـاـ سـقـ بـيـانـهـ ، اـنـتـهـيـ . وـ كـانـ "ـ مـاـ ذـكـرـنـاـ أـنـسـبـ وـ أـوـفـقـ .

وـ قـالـ الـكـيـدـرـيـ (ـرـهـ)ـ :ـ الـاسـلـامـ هـوـ التـسـلـيمـ يـعـنـىـ الـدـيـنـ هـوـ الـانـقـيـادـ لـلـحـقـ وـ الـإـذـعـانـ لـهـ ، وـ التـسـلـيمـ هـوـ الـيـقـينـ أـىـ صـادـرـ عـنـهـ وـ لـازـمـ لـهـ فـكـأـنـهـ هـوـ مـنـ فـرـطـ تـعـلـقـ بـهـ ، وـ الـتـصـدـيقـ هـوـ الـاقـرـارـ أـىـ إـقـرـارـ الـذـهـنـ وـ حـكـمـهـ ، وـ الـإـقـرـارـ هـوـ الـادـاءـ أـىـ هـسـتـلـزـمـ لـلـادـاءـ وـ شـدـيدـ الشـبـهـ بـالـعـلـمـ لـهـ ، لـأـنـ "ـ مـنـ تـيـقـنـ حـقـيـقـةـ الشـيـءـ وـ أـنـ "ـ مـصـالـحـهـ مـنـوـطـ بـفـعـلـهـ وـ مـفـاسـدـهـ هـتـرـقـبـةـ عـلـىـ تـرـكـهـ ، وـ كـانـ ذـلـكـ دـاعـيـاـ مـقـوـيـاـ لـدـاعـيـهـ عـلـىـ فـعـلـهـ غـاـيـةـ التـقوـيـةـ ، يـعـنـىـ مـنـ حـقـ الـمـسـلـمـ الـكـاملـ فـيـ إـسـلـامـهـ أـنـ يـجـمـعـ بـيـنـ عـلـمـ الـيـقـينـ وـ الـعـمـلـ الـخـالـصـ لـيـحـطـ "ـ رـحـلـهـ فـيـ الـمـحـلـ "ـ الـأـرـفـعـ ، وـ يـجـاـوـرـ الرـفـيقـ الـأـعـلـىـ .

وـ قـالـ الشـهـيدـ الثـانـيـ رـفـعـ اللـهـ درـجـتـهـ فـيـ رسـالـةـ حـقـائـقـ الـإـيمـانـ بـعـدـ اـيـرـادـ هـذـاـ الـكـلامـ مـنـ أـمـيرـ الـمؤـمنـينـ شـاهـدـهـ ماـ هـذـاـ لـفـظـهـ :ـ الـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ الـكـلامـ يـتـعـلـقـ بـأـمـرـيـنـ :ـ الـأـوـلـ :ـ مـاـ الـمـرـادـ مـنـ هـذـهـ النـسـبـةـ ؟ـ الـثـانـيـ :ـ مـاـ الـمـرـادـ مـنـ هـذـاـ الـمـسـوـبـ .

أعماً الأول ففقد ذكر بعض الشارحين أنَّ هذه النسبة بالتعريف أشبه منها بالقياس فعرف الاسلام بأنه التسليم لـه الدخول في طاعته ، وهو تفسير لفظ بلغة أعراف منه ، والتسليم بـأنه اليقين وهو تعريف بلازم مساواة إذا التسليم الحق إنما يكون ممتن تيقن صدق من سلم له واستحقاقه التسليم واليقين بـأنه التصديق أى التصديق الجازم المطابق البرهاني ، فذكر جنسه وبـه بذلك على حدَه أو رسمه ، والتصديق بـأنه الاقرار بالله ورسلمه وما جاء من البينات وهو تعريف لفظ بلغة أعرف ، والاقرار بـأنه الأداء ، أى أداء ما أقرَّ به من الطاعات وهو تعريف بـخاصة له ، والأداء بـأنه العمل وهو تعريف له بـبعض خواصه ، انتهى .

أقول : هذا بناءً على أنَّ المراد من الاسلام المعرف في كلامه للتثبت ما هو الاسلام حقيقة عند الله تعالى في نفس الأمر ، أو الاسلام الكامل عند الله تعالى أيضاً ، وإلاً فلا يخفى أنَّ الاسلام يكفى في تحققـه في ظاهر الشرع الاقرار بالشهادتين ، سواء علم من المفترـ التصديق بالله تعالى و الدخول في طاعته أم لا ، كما صرـحوا به في تعريف الاسلام في كتب الفروع وغيرـها ، فعلم أنَّ الحكم يكون تعريف الاسلام بالتسليم لـه «الـخ» تعريفاً لفظياً إنـما يتم على المـعنـي الأول وهو الاسلام في نفس الأمر أو الكامل ، ويمكن أن يقال أنَّ التعريف حقيقيٌ وذلك لأنَّ الاسلام لغـة هو مطلق الانقياد والتسليم ، فإذا قـيد التسلـيم بـكونـه للـله تعالى و الدخـول في طاعـته كان بيانـاً للمـاهـيـة التي اعتبرـها الشـارـع إسلامـاً ، فهو من قـبيل ما ذـكرـ جـنسـه وبـه على حدَه أو رـسمـه .

وأقول أيضاً : في جعلـه الاقرار بالـله تعالى «الـخ» تعريف لفظ بلـغـة أـعرـف للتـصدـيق بـحـث لا يـخفـي ، لأنَّ المرـاد من التـصدـيق المـذـكورـ هنا القـلبـيـ لا اللـسـائـيـ حيث فـسـرـه بـأنـه الجـازـمـ المـطـابـقـ «الـخ»ـ والـاقـرارـ المرـادـ منهـ الـاعـترـافـ بالـلـسـانـ إـذـ هوـ الـمـبـادرـ مـنـهـ ، وـ لـذـاـ جـعلـهـ بـعـضـهـ قـسـيـماًـ لـلـتـصدـيقـ فـيـ تـعـرـيفـ الـإـيمـانـ حيثـ قالـ :ـ هـوـ

التصديق مع الاقرار و حينئذ فيكون بين معنى المقطفين غاية المطابقة، فكيف يكون تعريف لفظ بلفظ ، اللهم إلا أن يراد من الاقرار بالله ورسوله مطلق الانقياد والتسليم بالقلب والسان على طريق عموم المجاز ، ولا يخفى ما فيه .

والذى يظهر لي أنه تعريف بلازم عرف "وذلك لأنّ" من أذن بالله ورسله وبسناتهم لا يكاد ينفك عن إظهار ذلك بلسانه فان" الطبيعة جبت على إظهار مضرمات القلوب كما دل عليه قوله ﷺ : ما أضر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وفلقates لسانه ، وإنما كان هذا الاقرار هنا مطلوباً للشارع مع كونه في حكم ما هو من مقتضيات الطبيعة ، نبأه ﷺ على أن" التصديق هو الاقرار مع تأكيد طلبها حتى كأن" التصديق غير مقبول إلا به أو غير معلوم للناس إلا به .

وَكَذَا أَقُولُ فِي جَعْلِهِ الْأَدَاءِ خَاصَّةً لِلْأَفْرَارِ فَإِنْ خَاصَّةً الشَّيْءُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ،  
وَالْأَدَاءُ قَدْ يَنْفَكُّ عَنِ الْأَفْرَارِ فَإِنَّ الْمُرادَ مِنَ الْأَدَاءِ هُنَّا عَمِلُ الطَّاعَاتِ وَالْأَفْرَارُ لَا  
يَسْتَلِزُ مِنْهُ .

ويمكن الجواب بأنه <sup>لابد</sup> أراد من الإقرار الكامل فكأنه لا يصير كلاماً حتى يردده بالأداء الذي هو العمل، وأما الثاني فقد علم من هذه النسبة الشارحة المنسوب أي المشروح هو الإسلام الكامل أو ما هو إسلام عند الله تعالى، بحيث لا يتحقق بدون الإسلام في الظاهر، وعلم أيضاً أن هذا الإسلام هو الإيمان، إما الكامل أو مالا يتحقق. فحقيقة المطلوبة للشارع في نفس الأمر إلا به، لكن الثاني لا ينطبق إلا على مذهب من قال بأن حقيقة الإيمان هو تصديق بالجذن وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وقد عرفت تزيف ذلك فيما تقدم وأن الحق عدم اعتبار جميع ذلك في أصل حقيقة الإيمان، لعم هو معتبر في كما له.

وعلى هذا فالمنسوب إن كان هو الاسلام الكامل كان الایمان والاسلام الكاملاً واحداً وأمّا الاصليان فالظاهر اتحادهما أيضاً ، مع احتمال التفاوت بينهما ، وإن كان

٢ - عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبد الرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الاسلام عريان ، فلباسه الحياة وذينته

هذا المنسوب ما اعتبره الشارع في نفس الامر إسلاماً لا غيره لزمه كون الإيمان أعمّ من الاسلام ، ولزمه ما تقدّم من الاستهجان فيحصل من ذلك أنّ الاسلام إماماً للإيمان أو أخصّ ، وأمّا عمومه فلم يظهر له من ذلك إحتمال إلا على وجه بعيد ، فليتأمل .

### الحديث الثاني : ضعيف بسنديه .

«الاسلام عريان» شبهه عليه السلام بـ جل ، والحياة بلباسه ، فكما أنّ اللباس يستر العورات والقبايع الظاهرة ، فكذلك الحياة يستر القبايع والمساوی الباطنة ، ولا يبعد أن يكون المراد بالاسلام المسلم من حيث أنه مسلم أو يكون اسناد العرى واللباس إليه على المجاز ، أي لباس صاحبه ، وكذا الفقرات الآتية تتحتملها فتفطئن .

«وزينته الوفاء» أي بعهود الله ورسوله وحججه وعهود الخلق ووعودهم ، وقيل ايفاء كل ذي حق حقه وافيأ ، « ومرءة العمل الصالح » المروءة بالضم مهموزاً وقد يخفف الهمزة فليشدّ الواو الإنسانية ، أي العمل بمقتضاه ، قال في القاموس : مرؤ ككرم مرءة فهو مريء أي ذو مرءة وإنسانية ، وفي المصباح المرءة آداب نفسانية تحمل مراعناتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات يقال : مرء الانسان فهو مريء مثل قرب فهو قريب ، أي صار ذا مرءة ، وقال الجوهري : وقد يشدّ د فيقال: مرءة ، انتهى .

والحاصل أنّ العمل الصالح من لوازم الاسلام وممّا يجعل الاسلام حقيقةً بأن يسمى إسلاماً كما أنّ المروءة من لوازم الانسان وممّا يصير به الانسان حقيقةً بأن يسمى إنساناً أو المسلم من حيث أنه مسلم مرءة العمل الصالح فلا يسمى مرءاً حقيقةً أو مسلماً إلا به .

الوقار و من وعنه العمل الصالح و عماده الورع . ولكلّ شيء أُسس ؛ و أساس الإسلام  
جَبِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليٍّ بن معيبد ، عن عبدالله بن القاسم ، عن  
مدرك بن عبد الرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله .

٣ - عَدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن حنبل ، عن عبدالعزيز بن عبدالله الحسني ،  
عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جده صلوات الله عليهم قال : قال أمير -  
المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله عليه السلام : إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِسْلَامَ فَجَعَلَ لَهُ عِرْصَةً وَجَعَلَ  
لَهُ نُورًا وَجَعَلَ لَهُ حَصْنًا وَجَعَلَ لَهُ نَاصِرًا فَأَمَّا عِرْصَتُهُ فَالْقُرْآنُ ، وَأَمَّا نُورُهُ فَالْحُكْمَةُ ،

« وَعِمَادُ الْوَرْعِ » العِمَادُ بِالْكَسْرِ مَا يُسَنِّدُ بِهِ وَعِمَادُ الْخِيمَةِ وَالسُّقُفِ مَا يُقَامُ بِهِ  
وَالحاصلُ أَنَّ ثَيَّباتَ الْإِسْلَامِ وَبِقَاؤُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ بِالْوَرْعِ أَيْ تَرْكُ الْمُحْرَمَاتِ بِالشَّبَّهَاتِ  
أَيْضًا كَمَا أَنَّ بِالْمُعَاصِي يَتَرَازِلُ بِلَيْزُولُ ، وَالْأَسْ "بِالْأَضْمَمِ" وَالْأَسَاسُ بِالْفَتْحِ : أَصْلُ  
الْبَنَاءِ وَأَصْلُ كُلّ شَيْءٍ ، وَالْأَسَاسُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ أَسْ " ، وَالحاصلُ أَنَّهُ كَمَا يَسْتَقِرُّ  
الْبَنَاءُ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِغَيْرِ أَسَاسٍ فَكَذَا الْإِسْلَامُ لَا يَتَحَقَّقُ وَلَا يَسْتَقِرُّ إِلَّا بِجَهْنَمِ الْمُلْزُومِ  
لِلقولِ بِوَلَايَتِهِمْ وَإِمَامَتِهِمْ ، فَانَّ مَنْ أَنْكَرَ حَقَّهُمْ فَهُوَ أَعْدَى عَدُوِّهِمْ .

وَقَوْلُهُ عليه السلام : جَبِنَا أَيْ حَبَّيْ وَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي ، وَيَحْتَمِلُ كَوْنَ الْفَقْرَةِ الْأُخْرَى  
كَلَامَ الصَّنَادِيقِ عليهم السلام ، لِكُنْهِهِ بَعِيدٌ .

الحاديـث الثـالـثـ : حـسنـ كـالـصـحـيـحـ بـلـ صـحـيـحـ عـنـيـ ، فـانـ عـبدـالـعـظـيمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـجـلـ مـنـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـوـثـيقـ .

« فَجَعَلَ لَهُ عِرْصَةً » العِرْصَةُ كُلُّ بُقْعَةٍ بَيْنَ الدَّوْرِ وَاسْعَةٌ لَيْسَ فِيهَا بَنَاءٌ ، وَالظَّاهِرُ  
أَنَّهُ عليه السلام شَبَّهَ الْإِسْلَامَ بِرَجْلٍ لَا بَدَارٌ كَمَا زَعَمَ ، وَشَبَّهَ الْقُرْآنَ بِعِرْصَةٍ يَجْوَلُ الْإِسْلَامَ  
فِيهِ ، وَشَبَّهَ الْحُكْمَةَ وَالْعِلْمَ الْحَقِيقَةَ بِسَرَاجٍ وَنُورٍ يَسْتَنِيرُ بِهِ الْإِسْلَامُ أَوْ يَبْصُرُ بِهِ صَاحِبُهِ  
فَانَّ بِالعلمِ يَظْهَرُ حَقَائِقُ الْإِسْلَامِ وَأَوْاعِرُهُ وَنَوَاهِيهِ وَأَحْكَامُهُ .

وَأَمَّا حُصْنُهُ فِي الْمَعْرُوفِ ، وَأَمَّا أَنْصَارُهُ فَإِنَّا وَأَهْلَ بَيْتِي وَشَيْعَتِنَا ، فَأُحِبُّوْا أَهْلَ بَيْتِي  
وَشَيْعَتِهِمْ وَأَنْصَارَهُمْ فَإِنَّهُ مَنْ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَنَسِّبَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
لِأَهْلِ السَّمَاءِ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ حُبِّيْ وَحُبَّ أَهْلَ بَيْتِي وَشَيْعَتِهِمْ فِي قُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ ، فَهُوَ  
عِنْهُمْ وَدِيعَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ هَبَطَ بِي إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَنَسِّبَنِي إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ  
فَاسْتَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُبِّيْ وَحُبَّ أَهْلَ بَيْتِي وَشَيْعَتِهِمْ فِي قُلُوبِ مُؤْمِنِي أُمَّتِي فَمَؤْمِنُوا  
أُمَّتِي يَحْفَظُونَ وَدِيعَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَلَا فَلَوْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي  
عَبْدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَرَهُ أَيْمَانَ الدُّنْيَا ثُمَّ لَقِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُبْغَضًا لِأَهْلِ بَيْتِي وَشَيْعَتِي  
مَا فَرَّجَ اللَّهُ صَدْرَهُ إِلَّا عَنِ النَّفَاقِ .

«وَأَمَّا حُصْنُهُ فِي الْمَعْرُوفِ» أي الاحسان أو ما عرف بالعقل والشرع حسنة، كما  
هو المراد في الأمر بالمعروف ، فانه بكل من المعنين يكون سبباً لحفظ الاسلام  
وبقائه وعدم تطرّق شياطين الانس والجن للخلل فيه ، أو المراد به الأمر بالمعروف  
فالتشبيه أظهر ، وأمّا كونهم عَلَيْهِمُ الْكِبَرُ وشعيتهم أنصار الاسلام فهو ظاهر وغيرهم يخربون  
الاسلام ويضيّعونه .

«فَنَسِّبَنِي» أي ذكر نسبي أو وصفني وذكر نبوّتي ومناقبي ، وأمّا ذكر نسبة  
لأَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأَيَّاتِ الَّتِي أُنْزِلَتْ لَهَا فِيهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَقِرُؤُهَا النَّاسُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
أَوْ ذَكْرِ فَضْلِهِ وَنَادِيَ بِهِ بِحِيثِ سَمِعَ مِنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ كُنْدَاءَ  
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحِجَّةِ ، وَقِيلَ : مَنْ أَوْجَبَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ فِي الْمَعْرَاجِ ، فَلَمَّا هَبَطَ  
عَلَيْهِمُ الْكِبَرُ عَلِمَهَا النَّاسُ وَكَانَ مِنْ أَفْعَالِهَا الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي التَّشْهِيدِ فَدَلَّهُمْ بِذَلِكَ  
عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ لَا نَهُ لَوْ كَانَ غَيْرَهُمْ أَفْضَلُ لِكَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ أُوجِبَ ،  
وَالْأَوْلَ أَظْهَرَ .

«ثُمَّ لَقِيَ اللَّهُ» أي عند الموت أو في القيامة ، وتفسير العَسْدِ كناية عن إظهار  
ما كان كامناً فيه على الناس في القيمة أو عن علمه تعالى به ، والأَوْلُ أَظْهَرَ .

## ﴿باب﴾

### [ خصال المؤمن ] (١)

١ - مُعَمَّدْ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُعَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ مُحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ ابْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الْمُلْكِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ثَلَاثَةَ قَالَ: يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَمَانِي خصالٌ: وَقُوَّرًا عَنْدَ الْهَزَاهِرِ، صَبُورًا عَنْدَ الْبَلَاءِ، شَكُورًا عَنْدَ الرُّخَاءِ،

### باب

لِّمَا كَانَتْ أَخْبَارُ هَذَا الْبَابِ مُتَقَارِبَةً الْمَضْمُونُ مَعَ الْبَابِ السَّابِقِ لِمَا يَعْنِيهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَذَكُورَ فِي الْبَابِ السَّابِقِ نَسْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَفِي هَذَا الْبَابِ نَسْبَةُ الْإِيمَانِ.

**الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ:** مِجْهُولٌ لَكُنْ سِيَّانِي هَذَا الْخَبَرُ بِعِينِهِ فِي بَابِ الْمُؤْمِنِ وَعِلَّاتِهِ وَصَفَاتِهِ عَنْ عَلَيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيِّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحْبُوبٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ غَالِبٍ وَهُوَ أَظَهَرَ، لِأَنَّ عَبْدَ الْمُلْكَ غَيْرُ مَذَكُورٍ فِي كِتَابِ الرُّجَالِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ الْأَسْدِيِّ الشَّاعِرِ تَقَهُّنُهُ مَعْرُوفٌ، فَالْخَبَرُ صَحِيحٌ هِيهَا وَفِيمَا سِيَّانِي حَسْنَ كَالصَّحِيحِ.

وَالْوَقُودُ فَعُولُ مِنَ الْوَقَادِ بِالْفَتْحِ وَهُوَ الْحَلْمُ وَالرِّزَاةُ، وَالْهَزَاهِرُ التَّحْرِيكُ، وَالْهَزَاهِرُ الْفَتْنَةُ الَّتِي يَفْتَنُ النَّاسَ بِهَا، أَيْ لَا يُعْرَضُ لَهُ شَكٌ عَنْدَ الْفَتْنَةِ الَّتِي تَصِيرُ سَبِيبًا لِشَكِّ النَّاسِ وَكَفَرِهِمْ.

«صَبُورًا عَنْدَ الْبَلَاءِ» الْبَلَاءُ إِسْمٌ مَا يَعْتَدُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرًّا، وَكُثُرَ إِسْتِعْمَالُهُ فِي الشَّرِّ وَهُوَ الْمِرَادُ هُنَا، وَالصَّبْرُ حَسْبُ النَّفْسِ عَلَى الْأَمْرَوْنَ الشَّافِعَةِ عَلَيْهَا، وَتَرْكُ الْإِعْتراضِ عَلَى الْمَقْدَرِ لَهَا وَدُمُّ الشَّكَايَةِ وَالْجَزْعِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ خصالِ الْإِيمَانِ «شَكُورًا عَنْدَ الرُّخَاءِ» الرُّخَاءُ النَّعْمَةُ وَالْخَصْبُ وَسْعَةُ الْعِيشِ، وَالشَّكْرُ الْاعْتِرَافُ

(١) هَذَا الْعَنْوَانُ غَيْرُ مُوجَدٍ فِي بَعْضِ النَّسْخِ.

قائعاً بمارزقه الله، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء ، بدننه منه في تعب والناس منه في راحة ، إنَّ العلم خليل المؤمن ، والحلل وزيره ، والعقل أمير جنوده ، والرُّفق

بالنسمة ظاهراً وباطناً ، ومعرفة المنعم وصرفها فيما أمر به ، والشكراً مبالغة فيه « قائعاً بما رزقه الله » أي لا يبعنه الحرص على طلب الحرام والشَّبهة ، وتضييع العمر في جمع ما لا يحتاج إليه « لا يظلم الأعداء » الغرض نفي الظلم مطلقاً ، وإنما خص « الأعداء بالذكر لأنَّهم مورد الظلم غالباً ، ولأنَّه يستلزم ترك ظلم غيرهم بالطريق الأولى .

« ولا يتحامل للأصدقاء » في القاموس : تحامل في الأمر وبه تكلفه على مشقة

وعليه كلفه ما لا يطيق ، فالكلام يتحتمل وجوهاً :

الاول : أنَّه لا يظلم الناس لأجل الأصدقاء .

الثاني : أنَّه لا يتحمل الوزر لأجلهم كأن يشهد لهم بالزور أو يكتم الشهادة لرعايتهم أو يسعى لهم في حرام .

الثالث : أن يراد به أنَّه لا يحمل على نفسه للأصدقاء ما لا يمكنه الخروج عنه .

« بدننه منه في تعب لاشغاله وإعراضه عن الرِّسْم والعادات ، وسعيه في إعانته المؤمنين » والناس منه في راحة « لعدم تعرُّضه وإعانته إياهم » إنَّ العلم خليل المؤمن « الخلة الصدقة والمحبة التي تخللت القلب ، فصارت خلاله أي في باطنها ، والخليل الصديق ، فعيلاً بمعنى فاعل ، وإنما كان العلم خليل المؤمن لأنَّه لا ينسفع بخليل انتفائه بالعلم في الدنيا والآخرة .

« والحلل وزيره » فإنه يعاونه في أمور دنياه وآخرته ، كمعاونة الوزير الناصح الملك « والعقل أمير جنوده » إذ جنوده في دفع وساوس الشياطين وصواتهم الأعمال الصالحة ، والأَخْلَاق الحسنة ، وكلُّها تابعة للعقل كما مرّ بيانه في باب جنود العقل « والرفق أخوه » أي اللَّذِين واللطف والمداراة مع الصديق والعدو ، وتمشية الأمور

أخوه، و البر والده .

٢ - على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن التوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عن أبيه بِلْقَطَلَة قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الإيمان لأركان أربعة : التوكّل على الله ، و تفويض الأمر إلى الله ، و الرضا بقضاء الله ، و التسليم لأمر الله

بتدبير وتأمّل بمنزلة الأخ له في أنه يصاحبه ولا يفارقه ، أو في إعانته وإصال النفع إليه « والبر » أي الاحسان إلى الوالدين أو إلى جميع من يستحق البر والده « أي بمنزلة والده في رعايته وإختياره على جميع الأمور أو في الانتفاع منه ، وكونه سبباً لحياته المعنوية .

الحديث الثاني : ضعيف على المشهور .

« له أركان أربعة » إنما جعلها بمنزلة الأركان لعدم استقرار الإيمان وثباته إلا بها « التوكّل على الله » أي الاعتماد عليه في جميع الأمور والمهمّات ، وقطع النظر عن الأسباب الظاهرة وإن كان يجب التوسل بها ظاهراً ، لكن من كمل يقينه بالله وأنه القادر على كل شيء وأنه المسبب للأسباب لا يعتمد عليها بل على مسبباتها « وتفويض الأمر إلى الله » أي في دفع الأعداء الظاهرة والباطنة ، كما فوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فوقفوا الله سيدات ما مكرروا .

ولأرباب أن هذا وما قبله مفترى عان على قوّة الإيمان بالله ، وبصائر ان سبباً أشدّه اليقين أيضاً « والرضا بقضاء الله » في الشدة والرخاء والعافية والبلاء ، وهذا أيضاً يحصل من الإيمان بكونه سبحانه مالك النفع العباد وضرّهم ، ولا يفعل بهم إلا ما هو الأصلح لهم وبصائر أيضاً سبباً لكمال اليقين .

« والتسليم لأمر الله » أي الانقياد له في كلّ ما أمر به ونهى عنه ولنبيه وأوصيائه فيما صدر عنهم من الأقوال والأفعال كما قال سبحانه : « فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت

عز وجل .

٣ - عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ تَمْمَنَ الْخَالِدِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ عَمْتَنَ ذَكْرَهُ ، عَنْ تَمْمَنَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَمْنَ بْنِ أَبِي لِيلَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَمْمَنَ قَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ صَالِحِينَ حَتَّى تَعْرُفُوا وَلَا تَعْرُفُونَ حَتَّى تَصْدِقُوا وَلَا تَصْدِقُونَ حَتَّى تَسْلَمُوا أَبْوَايَا أَرْبَعَةً لَا يَصْلَحُ أَوْلَاهَا إِلَّا بَآخِرِهَا ، ضَلَّ أَصْحَابُ الْثَّلَاثَةِ وَتَاهُوا تَيْهًا بَعِيدًا ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارُكُ وَتَعَالَى لَا يَقْبِلُ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِالشُّرُوطِ وَالْعَهْوُدِ ، وَمَنْ وَفِي اللَّهِ بِشَرْوَطِهِ وَاسْتَكْمَلَ مَا وَصَفَ فِي عَهْدِهِ نَالَ مَا عَنْهُ

وَيَسِّمُوا تَسْلِيماً<sup>(١)</sup> وَمُدْخِلِيَّةُ هَذِهِ الْخَصْلَةِ فِي الْإِيمَانِ وَكَمَا لَهُ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْبَيَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ .

**الحديث الثالث :** ضعيف وقد مضى بهذا السند بتغيير يسير في باب معرفة الامام والرد إليه من كتاب المحيجة وشرحناه هناك ونوضح هنا بعض التوضيح .

« حتَّى تعرُفوا » قيل : أَى إِمامَ الزَّمَانِ « حتَّى تَصْدِقُوا » أَى الْإِمَامِ ، وَتَعْدَهُ صادقاً فيما يقول « حتَّى تَسْلَمُوا أَبْوَايَا أَرْبَعَةً » قد مضى الكلام في الأبواب مفصلاً . وَقَالَ الْمُحَدِّثُ الْأَسْتَرِبَادِيُّ (ره) : إِشارةٌ إِلَى الْأَقْرَارِ بِاللَّهِ وَالْأَقْرَارِ بِرَسُولِهِ وَالْأَقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْأَقْرَارُ بِتَرَاجِعِهِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْأَقْرَارُ بِالْأَدْبَارِ ، وَالْتَّيْهُ : التَّحْيِيرُ وَالْذَّهَابُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُفْصَدِ ، يَقَالُ : تَاهَ فِي الْأَرْضِ إِذَا ذَهَبَ مُتَحِيرًا كَمَا فِي الْقَامُوسِ . « إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرُ الْعِبَادَ » تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْلَى سَابِقًا ، وَبِيَانِ الْأَبْوَابِ وَالشُّرُوطِ وَالْعَهْوُدِ الْمُذَكُورَةِ ، وَالْمَنَارُ جَمْعُ مَنَارَةٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، يَعْنِي مَوْضِعَ النُّورِ وَمِحْلِهِ ، وَقَيلَ : كَنْتَيْ بِالْمَنَارِ عَنِ الْأَئْمَةِ فَانْهَا صِيغَةُ جَمْعِ عَلَى مَاصِرٍ حَبَّ بِهِ إِنَّ الْأَئِمَّةِ فِي نَهَايَتِهِ ، وَيَتَقَوَّى إِنَّهُ فِيمَا أَمْرَهُ عَنِ الْاِهْتِدَاءِ إِلَى الْإِمَامِ وَالْأَقْدَاءِ بِهِ وَبِإِيَّانِ أَبْوَابِهَا عَنِ الدُّخُولِ فِي الْمَعْرِفَةِ مِنْ جِهَةِ الْإِمَامِ ، انتهى .

(١) سردة النساء : ٥٤ .

وَاسْتَكْمَلَ وَعْدُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطَرِيقِ الْهُدَىِ، وَشَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ،  
وَأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ، فَقَالَ: «وَإِنِّي لِفَقَارٌ مِّنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا نَّمِّ اهْتَدَى»<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ: «إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَسَعِينَ»<sup>(٢)</sup> فَمِنْ أَنْقَىِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَمْرَهُ لِفِي اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ مُؤْمِنًا بِمَا جَاءَ بِهِ شَهِيدٌ مُّؤْمِنٌ هِيَهَا هِيَهَا فَاتَّ قَوْمٌ وَمَا تَوَافَّ قَبْلَ أَنْ يَهْتَدُوا  
وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ آمَنُوا، وَأَشَرَّ كَوَا مِنْ حِيثُ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُ مِنْ أُنْتِ الْبَيْوتَ مِنْ أُبُوبَاهَا  
اهْتَدَى وَمِنْ أَخْذِهِ فِي غَيْرِهَا سَلَكَ طَرِيقَ الرَّدِّيِّ، وَصَلَ اللَّهُ طَاعَةً وَلِيُّ أَمْرَهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ  
وَلَاهُ شَفَاعَةٌ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بِطَاعَتِهِ، فَمِنْ تَرْكِ طَاعَةِ وَلَاهِ الْأَمْرِ لَمْ يَطْعِنِ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ وَهُوَ  
إِقْرَارٌ بِمَا نَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالْتَّمَسُوا الْبَيْوتَ الَّتِي

«وَاسْتَكْمَلَ وَعْدُهُ» اَى استحقَّ وَعْدَهُ كَاملاً كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

«مَاتَ قَوْمٌ» فِيمَا مَضِيَ: فَاتَّ قَوْمٌ، وَهُوَ أَظَهَرُ أَىٰ فَاتَّوْا عَنَّا وَلَمْ يَبَايِعُونَا أَوْ  
مَا تَوَافَّ، فَالثَّانِي تَأْكِيدٌ «مِنْ أُنْتِ الْبَيْوتَ» أَىٰ بَيْوتُ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْحَكْمَةِ «مِنْ  
أُبُوبَاهَا» وَهُمُ الْأَئُمَّةُ أَئُلَّا، إِشَارَةٌ إِلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَتَوْا الْبَيْوتَ مِنْ  
أُبُوبَاهَا»<sup>(٤)</sup> وَصَلَ اللَّهُ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِ  
الْأَمْرِ مِنْكُمْ»<sup>(٥)</sup> وَقَوْلُهُ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٦)</sup> وَقَوْلُهُ: «وَمَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ  
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»<sup>(٧)</sup>.

«خُذُوا زِينَتَكُمْ» إِمَّا بِيَانِ مَا نَزَّلَ أَوْ إِسْتِيَنَافٍ، وَأَوْلَى أَلْكَلَّا الزِّينَةِ بِمَعْرِفَةِ  
الْإِمَامِ، وَالْمَسْجِدِ بِمَطْلُقِ الْعِبَادَةِ، وَالْبَيْوتِ بِبَيْوَتِ أَهْلِ الْعَصْمَةِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالرُّجَالُ  
بِهِمْ أَلْكَلَّا، وَالْمَرْأَاتُ بَعْدِ إِلَهَائِهِمُ التَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَجْمِعُونَ بَيْنَ ذِيْنِ

(٢) سورة المائدة: ٢٧.

(١) سورة طه: ٨٢.

(٤) سورة البقرة: ١٨٩.

(٣) سورة البقرة: ٤٠.

(٦) سورة النساء: ٦.

(٥) سورة النساء: ٥٩.

(٧) سورة النساء: ٨٠.

أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه، فإنه قد خبركم أنهم رجال لاتلهم بهم تجارة ولا يبع عن ذكر الله عزوجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار، إن الله قد استخلص الرسل لا مره، ثم استخلصهم مصدقين لذلك في نذرها، فقال : « وإن من أمة إلا خلافتها نذير »<sup>(١)</sup> ناه من جهل واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عزوجل يقول : « فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور »<sup>(٢)</sup> وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم ينذر؟ اتبعوا رسول الله ﷺ وأقرعوا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة .

وذا، لأنهم يتركونهما رأساً كما ورد النص عليه في خبر آخر .

قوله ﷺ : ثم استخلصهم الضمير راجع إلى ولادة الأمر، وذلك إشارة إلى الأمر، أي استخلص واصطفى الأوصياء حال كونهم مصدقين لا من الرسالة في النذر وهم الرّسل فقوله : في نذرها متعلق بقوله : مصدقين ، ويحتمل أن يكون في نذرها أيضاً حالاً أي حال كونهم مندرجين في النذر، ويمكن أن يكون ضمير استخلصهم راجعاً إلى الرّسل أي ثم بعد إرسال الرّسل استخلصهم وأمرهم بأن يصدقوه أمر الخلافة في النذر بعدهم وهم الأوصياء ﷺ ، وقيل : ثم للترافق في الرتبة دون الزمان، يعني وقع ذلك الاستخلاص لهم حال كونهم مصدقين لذلك الاستخلاص في سائر نذرها أيضاً بمعنى تصديق كل منهم لذلك في الباقي .

واستشهد على استمرارهم في الإنذار بقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلافتها نذير » ثم يبين وجوب النذير ووجوب معرفته بتوقف الاهتداء على الأبصار، وتوقف الأبصار على الإنذار، وتوقف الإنذار على وجود النذير ومعرفته، وأشار آثار الهدى إلى الأئمة ﷺ ، وفي بعض النسخ أتبعوا آثار الهدى بتقديم الموحدة

(١) سورة الفاطر : ٢٤ .

(٢) سورة الحج : ٤٦ .

والتحقى ، واعلموا أنّه لو أنكر رجلٌ عيسى بن مريم عليه السلام وأقرَّ بمن سواه من الرسال لم يؤمّن ، اقتضوا الطريق بالتماس المتناد ، والتمسوا من وراء الحجب الآثار ، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربّكم .

٤ - عنه ، عن أبيه ، عن سليمان الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا ، عن أبيه عليه السلام قال : رفع إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم قومٌ في بعض غزواته فقال : من القوم ؟ فقالوا : مؤمنون يارسول الله ، قال : وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر

### على المتنّة والغين المعجمة .

وبه بقوله : لو أنكر رجل عيسى عليه السلام ، على وجوب الإيمان بهم جمِيعاً من غير تخلّف عن أحد منهم ، ثم كرر الوصيّة بالافتداء بهم معللاً بأئمّهم منار طريق الله وأمر بالتماس آثارهم إن لم يتيسّر الوصول إليهم .

### الحديث الرابع : صحيح .

« رفع إلى رسول الله » كمنع على البناء المعلوم أى أسرعوا إليه أو على بناء المجهول أى ظهر وا ، فإنّ الرفع ملزوم للظهور ، و قال في المصباح : رفعته أذته ، ومنه رفعت على العامل رفيعة ، ورفع البعير في سيره أسرع ، ورفعته أسرعت به يتعدّى ولا يتعدّى ، انتهى .

وقال الكرماني في شرح البخاري : فيه فرفة لناصخة ، أى ظهرت لا بصارنا ، وفيه : فرفع لي البيت المعمور ، أى قرب وكشف ، انتهى ..  
ويمكن أن يقُرَأ بالدال ، ولكن قد عرفت أنّه لاحاجة إليه ، قال في المصباح : دفعت إلى كذا بالبناء للمفعول : انتهيت إليه .

« من القوم » أى من أى صنف من الناس أنتم ؟ « قالوا . مؤمنون » أى نحن مؤمنون « وما بلغ من إيمانكم » ؟ من تبعيضة أى بأى حدّ بلغ ، أو زايدَة أوسبيّة أى ما يلفكم ووصل إليكم بسبب إيمانكم ، أو البلوغ بمعنى الكمال و من للتبعيض أى ما كمل من صفات إيمانكم « حلماء » أى هم حلماء من الحلم بالكسر بمعنى العقل ،

عند الرّّحْمَةِ خَاءَ، وَالرّّحْمَةُ حَنَّا بِالْفَضَّاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ حَلَّمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنَ الْفَقَدِ  
أَنْ يَكُونُوا أَنْبِياءً، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَصْفُونَ، فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ وَلَا تَجْمِعُوا مَا لَا  
كَلُونَ وَاتَّقُوا اللّٰهُ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ.

### ﴿باب﴾

١ - عَلَيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ؛ وَمُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَىٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَعْلُوْنَ، عَنْ عَيْسَىٌ؛  
وَعَنْ أَبِيهِ مِنْ أَجْيَادِهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمَدٍ، عَنْ خَالِدٍ جَمِيعًا، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ  
يَعْثُوبِ السَّرَّاجِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَبَأْسَانِيدِ مِنْ خَلْقِهِ، عَنِ الْأَصْبَحِ بْنِ  
بَيْنَةَ قَالَ: خَطَبْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَارِهِ - أَوْ قَالَ: فِي الْقَصْرِ - وَنَحْنُ مجَمِعُونَ،  
نَمَّا أَمْرُ صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِ فَكَتَبَ فِي كِتَابٍ وَقَرَأَ عَلَى النَّاسِ. وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّ ابْنَ

أَوْ عَدَمِ الْمِبَارَةِ عَنْدِ الْغَضَبِ «مَا لَا تَسْكُنُونَ» أَيْ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا اخْتَرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ  
الْمَسْكِنِ، وَكَذَا «لَا تَجْمِعُوا» مَا لَمْ تَدْعُكُمُ الْفَرْوَرَةَ لِلأَكْلِ إِلَيْهِ وَيُمْكِنُ تَعْمِيمُ الْأَكْلِ  
بِحِيثِ يَشْكُلُ سَائِرَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ كَفَوْلَهُ تَعَالَى: « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِيَنْكُمْ »<sup>(١)</sup>  
أَوْ خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ لَا نَهَا مَعْدَةً مَطَالِبَ الرَّاغِبِينَ فِي الدُّنْيَا.  
« وَاتَّقُوا اللّٰهَ » الْخَ، لِمَّا كَانَتْ تِلْكَ الصَّفَاتُ يَقْضِي الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقْوِيَّةَ  
حَثِّهِمْ فِي تَلْكَ الْمَقْرَاتِ عَلَيْهِمَا .

### باب

إِنَّمَا لَمْ يَعْنُونَ لَا نَهَا مِنْ تَمْمَةِ الْبَابِينِ السَّابِقِينِ، وَإِنَّمَا أَفْرَدَهُ لَا نَهَا فِيهِ نَسْبَةٌ  
إِلَيْهِمَا وَالاسْلَامُ مَعَّاً أَوْ لَا نَهَا فِيهِ مَدْحُ الاسْلَامِ وَفَضْلُهِ لَا صَفَاتَهُ .

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: صَحِيحُ بْلَهُ ثَلَاثَةُ أَحَادِيثُ حَسْنٍ وَصَحِيحِ حَيْثَانٍ، بَلْ ادْعُى  
اسْتَفْاضَتَهُ بَلْ تَوَاتَرَهُ لِفَوْلَهُ بِأَسَانِيدٍ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْأَصْبَحِ .

وَقَوْلُهُ: وَرَوَى غَيْرُهُ أَيْ غَيْرِ الْأَصْبَحِ، وَعَبْدَ اللّٰهِ بْنِ الْكَوَافِهِ كَانَ مِنَ الْخَوارِجِ  
« فَكَتَبَ » فِي كِتَابٍ « وَقَرَأَ » فِي الْمَجَالِسِ كَلَا الفَعْلِينَ مَجْهُولٍ، وَإِنَّمَا أَمْرُ التَّشْهِيرِ

(١) سورة البقرة: ١٨٨ .

الكتّاب سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والاعياد والكفر والنفاق ، فقال : أَمَّا بعد فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ وَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ مِنْ وَرَدَهُ ، وَأَعْزَّ أَرْكَانَهُ مِنْ حَارِبَهُ وَجَعَلَهُ عَزًّا مِنْ تَوْلَاهُ وَسَلَمًا مِنْ دَخْلَهُ وَهَدِيَ مِنْ ائْتِمَّ بِهِ وَزِينَةَ مِنْ

والمبالغة على الضبط ، لكثره فوائد واهتمام بأخذها .

«أَمَّا بعد» اي بعد الحمد والصلوة «فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» وفي نهج البلاغة ومن خطبة له عليه السلام : «الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهّل شرائعه من ورده» الشرع والشريعة يفتحهما ما شرع الله لعباده من الدين ، أي سنة وافتراضه عليهم ، وشرع الله لنا كذا أي أظهره وأوضحه ، والشريعة مورد الابل على الماء الجارى ، وكذلك المشرعة ، قال الاذهرى : وتسمى بها العرب مشرعة إلا إذا كان الماء غير منقطع كماء الأنهر ، ويكون ظاهرًا معيناً ولا يستقى منه برشاء فإذا كان من ماء الأمطار فهو الكرع بفتحتين ، ووردت الماء كوعدت إذا أحضرته لتشرب ، وقيل : الشريعة مورد الشاربة ، ويقال : لما شرع الله تعالى لعباده إذ به حياة الأبدان .

«وَأَعْزَّ أَرْكَانَهُ مِنْ حَارِبَهُ» وركن الشيء جانبه أو الجانب الأقوى منه ، والعز والمقدرة ، وما يتقوى به من ملوك وجند وغيره كما يستند إلى الركن من الحائط عند الضعف ، والعز القوة والشدة والغلبة ، وأعزه أي جعله عزيزاً أي جعل أصوله وقواعديه أو دلائله وبراهينه قاهرة غالبة متقدمة قوية من أراد محاربتهم اي هدمه وتضييعه ، وقيل : محاربتهم كنایة عن محاربة أهله ، وفي بعض النسخ جأربه كسئل بالجيم والهمز اي استغاث به ولجا إليه ، وفي النهج على من غالبه ، أي حاول أن يغلبه ولهذه أظهر ، وفي تحف العقول : على من جانبه .

«وَجَعَلَهُ عَزًّا مِنْ تَوْلَاهُ» اي جعله سبباً للعز و الرفعة والغلبة . مِنْ أَحْبَبَهُ وجعله ولية في الدنيا من القتل والأسر والنهب والذلة ، وفي الآخرة من العذاب والخزي ، وفي مجالس الشیخ : مِنْ وَالاه ، وفي النهج مكانه : فيجعله أمناً مِنْ عَلْقَهَا نشب واستمسك به «وَسَلَمًا مِنْ دَخْلَهُ» والسلام بالكسر كما في النهج وبالفتح أيضاً

تجلله وعذراً من انتحشه وعروة ملن اعتمض به وحبلاً من استمسك به وبرهاناً ملن

الصالح ، ويطلق على المصالح أيضاً بالتحريك الاستسلام إذ من دخله يؤمن من المحاربة والقتل والأسر «ملن تجلله» كأنه على الحذف والإصال أي تجلل به أو علاه الاسلام وظهر عليه ، أو أخذ جلاله وعمدته ، قال الجوهرى : تجليل الفرس أن تلبسه الجلل وتجلله اي علاه وتجلله اي أخذ جلاله ، انتهى .

وربما يفرد بالحاء المهملة ويفسر بأن جعله حلة على نفسه ، ولا يخفى ما فيه ، وفي المجالس والتحف ملن تحلى به وهو أظهر .

«وعذراً ملن انتحشه» الانتحال أخذنه تحلة ودينناً ويطلق غالباً على ادعاء أمر لم يتتصف به ، فيلبي الثاني المراد أنه عذر ظاهراً في الدنيا ويجري عليه أحكام المسلمين وإن لم ينفعه في الآخرة ، وفي التحف : ودينناً ملن انتحشه ، والعروة من الدلو والكوز المقبض ، وكل ما يتمسك به شبهة الاسلام تارة بالعروة التي في الجبل يتمسك بها في الارتفاع إلى مدارج الكمال والنجاة من مهاوى المحيرة والضلال كما قال تعالى :

«فقد استمسك بالعروة الونقى لانفصام لها»<sup>(١)</sup> وقاربة بالجبل المتن يصعب بالتمسك به إلى درجات المقرر بين الجبل يطلق على الرسن وعلى العهد وعلى الذمة وعلى الأمان والكل مناسب ، وقيل : شبهه بالعروة لأن من أخذ بعروة الشيء كالجوز مثلاً ملك كلّه ، وكذلك من تمسك بالاسلام استولى على جمع المخارات ، وفي المجالس والتحف «وعصمة ملن اعتمض به وبرهان ملن تكلم به» البرهان الحجّة والدليل أي الاسلام إذا أحاط الانسان بأصوله وفروعه يحصل معه براهين ساطعة على من انكرها إذ لا تحصل الاحاطة التامة إلا بالعلم بالكتاب والسنّة وفيهما برهان كل شيء ، وفي النهج قبل هذه الفقرة قوله : وسلمًا ملن دخله ، وليس فيه الفرات المتوسطة قوله : شاهداً «الغ» قبل قوله : ونوراً ملن استضاء به ، شبهه بالشجر للإهتداء به إلى طريق النجاة ، ورشحه بذلك الاستضاءة .

تكلّم به ونوراً ملن استضاء به وعوّناً ملن استفأث به و شاهداً ملن خاصم به و فلنجاً ملن حاجّ به وعلمـاً ملن وعـاه وحدـيـثـاً ملن روـى وحـكـمـاً ملن قـضـى ، وـحـلـمـاً ملن جـرـبـاً وـلبـاسـاً

« و شاهداً ملن خاصم به » إن باشتماله على البراهين الحقيقة يشهد بحقيقة من خاصم به « و فلنجاً ملن حاجّ به » الفلاح بالفتح الظافر و الفوز الكامل لاج ، و الإسم بالضمّ و المحاجة المغالبة بالحججّ « و علمـاً ملن وعـاه » أى سبباً لحصول العلم و إن كان مسبباً عنه أيضاً في الجملة ، إذ العلم به يزداد و يتكمّل « و حدـيـثـاً ملن روـى » أى يتضمّن الاـحـاطـةـ بالـاسـلامـ أحـادـيـثـ وـأـخـبـارـاًـ مـنـ أـرـادـ روـايـتهاـ . فـفيـ الفـقـرـةـ السـابـقـةـ حـثـ عـلـىـ الدـرـایـةـ ، وـفـيـ هـذـهـ الفـقـرـةـ حـثـ عـلـىـ الرـوـاـيـةـ « وـحـكـمـاًـ مـنـ قـضـىـ » أـىـ يـتـضـمـنـ مـاـبـهـ يـحـكـمـ بـيـنـ اـمـتـخـاصـمـيـنـ مـنـ قـضـىـ بـيـنـهـمـاـ « وـحـلـمـاًـ مـنـ جـرـبـ »ـ الـحـلـمـ بـمـعـنـىـ الـعـقـلـ أـوـ بـمـعـنـىـ الـأـنـاءـ وـتـرـكـ السـفـهـ وـكـلـاهـمـاـ يـحـصـلـانـ بـاخـتـيـارـ الـاسـلامـ وـتـجـربـةـ ماـ وـرـدـ فـيـهـ مـنـ الـمـوـاعـظـ وـالـأـحـكـامـ ، وـاـخـتـصـاصـ التـجـربـةـ بـالـاسـلامـ لـأـنـ »ـ مـنـ سـفـهـ وـبـادـرـ بـسـبـبـ غـضـبـ عـرـشـ لـهـ يـازـمـهـ فـيـ دـيـنـ الـاسـلامـ أـحـكـامـ مـنـ الـاحـدـ وـالـتـعـزـيزـ وـالـقـصـاصـ مـنـ جـرـبـ بـهـ وـاعـتـبـرـ بـهـ تـحـمـلـهـ التـجـربـةـ عـلـىـ الـعـفـوـ وـالـصـفـحـ وـعـدـ الـاتـقـامـ لـاـ سـيـّـماـ مـعـ تـذـكـرـ الـعـقوـبـاتـ الـأـخـرـوـةـ عـلـىـ فـعـلـهـاـ ، وـأـمـتـهـنـاتـ الـجـاـيلـةـ عـلـىـ تـرـكـهـاـ وـكـلـ »ـ ذـلـكـ يـظـهـرـ مـنـ دـيـنـ الـاسـلامـ .

« وـلـبـاسـاًـ مـنـ تـدـبـرـ »ـ أـىـ لـبـاسـ عـافـيـةـ مـنـ تـدـبـرـ فـيـ الـعـوـاقـبـ أـوـ فـيـ أـوـامـرـهـ وـنـوـاهـهـ بـتـقـرـيبـ هـامـرـ »ـ أـوـ لـبـاسـ زـيـنةـ ، وـالـأـوـلـ أـظـهـرـ وـقـدـ يـقـرـ »ـ تـدـبـرـ بـالـشـاءـ الـمـئـلـةـ أـىـ لـبـسـ وـجـلـهـ مـشـمـلاًـ عـلـىـ نـفـسـهـ كـالـدـنـارـ وـهـوـ تـصـحـيفـ لـطـيـفـ ، وـفـيـ النـهـجـ وـالـكـتـابـيـنـ وـلـبـاًـ مـنـ تـدـبـرـ وـالـلـبـ »ـ بـالـضمـ »ـ الـعـقـلـ وـهـوـ أـصـوبـ »ـ وـفـهـمـاـ مـنـ تـفـطـنـ »ـ الـفـهـمـ الـعـلـمـ وـجـوـدـةـ تـهـيـئـ الـذـهـنـ بـقـبـولـ مـاـ يـرـدـ عـلـيـهـ ، وـالـفـطـنـةـ الـحـذـقـ وـالـتـفـطـنـ طـلـبـ الـفـطـانـهـ أـوـ إـعـمالـهـ ، وـظـاهـرـ أـنـ »ـ الـاسـلامـ وـالـإـنـقـيـادـ لـلـرـسـوـلـ وـالـأـئـمـةـ ئـلـيـلـاـ يـصـيرـ سـبـبـاـ لـلـعـلـمـ وـجـوـدـةـ الـذـهـنـ مـنـ أـعـمـلـ الـفـطـنـةـ فـيـمـاـ يـصـدـرـ عـنـهـمـ مـنـ الـمـعـارـفـ وـالـحـكـمـ ، وـفـيـ الـمـجاـلـسـ مـنـ فـطـنـ . وـيـقـيـنـاًـ مـنـ عـقـلـ »ـ أـىـ يـصـيرـ سـبـبـاـ لـحـصـولـ الـيـقـيـنـ مـنـ تـفـكـرـ وـتـدـبـرـ يـقـالـ :

لَمْ تَدْبِرْ وَفَهْمًا لَمْ تَنْطِلْ وَيَقِينًا لَمْ عُقِّلْ وَبَصِيرَةً لَمْ عُزِّمْ وَآيَةً لَمْ تُوَسَّمْ وَعِبْرَةً لَمْ اتَّسْطَعْ وَنِجَاهَةً لَمْ صَدَقْ وَتَؤَدَّةً لَمْ أَصْلَحْ وَذَلِكَ لَمْ اقْرَبْ وَثِقَةً لَمْ تُوَكَّلْ وَرَخَاءً لَمْ

عَقْلَتْ الشَّيْءَ عَقْلًا كَضَرَتْ إِذْ تَدْبِرْ تَهْ، وَعَقْلَ كَعْلَمَ لَغَةَ فِيهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِمِنْ عَقْلِ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعُقْلِ وَهُوَ قُوَّةٌ بِهَا يَكُونُ التَّمِيزُ بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْقَبِيْحِ، وَقِيلَ: غَرِيْزَةً يَتَهِيْأُ بِهَا الْإِنْسَانُ لِفَهْمِ الْخُطَابِ، وَفِي النَّهَجِ مَكَانُ الْفَقْرَتَيْنِ: وَفَهْمًا لَمْ عُقِّلْ عَوْنَى وَبَصِيرَةً لَمْ عُزِّمْ» وَقَالَ الرَّاغِبُ: يَقَالُ: لَفْوَةُ الْقَلْبِ الْمَدْرَكَةُ بَصِيرَةٌ وَبَصَرٌ، وَمِنْهُ: «أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ»<sup>(١)</sup> إِذْ عَلَى مَعْرِفَةٍ وَتَحْقِيقٍ، وَقُولُهُ: نِبَرَةٌ، أَيْ تَبْصِيرًا وَتَبْيَيْنًا يَقَالُ: بَصَرٌ تَهْ تَبْصِيرًا وَتَبَصَرَةً، كَمَا يَقَالُ: ذَكْرٌ تَهْ ذَكِيرًا وَتَذَكَّرَةً، وَقَالَ: الْعَزْمُ وَالْعَزِيْمَةُ عَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى إِمْضَاءِ الْأَمْرِ يَقَالُ: عَزَّمْتَ الْأَمْرَ وَعَزَّمْتَ عَلَيْهِ وَاعْتَزَمْتَ، اتَّهَىْ . أَيْ تَبَصَرَةً لَمْ عُزِّمْ عَلَى الطَّاعَةِ كَيْفَ يَؤَدِّيْهَا أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَمْرَوْرِ، فَانْ<sup>(٢)</sup> فِي الدِّينِ كِيْفِيَّةُ الْمُخْرَجِ فِي جَمِيعِ أَمْرَوْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَيْضًا مِنْ كَانَ ذَادِينَ لَا يَعْزِمُ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْبَصِيرَةِ .

«وَآيَةً لَمْ تُوَسَّمْ» أَيِّ الْإِسْلَامِ مُشْتَمِلٌ عَلَى عَلَامَاتِ لَمْ تَفَرُّسْ وَنَظَرَ بِنُورِ الْعِلْمِ وَيَقِينٌ إِشَارَةً إِلَى قُولِهِ تَعَالَى: «إِنْ<sup>(٣)</sup> فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِلْمُتَوَسِّمِينَ»<sup>(٤)</sup> قَالَ الرَّاغِبُ: الْوَسْمُ التَّأْثِيرُ وَالسَّمْةُ الْأَثْرُ، قَالَ تَعَالَى: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السَّجْدَوْرِ»<sup>(٥)</sup> وَقَالَ: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهِمْ»<sup>(٦)</sup> وَقُولُهُ تَعَالَى: «إِنْ<sup>(٧)</sup> فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» أَيِّ الْمُعْتَبِرِيْنَ الْعَارِفِيْنَ الْمُتَفَطِّنِيْنَ وَهَذَا التَّوْسِمُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ قَوْمُ الذَّكَاءِ، وَقَوْمُ الْفَطْنَةِ وَقَوْمُ الْفَرَاسَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: اتَّقُوا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ يَنْظَرُ بِنُورِ اللَّهِ وَتُوَسِّمَتْ تَعْرِفَتِ السَّمْمَةِ .

«وَعِبْرَةً لَمْ اتَّسْطَعْ» الْعِبْرَةُ بِالْكَسْرِ مَا يَتَسْعَطُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَبِرُهُ لِيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَالْأَتَّسْطَعَ قَبْوِ الْوَعْظِ «وَنِجَاهَةً لَمْ صَدَقْ» بِالْتَّشْدِيدِ وَيَحْتَمِلُ التَّخْفِيفَ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ مِنْ صَدْقِ نِجَا، وَالْأَوْقَلُ هُوَ الْمُضْبُطُ فِي نِسْخَ النَّهَجِ «وَتَؤَدَّةً»

(٢) سورة الحجر: ٥٧.

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

\* \* \* \* \*

كهمزة بالهمز «من أصلح» في القاموس: التؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزامة والثانية وقد تاد و تؤاد ، وفي المصباح : ائتد في مشيه على افتعل ائداداً ترافق ولم يتعجل ، وهو يمشي على تؤدة وزان رطبة وفيه تؤدة اي ثبّت ، وأصل الناء فيها او او ، انتهى. اي يصير الاسلام سبب وقار و رزامة من أصلح نفسه شرائعه و قوانينه ، أو أصلح أمره بالثانية أو يتأني في الاصلاح بين الناس أو بينه وبين الناس ، وفي بعض النسخ مودة و هو بالأَخِير أنساب ، وفي المجالس و مودة من الله من أصلح ، وفي التحف و مودة من الله من صلح ، اي يوده الله أو يلقى حبه في قلوب العباد كما قال سبحاته : «إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنَ وَدَآ»<sup>(١)</sup> . «وزلفي من اقرب» الزلفي كحلبي القرب و المنزلة و الخطوة ، و الاقتراب الدُّنُو و طلب القرب ، و كأنَّ المعنى: الإسلام سبب قرب من الله تعالى من طلب ذلك بالأعمال الصالحة التي دل عليها دين الاسلام و شرائعه ، وفي بعض النسخ متن إقترنت اي معه ولم يفارقه و كأنه تصحيف ، وفي المجالس والتحف : من ارتفع اي انتظر الموت او رحمة الله او حفظ شرائع الدين ، و ترصد مواقتها ، في القاموس: الرقيب : الحافظ و المتنظر و المعاشر ، و رقبه انتظره كترقبه و ارتفقه ، و الشيء حرسه كراقبه مراقبة و ارتفق أشرف و علا .

«وثقة من توكل» الثقة من يؤتمن ويعتمد عليه، يقال: وثبتت به أثقة بكسرهما ثقة ووثقاً اي اتمنته وثق الشيء بالضم وثافة فهو وثيق، اي ثابت محكم وتوكل عليه اي الاسلام ثقة مأمون من وکلَّ أمره إليه اي راعي في جميع الأمور قوانينه فلا يخدعه او يصير الاسلام سبباً لوثق المرء على الله إذا توكل عليه ويعلم به أنَّ الله حسيبه و نعم الوكيل .

«و رجاء من فوض» اي الاسلام سبب رجاء من فوض أمره إليه او إلى الله

فَوْضَنْ وَسْبَقَةَ مِنْ أَحْسَنْ وَخَيْرًا مِنْ سَارِعْ وَجَنَّةَ مِنْ صَبَرْ وَلِبَاسًا مِنْ اتَّقَى وَظَهِيرَاً

على الوجهين السَّابقين ، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة اي سعة عيش ، وفي النهج والكتابين و راحة و هو أظهر « و سبقة من أحسن » في القاموس سبقة يسبقها تقدُّم ، والفرس في الحلة جلي و السبق محرّكة و السبقة بالضم الخطر يوضع بين أهل السباق، وهما سباقان بالكسر اي يستبقان ، أنتهى .

و المظاهر هنا سبقة بالضم اي الاسلام متضمن سبقة من أحسن المسابقة او من أحسن إلى الناس فإنه من الأمور التي تحسن المسابقة فيه او من أحسن صحبتة او من أتي بأحسن سعي ، فيشمل جهود العطارات ، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى قوله تعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِالْحَسَنَةِ »<sup>(١)</sup> بيان ي تكون المعنويات التي يتبناها في حواضن : « يسارعون في المخارات »<sup>(٢)</sup> .

« وَجَنَّةَ مِنْ صَبَرْ » الجنة بالضم الترس و كل ما وفى من سلاح وغيره فالإسلام يبحث على الصبر و هو جنة لم يخاوف الدُّنيا والآخرة ، وقيل : استumar لفظ الجنة للإسلام لأنّه يحفظ من صبر على العمل بقواعده وأركانه من العقوبة الدنيوية والأخروية ، وقيل . جنة من صبر في المناظرة مع أعدى الدينين .

« وَلِبَاسًا مِنْ اتَّقَى » كأنه إشارة إلى قوله تعالى : « وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَاكَ خَيْرٌ »<sup>(٣)</sup> بناء على أنّ المراد بلباس التقوى خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح ، أو الحياة الذي يكسب التقوى ، أو السُّمْت الحسن ، وقد قيل كل ذلك ، أو اللباس الذي هو التقوى فإنه يستر الفضائح والقبائح و يذهبها ، للباس العرب كالدرع والمغفر والآلات التي يتّقى بها عن العدو كما قيل ، فالإسلام سبب للبس لباس الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة والحياة وهيئه أهل الخير من اتقى وعمل بشريعته .

(١) سورة التوبه : ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١١٤ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٦ .

لمن رشد و كهفاً لمن آمن و أمنة لمن أسلم و رجاء لمن صدق و غنى لمن قنع ، فذلك

« و ظهيراً لمن رشد » أي معيناً لمن اختار الرشد والصلاح ، في القاموس: رشد كنسر و فرح رشداً و رشداً اهتدى ، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ، وفي التحف : و تطهيراً لمن رشد ، « و كهفاً لمن آمن » الكهف : كالغار في الجبل والملاجأ أي محل أمن من مخاوف الدنيا والعقبى لمن آمن بقلبه ، لا لمن أظهر بلسانه و نافق بقلبه ، « و أمنة لمن أسلم » الآمنة بالتحرىك الآمن ، وقيل في الآية جمع الكتبة ، و الظاهر أن المراد بالاسلام هنا الانقياد التام لله و لرسوله ولا آمنة المؤمنين ، فإن كان كذلك فهو آمن في الدنيا والآخرة من مضار هما و رجاء لمن صدق « اي الاسلام باعتبار إشتغاله على الوعد بالمشوبات الآخروية والدرجات العالمية سبب لرجاء من صدق به ، ويمكن أن يقرء بالتبخيف ويؤيد أنه في التحف وروحًا للصادقين ، وفي بعض نسخ الكتاب أيضاً روحًا ، ومنهم من فسر الفقريين بأن الاسلام آمنة في الدنيا لمن أسلم ظاهراً ، وروح في الآخرة لمن صدق باطنًا .

أقول : و كأنه يؤيده قوله تعالى : « وأمّا إن كان من المفتر بين فروح وريحان و جنة نعيم » <sup>(١)</sup> .

« و غنى لمن قنع » اي الاسلام لاشتماله على مدح القناعة و فوائدها فهو يصير سبيلاً لرضا من قنع بالقليل وغناه عن الناس ، وقيل : لأن التمسك بقواعديه يجب وصول ذلك القدر إليه كما قال عز شأنه : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » <sup>(٢)</sup> و يحتمل أن يراد به أن الاسلام باعتبار إشتغاله على ما لا بد للإنسان منه من العلوم الحقيقة و المعارف الإلهية و الأحكام الدينية يغنى من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكمية و القوائين الكلامية و الاستحسانات

(١) سورة الواقعة : ٨٩ .

(٢) سورة الطلاق : ٣٠ .

الحق، سبيله الهدى و مأثرته المجد و صفتة الحسنى فهو أبلغ المنهاج مشرق المنار،

القلبية و القياسات الفقهية، وإن كان بعيداً.

« فذلك الحق » أى ما وصفت لك من صفة الاسلام حق ، أو ذلك إشارة إلى الاسلام ، أى فلما كان الاسلام متتصفًا ب تلك الصفات فهو الحق الثابت الذى لا يتغير أو لا يشبه باطل ، أو ذلك هو الحق الذى قال الله تعالى : « أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْدَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ »<sup>(١)</sup> و قوله : سبيله الهدى، إستيناف يبأى « أو الحق » صفة لاسم الاشارة ، و سبيله الهدى خبره أى هذا الدين الحق الذى عرفت فوائده و صفاتة سبيله الهدى كما قيل في قوله سبحانه : « اولئك على هدى من ربهم »<sup>(٢)</sup> و كأنه إشارة إليه أيضاً ، و المراد بالهدى الهدایة الربانية الموصلة إلى المطلوب .

« و مأثرته المجد » المأثرة بفتح الميم و سكون الهمزة و ضم « الثاء و فتحها واحدة المأثر ، و هي المكارم من الأنور و هو النقل و الرواية لأنها تؤثر و تروى ، و في القاموس : المكرمة المتواتنة ، و المجد نيل الكرم و الشرف ، و رجل ماجد أى كريم شريف ، و يطلق غالباً على ما يكون بالأباء فكان المعنى أنه يصير سبيلاً لمجد صاحبه حتى يسرى في أعقابه أيضاً « و صفتة الحسنى » أى موصوف بأنه أحسن الأخلاق والأحوال والأعمال ، و في المجالس بعد قوله : و جنة لمن صبر : الحق سبيله و الهدى صفتة ، و الحسنى مأثرته ، و في التحف فالإيمان أصل الحق و سبيله الهدى .

« فهو أبلغ المنهاج » و في المنهاج : المنهاج ، في القاموس : بلع الصبح أضاء و أشرف كابتلنج و تبلج و أبلج ، و كل متنفس بلع ، و النهج و المنهاج و المنهاج : الطريق الواضح ، و أنهج واضح وأوضح ، و في النهج بعده : واضح الولائج ، أى

(١) سورة الرعد : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ٥ .

ذاكِي المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمدار ، جامع الحلبية ، سريع السبقة ، أليم المداخل .

«مشرق المنار» المنار جمع منارة و هي العلامة توضع في الطريق و كأنّها سميت بذلك لأنّهم كانوا يضعون عليها النار لاحتداء الصال» في الليل ، وفي القاموس : المنارة والأصل المنورة هو وضع النور كأطناار ، والمسرجة و المأذنة والجمع مناوار و منائر ، و المنار العلم ، انتهى .

و في النهج مشرف بالفاء ، أى العالى وبعده مشرق الجواد جمع الجادة «ذاكِي المصباح» و في النهج والكتابين مضى المصايح ، وفي القاموس : ذكت النار واستذكت اشتدّ لهبها ، و هي ذكية و أذكاهَا و ذاكها أو قدّها «رفيع الغاية» الغاية منتهى السباق أو الراية المنصوبة في آخر المسافة ، و هي خرقه تجعل على قصبة و تنصب في آخر المدى يأخذ بها السباق من الفرسان ، و كأنّ الرفعة كنایة عن الظهور كما سترى ، و قيل : هو من قولهم رفع البعير في سيره : بالغ أى يرفع إليها .

«يسير المضمدار» في النهاية تضمير الخيل هو أن تضمر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا فوتاً لتفخ ، و قيل : تشدّ عليها سروجها و تجلّل بالأجلة حتى تعرق فيذهب رهلها<sup>(١)</sup> و يشتدد لرحمها ، و في حديث حذيفة : اليوم مضمدار و غداً السباق أى اليوم العمل في الدنيا للسباق في الجنّة ، و المضمدار الموضع الذي تضمر فيه الخيل ويكون وقتاً لليوم التي تضمر فيها و في القاموس : المضمدار الموضع الذي يضمر فيه الخيل ، و غاية الفرس في السباق ، انتهى .

و الحال أن المضمدار يطلق على موضع تضمير الفرس السباق وزمامه ، وعلى الميدان الذي يسابق فيه ، و شبهة الكلمة أهل الإسلام بالخيل التي تجمع للسباق و مدة عمر الدنيا باليidan الذي يسابق فيه ، و الموت بالعلم المنصوب في نهاية الميدان ،

(١) الرهل : رخواة في انفاس .

فإنَّ ما يتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنما هو قبل الموت والقيمة بوضع تجمع فيه الخيال بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه ويظهر خسران من تأخير، و الجنَّة بالسبقه، والنار بما يليحق المتأخر من الحرمان والخسران.

أو شبهه <sup>يُلْتَكِلُّ</sup> الدنيا بزمان تضمير الخيال أو مكانه والقيمة بميدان المسابقة فمن كان تضميره في الدنيا أحسن كانت سبقة في الآخرة أكثر كما ورد التشبيه كذلك في قوله <sup>يُلْتَكِلُّ</sup> في خطبة أخرى : ألا وإنَّ اليوم المضمار وعداً السباق، والسبقة الجنَّة والغاية النار ، لكن ينافيه ظاهراً قوله : و الموت غaitه ، إلَّا أن يقال : المراد بالموت ما يلزمه من دخول الجنَّة أو النار إشارة إلى أنَّ آثار السعادة والشفاعة الآخرة تظهر عند الموت ، كما ورد ليس بين أحدكم وبين الجنَّة والنار إلَّا الموت .

وعلى التقدير بين المراد بقوله : يسير المضمار ، فلَمْ مُدْته و سرعة ظهور السبقة و عدمه ، أو سهولة قطعه وعدم دعورته ، أو سهولة التضمير فيه و عدم صعوبته لفصر المدة و تهييء الأسباب من الله تعالى ، وفي النهج كريم المضمار ، فـ**كأنَّ** كرمه لكونه جاماً لجهات المصلحة التي خلق لاجله وهي اختبار العباد بالطاعات وفوز الفائزين بأرفع الدرجات ، ولا ينافي ذلك ما ورد في ذمَّ الدُّنيا لأنَّه يرجع إلى ذمَّ من ركنت إليها وقصر النظر عليها ، كما <sup>يُلْتَكِلُّ</sup> ذلك في خطبة أوردنها في كتاب الروضة .

« جامع الحلبة » الحلبة بالفتح خيل تجمع للسباق من كل أوبأى ناحية لا تخرج من إصطبل واحد ، ويقال : للقوم إذا جاءوا من كل أوب للنصرة قد أحلبوا ، وكون الحلبة جامعة عدم خروج أحد منها ، أو المراد بالحلبة محلها وهو القيمة كما سيأتي ، فالمراد أنَّه يجمع الجميع للحساب كما قال تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس » <sup>(١)</sup> .

النّقمة ، كامِل العَدَّة ، كَرِيمُ الْفَرَسَان ، فَالْإِيمَانُ مِنْهَاجُه ، وَ الصَّالِحَاتُ مِنْارُه وَ الْفَقِهُ

«سريع السبيقة» السبيقة بالفتح كما في النهج أى يحصل السبق سريعاً في الدنيا للعاملين أو في القيامة إلى الجنة، أو بالضمّ أى يصل إلى السابقين عوض السباق وهو الجنة سريعاً لأنّ مدة الدنيا قليلة وهو أظهر .

وفي النهج والمجالس والتحف : متنافس السبيقة فالضمّ أصوب و إن كان المضبوط في نسخ النهج بالفتح ، والتنافس الرغبة في الشيء النفيس الجيد في نوعه .

«أَلْيَمُ النّقْمَة» أى مولم إنتقام من تأخّر في المضمار لانه النّسَار «كامِل العَدَّة» بالضمّ والشدّ ما أعددته وهيأته من مال أو سلاح أو غير ذلك مما ينفعك يوماً ما ، د المراد هنا التقوى وكما له ظاهر «كرِيمُ الْفَرَسَان» وفي النهج شريف الفرسان ، والفرسان بالضمّ جمع فارس كالفوارس .

ثُمَّ فَسَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا أَبْهَمَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمَذَكُورَةِ فَقَالَ : فَالْإِيمَانُ مِنْهَاجُه ، هذا ناظر إلى قوله : وأُبْلِجَ الْمِنْهَاجُ ، أى المنهاج الواضح للإسلام هو التصديق القلبى بالله وبرسوله وبما جاء به والبراهين القاطعة الدائمة عليه ، وفي النهج وغيره : فالتصديق منهاجه وهو أظهر «وَالصَّالِحَاتُ مِنْارُه» ناظر إلى قوله : مشرق المنار ، شبّه الأعمال الصالحة والعبادات الموظفة بالأعلام والمنائر التي تنص على طريق السالكين لثلاً يضلّوا ، فمن اتّبع الشريعة النبوية وأتى بالفرائض والتواتر يهدى الله للسلوك إليه ، وبالعمل يقوّى إيمانه و بقوّة الإيمان يزداد عمله ، وكلما وصل إلى علم يظهر له علم آخر ، ويزداد يقينه بحقيقة الطريق إلى أن يقطع عمره ، و يصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليةه التي جعلها الله له ، أو شبّه الإيمان بالطريق والأعمال بالأعلام ، فكما أنّ بسلوك الطريق تظهر الأعلام فكذلك بالتصديق بالله و رسالته وحججه كَلِيلٌ تعرف الأعمال الصالحة ، وقيل : الأهمال الصالحة علامات لا إسلام المسلمين ، وبها يستدلّ على إيمانه ولا يتمّ حينئذ التشبيه .

مصابيحه والدّنيا مضماده والموت غايتها والقيمة حلبتها والجنة سبقته و النار سقطته

«والفقه مصابيحه» الفقه العلم بامثلة الشرعية أو الأعمّ، وبه يرى طريق السلوك إلى الله وأعلامه، وهو ناظر إلى قوله: ذاك العصباح، إذ علوم الدين وشرائعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبما أفاضوا عليهم من العلوم الربانية.

«والدنيا مضماده» قال ابن أبي الحديد: كان الإنسان يجري في الدنيا إلى غاية الموت وإنما جعلها مضماد الاسلام لأنّ المسلم يقطع دنياه لالدنياه بل لا آخرته، فالدنيا له كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة «والموت غايتها» قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية، وقال ابن أبي الحديد: اى انّ الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخلاص من ذلك السجن.

وقال ابن ميمون: إنّما جعل الموت غاية اى الغاية القريبة التي هي باب الوصول إلى الله تعالى، ويحتمل أن يزيد بالموت موت الشهوات فانّها غاية قريبة للإسلام أيضاً، وهذا ناظر إلى قوله: رفيع الغاية، وفي سائر الكتب هذه الفقرة مقدمة على السابقة، فالنشر على ترتيب اللّف، وعلى ما في الكتاب يمكن أن يقال: لعلّ التأخير هنا لا لأجل أنّ ذكر الغاية بعد ذكر المضماد أنساب بحسب الواقع والتقدم سابقاً باعتبار الرفعه والشرف، وإنّها الفايدة المقصودة فأشير إلى الجهتين الواقعتين بتغيير الترتيب «والقيمة حلبتها» اى محلّ إجتماع الحلبة إنّما للسباق أو لحيازة السبقة كما من، وإطلاق الحلبة عليها من قبل تسمية المحلّ باسم الحال و قال ابن أبي الحديد: حلبتها اى ذات حلبتها، فيحذف المضاف كقوله تعالى: «هم درجات عند الله»<sup>(١)</sup> اى ذروا درجات.

«والجنة سبقته» في أكثر نسخ النهج سبقته بالفتح فلذا قال الشرّاح: اى جزاء سبقته فحذف المضاف و الظاهر سبقته بالضمّ فلا حاجة إلى تقدير كما عرفت

و القوى عدّته والمحسنون فرسانه ، فبلا يمان يستدلّ على الصالحات وبالصالحات يعمّر الفقه وبالفقه يرهب الموت وبالموت تختتم الدنيا وبالدُّنيا تجوز القيامة وبالقيامة

« و النار نقمته » اي نصيب من تأخّر ولم يحصل له إستحقاق للسبقة أصل النار ، زائداً عن الحسرة والحرمان « والقوى عدّته » ناظر إلى قوله : كامل العدة ، لأنّ القوى تتفع في أشدّ الأحوال وأعظمها وهو القيامة كما أنّ العدة من المطالب وغيره تتفع صاحبها عند الحاجة إليها .

« والمحسنون فرسانه » لأنّهم بالاحسان والطاعات يتسابقون في هذا المضمار ، فبلا يمان « يستدلّ على الصالحات » إذ تصدق الله ورسوله وحججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة وكيفيتها من واجبها وندبها ، وقيل : لأنّ الایمان منهج الاسلام وطريقه ولا بدّ للطريق من زاد يناسبه ، وزاد طريق الاسلام هو الاخلاق والأعمال الصالحة ، فيدلّ الایمان عليها كدلالة السبب على المسبب وقيل : اي يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها ، انتهى .

وكأنّه حمل الكلام على القلب وإلا فلا معنى للاستدلال بالأمر المخفي في القلب على الأمر الظاهر ، نعم يمكن أن يكون المعنى أنّ « بلا يمان يستدلّ على صحة الأفعال وقبولها فاتهه لانفصال أعمال غير المؤمن » ، وهذا معنى حسن لكن الأوّل أحسن « وبالصالحات يعمّر الفقه » لأنّ العمل يصير سبباً لزيادة العلم كما أنّ من بيده سراجاً إذا وقف لا يرى إلا ما حوله وكلما مشى ينتفع بالضوء ويرى مالم يره كما ورد: من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ، وقد مرّ أنّ العلم يهتف بالعمل فان أحباب وإلا ارتاحل عنه ، وقيل : الفقر ثان مبنيتان على أنّ المراد بالعمل الصالح ولدية أهل البيت عليهما كلاماً ورد في تأوييل كثير من الآيات ، وظاهر أنّ « بلا يمان يستدلّ على الولاية وبها يعمّر الفقه لا ينفعه عندهم .

« وبالفقه يرهب الموت » أي كثرة العلم واليقين سبب لزيادة الخشية كما قال

**ترلف الجنّة حسرة أهل النار والنار موعظة المتقين والتقوى سنجح الإيمان .**

تعالى . « إنما يخشى الله من عباده العلماء »<sup>(١)</sup> فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له وطابعده ، قوله : وبالموت تختتم الدنيا كالتعميل لذلك لأنّ الدّنيا التي هي مضمار العمل تختتم بالمموت فلذا يرهبه لحيلوته بينه وبين العمل والاستعداد لقاء الله لا لحبّ « الحياة والذّات الديوّية والمالوفات الفانية » وبالدّنيا تتجاوز القيمة » هذه الفقرة ايضاً كالتعميل لما سبق أي إنما ترعب الموت لأنّ بالدنيا والأعمال الصالحة المكتسبة فيها تتجاوز عن أهوال القيمة وتخرج عنها إلى نعيم الأبد لأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز ، وفي بعض النسخ بصيغة الغيبة أي يجوز المؤمن أو الإنسان ، وفي بعضها يجاز على بناء المجهول وهو أظهر ، وفي بعضها يجاز بالحاء المهملة من الحيازة أي تجاز مثوابات القيمة وعلى التقادير فالوجه فيه أنّ كلّ ما يلقاه العبد في القيمة فانما هو نتائج عقائده وأعماله وأخلاقه المكتسبة في الدنيا ، وبالدّنيا تجاز القيمة أو تجاز .

و منهم من قرء تجوز بالحاء المهملة أي بسبب الدّنيا وأعمالها تجمع القيمة الناس للحساب والجزاء فإنّ القيمة جامع الخلبة كمامر » ، وفي التحف تحذر القيمة و كأنّه أظهر .

« وبالقيمة ترلف الجنّة » أي تقرب للمتقين كما قال تعالى : « وأزلفت الجنّة للمتقين »<sup>(٢)</sup> وفي المجالس : وترلف الجنّة للمتقين و تبرز الجحيم للغاوين ، وقال البيضاوى : وأزلفت الجنّة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبήجّون<sup>(٣)</sup> بأنّهم المخشورون إليها « و برّزت الجحيم للغاوين » فيرونها مكشوفة و يتّحسرون على أنّهم المسووقون إليها ، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ، انتهى .

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

(٢) سورة ق : ٣١ .

(٣) تبجيح به : فرح .

## ﴿باب﴾

﴿صفة الإيمان﴾

١ - بالاسناد الأول ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سُئلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن الإيمان ، فقال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

«والجنة حسرة أهل النار» في القيامة حيث لانتفع الحسرة والندامة ، وتلك علاوة لعذابهم العظيم «والنار موعدة للمتّقين» في الدنيا حيث ينفعهم فيتّر كون ما يوجّها ويأتون بما يوجب البعد عنها «والتيقوى سنخ الإيمان» اى أصله وأساسه، في القاموس : السنخ بالكسر الأصل .

باب صفة الإيمان

**الحاديـث الأول :** صحيح وهو من تمهـمة الخبر السـابق ، وهو مروي في الكتب الثلاثة بغير نـشر إلى بعضـه .

قال في النهج : سُئلَ عَنِ الْإِيمَانِ ؟ فَقَالَ : الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دُعَائِمٍ ، الدّعَامَةُ بِالْكَسْرِ عَمَادُ الْبَيْتِ ، وَدُعَائِمُ الْإِيمَانِ مَا يَسْتَقْرُرُ عَلَيْهِ وَيُوجَبُ ثِباتَهُ وَاسْتِهْمَارَهُ وَقُوَّتَهُ «عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجَهَادِ» قَالَ أَبْنُ مِيسُومٍ : فَاعْلَمْ أَنَّهُ عليه السلام أَرَادَ الْإِيمَانَ الْكَاملَ ، وَذَلِكَ لِهِ أَصْلُ وَلَهِ كَمَالاتٌ بِهَا يَتِمُّ أَصْلُهُ ، فَأَصْلُهُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِوْجُودِ الصَّانِعِ ، وَمَالِهِ مِنْ صَفَاتِ الْكَمَالِ وَنَعْوَتِ الْجَلَالِ ، وَبِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ كَتِبَهُ وَبِلُغَتِهِ رَسْلَهُ ، وَكَمَالَتِهِ الْمُتَمَمَّةُ هِيَ الْأُقْوَالُ الْمُطَابِقَةُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَاتِ .

ثُمَّ إِنَّهُ هَذَا الْأَصْلُ وَمَتَمِّمَاهُ هُوَ كَمَالُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَا نَهَا ذَاتٌ قَوْتَيْنِ عَلْمِيَّةً وَعَمَلِيَّةً ، وَكَمَالُهَا بِكَمَالِ هَاتِينِ الْقَوْتَيْنِ ، فَأَصْلُ الْإِيمَانِ هُوَ كَمَالُ الْفُوْرَةِ الْعَلْمِيَّةِ مِنْهَا ، وَمَتَمِّمَاهُ وَهِيَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَاتِ هِيَ كَمَالُ الْفُوْرَةِ الْعَلْمِيَّةِ . إِذَا عَرَفَ هَذَا فَنَفَوْلُ : لِمَا كَانَتْ أَصْوَلُ الْفَضَائِلِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي هِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ

جعل الایمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، فالصبر من ذلك على أربع شعب : على الشوق والاشفاف والزهد والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سال

أربعاً هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل أشار إليها واستعمالها لفظ الدعائم باعتبار أنَّ الایمان الكامل لا يقوم في الوجود إلاَّ بها ، كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين ، والحكمه منها عالمية وهي استكمال القوَّة النظرية بتصوُّر الأَمور والصدق بالحقائق النظرية ؛ العمليَّة بقدر الطاقة البشرية ، ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلاً لها باليقين والبرهان ، ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسيَّة الخلقية ، وكيفيَّة إكتسابها ووجوه الرذائل النفسيَّة وكيفيَّة الاحتراز عنها واجتنابها ، وظاهر أنَّ العلم الذي صار ملكرة هو البقين وعبر عن العفة بالصبر .

و العفة هي الامساك عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة و عدم الانقياد للشهوة و قهرها و تصريفها بحسب الرأى الصحيح ، و مقتضى الحكم المذكورة ، وإنما عبر عنها بالصبر لأنَّها لازم من لوازمه ، إذ رسمه أنَّه ضبط النفس و قهرها عن الانقياد لغير المذات .

وقيل : هو ضبط النفس عن أن يقهرها إِلَم مكرره ينزل بها ، ويلزم في العقل احتماله أو ينزل منها حبَّ مشتهي تشوُّق الإِنسان إِلَيْه ، ويلزمه في حكم العقل إجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه ، وظاهر أنَّ ذلك يلازم العفة و كذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزماته إِيَّاهَا إطلاقاً لا إِسم الملزم على لازمه .

والشجاعة هي ملكرة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان أن يعرض نفسه لاحتمال المكرره والألام الواصلة إِلَيْه منها ، وأمّا العدل فهو ملكرة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاث المشهورة و تلزمها ، إذ كلَّ واحدة من هذه الفضائل محتوشه برفيلتين هما طرفا الإِفراط والتغريب منها ، و مقابلة برذيلة هي ضدَّها ، انتهى .  
فالصبر من ذلك » وفي النهج منها « على أربع شعب » الشعبة من الشجرة

عن الشهوات ومن أشْفَقَ من النار رجع عن المحرّمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه

بالضمّ الغصن المترفع منها ، وقيل : الشعبة ما بين الغصين والقرنين ، و الطائفة من الشيء و طرف الغصن ، و المراد هنا فروع الصبر وأ نوعه أو أسباب حصوله « على الشوق والإشراق » وفي ساير الكتب والشفق والزهد ، وفي المجالس والزهادة والترقب ، الشوق إلى الشيء نزع النفس إليه و حر كة الهوى ، والشفق بالتحرييك : الحذر والخوف كالاشراق ، و الزهد ضد الرغبة « و الترقب » الانتظار أى إنتظار الموت و مداومة ذكره وعدم الغفلة عنه ، و ملماً كان الصبر أنواع ثلاثة كما سيأتي في بابه الصبر عند البلية والصبر على مشقة الطاعة ، والصبر على ترك الشهوات المحرّمة ، وكان ترك الشهوات قد يكون للشوق إلى اللذات الآخرية ، وقد يكون للمخوف من عقوباتها جعل بناء الصبر على أربع ، على الشوق إلى الجنة ، ثم يبن ذلك بقوله : فمن اشتاق إلى الجنة سلاعن الشهوات أى نسيها وصبر على تركها ، يقال : سلاعن الشيء أى نسيه ، و سلوت عنه سلواً كفعت قموداً أى صبرت ، و على الإشراق عن النار ، وبينها بقوله : ومن أشْفَقَ من النار رجع عن المحرّمات ، وفي المجالس والتحف عن الحرمات ، وفي النهج اجتنب المحرّمات ، و يمكن أن تكون الشهوات المذكورة سابقاً شاملة للمذكر وهات أيضاً .

وعلى الزهد وعدم الرغبة في الدنيا وما فيها من الأموال والأزواج والأولاد وغيرها من ملاذّها و مألهاتها ، وبينها بقوله : ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، وفي بعض النسخ والكتابين : المصيّبات . وفي النهج : استهان بالمصيّبات أى عدّ هاسهلاً حينماً واستخفّ بها ، لأنّ المصيبة حينئذ بفقد شيء من الأمور التي زهد عنها ولم يستقرّ في قلبه حبّها وعلى ارتقاء الموت وكثرة تذكرة وبينها بقوله : و من راقب الموت سارع إلى الخيرات ، وفي الكتابين ومن ارتفق ، وفي النهج : في الخيرات . ثمّ أن تخصيص الشوق إلى الجنة والإشراق من النار بترك المشتهيات والمحرّمات مع أنهما يصيران سبيلاً لفعل الطاعات أيضاً إما لشدة الاهتمام بترك المحرّمات

المهنيات و من راقب الموت سارع إلى الخيرات؛ واليقين على أربع شعب : نبضرة الفطنة و تأوّل الحكمة و معرفة العبرة و سنتة الآتين . فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة

و كون الصبر عليها أشقّ و أفضل كما سيأتي في الخبر، أو لأنّ فعل الطاعات أيضاً داخلة فيما فانّ المانع عن الطاعات غالباً الاشتغال بالشهوات النفسانية ، فالسلو عنها يستلزم فعلها ، بل لا يبعد أن يكون الغرض الأصلّى من الفقرة الأولى ذلك بل يمكن إدخال فعل الواجبات في الفقرة الثانية ، لأنّ ترك كلّ واجب محرّم ويدخل ترك المكرّهات و فعل المندوبات في الفقرة الأولى .

«واليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة» وفي النهج والتحف على تبصرة والتبصرة مصدر باب التفعيل ، والفتنة المحدق وجودة الفهم ، وقال ابن ميسّم : هي سرعة هجوم النفس على حقائق ما تورده المحواسٌ عليها وقال : تبصرة الفطنة أعمالها .

أقول : يمكن أن تكون الاضافة إلى الفاعل ، أي جعل الفطنة الإنسان بصيراً أو إلى المفعول أي جعل الإنسان الفطنة بصرة ، ويحتمل أن تكون التبصرة بمعنى الأبصار والرؤيا فرؤيتها كناية عن التوجّه والتأمّل فيها وفي مقتضاهما ، فالاضافة إلى المفعول وحمله على الاضافة إلى الفاعل ممحوح إلى تكليف في قوله : فمن أبصر الفطنة .

«تأوّل الحكمة» التأوّل والتأنّيل تفسير ما يؤثّل إليه الشيء ، وقيل : أوّل الكلام وتأوّل لهاى دبره وقد رده وفسّره ، والحكمة العالم بالأشياء على ماهي عليه ، فتأوّل الحكمة التأوّل الناشي من العلم و المعرفة ، وهو الاستدلال على الأشياء بالبراهين الحقة و قال ابن ميسّم : هو تفسير الحكمة و اكتساب الحقائق ببراهينها ، واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الأخلاق من مظانّها ككلام يؤثر أو غيره يعتبر ، وقال الكيدري : تأوّل الحكمة هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا ، وأولى الحكمة بأن يعلم قول الله ورسوله قال تعالى : «ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة» (١) .

«معرفة العبرة» وفي سائر الكتب : و موعظة العبرة ، والعبرة ما يتّعظ به

و من تأوّل الحكمة عرف العبرة و من عرف العبرة عرف السنّة و من عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين و اهتدى إلى التي هي أقوم و نظر إلى من نجى بما نجى و من

الإنسان و يعتبره ليس تدلّ به على غيره ، و الموضعية تذكير ما يلين القلب ، و موعظة العبرة أن تعظ العبرة الإنسان فيتعظ بها « و سنّة الأوّلين » السنّة السيرة محمودة كانت أو مذمومة ، أي معرفة سنّة الماضين و ما آل أمرهم إليه من سعادة أو شقاوة فيتبّع أعمال السعداء ويتجنب قبائح الأشقاء .

ثم بيّن لِكَلَّةِ فوائد هذه الشعب وكيفيّة ترتيب اليقين عليها فقال : فمن أبصر الفطنة أى جملها بصيرة أو نظر إليها وأعملها ، كأنّ من لم ي عملها ولم يعمّل بمقتضاها لم يبصرها وفي سائر الكتب تبصّر في الفطنة وهو أظهر « عرف الحكمة » و في النهج تبيّنت له الحكمة ، وفي التحف تأوّل الحكمة ، وفي المجالس تبيّن الحكمة والكلّ حسن ، وقال الكيدري : تبصّر أى نظر و تفكّر ، وصار ذات بصيرة وقال : الحكمة العلم الذي يدفع الإنسان عن فعل القبيح ، مستعار من حكمة الأجاج ، ومن تأوّل الحكمة وعرفها كما هي عرف العبرة بأحوال السماء والأرض والدّنيا وأهلها ، فتحصل له الحكمة النظريّة والعملية ، وفي النهج : ومن تبيّنت له الكحمة ، وفي المجالس : ومن تبيّن الحكمة .

« و من عرف العبرة عرف السنّة » أي سنّة الأوّلين و سنّة الله فيهم ، فإنّها من أعظم العبر « ومن عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين » في حياتهم أو بعد موتهم أيضاً فإنّ المعرفة الكاملة تفيد فايده المعاينة لا لأهلها ، وفي التحف فكأنّما عاش في الأوّلين وفي النهج : ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين « و اهتدى » أي بذلك « إلى التي هي أقوم ، أي الطريقة التي هي أقوم الطرائق .

ثم بيّن لِكَلَّةِ كيفية العبرة فقال : « و نظر إلى من نجا » أي من الأوّلين « بما نجَا » من متابعة الأنبياء والمرسلين والأوصياء المرضيّين والاقندة بهم عاماً

هلك بما هلك وإنما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته؛ والعدل على أربع شعب : غامض الفهم وغمر العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم فمن فهم فستر

و عملاً « و من هلك بما هلك » من مخالفة أئمّة الدين و متابعة الأهواء المضلّة والشهوات المزّلة ، وليست هذه الفقرات من قوله : واهتدى إلى قوله : بطاعته ، في سائر الكتب .

« والعدل على أربع شعب » وفي النهج والعدل منها ، و كأنّ المراد بالعدل هنا ترك الظلم والحكم بالحق بين الناس وإنصاف الناس من نفسه ، لا ما هو مصطلح الحكماء من التوسيط في الأمور فإنه يرجع إلى سائر الأخلاق الحسنة « غامض الفهم » الغامض خلاف الواضح من الكلام ، و نسبته إلى الفهم مجاز ، و كأنّ المعنى فهم الغواص ، أو هو من قولهم أعمض حد السيف أي رفقه ، وفي النهج والتحف : غايس من الغوص وهو الدخول تحت الماء لآخر اج اللؤلؤ و غيره ، وقال الكيدري : هو من إضافة الصفة إلى الموصوف للتاكيد والفهم الغايس ما يهجم على الشيء فيطبل على ما هو عليه كمن يغوص على الدر واللؤلؤ .

« وغمر العلم » أي كثرته في القاموس : الغمر الماء الكثير و غمر الماء غماره و غمرة كثیر ، و غمرة الماء غمراً و اغترمه غطّاه ، وفي التهيف والخصال : وغمرة العلم ، وفي النهج وغور العلم وغور كل شيء قعره ، والغور الدخول في الشيء و تدقيق النظر في الأمر .

« وزهرة الحكم » الزهرة بالفتح البهجة والنضارة والحسن والبياض ، ونور النبات ، والحكم بالضم القضاء والعلم والفقه وروضة الحلم » الاضافة فيها وفي الفقرة السابقة من قبيل لجين الماء ، وفيهما مكنية وتخيلية حيث شبه الحكم الواقعي بالزهرة لكونه ممتعجباً ، ومن ثم الأ نوع اثمرات الدّنيوية والأخرافية ، والحلم بالروضة لكونه رائقاً ونافعاً في الدارين ، وفي النهج وراسخة الحلم يقال : رسخ كمنع رسوحاً بالضم وراسخة بالفتح أي ثبت ، والحلم الأثناة والتثبت ، وقيل : هو الامساك عن

جميع العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً؛ والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق

المبادرة إلى قضاء وطر الغضب وراسخة الحكم قوله وكما له «فمن فهم فسر جميع العلم ومن علم عرف شرائع الحكم» أي من فهم غوامض العلوم فسر ما اشتبه على الناس منها ، ومن كان كذلك عرف شرائع الحكم بين الناس فلا يشتبه عليه الأمر ولا يظلم ولا يجور ، و بعده في المجالس : ومن عرف شرائع الحكم لم يضل «ومن حلم لم يفرط في أمره» ولم يغضب على الناس وثبتت في الأمر ، وفي النهج فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم «الغ» .

والصدر الرّجوع عن الماء ، والشريعة مورد الناس للاستقاء ، والصدر عن شرائع الحكم كنایة عن الاصابة فيه وعدم الوقوع في الخطأ ، ولم يفرط على بناء التفعيل أي لم يقتصر فيما يتعلق به من أمور القضاء والحكم ، أو مطلقاً ، وفي بعض نسخ النهج على بناء إلا إفعال ، أي لم يتجاوز الحد» .

«وعاش في الناس حميداً» وفي التحف وعاش به والعيش الحياة والحميد المحمود المرضي .

«والجهاد على أربع شعب» تلوك الشعب إماً أسباب الجهاد أو أنواعه الخفية ذكرها لثلاً يتوجهون أنه منحصر في الجهاد بالسيف مع أنه أحد أفراداً من بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل الجهاد استفراغ الوسع في إعلاء كلمة الله واتباع مرضاته ، وترويج شرائعه باليد واللسان والقلب ، قال الرّأب : الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو» ، والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثة في قوله : «وجاهدوا في الله حق جهاده<sup>(١)</sup>» «وجاهدوا بأموالكم وأنفسهم في الله سبيل»<sup>(٢)</sup> «إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

(١) سورة الحج : ٧٨ .

(٢) سورة التوبه : ٤١ .

في المواطن وشنان الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر

بأمّا لهم وأنفسهم في سبيل الله <sup>(١)</sup> وقال ﷺ : جاهدوا أهواكم كما تجاهدون  
أعداءكم، والمجاهدة تكون باليد واللسان قال ﷺ : جاهدوا الكفار بأيديكم  
وأنستكم.

« على الأمر بالمعروف » وهو الذي عرّفه الشارع وعدّه حسنة ، فإن كان  
واجبًا فالامر واجب ، وإن كان مندوباً فالاً من مندوب « و النهي عن المنكر » أي  
ما أنكره الشارع وعدده قبيحاً وهذا مشرّوطان بالعلم يكونه معروفاً أو منكراً و  
تجويز التأثير وعدم المفسدة وهذا يجبان باليد واللسان والقلب .

« والصدق في المواطن » أي ترك الكذب على كلّ حال إلا مع خوف الضرر  
فيوري <sup>(٢)</sup> فلا يكون كذباً ، والمواطن مواضع جهاد النفس ، وجihad العدو ، وجihad  
الفاشق بالأمر والنهي ، ومواطن الرضا والسطح والضرر والنفع مالم يصل إلى حد  
تجويز التقيّة ، وأصل الصدق والكذب أن يكونا في القول ثم في الخبر من أصناف  
الكلام كما قال تعالى : « ومن أصدق من الله فيما <sup>(٣)</sup> » « ومن أصدق من الله حديثاً <sup>(٤)</sup>  
وقد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام كقول القائل : أزيد في الدار؟ لتضمنه  
كونه جاهلاً بحال زيد ، وكما إذا قال : واسني لتضمنه أنه يحتاج إلى المواسات  
ويستعملان في أفعال الجوارح فيقال : صدق في القتال إذا وفي حقه ، وصدق في  
الإيمان إذا فعل ما يقتضيه من الطاعة ، فالصادق الكامل من يكون لسانه موافقاً  
لضميره ، و فعله مطابقاً لقوله ، ومنه الصدق حيث يطلق على المقصوم ، فيحتمل أن  
يكون الصدق هنا شاملاً لجميع ذلك .

« وشنان الفاسقين » الشنان بالتحريك والسكنون وقد صح بهما في النهج :

(١) سورة الانفال : ٧٢ .

(٢) من التوريدة .

(٣و٤) سورة النساء : ١٣٢ و ٨٧ .

أَرْغَمْ أَنْفَ الْمَنَافِقَ وَأَمْنَ كَيْدَهُ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ وَمَنْ شَنَىءَ الْفَاسِقِينَ

البعض ، يقال : شَنَىءَ كَسْمَعَهُ وَمَنْعَهُ شَنَىءًا مُثْلَثَةً وَشَنَاءً وَشَنَآنًا وَهَذَا أَوْلَى مَرَابِ النَّهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَقَوْلٌ : هُوَ مُقْتَضِي الْإِيمَانِ وَيُجْبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَيْسَ دَاخِلًا فِي النَّهَى عَنِ الْمُنْكَرِ .

«شَدَّ ظَهَرَ الْمُؤْمِنِ» وَفِي النَّهَى ظَهُورُ الْمُؤْمِنِينَ وَشَدَّ الظَّهَرُ كَنْيَاةً عَنِ التَّقْوِيَةِ كَمَا أَنْ قَصْمَ الظَّهَرُ كَنْيَاةً عَنِ ضَدِّهِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ لَا تَنْهَى يَرِيدُ تَرْوِيَجَ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ وَعَسَى أَنْ لَا يَتَمَكَّنَ مِنْهُ «أَرْغَمْ أَنْفَ الْمَنَافِقِينَ» وَفِي النَّهَى أَنْوَفُ الْمَنَافِقِينَ وَإِرْغَامُ الْأَنْفِ كَنْيَاةً عَنِ الْإِذْلَالِ ، وَأَصْلَهُ إِلَصَاقُ الْأَنْفِ بِالرَّغَامِ وَهُوَ التَّرَابُ ، وَيُطَلِّقُ عَلَى الْإِكْرَاهِ عَلَى الْأَمْرِ وَيَقُولُ : فَعْلَتِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ أَىٰ عَلَى كَرْهِهِ مِنْهُ ، وَالرَّغْمُ مُثْلَثَةُ الْكَرْهِ ، وَالْمُنْكَرُ مَطْلُوبُ الْمَنَافِقِينَ وَالْفَسَاقِ الَّذِينَ هُمْ صَنْفُهُمْ حَقِيقَةٌ ، وَالنَّهَى عَنِ الْمُنْكَرِ يَرْغِمُ أَنْوَفَهُمْ «وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ» وَفِي سَائِرِ الْكِتَبِ سَوْيَ الْخَصَالِ : قَضَى مَا عَلَيْهِ أَيُّ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِنْ جَمِيعِ التَّكَالِيفِ فَإِنَّ الصَّدَقَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَقَانِدِ يَقْتَضِي الْعَمَلُ بِجَمِيعِ التَّكَالِيفِ فَعَلَا وَتَرَ كَأَأَوْ لَا تَنْهَى يَأْتِي بِهَا لَثَلَاثَةً يَكُونُ كَذَابًا إِذَا سُئِلَ عَنْهَا «وَمَنْ شَنَىءَ الْفَاسِقِينَ» الْمُضَبَطُ فِي النَّهَى بِكَسْرِ النُّونِ ، وَفِيهِ بَعْدُهُ : وَغَضْبُ اللَّهِ غَضْبُ اللَّهِ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ ذَكْرُ دُعَائِمِ الْكُفَّرِ كَمَا سِيَّأَتِي فِي أَبْوَابِ الْكُفَّرِ ، وَالْكَلِينِي فِرْقَ الْخَبْرِ عَلَى الْأَبْوَابِ .

وَلَنَتَمِمْ كَلَامَ الْمُحَقِّقِ الْبَحْرَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ فَإِنَّهُ بَعْدَ مَا ذَكَرْنَا ، قَالَ بَعْدَ مَا هَرَّ : وَأَمَّا شَعْبُ هَذِهِ الدَّعَائِمِ فَاعْلَمُ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ دَعَائِمَةٍ مِنْهَا أَرْبَعَ شَعْبَنَ منِ الْفَضَائِلِ بَلْ تَتَشَعَّبُ مِنْهَا ، وَتَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا فَهِيَ كَالْفَرْوَعِ لَهَا وَالْأَغْصَانِ .

أَمَّا شَعْبُ الصَّبَرِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ مَلَكَةِ الْعَفَّةِ فَأَحَدُهَا : الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمِحْبَبُ الْخَيْرَاتِ الْبَاقِيةِ ، الثَّانِي : الشَّفْقُ وَهُوَ الْخَوْفُ مِنِ النَّارِ وَمَا يَؤْدِي إِلَيْهَا ، الثَّالِثُ : الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْإِعْرَاضُ بِالْفَلْبُ عنِ مَتَاعِهَا وَطَيْبَاتِهَا ، الْأَرْبَعُ :

غضب الله ومن غضب الله غضب الله له ، فذلك الإيمان ودعائمه وشعبه .

ترقب الموت ، وهذه الأربع فضائل منبعثة عن مملكة العفة لأن " كلام منها يستلزمها . وأما شعب اليقين فأحددها ببصرة الفطنة وإعمالها ، الثاني : تأول الحكم وهو تفسيرها ، الثالث : موعدة العبرة ، الرابع : أن يلحظ سنة الآؤلين حتى يصير كأنه فيهم ، وهذه الأربع هي فضائل تحت الحكم كالغروع لها وبعضها كالغروع للبعض .

وأما شعب العدل فأحددها غوص الفهم أى الفهم الغافل ، فأضاف الصفة إلى الموصوف وقد منها للاهتمام بها ورسم هذه الفضيلة أنها قوة إدراك المعنى المشار إليه بلفظ أو كتابة أو إشارة ونحوها ، الثاني : غور العلم وأقصاه وهو العلم بالشيء كما هو بحقيقة وكتبه ، الثالث : ثور الحكم أى تكون الأحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة ، الرابع : مملكة الحلم وعبر عنها بالرسوخ لأن شأن الملكرة ذلك ، والحلم هو الامساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الفوضى فيمن يعني عليه جنائية يصل مكروهاها إليه .

واعلم أن فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وإن كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلية الحلم داخلة تحت مملكة الشجاعة إلا أن العدل لما كان فضيلة موجودة في الأصول الثلاثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعباً للعدل ، بيانه أن الفضائل كلّها ملكات متواسطة بين طرف إفراط وتفريط ، وتوسيطها ذلك هو معنى كونها عدلاً فهي بأسرها شعب له وجزئيات تحته .

وأما شعب الشجاعة المعتبر عنها بالجهاد فأحددها الأمر بالمعروف ، والثاني : النهي عن المنكر ، والثالث : الصدق في المواطن المنكر وها ، وجود الشجاعة في هذه الشعب الثلاث ظاهر ، والرابع : شنان الفاسقين ، وظاهر أن بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله ، وثوران القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة . وأما ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للتغريب في ثمراتها ، ثمرات شعب

العفة أربع : أحدها : ثمرة الشوق إلى الجنة و هو السُّلُو عن الشهوات ، و ظاهر كونه ثمرة له إذ السالك إلى الله مالم يشتق إلى ما وعد المتنقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي إليها ، فلم يسل عنها ، الثانية : ثمرة المخوف من النار و هو اجتناب المحرّمات ، الثالثة : ثمرة الزهد و هي الاستهانة بالمصائب لأنّ غالبها وعامّتها إنما يلحق بسبب فقد المحبوب من الأمور الدينيّة فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هيئته عنده ، الرابعة : ثمرة ترقب الموت و هي المتسارعة في الخيرات و العمل له و لما بعده .

و أمّا ثمرات اليقين فانّ بعض شعبه ثمرة لبعض فانّ "تبين الحكم و تعلمها ثمرات لأعمال الفطنة و الفكرة ومعرفة العبر و موقع الاعتبار بناطرين ، والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكم و كيفية الاعتبار .

و أمّا ثمرات العدل فيبعضها كذلك أيضاً و ذلك أنّ جودة الفهم و غوصه مستلزم للوقوف على غور العلم و غامضه ، والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع الحكم العادل ، والتصدور عنها بين الخلق من القضاء الحق .

و أمّا ثمرة الحلم فعدم وقوع العلائم في طرف التفريط و التقصير عن هذه الفضيلة و هي رذيلة الجبن ، و أن يعيش في الناس محموداً بفضيلته .

و أمّا ثمرات الجهاد فأحدثها ثمرة الأمر بالمعروف وهو شدّ ظهور المؤمنين و معاونتهم على إقامة الفضيلة ، الثانية : ثمرة النهي عن المنكر و هي إرغام أنواع المنافقين و إذ لا لهم بالقول عن ارتكاب المنكرات ، و إظهار الرذيلة ، الثالثة : ثمرة الصدق في المواطن المكرورة و هي قضاء الواجب من أمر الله تعالى في دفع أعدائه و الذبّ عن الحرمين ، والرابعة : ثمرة بغض الفاسقين و الغضب لله و هي غضب الله من أبغضهم و إرضاؤه يوم القيمة في دار كرامته .

### ﴿باب﴾

﴿فضل الإيمان على الإسلام واليقين على الإيمان﴾

١ - أبو علي "الأشعري" ، عن محمد بن سالم ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا أخا جعف إن "الإيمان أفضل من الإسلام وإن" "اليقين أفضل من الإيمان وما من شيء أعز من اليقين .

### باب فضل الإيمان على الإسلام واليقين على الإيمان

الحديث الأول : ضعيف .

«يا أخا جعف» «أى ياجعفى» وهم قبيلة من اليمن ، وفي المصباح هو أخو تميم أى واحد منهم ، ففضل الإيمان على الإسلام إما باعتبار الولاية في الأول أو الـإذعان القلبي فيه مع الأفعال أو بدونها كما من جمـيع ذلك ، وعلى أى معنى أخذت يعتبر في الإيمان مـالـا يعتبر في الإسلام فهو أخص وأفضل ، وكذا اليقين يعتبر فيه أعلى مراتب الجزم بحيث يتـرتب عليه الآثار ، ويوجـب فعل الطاعات وترك المـناهـي ، ولا يعتبر ذلك في الإيمان أى في حقيقته حتى يكون في جميع أفرادـه فهو أخص وأفضل أفراد الإيمان ، أو يعتبر في اليقين عدم احتمـالـ النـقـيـضـ ، ولا يعتبر ذلك في الإيمان مطلقاً كما من ، والأـظـهـرـ أنـ التـصـدـيقـ الذـى لا يـحـتـمـلـ النـقـيـضـ تـخـلـفـ مـراـتـبـهـ حتـىـ يصلـ إلىـ مرـتـبـةـ اليـقـينـ كـمـاـ أوـ مـاـنـ إـلـيـهـ سـابـقاـ .

«ومـاـشـيـءـ أـعـزـ منـ يـقـينـ» أـىـ أـقـلـ وجودـاـ فيـ النـاسـ منهـ أوـ أـشـرـفـ منهـ ، والأـوـلـ أـظـهـرـ ، إذـ يـقـينـ لـاـ يـجـمـعـ مـعـ الـمـعـصـيـةـ لـاـ سـيـّـماـ مـعـ الـاـسـرـادـ عـلـيـهـاـ ، وـتـارـكـ ذـلـكـ نـادـرـ قـلـيلـ ، بلـ يـمـكـنـ أـنـ يـدـعـيـ أـنـ إـيمـانـ أـكـثـرـ الـخـلـقـ لـيـسـ إـلـاـ تـقـليـداـ وـظـنـاـ يـزـولـ بـأـدـنـيـ وـسـوـسـةـ مـنـ النـفـسـ وـالـشـيـطـانـ ، أـلـاـ تـرـىـ أـنـ الـحـلـبـ يـبـرـ إـذـ أـخـبـرـ أحـدـهـ بـأـنـ الطـعـامـ الـفـلـانـيـ يـضـرـهـ أـوـ يـوـجـبـ زـيـادـهـ مـرـضـهـ أـوـ يـبـطـوـءـ بـرـئـهـ يـحـتـمـيـ الطـعـامـ بـمـحـضـ

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ والحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد جميماً ، عن الوشائء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الایمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الایمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم في

قول هذا الطيب حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف المتوهّم ، ولا يترك المعصية الكبيرة مع إخبار الله ورسوله وأئمة الهدى عليهما السلام بأنّها مهلكة ومحبّة للعذاب الشديد وليس ذلك إلا لضعف الایمان وعدم اليقين .

**الحديث الثاني :** ضعيف على المشهور معتبر .

ويبدل على أن التقوى أفضل من الایمان ، والتقوى من الوقاية وهي في اللغة فرط الصيانة ، وفي العرف صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ، ولها ثلاثة مراتب الأولى : وقاية النفس عن العذاب المخلد ، بتصحيح العقائد الایمانية ، والثانية : التجنّب عن كلّ ما يؤنم من فعل أو ترك وهو المعروف عند أهل الشرع ، والثالثة : التوقّي عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ ، وهذه درجة الخواص ، بن خاص المخاص .

والمراد هنا أحد المعنيين الآخرين ، وكونه فوق الایمان بالمعنى الثالث ظاهر على أكثر معانى الایمان التي سبق ذكرها ، وإن أريد المعنى الثاني فالمراد بالایمان إماً محض العقائد الحقة أو مع فعل الفرائض وترك الكبائر لأنّ يعتبر ترك الصغائر أيضاً في المعنى الثاني ، وقيل : باعتبار أنّ الملكة معتبرة فيها لافيه ، ولا يخفى ما فيه .

وكون اليقين فوق التقوى كأنّه يعني حملها على المعنى الثاني وإلاً فيشكل الفرق ، لكن درجات المرتبة الأخيرة أيضاً كثيرة فيمكن حمل اليقين على أعلى درجاتها ، وما قيل في الفرق : أن التقوى قد يوجد بدون اليقين كما في بعض المقلّدين فهو ظاهر الفساد ، إذ لا توجد هذه الدرجة الكاملة من التقوى لمن كان بناء إيمانه على الظن والتخيّل .

**وقوله عليه السلام :** وما قسم للناس ، يبدل على أن للاستعدادات الذاتية والعنایات

الناس شيء أقل من اليقين .

٣ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمرون بن أعين قال : سمعت أبي جعفر عليه السلام يقول : إن " الله فضل إيمان على الإسلام بدرجة كثيرة فضل الكعبة على المسجد الحرام .

٤ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمر بن أبان الكلبي ، عن عبد الحميد الواسطي ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا أبو محمد الإسلام درجة؟ قال : قلت : نعم قال : والإيمان على الإسلام درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الإيمان درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة؟ قال : قلت : نعم ، قال : فما أُتي الناس أقل؟

الآلية مدخل في مراتب الإيمان واليقين كما مررت الإشارة إليه .

الحديث الثالث : حسن .

وقد من وجه هذا التشبيه في الفرق بين الإسلام والإيمان .

ال الحديث الرابع : مجهول .

« الإسلام درجة » أي درجة من الدرجات أو أول درجة وهو استفهام أو خبر « ونعم » يقع في جوابهما « على الإسلام » ، أي مشرفاً أو زايداً عليه « ما أُتي الناس أقل من اليقين » أي الإيمان أقل من سائر ما أعطى الناس من الكمالات أو هو عزيز نادر فيهم كما مر ، وقيل : المعنى ما أعطى الناس شيئاً قليلاً من اليقين ولا يخفى بعده ، و كانه حمله على ذلك ما سيأتي .

قوله عليه السلام : بأدنى الإسلام ، كان المراد بالإسلام هنا مجموع العقائد الحقة بل مع قدر من الأفعال كما مر من اختلاف معانى الإسلام ، ويحتمل أن يكون المراد بالخطاب غير المخاطب من ضففاء الشيعة ، وقيل : المراد بأدنى الإسلام أدنى الدرجات إلى الإسلام وهو الإيمان من قبيل يوسف أحسن إخوته .

من اليقين ، وإنما تمسّكتم بآداني الإسلام فاِيّاكم أن ينفلت من أيديكم .

٥ - عليُّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سأّلت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الایمان والاسلام فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنما هو الإسلام ، والایمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الایمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأي شيء اليقين ؟ قال : التوكل

«أن ينفلت من أيديكم» أي يخرج من قلوبكم فجأة فيدل على أن من لم يكن في درجة كاملة من الایمان فهو على خطر من زواله فلا يفتر من لم يتّقّ المعاصي بحصول العقائد له ، فإنه يمكن زواله عنه بحيث لم يعلم ، فان الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة حصن للایمان تحفظه من سرّاق شياطين الانس والجان ، قال الجوهري : يقال كان ذلك الأمر فلتة اى فجأة إذا لم يكن عن تدبّر ولا تردد ، وأفلت الشيء وتفلت بمعنى ، وأفلته غيره .

**الحادي الخامس :** صحيح .

«إنما هو الإسلام» كأن الضمير راجع إلى الدين لقوله تعالى : «إن الدين عند الله الإسلام» <sup>(١)</sup> أو ليس أول الدخول في الدين إلا درجة الإسلام . قوله عليه السلام : التوكل على الله ، تفسير اليقين بما ذكر من باب تعريف الشيء بلوازمه و آثاره ، فاته إذا حصل اليقين في النفس بالله سبحانه وحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته وتقديره للأشياء وتدبيره فيها ورأفته بالعباد ورحمته ، يلزم التوكل عليه في أموره واعتماد عليه و الوثوق به ، وإن توسل بالأسباب تعبدًا وتسليم له في جميع أحكامه ، ولخلفائه فيما يصدر عنهم ، والرضا بكل ما يقضى عليه على حسب المصالح من النعمة والبلاء والفقير والغnaire ، والعز و الذل وغيرها ، وتفويض الأمر إليه في دفع شر الأعدى الظاهر و الباطنة ، أو رد الأمر بالكلية إليه في جميع الأمور بحيث يرى قدرته مضمونة في جنب قدرته ، وإرادته معدومة

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتغويض إلى الله . قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

عـ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام قال : الإيمان فوق الإسلام بدرجة ، والتقوى فوق الإيمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين .

عند إرادته كما قال الله تعالى : « و ما تشاون إلا أن يشاء الله » <sup>(١)</sup> و يعيش عن هذه المرتبة بالفناء في الله .

قوله عليه السلام : هكذا «الخ» طـا كان السـائل فاـصراً عن فهم حـقـاـيق هـذـه الصـفـات لم يـجـبـهـ عليهـ بالـتـفـيـرـ بلـ أـكـدـ حـقـيـقـتـهـ بـالـرواـيـةـ عنـ والـدـ عليهـ السلامـ ، وـ قـيـلـ : استـبعـدـ الـراـوىـ كـوـنـ هـذـهـ الـأـمـورـ تـفـسـيـرـاـ لـلـيـقـيـنـ ، فـأـجـابـ عليهـ بـأـنـ الـبـاقـيـهـ كـذـاـ فـسـرـهـ

**الحاديـثـ السـادـسـ :** صـحـيـحـ وـ مـطـابـقـ لـحـدـيـثـ الـوـشـاءـ .

قال بعض المحققين : إن العلم والعبادة جوهران لا جلهما كان كلـما نـرـى وـتـسـمعـ منـ تـصـنـيفـ المـصـنـفـينـ وـ تـعـلـيمـ الـمـعـلـمـينـ وـ عـظـاـءـ الـوـاعـظـينـ وـ نـظـرـ النـاظـرـينـ، بلـ لـأـجـلـهـماـ أـنـزـلـتـ الـكـتـبـ وـأـدـسـلـتـ الـرـسـلـ، بلـ لـأـجـلـهـماـ خـلـقـتـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـماـ فـيـهـماـ مـنـ الـمـخـلـقـ، وـ نـاهـيـكـ لـشـرـفـ الـعـلـمـ قولـ اللهـ عـزـ وـجـلـ : « اللهـ الـذـىـ خـلـقـ سـبـعـ سـمـاـوـاتـ وـ مـنـ الـأـرـضـ مـثـلـهـنـ يـتـزـلـ الـأـمـرـ بـيـنـهـنـ » لـتـعـلـمـواـ أـنـ اللهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ، وـ أـنـ اللهـ قـدـ أحـاطـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـمـاـ » <sup>(٢)</sup> وـ لـشـرـفـ الـعـبـادـ قـولـهـ سـبـحـانـهـ : « وـ مـاـ خـلـقـ الـجـنـ » وـالـأـنـسـ إـلاـ يـعـبـدـونـ » <sup>(٣)</sup> فـحـقـ لـلـعـبـدـ أـنـ لـاـ يـشـتـغلـ إـلاـ بـهـماـ، وـلـاـ يـتـعـبـ إـلاـ لـهـماـ، وـأـشـرـفـ الـجـوـهـرـيـنـ الـعـلـمـ كـمـاـ وـرـدـ : فـضـلـ الـعـالـمـ عـلـىـ الـعـابـدـ كـفـضـلـ عـلـىـ أـدـنـاـ كـمـ .

(١) سورة الإنسان : ٣٠ .

(٢) سورة الطلاق : ١٢ .

(٣) سورة الذاريات : ٥٦

والمراد بالعلم الدين أعني معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قال الله عز وجل : « آمن الرسول بما انزل إلية من ربته و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسليه »<sup>(١)</sup> و قال تعالى : « يا أيتها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذي انزل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسليه و اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً »<sup>(٢)</sup> و هر جع الائمان إلى العلم ، وذلك لأن الائمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه ، ولا محالة هو مستلزم لتصور ذلك الشيء كذلك بحسب الطاقة ، وهذا معنى العلم ، والكفر ما يقابلها وهو بمعنى الستر و الغطاء ، و من جمعه إلى الجهل ، وقد خص الائمان في الشرع بالتصديق بهذه الخمسة ولو إجمالا ، فالعلم بها لا بد منه ، وإليه الاشارة بقوله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة ، ولكن لكل إنسان بحسب طاقته و وسعه ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فإن للعلم والائمان درجات مترتبة في القوّة و الضعف و الزيادة و النقصان ، بعضها فوق بعض ، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة .

و ذلك لأن الائمان إنما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب و هو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جل جلاله . « الله ولـي الذين آمنوا يخر جهم من الظلمات إلى النور » « فمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » و ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه ، وهذا النور قابل للقوّة و الضعف و الاشتداد و النقص كسائر الأنوار . « و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » « و قل رب زدني علمًا » كلما ارتفع حجاب إزداد نور فيقوى الائمان

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٢) سورة النساء : ١٣٦ .

و ينكملاً إلى أن ينبع نور فينشرج صدره ويطلع على خلق الأشياء و تجلّى له الغيوب ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر له صدق الأنبياء ﷺ في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً و تفصيلاً على حسب نوره، و بمقدار إنشراح صدره، و ينبعث من قلبه داعية العمل بكلّ مأمور، و الاجتناب عن كلّ محظوظ فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملائكة الحميّدة «نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم» «نور على نور» وكلّ عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاء يجعله مستعداً لحصول نور فيه و انشراح و معرفة و يقين، ثمّ ذلك النور و المعرفة واليقين تحمله على عبادة أخرى و إخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر و إنشراحًا آخر و معرفة أخرى و يقيناً أقوى، وهكذا إلى ماشاء الله جلّ جلاله، وعلى كلّ من ذلك شواهد من الكتاب والسنة.

ثمّ أعلم أنّ أوائل درجات الإيمان تصدّيات مشوّبة بالشكوك و الشبه على اختلاف مراتبها، ويمكن معها الشرك «وما يؤمّن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون» و عنها يعبر بالاسلام في الاكثر «قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم» و أواسطها تصدّيات لا يشوبها شك ولاشبهة «الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا» و أكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربّهم يتوكلون» و أواخرها تصدّيات كذلك مع كشف و شهود و ذوق و عيان، و هبّة كاملة لله سبحانه، و شوق تام إلى حضرة المقدّسة يحبّهم و يحبّونه، أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين، لا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء، و عنها العبارة تارة بالاحسان، الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وأخرى، باليقان «و بالآخرة هم يوفّون» و إلى المراتب الثلاث الاشارة بقوله عز وجلّ : «ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا

## (باب)

## ( حقيقة الایمان واليقين )

١ - عدّة من أصحابنا، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَرِيعٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَذَافٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ وَالشَّفَاعَةَ

ما اتقووا و آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و أحسنوا والله بحب المحسنين <sup>(١)</sup> وإلى مقابلاته التي هي مراتب الكفر الإشارة بقوله جل وعز : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرُ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» <sup>(٢)</sup> فنسبة الاحسان واليقين إلى الایمان كنسبية الایمان إلى الاسلام ، ولليقين ثلاثة من اقب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عِنْدَ الْيَقِينِ» أن هذا فهو حق اليقين .

والفرق بينها إنما ينكشف بمثال فعلم اليقين بالنار مثلاً هو مشاهدة المرئيات بتوسط نورها ، و عين اليقين بها هو معاينة جرمها ، و حق اليقين بها الاحتراف فيها ، و اندماج الهوية بها والصيروحة ناراً صرفاً وليس وراء هذا غاية ، ولا هو قابل للزيادة ، لو كشف الغطاء ما ازدت يقيناً .

## باب حقيقة الایمان و اليقين

الحاديـث الـاولـ : مجـهـولـ وـقـدـ مـرـ مـضـمـونـهـ بـسـنـدـ صـحـيـحـ قـبـلـ ذـلـكـ بـورـقةـ .  
«بيـنـا رـسـوـلـ اللـهـ بيـنـا هـيـ بيـنـ الـظـرـفـيـةـ أـشـبـعـتـ فـتـحـتـهـ فـصـارـتـ أـلـفـاـ وـيـقـعـ بـعـدـهـ حـيـنـئـذـ إـذـ الـفـجـائـيـةـ غالـباـ ، وـعـامـلـهـاـ مـحـذـوفـ يـفـسـرـهـ الـيـقـعـ الـوـاقـعـ بـعـدـ إـذـ عـنـدـ بـعـضـ

(١) سورة المائدـةـ : ٩٣ .

(٢) سورة النساءـ : ١٣٧ .

في بعض أسفاره إذ لقيه ركب ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : إنّه ضا بقضاء الله والتقويض إلى الله والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله ﷺ : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أبناء ، فان كنتم صادقين فلا تبنوا مالا تسكونوا ولا تجمعوا مالا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ؛ وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جمياً عن ابن محبوب ، عن أبي محمد الوابشى وإبراهيم بن مهزم ، عن إسحاق بن عمّار

وبعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل ، أى بين أوقات سفره لقاء الركب ، والركب جمع راكب كصحب وصاحب .

«فقال ما أنتم ؟ أى أى صنف أنتم من الناس ؟ قيل : كما أنت ما تكون سؤالاً عن حقيقة الشيء يكون سؤالاً عن خواصه و آثاره المترتبة عليه ، وهو المراد هنا بذلك أجابوا بها «فقالوا نحن مؤمنون » انتهى .

و قال الراغب في معاني «ما» الثالث : الاستفهام ، و يسئل به عن جنس ذات الشيء و نوعه ، و عن جنس صفات الشيء و نوعها ، و قد يسئل به عن الأشخاص و الأعيان في غير الناطقين ، انتهى .

«فما حقيقة إيمانكم ؟ طرحاً كانت للإيمان حقائق مختلفة و درجات متفاوتة سُئلُوهُمْ عَنْ حِقْيَةِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَدْعُونَهُ فَأَجَابُوهُمْ بِلَوَازْمِهِ وَآثَارِهِ لِيُظَهِّرَ حِقْيَةَ مَا أَدْعُوهُمْ، أوَالْمَرَادُ بِالْحِقْيَةِ هُوَ مَا يَحْقِّهُ وَيُشَبِّهُ أَىَّ الْإِيمَانَ أَمْ قُلْبِيْ إِنْتَمْ يُشَبِّهُ بِآثَارِهِ، فَمَا ظَهَرَ مِنْ آثَارِ إِيمَانِكُمْ لِيَدِلَّ عَلَى ثِبَوَتِهِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَنْسَبُ بِمَا مِنْ مُضْمُونٍ هَذَا الْخَبْرُ، حِيثُ قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ إِيمَانِكُمْ، فَانَّ الظَّاهِرَ إِتْحَادُ الْوَاقِعَةِ، وَالتَّفْوِيْضُ إِلَى اللهِ هَذَا التَّوْكِيدُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَمْوَارِ .

الحديث الثاني : موثق .

قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى بِالنَّاسِ الصَّبَحَ ، فَنَظَرَ إِلَى شَابٍ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَخْفَقُ وَيَهْوِي بِرَأْسِهِ ، مَصْفَرًا لَوْنَهُ ، قَدْ نَحْفَ جَسْمَهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فَلَانَ ، قَالَ : أَصْبَحْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَوْقِنًا ، فَعَجَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَ : إِنَّ لَكُلَّ يَقِينٍ حَقْيَةً فَمَا حَقْيَةُ يَقِينِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ يَقِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَحْزَنَنِي وَأَسْهَرَ لِي لِي وَأَطْمَأْ

«فَنَظَرَ إِلَى شَابٍ» كَأَنَّهُ الْحَارِثَةُ الْآتِيُّ فِي الْخَبَرِ الثَّانِي «وَهُوَ يَخْفَقُ وَيَهْوِي بِرَأْسِهِ» لِلنَّعَاصِ بِكَثِيرَةِ الْعِبَادَةِ فِي الْلَّيْلِ فِي الْقَامُوسِ : خَفَقَتِ الرَّاِيَةُ يَنْخَفَقُ وَتَخْفَقُ وَخَفَقَأَا وَخَفَقَانَا مَحْرَكَةً اضْطَرَبَتْ وَتَحْرَكَتْ ، وَفَلَانَ حَرَّكَ رَأْسَهُ إِذَا فَسَ كَأَخْفَقَ وَقَالَ : هُوَ هَوِيَّا سَقَطَ مِنْ عَلُوٍ إِلَى سَفَلٍ ، انتَهَى .

فَقَوْلُهُ : وَيَهْوِي بِرَأْسِهِ كَالتَّفَسِيرِ لِقَوْلِهِ : يَخْفَقُ ، أَوْ مِبَالَغَةُ فِي الْخَفْقِ إِذَا كَفَى فِيهِ الْحَرْكَةُ الْقَلِيلَةُ وَنَحْفُ كَتْبَعُ وَقْرَبَ نَحَافَةً : هَزَلٌ كَيْفَ أَصْبَحْتَ «أَىٰ عَلَى أَىٰ حَالٍ دَخَلْتَ فِي الصَّبَاحِ» أَوْ كَيْفَ صَرَتْ «فَعَجَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» كَتْبَعَ أَىٰ نَعْجَبٍ مِنْهُ لِنَدَرَةِ مِثْلِ ذَلِكَ ، أَوْ أَعْجَبَهُ وَسَرَّ بِهِ قَالَ الرَّاغِبُ : الْعَجَبُ وَالْتَّعَجُّبُ حَالَةٌ تَعْرُضُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ الْجَهْلِ بِسَبَبِ الشَّيْءِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءِ : الْعَجَبُ مَا لَا يَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلِهَذَا قِيلَ : لَا يَصْحُّ عَلَى اللَّهِ التَّعَجُّبُ إِذَا هُوَ عَلَامُ الْغَيْوَبِ ، وَيَقَالُ : مَا لَا يَعْهَدُ مِثْلُهُ عَجَبٌ ، قَالَ تَعَالَى : «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجِبًا أَنْ أُوحِنَا» <sup>(١)</sup> «كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجِبًا» <sup>(٢)</sup> «إِنَّا سَمِعْنَا قَرآنًا عَجِيبًا» <sup>(٣)</sup> أَىٰ لَمْ نَعْهَدْ مِثْلَهُ وَلَمْ نَعْرِفْ سَبَبَهُ ، وَيَسْتَعْمَلُ تَارِةً لِلْمَوْنِقِ فِي قَالَ أَعْجَبَنِي كَذَا أَىٰ رَاقِنِي ، وَقَالَ تَعَالَى : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ» <sup>(٤)</sup> .

«إِنَّ لَكُلَّ يَقِينٍ» أَىٰ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِ أَوْ صَنْفٌ مِنْ أَصْنَافِهِ «حَقْيَةُ فَمَا حَقْيَةُ يَقِينِكَ» مِنْ أَىٰ نَوْعٍ أَوْ صَنْفٍ ، أَوْ لَكُلَّ يَقِينٍ عَالِمَةٌ تَبْدِلُ عَلَيْهِ فَمَا عَالِمَةٌ يَقِينِكَ كَمَا مِنْ «هُوَ الَّذِي أَحْزَنَنِي» أَىٰ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ «وَأَسْهَرَ لِي لِي» لِحَزْنِ الْآخِرَةِ أَوْ

(١) سورة يونس : ٢ .

٩ .

(٢) سورة الكهف : ٢ .

(٣) سورة البقرة : ١ .

(٤) سورة الجن : ١ .

هو اجرى فعزت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخالق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة ، يتنعمون في الجنة ويتعرفون على الآراء متكلّمون ، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصرط خون ، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي ، فقال رسول

للاستعداد لها ، أو لحبّ عبادة الله و مناجاته : عجبًا للمحبّ كيف ينام ، والاسناد مجازىٌ إى اشهرنى في ليلى و كذا في قوله : « و اظماً هواجرى » مجاز عقلىٌ إى أظمانى عند الهاجرة و شدة الحرّ المصوم في الصيف ، و إنما خصه لأنّه أشقاً و أفضل ، في القاموس : الهاجرة نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأنّ الناس يستكثرون في بيوتهم كأنّهم قد تهاجروا ، و شدة الحرّ .

و قال : عزت نفسي عنه تعزف عزوفاً زهدت فيه و انصرفت عنه ، أرمته .  
« حتى كأني أنظر » إى شدّة اليقين بأحوال الآخرة صيرنى إلى حالة الشاهدة ، و الاصطراخ الاستغاثة و زفير النار صوت توقدّها ، في القاموس : زفر يزفر زفراً و زفيرأً أخرج نفسه بعد مده إيه ، و النار سمع لتوقدّها صوت .

و قال : المسمى كمنبر الأذن كالسّامعة و الجمع مسامع ، انتهى .  
و قيل : المسمى جمع على غير قياس كمشابه و ملامح جمع شبه و ملحمة ، وقال بعض المحققين : هذا التنوير الذي أشير به في الحديث إنما يحصل بزيادة الإيمان و شدّة اليقين فإنهما ينتهيان بصاحبهما إلى أن يطلع على حقائق الأشياء ، محسوساتها و معقولاتها فتفكشف له حبيبها و أستارها ، فيعرفها بعين اليقين على ما هي عليه من غير وصفة ريب أو شائبة شك فيطمئن لها قلبها ويستريح بها روحه ، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً .

و إليه أشار أمير المؤمنين بقوله : هجم بهم العلم على حقائق الأمور ، وبashروا رواح اليقين ، واستلأنوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ،

الله ﷺ لا صحابه : هذا عبدُ نورِ الله قلبه بالإيمان ، ثم قال له : الزم ما أفت عليه ، فقال الشابُ : ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعه نفر وكان هو العاشر .

٣ - محمد بن يحيى ؟ عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمْسَكَانٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : اسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَارِثَةَ بْنَ مَالِكَ ابْنَ النَّعْمَانَ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةَ بْنَ مَالِكَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ حَقًّا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَكُلُّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ ؟ فَقَالَ :

وَصَحَّبُوا الدِّنِيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مَعْلَقَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى .

أَرَادَ تَلْكِيلَهُ بِمَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُونَ يَعْنِي الْمُتَنَعِّمُونَ رُضُّ الشَّهَوَاتِ الْبَدْنِيَّةِ وَ قَطْعُ التَّعْلِقَاتِ الدِّينِيَّةِ وَمَا ذَرَمَةُ الصَّمْتِ وَالسَّهْرِ وَالجُوعِ وَالْمَرَاقِبَةِ ، وَالاحْتِرَازِ عَمَّا لَا يَعْنِي وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَتَبَيَّسُ ذَلِكَ بِالتَّجَافِيِّ عَنْ دَارِ الْغَرَورِ ، وَالترَّفِيِّ إِلَى عَالَمِ النُّورِ ، وَالْأَنْسِ بِاللَّهِ وَالْوَحْشَةَ عَمَّا سُواهُ ، وَصِرْوَرَةُ الْهَمْمُومِ جَمِيعًا هَمَّا وَاحِدًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ مُسْتَعْدٌ لِأَنْ يَتَجَلَّ فِيهِ حَقِيقَةُ الْحَقِّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا مِنَ الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي هُوَ مُنْقُوشٌ بِجَمِيعِ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّمَا حَيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حِجْبٌ كَمَقْصَانٍ فِي جَوَهْرَةٍ أَوْ كَدُورَةٍ تَرَاكَمَتْ عَلَيْهِ مِنْ كُثْرَةِ الشَّهَوَاتِ أَوْ عَدُولِهِ عَنْ جَهَةِ الْحَقِيقَةِ الْمَطْلُوبَةِ ، أَوْ اعْتِقَادِ سَبِقِ إِلَيْهِ وَرَسْخُ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْلِيدِ وَالْقَبُولِ بِحَسْنِ الظَّنِّ ، أَوْ جَهْلِ بِالْجَهَةِ الَّتِي مِنْهَا يَقْعُدُ الْعَثُورُ عَلَى الْمَطْلُوبِ ، وَإِلَى بَعْضِ هَذِهِ الْحِجَبِ أُشِيرُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ : لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحْوِمُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ .

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ : ضَعِيفٌ عَلَى الْمَشْهُورِ لَا يَقْصُرُ عَنِ الصَّحِيحِ عِنْدِي .

«مُؤْمِنٌ حَقًّا» قَوْلُهُ : حَقًّا مُؤْكَدٌ كَفَوْلَاهُمْ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ حَقًّا ، وَالْحَاصلُ أَنَّمَّا مُؤْمِنٌ حَقًّا الإِيمَانُ ، وَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ «فَأَسْهَرَتْ لِيَلَى» عَلَى صِيَغَةِ

يا رسول الله عزفت نفسي عن الدُّنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربِّي [و] قد وضع للحساب وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتذارون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار ، فقال له رسول الله عليه السلام : عبد نور الله قلبه ، أبصرت فائبت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللهم ارزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله عليه السلام سريّة بعثه فيها ، فقاتل قاتل تسعه – أو ثمانية – ثم قُتل .

البيبة بارجاع الضمير إلى النفس أو على صيغة التكليم ، و كذا الفقرة التالية تتحمل الوجهين ، ويقال : تزاوروا أي زاد بعضهم بعضاً ، و قال في النهاية في حديث حارثة : كأني أسمع عواء أهل النار ، أي صياحهم والعواء صوت السباع و كأنه بالذئب والكلب أخص ، و في القاموس : عوى يعوي عيّاً و عواء بالضم لوى خطمه ثم صوت أومد صوته ولم يفصح .

وقال : السريّة من خمسة أنفس إلى ثلاثة أو أربعاء ، وفي الصحيح :  
السريّة قطعة من الجيش .

قوله: و في رواية القاسم بن يزيد ، يحمل الارسال أو يكون الراوى عنه ابن سنان ، فيكون بحكم السندي السابق .

ثم أعلم أن هاتين الروايتين تدلان على أن حارثة استشهد في زمن الرسول عليه السلام و قال بعضهم : و ينافي ما ذكر الشيخ في رجاله حيث قال : حارثة بن نعمان الأنصاري كنيته أبو عبد الله شهد بدرأ و أحداً و ما بعدهما من المشاهد ، و ذكر هو أنه رأى جبرائيل عليه السلام دفعتين على صورة دحية الكلبي أو لهما حين خرج رسول الله عليه السلام إلىبني قريطة ، والثاني حين رجع من حنين ، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام القتال ، و توفي في زمن معاوية ، انتهى .

و هو خطأ لأن المذكور في الخبر حارثة بن مالك وجده النعمان ، و ما ذكره الشيخ حارثة بن النعمان وهو غيره ، و العجب أن هذا الحديث مذكور في

وفي رواية القاسم بن بريد ، عن أبي بصير قال : استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعه نفر وكان هو العاشر :

٤- عليٌ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَعَلَى كُلِّ

كتب العامة أيضاً كما يظهر من النهاية ، وهذا الرجل غير مذكور في رجالهم وكأنه لعدم الرواية عنه كما أن أصحابنا أيضاً لم يذكروه لذلك .

**الحديث الرابع :** ضعيف على المشهور .

ويمكن أن يكون المراد بالحقيقة الدليل العقلى وبالنور الدليل النقلى من الكتاب والسنّة ، أو يكون المراد بالحقيقة العالمة الدالة على وجوده كمامر ، وبالنور الدلائل الدالة على المسائل الأصولية والفرعية ، عقلية كانت أو نقليّة ، ويحتمل أن يكون المراد بالنور الآيات القرآنية فالمراد بالحقيقة السنّة أو الأعم منها ومن الدلائل العقلية لأنّه قد مضى هذا الخبر بهذا السنّد في باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب ، قوله تعالى : **فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخَذُوهُ وَمَا** خالف كتاب الله فدعوه .

وقيل : المراد بالحق ظاهر الشريعة وبالحقيقة باطنها وغايتها وماله وما به كماله ، كما قيل : ينقسم ما جاء به الشارع إلى شريعة وحقيقة فالشريعة ظاهر ما ورد بالنقل ، والحقيقة باطنها وهو بين العبد وبين الله ، فحكم الشريعة على الظاهر وحكم الحقيقة على الباطن كما روى عن النبي ﷺ نحن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، فكل عبادة ظاهرة إن لم تصدر عن حقيقة باطنها كأعمال المخالفين و المرايئين فهي باطلة ، و كالقوى فإنْ أَوْلَهْ حَقٌْ يُشَمَّلُ عَوْمَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَهْ حَقِيقَةٌ وَغَايَةٌ يُبَلَّغُهَا خَوَاصُ الْأُولَاءِ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فَانْ أَوْلَهْ حَقٌْ وَبِهِ يُخْرَجُ عَنِ الْكُفَّارِ وَلَهْ حَقِيقَةٌ وَغَايَةٌ هِيَ كَمَالُهِ يُبَلَّغُهَا خَوَاصُ الْمُؤْمِنِينَ .

صواب نو دارا

باب التفكير

١- عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليِّ ، عن السكونيِّ ، عن أبي عبدالله  
عليَّ بن أبي طالبٍ : قال كان أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالبٍ يقول : نبه بالتفكير قلبك ؛ و جاف عن الليل

و بالجملة الحق في كل شيء بمنزلة القشر و الحقيقة بمنزلة اللب، وإنما قال: على كل حقيقة، ولم يقل لكل حقيقة للتتبّع بالاستعلاء على أن حقيقة كل شيء مرتفع على حقّه و مستول عليه إذ هو المقصود منه و ملجمانسة قوله: و على كل صواب نوراً، و الصواب ضد الخطأ أي على كل صواب من قول أو فعل أو عقد برهان يتحققه، و دليل يصدقه، وإنما سمي نوراً لأنّه سبب ظهوره.

باب التفكير

**الحاديـث الأول : ضعيف على المشهور .**

و التنبيه الايقاظ عن النوم وعن الغفلة ، وفي القاموس النبه بالضم الفطنة و القيام من النوم ، وأنبئه و نبئه فتنبيه و انتبه وهذا منبهة على كذا يشعر به ، و لفلان مشعر بقدره ومُعمل له ، وما نبئه له كفرح : ما فطن والاسم النبه بالضم ، ونبئه بياسمه تنبيهاً نوه ، انتهى .

و التفكير إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوّة الإيمان واليقين ، والزّهد في الدّنيا والرغبة في الآخرة ، قال الفرزالي : حقيقة التفكير طلب علم غير بدائي من مقدّمات موصولة إليه كما إذا تفكّر أنّ الآخرة باقية والدنيا فانية ، فاته يحصل له العلم بأنّ الآخرة خير من الدنيا ، وهو يبعثه على العمل لأنّ آخرة فالتفكير سبب لهذا العلم ، وهذا العلم حالة نفسانية وهو التوجّه إلى الآخرة وهذه الحالة تقتضي العمل لها ، وقس على هذا فالتفكير موجب لتنوّر القلب وخروجه من الففلة ،

جنبك ، واتق الله ربك .

وأصل لجميع الخيرات .

وقال المحقق الطوسي قدس سره : التفكير سير الباطن من المبادىء إلى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرقى أحد من النقص إلى الكمال إلاً بهذا السير ومبادئه الآفاق والأنفس بـأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته وفي الأجرام العلوية من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها وإختلافاتها ومقارناتها ومقارقاتها وتأثيراتها وتغيراتها وفي الأجرام السفلية وتربيتها وتفاعلها وكيفياتها ومركيباتها ومعدنياتها وحيواناتها ، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة ، ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته ، وعدم ثبات ما سواه .

وبالجملة التفكير فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته وحكمته ، ومن حيث تغييره وانقلابه وفنائه بعد وجوده أثره الانقطاع منه والتوجه بالكلية إلى الخالق الحق ، ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وإنقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ، ورجوعهم إلى دار الآخرة فإذاً يجب قطع المحبة عن غير الله والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة ، ولذا أمر بهما بعد الامر بالتفكير ، ويمكن تعميم التفكير بحيث يشمل التفكير في معاني الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المرورية عن الأئمة عليهم السلام ، والمسائل الدينية والأحكام الشرعية ، وبالجملة كلّما أمر الشارع الصادع بالخوض فيه والعلم به .

قوله عليهم السلام : وجاف عن الليل جنبك ، الجفا بعد ، وجاف عنه كذا أى باعده عنه ، في الصحيح : جفا السرّاج عن ظهر الفرس وأجفنته أنا إذا رفعته عنه ، وجفافه عنه فتجفاف جنبه عن الفراش أى نبا ، انتهى .

وقال سبحانه : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع » <sup>(١)</sup> و إسناد المجافاة إلى الليل مجاز في الإسناد ، أى جاف عن الفراش بالليل أو فيه تقدير مضاد أى جاف عن فراش

(١) سورة السجدة : ١٦ .

٢ - عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصيق قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يرمي الناس أن تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف يتكلّم ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما [با] لك لا تتكلّمين .

الليل جنبك ، وعلى التقادير كنایة عن القيام بالليل للعبادة ، وقد مر معنى القوى والتوصيف بالرب للتعليل .

#### الحديث الثاني : مرسى .

« خير من قيام ليلة » اي للعبادة لأن التفكّر من أعمال القلب وهو أفضل من أعمال البحوارج ، وأيضاً أثره أعظم وأدوم ، إذ ربما صار تفكّر ساعة سبباً للتوبة عن المعاصي ، ولزوم الطاعة تمام العمر .

« يمر بخربة » <sup>(١)</sup> كأنه عليه السلام ذكر ذلك على سبيل المثال لتفهيم السائل أو قال ذلك على قدر فهم السائل ورتبيته فإنه كان قابلاً لهذا النوع من التفكّر ، والمراد بالدار مالم تخرّب لكن مات من بناتها وسكنها غيره ، وبالخربة ماخرب ولم يسكنه أحد ، وكون الترديد من الرواى كما زعم بعيد ، ويحتمل أن يكون : أين ساكنوك ؟ للخربة وأين بانوك ؟ للدار على اللف ونشر المترقب ، لكن كونهما لكل منهما أظهر ، والظاهر أن القول بلسان الحال ، ويحتمل المقال ، وقوله : مالك لا تتكلّمين ؟ بيان لغاية ظهور الحال أى العبرة فيك بيّنة بحيث كان ينبغي أن تتكلّم بذلك ، وقيل : هو من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملازم ، فنفي التكلّم كنایة عن نفي الاستماع أى لم لا يسمع الغافلون ما تتكلّم به بلسان الحال جهراً أو قيل : استفهام إنكارى أى أنت تتكلّمين لكن الغافلون لا يستمعون وهو بعيد ، ويمكن أن يكون كلامها كنایة عن تنبئه الغافلين أى لم لا تتبّعه المغرورين بالدنيا مع هذه الحالة الواضحة ، ويؤى إلى تعيير الجاهلين بعدم الاتّباع به كما أنه يقول رجل لوالد رجل فاسق بحضوره : لم لا تعظ ابنك ؟ مع أنه يعلم أنه يعظه وإنما يقول ذلك تعييرًا للابن .

(١) وفي المتن « بالخربة »

٣ - عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ بَعْضِ رَجُلَهُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ قَالَ : أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدْهَانُ التَّفْكِيرِ فِي اللَّهِ وَفِي قَدْرَتِهِ .

٤ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ مُعْمَرِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : سَمِعْتُ

**الحديث الثالث :** مرسل كالصحيح فانه يقال من اسائل البزنطي في حكم المسانيد.  
والإدمان الادامة وقوله عليه السلام : وفي قدرته ، كأنه عطف تفسير لقوله : في الله ،  
فإن التفكير في ذات الله وكتنه صفاتيه ممنوع كما هو في الاخبار في كتاب التوحيد ،  
لأنه يورث الحيرة والدهش واضطرب العقل ، فالمراد بالتفكير في الله النظر إلى  
أفعاله وعجائب صنعه وبداعي أمره في خلقه ، فانها تدل على جلاله وكبرياته  
وقدسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته ، وعلى نفاذ مشيته وقدرته وإحاطته  
بالأشياء ، وأنه سبحانه له الكمال وعلمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عيناً من غير تكليف  
ومعرفة ونواب وعقاب فانه لو لم تكن نشأة أخرى باقية غير هذه النشأة الفانية الممحوفة  
بأنواع المكائد والآلام لكان خلقها عيناً كما قال تعالى : « أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ  
عِبَادًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ » <sup>(١)</sup> .

وهذا تفكير أولى الالباب كما قال تعالى : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَخَلْقِ الظَّلَالِ وَالنَّهارِ لآيَاتٍ لَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَّكَّرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقَعْدًا وَعَلَى  
جَنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سَبِّحْنَاكَ  
فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ » <sup>(٢)</sup> وَقَالَ سَبِّحَنَاهُ : وَمِنْ آيَاتِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ ، فِي مَوَاضِعِ كَثِيرَةٍ قَتَلَكَ  
الآيَاتُ هِيَ مِجَارِي التَّفْكِيرِ فِي اللَّهِ وَفِي قَدْرَتِهِ لَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَذَّكَّرُونَ لَذَانَهُ تَعَالَى ، فَقَدْ روَى عَنِ  
النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم إِنَّمَا قَالَ : تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا قَدْرَهُ .

**ال الحديث الرابع :** صحيح .

(١) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١ .

أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل .

٥ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حماد ، عن ربعي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إن] التفكير يدعو إلى البر والعمل به .

«ليس العبادة كثرة الصلاة» أى ليست منحصرة فيها «إنما العبادة» أى الكاملة «التفكير في أمر الله» بالمعنى المتفق عليه ، وقد يقال : المراد بالتفكير في أمر الله طلب العلم بكيفية العمل وآدابه وشرائطه ، والعبادة بدونه باطلة ، فالحاصل أن «كثرة الصلاة والصوم بدون العلم بشرائطهما وكيفياتهما وأحكامهما ليست عبادة» .  
وأقول : يحتمل أن يكون المعنى أن «كثرة الصلاة والصوم بدون التفكير في معرفة الله و معرفة رسوله و معرفة أئمة الهدى كما يضعه المخالفون غير مقبولة دووجبة للبعد عن الحق» .  
الحديث الخامس : ضعيف .

«التفكير يدعو إلى البر» كأن التفكير الوارد في هذا الخبر شامل لجميع التفكيرات الصحيحة التي أشرنا إليها كالتفكير في عظمة الله فائه يدعو إلى خشيته وطاعته ، والتفكير في فناء الدنيا ولذاتها فاته يدعو إلى تركها ، والتفكير في عواقب من مضي من الصالحين فيدعوه إلى إتقاء آثارهم ، وفي ما آلت إليه أمر المجرمين فيدعوه إلى إجتناب أطوارهم ، وفي عيوب النفس وآفاتها فيدعوه إلى الإقبال على إصلاحها ، وفي أسرار العبادة وغاياتها فيدعوه إلى السعي في تكميلها ورفع النقص عنها ، وفي رفعة درجات الآخرة فيدعوه إلى تحصيلها ، وفي مسائل الشريعة فيدعوه إلى العمل بها في مواضعها ، وفي حسن الأخلاق الحسنة فيدعوه إلى تحصيلها ، وفي قبح الأخلاق السيئة وسوء آثارها فيدعوه إلى تجنبها ، وفي نقص أعماله و معایيبها فيدعوه إلى السعي في إصلاحها ، وفي سباته وما يتربّط عليها من العقوبات والبعد عن الله

## ﴿باب المكارم﴾

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الهيثم بن أبي مسروق ، عن يزيد بن إسحاق شعر ، عن الحسين بن عطية عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المكارم عشر فان استطعت أن تكون فيك فلتكن فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده

والحرمان عن السعادات فيدعوه إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتي به بالتوبة والندم ، وفي صفات الله وأفعاله من لطفه بعباده وإحسانه إليه بسواعغ النعماء وبسط الآلاء والتکلیف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بشواب جزيل ، وتسخيره له ما في السماوات والأرض وما بينهما . إلى غير ذلك فيدعوه إلى البر والعمل به ، والرُّغبة في الطاعات والانتهاء عن السيئات ، و بالمقاييس إلى ما ذكرنا يظهر آثار سائر التفكيرات ، والله الموفق للخيرات .

### باب المكارم

الحديث الأول : مجہول .

وفي الخصال و مجالس الشيخ و المفید عن الحسن بن عطية ، فالحديث حسن  
الصحيح وهو الظاهر .

وفي القاموس : الكرم محرّكة ضد اللؤم ، كرم بضم الراء كرامة فهو كريم  
ومكرمة وأكرمه وكرمه عظيمه ونذرته ، وال الكريم الصفوح والمكرم والمكرمة  
بضم زائهما فعل الكرم ، وأرض مكرمة كريمة طيبة ، انتهى .  
والمكارم جمع المكرمة أي الأخلاق والأعمال الكريمة الشريفة التي توجب  
كرم المرأة وشرافتها .

« فان استطعت » يدل على أن تحصيل تلك الصفات أو كما قالها لا يتيه للكل «  
أحد فانها من العنييات الربائية و المواهب السبحانية التابعة للطينات الحسنة  
الطيبة ، وبين عليه السلام ذلك بقوله . فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده مع

ون تكون في الولد ولا تكون في أبيه و تكون في العبد ولا تكون في الحر ، قيل : وما

شدة المناسبة والخلطة والمعاشرة بينهما ، وكذا العكس ، ولامدخل للشرفية النسبية في ذلك ولا الكرامة الدينوية و بين تلبيلاً ذلك بقوله : و تكون في العبد ، «الحر» .  
فإن قيل : إذا كانت هذه الصفات من المواهب الربانية فلا اختيار للمعبد فيها ،  
فلا يتصور التكليف بها والمذمة على تركها ؟

قلت : يمكن أن يجادل عنده بوجهين : الأول : أن يكون المراد بالاستطاعة سهولة التحصيل ، لا القدرة والاختيار ، و تكون العناية الإلهية سبباً لسهولة الأمر لا التمكن منه ، الثاني : أن تكون الاستطاعة في المستحبات كفراًء الضيف واطعام السائل والتدمّم والحياة لا في الواجبات كصدق اللسان وأداء الامانة .

قوله <sup>تَلْبِيلًا</sup> : صدق البأس ، في بعض نسخ الكتاب ومجالس الشيخ وغيره بالياء المنشأة التحتانية ، وفي بعضها بالياء الموحدة .

فعلى الأول المراد به اليأس عمّا في أيدي الناس وقصر النظر على فضله تعالى ولطفه ، والمراد بصدقه عدم كونه بمحض الدعوى من غير ظهور آثاره ، إذ قد يطلق الصدق في غير الكلام من أفعال الجنواح ، فيقال : صدق في القتال إذا وفي حقه وفعل على ما يجب وكما يجب ، وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك ، وقد يطلق على مطلق الحسن نحو قوله تعالى : « مقدر صدق » <sup>(١)</sup> و « قدم صدق » <sup>(٢)</sup> .

وعلى الثاني المراد بالبأس إمّا الشجاعة والشدة في الحرب وغيره ، إمّا الشجاعة الحسنة الصادقة في الجهاد في سبيل الله ، وإظهار الحق والنهي عن المنكر ، أو من البؤس والفقير كما قيل : أريد بصدق البأس موافقة خشوع ظاهره و إخباره اخشوع باطنـه وإخبارـه لا يرى التخـشـع في الظـاهـرـ أـكـثـرـ مـمـاـ فيـ باـطـنـهـ ، اـنـتـهـىـ .  
وهو بعيد عن اللفظ إذ الظاهر حينئذ البؤس بالضم و هو خلاف المضبوط من

(١) سورة القمر : ٥٥ .

(٢) سورة يونس : ٢ .

هن؟ قال : صدق اليأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء الضيف

الرسم ، قال في القاموس :**البَأْسُ** العذاب والشدة في الحرب ، بؤس ككرم بأساً فهو بميس شجاع ، وبئس كسمع بؤساً اشتدت حاجته ، والتباؤس التفاخر وأن يرى تخشع القراء إخبارنا وتضرّعاً ، انتهى .

وكانه أخذه من المعنى الآخر ولا يخفى ما فيه ، وقال بعضهم : صدق البأس أى الخوف أو الخضوع أو الشدة و الفقر ومنه «**البائس الفقير** » أو القوة و صدق الخوف من المعصية بأن يترکها ، ومن التقصير في العمل بأن يسعى في كماله ، ومن عدم الوصول إلى درجة البار بـأن يسعى في اكتساب الخيرات ، وصدق الخضوع بأن يخضع لله لا لغيره ، وصدق الفقر بأن يترك عن نفسه هوها ومتمنياتها ، وصدق القوة بـأن يصرفها في الطاعات ، انتهى .  
وفي أكثرها تکلف مستغنى عنه .

«**وأداء الأمانة** » **الأمانة ضدّ** **الخيانة** و **ما يؤتمن عليه** و **كأنّها تعم المال**  
والعرض والسرّ وغيرها من حقوق الله وحقوق النبي **والآئمّة** عليهم السلام وساير الخلق ،  
كما قال تعالى : «**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْ أَهْلِهَا**» <sup>(١)</sup> وقد فسرت  
الأمانة في هذه الآية وغيرها بالودائع والتکاليف ، والأماممة والخلافة في أخبار كثيرة  
من **بعضها** .

و في النهاية فقد تذكر في الحديث ذكر صلة الرحم وهي **كنایة عن الاحسان**  
إلى الأقربين من ذوى النسب والأصحاب والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية  
لأحوالهم ، وكذلك إن بعدوا وأسوأوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله ، يقال : وصل  
رحمه يصلها وصلة ، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة ، فكانه بالاحسان  
إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر ، انتهى .

و شمولها للأصحاب لا يخلو من نظر وإن كان حسناً .

«**و إقراء الضيف** » **كذا في نسخ الكتاب** و غيره إلا في رواية أخرى رواها الشيخ

و إطعام السائل و المكافأة على الصنائع و التذمّم للجار والتذمّم للصاحب و رأسهنَّ

في المعاجل موافقة المضامين لهنـه الرواية فـانْ "فيها قـرى الضـيف وـهـو أـظـهـر وـأـوـفـقـ لما في كـتـبـ اللـغـةـ ، فـيـ القـامـوسـ : قـرىـ الضـيفـ قـرىـ بالـكـسـرـ وـالـفـصـرـ ، وـالـفـتـحـ وـالـمـدـ أـضـافـهـ وـاسـتـقـرـىـ وـاقـتـرـىـ وـأـقـرـىـ طـلـبـ ضـيـافـةـ ، اـتـهـىـ ."

كـنـ قـدـنـرـىـ كـثـيرـاـ مـنـ الـاـبـنـيـةـ مـسـتـعـمـلـةـ فـيـ الـاـخـبـارـ وـالـعـرـفـ الـعـامـ وـالـخـاصـ لـمـ يـتـعـرـضـ لـهـاـ الـلـغـوـيـوـنـ ، وـقـدـ يـقـالـ : الـإـفـعـالـ هـنـاـ لـتـعـرـيـضـ نـحـوـ أـبـاعـ الـبـعـيـرـ ، وـقـيـلـ : إـقـرـاءـ الضـيـفـ طـلـبـ لـلـضـيـافـةـ وـلـمـ أـدـرـ مـنـ أـيـنـ أـخـذـهـ ، وـكـائـنـهـ أـخـذـهـ مـنـ آـخـرـ كـلـامـ الـفـيـروـزـ آـبـادـيـ ، وـلـاـ يـخـفـيـ مـاـفـيـهـ ."

وـالـقـرـىـ وـالـاطـعـامـ إـمـاـ مـخـتـصـاـنـ بـالـمـؤـمـنـ أـوـ بـالـمـسـلـمـ مـطـلـقاـ كـمـاـ يـبـدـلـ عـلـيـهـ بـعـضـ الـأـخـبـارـ وـإـنـ كـانـ يـأـبـاهـ بـعـضـهـاـ أـوـ الـأـعـمـ مـنـهـ وـمـنـ الـكـفـارـ كـمـاـ اـشـتـهـرـ عـلـىـ الـأـلـسـنـ : أـكـرـمـ الضـيـفـ وـلـوـ كـانـ كـافـرـاـ ، وـأـمـاـ الـحـرـبـيـ فـالـظـاهـرـ الـعـدـمـ ، ثـمـ هـمـاـ يـتـفـاـوـتـانـ فـيـ الـفـضـلـ بـحـسـبـ تـفـاـوـتـ نـيـةـ الـقـارـيـ أـوـ الـمـطـعـمـ وـإـحـتـيـاجـهـمـ وـاسـتـحـقـاقـ الضـيـفـ أـوـ السـائـلـ وـصـلـاحـهـمـ ، وـالـفـالـبـ إـسـتـحـبـاـبـهـمـ وـقـدـ يـجـبـانـ عـنـدـخـوـفـ هـلـاكـ الضـيـفـ وـالـسـائـلـ ."

وـالـمـكـافـأـةـ عـلـىـ الصـنـيـاعـ أـيـ الـمـجـازـاتـ عـلـىـ الـاـحـسـانـ ، فـيـ القـامـوسـ : كـافـأـهـ مـكـافـأـةـ وـكـفـاءـأـ جـازـاهـ ، وـفـيـ النـهـاـيـةـ : الـاـصـطـنـاعـ إـنـتـعـالـ مـنـ الـصـنـيـعـةـ وـهـيـ الـعـطـيـةـ وـالـكـرـامـةـ وـالـإـحـسـانـ ، وـلـعـلـهـاـ مـنـ الـمـسـتـحـبـاتـ وـالـآـدـابـ لـجـواـزـ الـأـخـذـ مـنـ غـيرـ عـوـضـ لـمـ دـرـواـهـ إـسـحـاقـ بـنـ عـمـارـ قـالـ : قـلـتـ لـهـ : الرـجـلـ يـهـدـىـ إـلـىـ الـهـدـيـةـ يـتـعـرـضـ نـحـوـ مـاـعـنـدـيـ فـاـخـذـهـ وـلـاـ أـعـطـيـهـ شـيـئـاـ ؟ـ قـالـ : نـعـمـ هـىـ لـكـ حـلـالـ وـلـكـنـ لـاـ تـدـعـ أـنـ تـعـطـيـهـ ، وـهـذـاـ هـوـ الـأـشـهـرـ الـأـقـوـىـ ."

وـعـنـ الشـيـخـ أـنـ مـطـلـقـ الـهـيـةـ يـقـضـىـ الـثـوـابـ وـمـقـضـاـهـ لـزـومـ بـذـلـهـ وـإـنـ لـمـ يـطـلـبـ الـواـهـبـ وـهـوـ بـعـيدـ ، وـعـنـ أـبـيـ الـصـلـاحـ أـنـ هـبـةـ الـأـدـنـىـ الـأـعـلـىـ يـقـضـىـ الـثـوـابـ فـيـعـوـضـ عـنـهـاـ بـمـثـلـهـاـ وـلـاـ يـجـوزـ التـصـرـفـ فـيـهـاـ مـالـمـ يـعـوـضـ ، وـالـأـظـهـرـ خـلـافـهـ ."

نعمـ إـنـ اـشـتـرـطـ الـواـهـبـ عـلـىـ الـمـتـهـبـ الـعـوـضـ وـعـيـتـهـ لـزـمـ وـإـنـ أـطـلـقـ وـلـمـ يـتـفـاعـلـىـ

الحياة .

٢ - عدّة من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْكَانٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ رَسُولَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَامْتَحِنُوا أَنفُسَكُمْ ، فَإِنْ كَانَتْ فِيهِمْ مَا حَدَّدَ اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ

شيء فالظاهر أُنْتَهِ يلزم المتّهِب مثل الموهوب أو قيمته إن أراد النزول ، وهل يبيب على المتّهِب الوفاء بالشرط أوله التخيير فيه وفي رد العين ؟ فيه قوله .

و في النهاية التذمّم للصاحب هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه ، وفي القاموس تذمّم استنكف يقال : لولم اترك الكذب تائماً لتركته تذمّماً ، والحاصل أن يدفع الضرر عمن يصاحب سفراً أو حضراً وعمن يجاوره في البيت أو في المجلس أيضاً ، أو من أجراه فآمنه خوفاً من اللوم والذم لكنه مقيد بما إذا لم ينته إلى الحمية والعصبية بأن يركب المعاصي لا إعانته

في القاموس : الجار المجاور ، والذى أجرته من أن يظلم ، والمجير والمستجير والحليف « و رأسهن الحياة » لأن جميع ما ذكر إنما يحصل ويتم بالحياة من الله أو من الخلق ، فهي بالنسبة إليها كالرأس من البدن ، والحياة إنقاض النفس عن القبائح و تركها لذلك .

**الحديث الثاني : موئق و آخره مرسى .**

والخلق بالضم مملكة النفس يصدر عنها الفعل بسهولة ، ومنها تكون خلقية ومنها تكون كسبية بالتفكير والمجاهدة والمارسة وتمرّن النفس عليها ، فلا ينبع في وقوع التكليف بها كمأنّ البخيل يعطي أولاً بمثابة ومجادلة للنفس ثم يذكر ذلك حتى يصير خلقاً عادة له ، والمراد بتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم به أنّ الفرد الكامل منها مقصودة عليهم أوهم مقصودون عليها دون أصدادها ، فإنّ البناء قد تدخل على المقصود كما هو المشهور وقد تدخل على المقصود عليه ، أو المعنى خصّ الرسول صلى الله عليه وسلم بازالة المكارم عليهم وأمرهم بتبيّنها كما روى عن النبي ﷺ : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق واعلموا أنَّ

وإن لاتكن فيكم فاسأوا الله وارغبوا إليه فيها ، قال : فذكر [ ها ] عشرة : اليقين والقناعة والصبر والشّكر والحلام وحسن الخلق والسماء والغيره والشجاعة والمرؤة

ذلك من خير » أي من خير عظيم أراد الله بكم أو عالم الله فيكم من صفاء طينتكم أو من عمل خير أو نية خير صدر عنكم فاستحققت أن يتفضل عليكم بذلك . أو اعلموا أن ذلك من توفيق الله سبحانه ، ولا يمكن تحصيل ذلك إلا به ، أو عدوه من الخيرات العظيمة أو خص رسله من بين سائر الخلق بالنبوة والرسالة والكرامة بسبب مكارم الأخلاق التي علمها فيهم .

واليقين أعلى من أرباب الإيمان بحيث يبعث على العمل بمقتضاه كمامر .

والقناعة الاجتناء باليسير من الأعراض المحتاج إليها يقال : قناع يقنع قناعة إذا رضي ، والا ظهر عندي أنها الاكتفاء بما أعطاه الله تعالى و عدم طلب المزيد منه قليلاً كان أم كثيراً .

والصبر هو حبس النفس عن الجزع عند المصيبة وعن ترك الطاعة لمشقةها وعن ارتكاب المعصية لغلبة شهوتها .

والشّكر مكافأة نعم الله في جميع الاحوال بالمسان والجنان والأركان .

والحلام ضبط النفس عن المبادرة إلى الانتقام فيما يحسن لا مطلقاً .

وحسن الخلق هو المعاشرة الجميلة مع الناس بالبشاشة والتودّد والتلطف والا شفاق و إحتمال الآذى عنهم .

والسماء هو بذل المال بسهولة على قدر لا يؤدى إلى الاسراف في موضعه ، وأفضله ما كان بغير سؤال .

والغيره الحميّة في الدين و ترك المسامحة فيما يرى في نسائه و حرمه من القبائح ، لا تفسّر الطبع بالباطل والحميّة فيه ، والقتل والضرب بالظنّ من غير ثبوت شيء عليه شرعاً وأمثال ذلك .

والشجاعة الجرأة في الجهاد مع أعدى الدين مع تحقق شرائطه ، والامر

قال : وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق وأداء الأُمانة .

٣ - عنه ، عن بكر بن صالح ، عن جعفر بن محمد الهاشمي ، عن إسماعيل بن

بالمعرفة والنهي عن المنكر ، ومجاهدة النفس والشيطان .

والمرؤة بالهمز وقد يشدد الواو بتخفيف الهمزة هي الانسانية ، وهي صفات إذا كانت في الإنسان يحق أن يسمى إنساناً أو يحقق الإنسان من حيث أنه إنسان أن يتأتى بها فهو مشتق من المطرء فهي من أممـات الصفات الكمالية ، قال في المصباح : المرؤة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محسان الأخلاق وجميل العادات ، انتهـى .

و قريب منه معنى الفتـوة ويعسر عنـهما بالفارسية ( بمـردـي و جـوانـمـرـدـي ) ويرجـعـ أـكـثـرـ ماـ يـنـدرـجـ فـيـهـ إـلـيـ الـبـذـلـ وـالـسـخـاءـ وـحـسـنـ الـمـعـاـشـ وـكـثـرـةـ النـفـعـ لـلـعـبـادـ وـالـإـقـيـانـ بـمـاـ يـعـظـمـ عـنـدـ النـاسـ مـنـ ذـلـكـ .

وروى الصـدـوقـ ( رـهـ ) فـيـ مـعـانـيـ الـأـخـبـارـ بـسـنـدـ مـرـفـوعـ إـلـيـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ قـالـ : تـذـاـكـرـ نـاـ أـمـرـ الـفـتـوـةـ عـنـدـهـ فـقـالـ : أـنـظـنـنـوـنـ أـنـ الـفـتـوـةـ بـالـفـسـقـ وـالـفـجـورـ إـذـمـاـ الـفـتـوـةـ طـعـامـ مـوـضـعـ وـنـائـلـ مـبـذـولـ ، وـبـشـرـ مـعـرـفـ وـأـذـىـ مـكـفـوفـ ، وـأـمـّـاـ تـلـكـ فـشـطـارـةـ وـفـسـقـ ، ثـمـ قـالـ : مـاـ الـمـرـؤـةـ ؟ فـقـنـاـ : لـاـ تـعـلـمـ قـالـ : الـمـرـؤـةـ وـالـلـهـ أـنـ يـضـعـ الرـجـلـ خـواـنـهـ فـيـ فـنـاءـ دـارـهـ .

قولـهـ : قـالـ : وـرـوـىـ بـعـضـهـمـ الـظـاهـرـ أـنـ فـاعـلـ قـالـ الـبـرـقـيـ حـيـثـ رـوـىـ مـنـ كـتـابـهـ وـيـحـتـمـلـ أـبـنـ مـسـكـانـ أـيـضاـ ، وـعـلـىـ التـقـدـيرـيـنـ قـولـهـ : رـوـىـ ، وـزـادـ فـيـهـ «ـ تـنـازـعاـ فـيـ الصـدـقـ ، فـقـولـهـ : زـادـ فـيـهـ تـأـكـيدـ لـلـكـلامـ السـاـبـقـ لـئـلاـ يـتوـهـمـ أـنـهـ أـتـىـ بـهـ بـدـلاـ مـنـ خـصـلـتـيـنـ مـنـ الـعـشـرـ تـرـكـهـماـ ، فـلـابـدـ مـنـ سـقـوـطـ عـشـرـةـ مـنـ الرـوـاـيـةـ الـأـخـيـرـةـ كـمـاـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ الـآـتـيـةـ ، أـوـ إـبـدـالـهـاـ بـأـنـشـتـيـ عـشـرـةـ ، وـيـحـتـمـلـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـرـادـ بـقـولـهـ : زـادـ فـيـهـ أـنـهـ زـادـ فـيـ اـصـلـ الـعـدـدـ أـيـضاـ بـمـاـ ذـكـرـ نـاـ مـنـ الـأـبـدـالـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـحـقـيـقـةـ الـحـالـ .

الـحـدـيـثـ الـثـالـثـ : ضـعـيفـ .

عبياد قال بكر : وأظنني قد سمعته من إسماعيل ، عن عبدالله بن بكير ، عن أبي عبدالله عَلِيٌّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِنَّ النَّحْبَ مِنْ كَانَ عَاقِلًا ، فَهُمَا ، فَقِيهَا ، حَلِيمًا ، مَدَارِيًّا ، صَبُورًا صَدُوقًا ، وَفِيًّا . إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَمَنْ كَافَتْ فِيهِ فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلِيَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا ،

وقد هر تفسير العقل في أول الكتاب والأظهر هنا أنَّه ملائكة للنفس يدعو إلى اختيار الخير والنافع واجتناب الشر و المضار ، وبها تقوى النفس على ذجر الدُّواعي الشهوية والغضبية والوساوس الشيطانية .

والفهم هو جودة تهیؤ الذهن لقبول ما يرد عليه من الحق، وينتقل من المبادئ إلى المطالب بسرعة، والفقه العلم بالاًحكام من العجلان والحرام وبالأخلاق وآفات النقوس وموانع القرب من الحق، وقيل: بصيرة قلبية في أمر الدين تابعة للعلم والعمل، مستلزم للخوف والخشية، وقال الراغب: الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم، قال تعالى: «فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفهون حديثاً»<sup>(١)</sup> «بأنهم قوم لا يفهون»<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات.

والفقه العلم بأحكام الشريعة يقال : فقه الرّجل إذا صار فقيهاً وتفقه إذ اطلبه ، فتخصّص به ، قال تعالى : « لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين »<sup>(٣)</sup> والمداراة الملاطفة والملاينة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم وقد يهمز قال في القاموس : درأه كجعله دفعه ودرأته وداريته دافعته ولا ينته ضده ، وفي النهاية فيه : كان لا يدارى ولا يمارى ، اي لا يشاغب ولا يخالف ، وهو مهموز فأمّا المداراة في حسن الخلق والصّحبة فغير مهموز وقد يهمز ، انتهى .

**الوفي** الكثير الوفاء بعهود الله وعهود الخلق، وهو قريب من الصدق ملازم له كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: الوفاء توأم الصدق ويؤمni الحديث إلى التحرير

٧٨ - سورة النساء :

(٢) سورة الانفال : ٦٥.

١٢٢ : سورة التوبه (٣)

قال : قلت : جعلت فداك وماهن ؟ قال : هن الورع والقناعة والصبر والشکر والحلم والحياء والسيخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداء الأمانة .

٤ - مَحْمُودُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ الْحَسِينِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْزَةَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ارْتَضَى لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَأَحْسَنُوا صَحِبَتِهِ بِالسِّخَاءِ وَحْسَنُ الْخُلُقِ .

٥ - عَلَيٌّ بْنُ ابْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ السَّكُونِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

على محبة الموصوف بالصفات المذكورة ، واختيار صاحبته .

والورع فريب من التقوى بل أخص منها ببعض معانيها ، فأنه يعمد في الكف عن الشبهات بل المكر وهاز وبعض المباحثات ، قال في النهاية فيه : ملاك الدين الورع ، الورع في الاصل الكف عن المحارم والتحرر ج منه ، ثم استعير للكاف عن المباح و العلال .

والبر هو الاحسان بالوالدين والأقربين بل بالناس أجمعين ، وقد يطلق على جميع الأعمال الصالحة والخيرات .

الحديث الرابع : مرسل .

«ارتضي لكم الاسلام» إشارة إلى قوله تعالى : «ورضيت لكم الاسلام ديننا»<sup>(١)</sup> وطاورد في الأخبار المتواترة أن الآية نزلت بعد نصب أمير المؤمنين علية بالخلافة فالخطاب في الرواية متوجّه إلى الشيعة لأنهم الذين قبلوا الولاية «فأحسنوا صاحبتيه» شبه الاسلام برجل صالح يصاحب المؤمن فان أحسن صاحبته لازمه وإلا ففارقته ففيه إشعار بأنه إذا ترك هاتين الخصلتين لا يؤمن أن يفارقه الاسلام فيدل على أن للاعمال الحسنة والأخلاق الجميلة مدخلان في رسوخ الاسلام والایمان وثباتهما وكمالهما .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

(١) سورة المائدة : ٣.

<sup>عليه السلام</sup> قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الإيمان أربعة أركان : الرضا بقضاء الله والتوكّل على الله وتفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله .

٦- الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي ، عن عبدالله بن سنان ، عن رجل من بنى هاشم قال : أربع من كن فيه كمال إسلامه ولو كان من قوله إلى فدمه خطايا لم تنقصه : الصدق والحياء وحسن الخلق والشّكر .

٧- عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي حزنة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله <sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> : ألا أخبركم بخير رجالكم ؟ قلنا : بلـي يا رسول الله قال : إنَّ من خير

« الإيمان أربعة أركان » أى من كُبّ منها أوْلَه هذه الأربعة عليها بناؤه واستقراره فكأنه عينها وقد مر تفسير تلك الدعائم وسيأتي أيضًا إنشا الله .  
ال الحديث السادس : ضعيف على المشهور .

وكان المراد برجل من بنى هاشم الصادق <sup>عليه السلام</sup> عبر هكذا لشدة التقيّة ، أو الرجل راو وضمير قال راجع إليه <sup>عليه السلام</sup> ، فالحديث مضمر ، والخبر مروي بسند آخر عن أبي ولا د عن الصادق <sup>عليه السلام</sup> ، وسيأتي في باب حسن الخلق .

« أربع » أى أربع خصال « لم تنقصه » ضمير المفعول راجع إلى الاسلام أو إلى الموصول أى لم ينقصه شيئاً من الاسلام ، قيل : أى يوفقه الله للتسوية بسبب تلك الخصال فلا ينقصه شيئاً من ثواب الآخرة ، مع أن حصول هذه الصفات يوجب ترك أكثر المعاصي ويستلزمها .

ال الحديث السابع : حسن كالصحيح .

« بخير رجالكم » ربما يتوهم التنافي بين هذا وبين قوله : من خير رجالكم ، وأجيب بأن المراد بالأولى الصنف ، وبالثانية كل فرد من هذا الصنف أو الحصر في الأولى إضافي بالنسبة إلى من لم يوجد فيه الصفات المذكورة ، دون الخير على الاطلاق . وأقول : يحتمل أن يكون <sup>عليه السلام</sup> أراد ذكر الكل ثم أكتفى بذكر البعض ، مرآت العقول - ٢٢ -

## رجالكم التقى ، النفي ، السمح الكفرين ، النفي المطرفين البر بواليه ولا يلجمي

أو المراد أن "المتصف بكل" من الصفات المذكورة من جملة الخير ، أو المراد بقوله بخير رجالكم ببعضهم بقرينة الآخر ، ومرجعه إلى بعض الوجوه المتقدمة «النفي» أى من الشرك فما يوجب الخروج من الإيمان أو من سائر المعاصي أيضاً ، فقوله : النفي المطرفين ، تخصيص بعد التعميم أو المراد به الاحتراز عن الشبهات ، و النفي النظيف الظاهر من الأوساخ الجسمانية والأدنس النفسانية من دائل العقائد والأخلاق .

«السمح الكفرين» قال في النهاية : سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء ، انتهى .

والاسناد إلى الكفرين لظهور العطاء منهما ، والتنتية للمبالغة وإشارة إلى عطاء الواجبات والمندوبات .

«النفي» المطرفين أى الفرج عن الحرام والشبهة ، واللسان عن الكذب والخنا واقراء والفحش والغيبة وسائر المعاصي ، وما لا يفيد من الكلام ، او الفرجين أو الفرج والفهم عن أكل الحرام والشبهة ، أو المراد كريم الأول وأول ظهر ، قال في النهاية : طر فالإنسان لسانه وذكره ، ومنه قوله : لا يدرى أى طرفية أطول ، وفيه : وما أدرى أى طرفية أسرع ، أراد حلقة ودببه أى أصابه القى والإسهال ، فلام أدر أيهما أسرع خروجاً من كثرة ، انتهى .

والمعنى الثالث أيضاً حسن لما روى عن النبي ﷺ أن أكثر ما يدخل النار الأجوافان ، قالوا : يا رسول الله وما الأجوافان ؟ قال : الفرج والفهم وأيضاً قرنوا في أخبار كثيرة في بيان المهملات بين شهوة البطن والفرج ، وروى في معانى الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : من ضمن لي ما بين لجيبيه وما بين رجليه ضمنت له الجنة ، وحمله الأكثر على المعنى الأول ، قال الصدوق (ره) : يعني من ضمن لي لسانه وفرجه

عياله إلى غيره .

## ﴿باب فضل اليقين﴾

١ - الحسين بن عبد الله ، عن معلى بن عبد الله ، عن الحسن بن علي "الوشاء" ، عن المتنبي بن الوليد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس شيء إلا وله حد .

وأسباب البلايا تتفتح من هذين العضوين ، انتهى .

«البن» بواليه «أى المحسن إليهما والمطيع لهما والمحترم لهما» «ولا يلتجئ عياله إلى غيره» أى لم يضطرّ لهم لعدم الانفاق عليهم مع القدرة عليه إلى السؤال عن غيره ، يقال : الجائحة إليه ولجاجاته بالهمزة والتضعيف أى اضطررته وأكرهته .

### باب فضل اليقين

الحديث الأول : ضعيف على المشهور معتبر .

وقال المحقق الطوسي (ره) في أوصاف الأشراف : اليقين إعتقد جازم مطابق ثابت لا يمكن زواله ، وهو في الحقيقة مؤلف من علمين العلم بالعلوم ، والعلم بأن خلاف ذلك العلم محال ، وله مراتب ، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

وقال قدس سره في بعض مصنفاته أن مراتب المعرفة مثل مراتب معرفة النار مثلاً فان أدتها من سمع أن في الوجود شيئاً يعد كل شيء يلاقيه ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه ، وأي شيء أخذ منه لم ينقص منه شيء ، ويسمى ذلك الموجود ناراً . ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة ، وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أنه لا بد من مؤشر فيحمسكم بذات لها أثر هو الدخان ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالآهين القاطعة على وجود الصانع ، وأعلى منها مرتبة من أحسن بحرارة النار بسبب مجاورتها وشاهد الموجودات

قال : قلت : جعلت فداك فما حَدَّ التوكِّل ؟ قال : اليقين ، قلت : فما حَدَّ اليقين ؟ قال : ألا تخاف مع الله شيئاً .

٢ - عنه ، عن معاذ ، عن المحسن بن علي الْوَشَاء ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن شهاب ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد الحناطي وعبد الله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من صحة يقين المطر المسلم

بنورها وانتفع بذلك الاثر .

ونظير هذه المترتبة في معرفة الله سبحانه وتعالى المؤمنين الخالص الذين اطمأنوا  
قلوبهم بالله وتيقنوا أن الله بود السماوات والأرض كما وصف به نفسه، وأعلى منها  
مرتبة من احترق بالسّار بكليته وتلاشي فيها بجملته ، ونظير هذه المترتبة في معرفة الله  
تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله وهو الدرجة العليا والمترتبة الفصوي رزقنا الله  
الوصول إليها والوقوف عليها بمنتهٍ وكرمه ، انتهى .

والمطراد بالحد هنا إما علامته أو تعرييفه أو نهايته ، فعلى الأول المعنى أن  
علامة التوكِّل اليقين ، وعلى الثاني تعريف له بلازمه ، وعلى الثالث المعنى أن  
التوكِّل ينتهي إلى اليقين فإذا تمرن على التوكِّل وعرف آثاره حصل له اليقين  
بأن الله مد برأمره وأنه الضار النافع ، وكذا الفقرة الثانية تتحمل الوجوه المذكورة  
وعدم الخوف من غيره سبحانه لا ينافي التقيّة وعدم القاء النفس إلى التهلكة إطاعة  
لامره تعالى فإن صاحب اليقين يفعلهما خوفاً منه تعالى كما أن التوكِّل لا ينافي  
التوسل بالوسائل والأسباب تبعيداً مع كون الاعتماد على الله تعالى في جميع الأمور .  
**الحديث الثاني له سنان أو لهما ضعيف على المشهور كالصحيح عندي ،**  
وثانيهما صحيح ، فهما في غاية الصحة والقوّة .

«من صحة يقين المطر المسلم » أي من علامات كون يقينه بالله وبكونه مالكا  
لنفعه فضره وفاسقاً لرزقه على ما علم صلاح دنياه وآخرته فيه ، وأن الله مقلب

أَن لَا يَرْضِي النَّاسُ بِسُخْطَةِ اللَّهِ وَلَا يَلْوَمُهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ الرَّزْقَ لَا يُسَوقُهُ حَرْصًا حَرْبِيًّا وَلَا يَرْدُهُ كُراْهِيَّةً كَارِهً؛ وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفْرُّ مِنْ

الفلوْبُ وَهِيَ بِيَدِهِ يَصْرُفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ وَأَنَّ الْآخِرَةَ الْبَاقِيَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ صَحِيحًا غَيْرَ مَعْلُومٍ وَلَا مَشْوُبٍ بِشَكٍّ وَشَبَهَةٍ وَأَنَّهُ وَاقِعٌ لِيُسَمِّ مَحْضُ الدُّعَوَى.

«أَن لَا يَرْضِي النَّاسُ بِسُخْطَةِ اللَّهِ» بِأَن يَوْافِقُهُمْ فِي مَعَاصِيهِ تَعَالَى طَلَبًا طَأْتَهُمْ مِنَ الزَّخَارِفِ الدِّينِيَّةِ أَوَالظَّنَاصِبِ الْبَاطِلَةِ، وَيَقْتِيَهُمْ بِمَا يَوْافِقُ رِضَاَهُمْ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ أَوْ تَقْيَةٍ، وَلَا يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ ضَرَرًا أَوْ عَدَمِ تَجْوِيزِ تَأْثِيرٍ، بلْ مَحْضُ رِعَايَةِ رِضَاَهُمْ وَطَلَبِ التَّقْرِيبِ عَنْهُمْ، أَوْ يَأْتِي أَبْوَابَ الظَّالِمِينَ وَيَتَذَلَّلُ عَنْهُمْ لَا لِتَقْيَةٍ تَجْوِيزَهُ وَلَا لِمَصلحةِ جَلْبِ نَفْعِ الْمُؤْمِنِ أَوْ لِدَفْعِ ضَرَرٍ عَنْهُ، بلْ لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لِسُوءِ يَقِينِهِ بِاللَّهِ وَبِرَازِقِيَّتِهِ، مَعَ أَنَّهُ يَتَرَبَّ عَلَيْهِ خَالِفٌ مَا أَمْلَهُ، كَمَا رُوِيَ : مِنْ أَرْضِ النَّاسِ بِسُخْطَةِ اللَّهِ سُخْطَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

فَوْلَهُ تَعَالَى : وَلَا يَلْوَمُهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتَهُ اللَّهُ، أَيْ لَا يَذْمَمُهُمْ وَلَا يَشْكُرُهُمْ عَلَى تَرْكِ صَلَتِهِمْ إِيَّاهُ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ صَاحِبَ الْيَقِينِ أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَقْدِرْهُ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَرْزُقُهُ إِيَّاهُ لِعَدَمِ كَوْنِ صَالِحَهُ فِيهِ مَطْلَقاً أَوْ فِي كَوْنِهِ يَبْدِي هَذَا الرَّجُلُ وَبِتَوسُّطِهِ بَلْ يَوْصِلُهُ إِلَيْهِ مِنْ حِيثُ لَا يَحْتَسِبُ فَلَا يَلْوَمُ أَحَدًا بِذَلِكَ لَا نَهُ يَنْظُرُ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى اللَّهِ فِيمَا فَعَلَ بِهِ .

وَهَذَا الْلَّوْمُ يَتَضَمَّنُ نَوْعًا مِنَ الشَّرِكِ حِيثُ جَعَلُوهُمُ الرَّازِقَ وَالْمَعْطِيَ مَعَ اللَّهِ وَسُخْطَةً لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْمَوْقَنِ بِرِيَّهُمْ مِنْهُمَا ، فَضَمِيرُ يَؤْتَهُ رَاجِعٌ إِلَى الْمُرِئِ الْمُسْلِمِ ، وَعَائِدٌ «مَا» مَحْذُوفٌ بِتَقْدِيرِ إِيَّاهُ .

وَقِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ أَنَّهُ لَا يَلْوَمُهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَيْسَرٍ لَمَا خَلَقَ لَهُ فَيَكُونُ كَوْلَهُ تَعَالَى لَوْلَامُ النَّاسِ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ لَمْ يَلْمِمْ أَحَدًا .

الموت لأدر كه رزقه كما يدر كه الموت ، ثم قال : إن الله بعده و قسطه جعل

ولا يخفى بعده لاسيما بالنظر الى التعليل بقوله فان الرزق لا يسوقه حرص  
حريص أي الرزق الذي قد رأه الله للانسان لا يحتاج في وصوله الى حرص بل يأتيه  
بأدفي سعي أمر الله به « ولا يرده » هذا الرزق « كراهة كاره » لرزق نفسه لقلته  
أو للزهد ، أو كاره لرزق غيره حسداً ، ويؤكّد الأول : ولو أن أحدكم « الخ »  
وهذا يدل على أن الرزق مقدّر من الله تعالى ويصل إلى العبد أبتة .

وفي مقامان : الأول : أن الرزق هل يشمل الحرام أم لا ؟ فما مشهور بين  
الإمامية والمعزلة الثاني ، وبين الأشاعرة الأولى قال الرازي في تفسير قوله تعالى :  
« وممّا رزقناهم ينفقون » <sup>(١)</sup> الرزق في كلام العرب الحظ وقال بعضهم : كل شيء  
يؤكّل أو يستعمل ، وقال آخرون : الرزق هو ما يملك ، وأمّا في عرف الشرع  
فقد اختلفوا فيه فقال أبو الحسن البصري : الرزق هو تمكّن الحيوان من الاتفاف  
بالشيء والحظ غير أن يمنعه من الاتفاف به فإذا قلنا رزقنا الله إلا موال فمعنى ذلك  
أنه مكتننا من الاتفاف بها والمعزلة ملائكة والرزق بذلك لا جرم قالوا : الحرام  
لا يكون رزقاً وقال أصحابنا : الحرام قد يكون رزقاً .

حجّة الأصحاب من وجهين : الأول : أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ  
والنصيب على ما يتناه فمن اتفاف بالحرام فذلك الحرام صار حظاً ونصيباً له ، فوجب  
أن يكون رزقاً له ، الثاني : أنّه تعالى قال : « وما من دابة في الأرض إلا على الله  
رزقها » <sup>(٢)</sup> وقد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة فوجب أن يقال :  
أنه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئاً .

أمّا المعزلة فقد احتجّوا بالكتاب والسنة ، والمعنى ، أمّا الكتاب فوجوه

(١) سورة البقرة : ٣ .

(٢) سورة هود : ٤ .

الرَّوْحُ وَالرَّاحَةُ فِي الْيَقِينِ وَالرَّضَا وَجَعْلُهُمْ وَالْحَزْنُ فِي الشُّكُّ وَالسُّخْطُ .

أحدها : قوله تعالى : « وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ »<sup>(١)</sup> مدحهم على الإنفاق مما رزقهم الله تعالى فلو كان الحرام رزقاً لوجب أن يستحقوا المدح اذا أنفقوا من الحرام وذلك باطل بالاتفاق، ونائتها لو كان الحرام رزقاً لجاز أن ينفق الفاصل منه لقوله تعالى : « وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ »<sup>(٢)</sup> وأجمع المسلمون على أنَّه لا يجوز للفاصل أن ينفق منه بل يجب عليه ردُّه ، فدلَّ على أنَّ الحرام لا يكون رزقاً ، ونائتها : قوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّنْ رِزْقٍ فَجِعَلْتُمْ مِّنْهُ حِرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آتَ اللَّهُ أَذْنَ لَكُمْ »<sup>(٣)</sup> فيبين أنَّ من حرم رزق الله فهو مفتر على الله ، فثبتت أنَّ الحرام لا يكون رزقاً . وأمَّا السنَّةُ فما رواه أبو الحسين في كتاب الغرر بسانده عن صفوان بن أمية قال : كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء عمرو بن مرّة فقال : يا رسول الله إنَّ الله كتب على الشفاعة فلا أُرْزق إلَّا من دفَّى بكفَّيْ فاذن لي في الغناء من غير فاحشة ؟ فقال عليه السلام : لا آذن لك ولا كرامة ولا نعممة ، كذبت أى عدوَّ الله لقد رزقك الله طيباً فاختترت ما حرَّمَ الله عليك من رزقه مكان ما أَحَلَّ الله لك من حلاله ، أمَّا إِنْكَ لو قلت بعد هذه النوبة شيئاً ضربتك ضرباً وجيناً .

وأمَّا المعنى فهو أنَّ الله تعالى منع المكلَّف من الاتفاع به و أمر غيره بمنعه من الاتفاع به ، ومن منع من أخذ شيء والاتفاع به لا يقال أنَّه رزقه إِيَّاه ، لأنَّه لا يقال : أنَّه رزق جنده مالاً وقد منعهم من أخذه ..

الثاني : أنَّ الرزق هل يجب على الله إيصاله من غير سعي و كسب ، أم لا بدَّ من الكسب والسعى فيه ؟ ظاهر هذا الخبر وغيره الأول وقد روى في النهج عن أمير المؤمنين

(١) سورة البقرة : ٣ .

(٢) سورة المنافقون : ١٠ .

(٣) سورة يونس : ٥٩ .

٣ - ابن محبوب ، عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول : إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين .

عليهما السلام أنه قيل له عليهما السلام : لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه ؟ فقال عليهما السلام : من حيث يأتيه أجله ، وظاهر كثير من الأخبار الثاني ، وسيأتي تمام الكلام فيه في كتاب الملاكيب إنشاء الله تعالى .

قوله عليهما السلام : وقسطه ، العطف للتفسير والتأكيد ، وكذا الراحة ، والروح راحة القلب وسكونه عن الاضطراب ، والراحة فراغ البدن وعدم المبالغة في الاتساع « في اليقين » برازقيته سبحانه ولطفه وسعه كرمه ، وأنه لا يفعل بعياده إلا ما هو أصلح لهم ، وأنه لا يصل إلى العباد إلا ما قدّر لهم « والرضا » بما يصل من الله إليه وهو نمرة اليقين ، والحزن بالضم والتحري يك أيضًا إما عطف تفسير لهم أو لهم إضطراب النفس عند تحصيله وحزنه جزعها واغتمامها بعد فواهه « في الشك » أي عدم اطمئنان النفس بما ذكر في اليقين « والسيخط » وعدم الرضا بقضاء الله المترتب على الشك .

نعم ما قيل :

ما العيش إلا في الرضا

ما بات من عدم الرضا

ال الحديث الثالث : صحيح .

و ابن محبوب معلق على ثانى سند الخبر السابق ، ويبدل على أن لكمان اليقين وقوّة العقائد مدخلًا عظيمًا في قبول الأفعال وفضلها بل لا يحصل الاخلاص الذي هو روح العبادة وملائكتها إلا بها ، وكان قيد الدوام معتبر في الثاني أيضًا ليظهر مزيد فضل اليقين ، ويتحمل أن يكون حذف قيد الدوام في الثاني للإشعار بأن إحدى

(١) الجمر : النار المتقدة ، والفضل شجر خشب من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنا طويلا ينطوى .

٤ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه عليه المنبر : لا يجده أحد [كم] طعم الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصبه .

ثمرات اليقين دوام العمل فانَّ اليقين الذي هو سببه لا يزول بخلاف العمل الكثير على غير يقين فانَّه غالباً يكون متفرغاً على غرض من الأغراض تبدل سريعاً ، أو إيمان ناقص هو بمعرض الضعف والروال على نهج قول أمير المؤمنين عليه السلام : قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه .

#### الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

قوله عليهما السلام : طعم الإيمان ، قيل : إنَّ فيه مكنية وتخيلية حيث شبه الإيمان بالطعام فيأنَّه غذاء للروح به ينمو ويبلغ حدَّ الكمال كما أنَّ الطعام غذاء للبدن .  
قوله عليهما السلام : لم يكن ليخطئه يحتمل أن يكون من المعتل أى يتجاوزه ، أو من المهموز أى لا يصبه كما يخطئ السهم الرمية .

قال الراغب : الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضراب : أحدها : أن يريد غير ما يحسن ارادته فيفعله ، والثاني : أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد ، وهذا قد أصاب في الارادة وأخطأ في الفعل ، والثالث : أن يريد ما لا يحسن فعله ويستيق منه خلافه فهذا مخطيء في الارادة ومصيب في الفعل ، فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله ، وجملة الأمر أنَّ من أراد شيئاً واتفق منه غيره يقال : أخطأ ، وإن وقع منه كما أراده يقال : أصاب ، وقد يقال ملن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد ارادة لنجمل أنه أخطأ .

وقال الجوهرى في المعتل قولهما في المسألة : إذا دعوا للإنسان خطأ عندهسوء اى دفع عنهسوء وتحطيمته تجاوزته ، وتحطيمت رقاب الناس وتحطيمت إلى كذا ، ولا تقل تخاطئت .

٥ - على<sup>هـ</sup> بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمر ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لا تقدع تحت هذا الحائط ، فـأَنَّه مُعور فقال أمير المؤمنين

وفي المصباح : الخطأ مهموزاً ضد الصواب يقصر ويمدّ ، وهو اسم من أخطأ فهو خطيء ، قال أبو عبيدة : خطئ خطاء من باب علم وأخطأً بمعنى واحد طنب على غير علم ، وقال غيره : خطأ في الدين وأخطأ في كل شيء عمداً أو كان غير عمداً وأخطأ الحق بعد عنده ، وأخطاء السهم تجاوزه ولم يصبه ، وتحقيق الرباعي جائز . وقال الزمخشري في الأساس في المهموز : ومن المجاز لن يخطئك ما كتب لك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وقال في المعتل : ومن المجاز تخطأه المكرر ، انتهى .

وأقول : ظهر أنَّ الهمزة أظهر ، وحصل المعنى أنَّ ما أصابه في الدنيا كان يجب أن يصبه ولم يكن بحيث يتجاوزه إذا لم يبالغ السعي فيه ، وما لم يصبه في الدنيا لم يكن يصبه إذا باليغ في السعي ، أو المعنى أنَّ ما أصابه في التقدير الأزلية لا يتتجاوزه وإن قصر في السعي وكذا العكس ، وهذا الخبر بظاهره مما يوهם الجبر ، ولذا أول وخاصٍ بما لم يكلف العبد به فعلاً وتركا ، أو بما يصل إليه بغير اختياره من النعم والبليا ، والصحة والمرض وأشياها ، وقد أوردنا الكلام في أمثاله في كتاب العدل [من البحار] .

**الحديث الخامس : حسن كالصحيح .**

«فـأَنَّه مُعور» على بناء الفاعل من باب الافعال أي ذو شقٍّ وخلل يخاف منه ، أو على بناء المفعول من التفعيل أو الـإفعال أي فو عيب ، قال في النهاية : العوار بالفتح العيب وقد يضم ، والعورة كل ما يستحيي منه إذا ظهر ، وفيه رأيته وقد طلع في طريق معور ، أي ذات عوره يخاف فيها الضلال والانقطاع ، وكل عيب وخلل في

صلوات الله عليه : حرس أمراءً أجله فلما قام سقط الحائط ، قال : وكان أمير المؤمنين

شئ ف فهو شورة ، وفي الاساس مكان معه ردة ذو عوره .

قوله ﷺ : حرس أمراءً أجله ، إمراءً مفعول حرس ، وأجله فاعله ، وهذا مما استعمل فيه النكارة في سياق الآيات للعموم ، أي حرس كل أمراء أجله كقولهم : أنجز حرّ ما وعد ، ويؤيده ما في النهج أنه قال ﷺ : كفى بال أجل حارساً ، ومن العجب ما ذكره بعض الشارحين أن أمراءً مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية والعكس محتمل ، والمقصود الإنكار لأنّ أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه ، انتهى .

ويشكل هذا بأنه يدل على جواز إفقاء النفس إلى التهلكة وعدم وجوب الفرار عمّا يظنّ عنده الهالاك ، والمشهور عند الأصحاب خلافه .

ويمكن أن يجاب عنه بوجوه : الأول : أنه يمكن أن يكون هذا الجدار مما يظن عدم إنهدامه في ذلك الوقت ولكن الناس كانوا يحتزون عن ذلك بالاحتمال البعيد لشدة تعلقهم بالحياة ، فأجاب ﷺ : بأنّ الْأَجْلُ حارس ولا يحسن الحذر عند الاحتمالات البعيدة لذلك ، وإنما تحيّر زعيم الظاهر بالهلاك بعيداً وهذا ليس من ذلك ، لكن قوله ﷺ : فلما قام «النح» مما يبعد هذا الوجه ويفعله وإن أمكن توجيهه .

الثاني : أن يقال : هذا كان من خصائصه ﷺ وأضرابه ، حيث كان يعلم وقت أجله بأخبار النبي ﷺ وغيره ، فكان يعلم أن هذا الحائط لا يسقط في ذلك الوقت وإن كان مشرقاً على الانهيار لعدم الكذب في إخباره ، وأمّا من لم يعلم ذلك فهو مكلّف ، بالاحتراز ، وكون هذا من اليقين لكونه متقرعاً على اليقين بخبر النبي ﷺ .

الثالث : أن يقال أنه من خصائصه ﷺ على وجه آخر ، وهو أنه ﷺ كان يعلم أن هذا الحائط لا ينهدم في هذا الوقت ، فلما علم أنه حان وقت سقوطه قام

عَلَيْكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ، وَهَذَا الْيَقِينُ.

فسقط ، ويؤيده ما رواه الصدوق في التوحيد بسانده عن الأصبغ بن نباتة أن "أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ" عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له : يا أمير المؤمنين ! تفر من قضاء الله ؟ قال : أُفْرِّ من قضاء الله إلى قدر الله .

ولعل المعني أنني لما علمت أنهم ينهمد وأعلم أن الله قادر لي أجلاً متاخراً عن هذا الوقت فأُفْرِّ من هذا إلى أن يحصل لي القدر الذي قدّره الله لي ، أو المراد بقدر الله أمره وحكمه ، أى إنما أُفْرِّ من هذا القضاء بأمره تعالى ، أو المعني أن الفرار أيضاً من تقديره تعالى ، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله تعالى ، الفرار من البلايا ، والسعى لتحصيل ما يجب السعي له فإن كل ذلك داخل في علمه وقضائه ، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما حققناه في محله .

ويؤيد الوجه كلاماً ما روى في الخصال بسانده عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال رسول الله ﷺ : خمسة لا يستجاب لهم ، أحدهم رجل من بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه ... « الخبر » .

الرابع : ما قال بعضهم : التكليف بالفرار مختص بغير الموقن لأن الموقن يتوكّل على الله ويغوص أمره إليه فيقيه عن كل مكره كما قال عز وجل : « أليس الله بكاف عبده » <sup>(١)</sup> وكما قال مؤمن آل فرعون : « وأغوص أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكرروا » <sup>(٢)</sup> وسر ذلك أن المؤمن الموقن المنتهي إلى حد الكمال لا ينظر إلى الأسباب والوسائل في النفع والضرر ، وإنما نظره إلى مسببها ، وأماماً من لم يبلغ ذلك الحد من اليقين فإنه يخاطب بالفرار قضاءً لحق الوسائل .

« وهذا اليقين » أي من ثمرات اليقين بقضاء الله وقدره وحكمته ولطفه

(١) سورة الزمر : ٣٦ .

(٢) سورة غافر : ٤٥ .

عـ عدّة من أصحابنا ، عن أَمْهَدِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَمْهَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّارِ قَالَ : سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَمَّا الْجَدَارُ فَكَانَ لِفَلَامِينَ يَتَيَّمِّينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا »<sup>(١)</sup> فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ مَا كَانَ ذَهَبًا وَلَا

وَرَأْفَتَهُ وَصَدَقَ أَبْيَاهُ وَرَسْلَهُ .

المحدث السادس : صحيح .

« وَأَمَّا الْجَدَارُ » النـ، هذا في قصـة موسـى والخـضر عـلـيـهـمـا حـيـثـ قـالـ تـعـالـىـ : « فَانطـلقـاـ حـتـىـ إـذـ أـتـيـ أـهـلـ قـرـيـةـ » هـىـ أـنـطـاكـيـةـ وـقـيلـ : أـيـلـةـ بـصـرـةـ، وـقـيلـ : باـجـرـ وـانـ أـرـمـنـيـةـ، وـقـيلـ : هـىـ قـرـيـةـ عـلـىـ سـاحـلـ الـبـحـرـ يـقـالـ لـهـاـ نـاصـرـةـ، وـهـوـ المـرـوـىـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ تـعـالـىـهـ « اسـتـطـعـمـاـ أـهـلـهـاـ » أـيـ سـأـلـاـهـمـ الطـعـامـ « فـأـبـواـ أـنـ يـضـيـفـهـمـاـ » أـيـ لـمـ يـضـيـفـهـمـاـ أـحـدـ مـنـ أـهـلـهـاـ، وـقـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ تـعـالـىـهـ : لـمـ يـضـيـفـهـمـاـ وـلـاـ يـضـيـفـهـمـاـ بـعـدـهـمـ أـحـدـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ « فـوـجـداـ فـيـهاـ جـدـارـاـ يـرـدـأـ يـنـقـضـ » أـيـ أـشـرـفـ عـلـىـ أـنـ يـنـهـدـمـ اسـتـعـيرـتـ الـأـرـادـةـ لـلـمـشـارـفـةـ « فـأـقـامـهـ » بـعـمـارـتـهـ أـوـ بـعـمـودـ عـمـدـ بـهـ، وـقـيلـ : مـسـحـهـ بـيـدـهـ فـقـامـ، وـقـيلـ : نـقـصـهـ وـبـنـاهـ « قـالـ لـوـ شـيـئـ لـاتـخـذـتـ عـلـيـهـ أـجـراـ » قـيلـ : هـوـ تـحـريـصـ عـلـىـ أـخـذـ الـجـعـلـ لـيـسـدـاـ بـهـ جـوـعـتـهـمـاـ، وـقـيلـ : تـعـرـيـضـ بـأـيـهـ فـضـولـ .

فـلـمـاـ أـرـادـ الـخـضرـ فـرـاقـ مـوـسـى عـلـيـهـمـاـ بـيـنـ لـهـ عـلـلـ مـاـ فـعـلـهـ حـتـىـ قـالـ : « وَأَمَّاـ الـجـدـارـ فـكـانـ لـعـلـامـيـنـ يـتـيـمـمـيـنـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ » أـيـ فـيـ قـرـيـةـ الـمـذـكـورـةـ « وـكـانـ تـحـتـهـ كـنـزـ لـهـمـاـ » قـالـ الطـبـرـيـ رـحـمـهـ اللـهـ الـكـنـزـ هـوـ كـلـ مـالـ مـذـخـورـ مـنـ ذـهـبـ أـوـ فـضـةـ وـغـيـرـ ذـلـكـ، وـاـخـتـلـفـ فـيـ هـذـاـ الـكـنـزـ قـفـيلـ : كـانـ صـحـفـ عـلـمـ مـدـفـونـةـ تـحـتـهـ عـنـ أـبـنـ عـبـاسـ وـابـنـ جـبـيرـ وـمـجـاهـدـ، قـالـ أـبـنـ عـبـاسـ : مـاـكـانـ ذـلـكـ الـكـنـزـ إـلـاـ عـلـمـاـ، وـقـيلـ : كـانـ كـنـزاـ مـنـ الذـهـبـ وـالـفـضـةـ رـوـاهـ أـبـوـ الدـرـاءـ عـنـ النـبـيـ عـلـيـهـمـاـ حـيـثـ، وـقـيلـ : كـانـ نـوـحاـ مـنـ الذـهـبـ وـفـيـهـ مـكـتـوبـ : عـجـباـ لـمـنـ يـؤـمـنـ بـالـقـدـرـ كـيـفـ يـبـخـزـنـ، عـجـباـ لـمـنـ أـيـقـنـ بـالـرـزـقـ كـيـفـ يـتـعـبـ، عـجـباـ لـمـنـ أـيـقـنـ بـالـمـوـتـ كـيـفـ يـفـرـحـ، عـجـباـ لـمـنـ دـوـمـنـ بـالـحـسـابـ كـيـفـ يـغـفـلـ، عـجـباـ لـمـنـ رـأـيـ الدـنـيـاـ

(١) سورة الكهف : ٨٢ .

فضة وإنما كان أربع كلمات : لا إله إلا أنا ، من يقين بالموت لم يضحك سنه ، ومن

وتقليها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ذاللهم لا يحناك عن ابن عباس والحسن ، وروى ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام ، وفي بعض الروايات زيادة ونقصان ، وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنّه يتضمن أنّ الكنز كان مالاً كتب فيه علم فهو مال وعلم .

« وكان أبوهما صالحًا » يُبَشِّرُ بِسُبْحَانِهِ أَنَّهُ حَفَظَ الْغَلَامِينَ بِصَالَحِ أَبِيهِمَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهُمَا صَالَحًا عن ابن عباس ، وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ ذَلِكَ الْأَبِ الصَّالِحِ سَبْعَةَ آبَاءَ ، وَقَالَ عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ لِيصلَحَ بِصَالَحِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ وَلَدَهُ وَلَدُ وَلَدِهِ وَأَهْلُ دُوَيْرَتِهِ وَدُوَيْرَاتِ حَوْلَهِ ، فَلَا يَرِزُّ الْوَنَّ فِي حَفْظِ اللَّهِ لِكَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ .

« فأزاد ربّك أَن يبلغَا أَشَدَّهُمَا » فَأَلَّا يَرِزُّ الْوَنَّ فِي حَفْظِ اللَّهِ لِكَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ . قال البيضاوي : اي الحلم وكمال الرأى « ويستخر جا كنز همارجة من ربّك » أَيْ مِنْ رَبِّكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَّةً أَوْ مَصْدِرًا لِأَرْدَادِهِ ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الْخَيْرِ رَحْمَةً ، وَقَيْلَ : يَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفِ تَقْدِيرِهِ : فَعَلِمَ مَا فَعَلَتْ رَحْمَةً مِنْ زَبِّكَ ، انتهى .

قوله عليه السلام : ما كان ذهبًا ولا فضة ، أقول : يدل على أنّ الاخبار الواردة بأنّه كان من ذهب محمول على التقيّة ، ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أنّه لم يكن كونه كنزًا وإذ خاره وحفظ الخضر عليه السلام له لكونه ذهبًا بل للعلم الذي كان فيه .

وإنما اقتصر على هذه الأربع لأنّ الأولى مشتملة على توحيد الله وتنزيهه عن كلّ ما يليق به سبحانه ، والثانية على تذكر الموت والاستعداد لما بعده ، والثالثة على تذكر أحوال القيمة ، وأهواها الموجب لعدم الفرح بلذّات الدنيا والرغبة في زخارفها ، والرابعة على اليقين بالقضاء والقدر المتضمن لعدم الخشية من غير الله وهي من أعظم أركان الإيمان ومن أمهات الصفات الكمالية .

« لم يضحك سنه » إِنَّمَا نَسَبَ الْفَحْكَ إِلَى السَّرِّ لِأَخْرَاجِ التَّبَسْمِ فَإِنَّ مَدْوِحَ

أيقن بالحساب لم يفرح قلبه ، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله .

٧ - عنه ، عن علي بن الحكم ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أنَّ مأصادبه لم يكن ليخطئه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيده وأنَّ الضار النافع هو الله عز وجل .

٨ - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى ، عن الْوَشَاءَ ، عن عبد الله بن سنان عن أبي حذفة ، عن سعيد بن قيس الهمданى قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فصرخ كت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضوع ؟ فقال : نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ

وكان ضحلك رسول الله تبسمماً ، وفراطته بالنسب بأن يكون المراد بالسن العمر بعيد ، وظاهر أنَّ تذكر الموت والأهوال التي بعده يصير الإنسان مغموماً مهوموماً متھيئاً لرفع تلك الأهوال ، فلا يدع في قلبه فرحاً من اللذات يصير سبباً لضحكه ، وكذا اليقين بالحساب لا يدع فرحاً في قلب أولى الأنباب ، وكذا من أيقن بأنَّ جميع الأمور بقضاء الله وقدره علم أنَّه الضار النافع في الدنيا والآخرة فلا يخشى ولا يرجو غيره سبحانه .

#### الحديث السابع : صحيح .

«والله هو الضار النافع» لأنَّ كلَّ نفع وضرر بتقديره تعالى و إن كان بمتوسط الفير وأنَّ النفع والضرر الحقيقيان منه تعالى ، وأما الضرر اليسير من الفير مع الجزاء الكثير في الآخرة فليس بضرر حقيقة ، وكذا المنازع الفانية الدنيوية إذا كانت مع العقوبات الأخرى ف فهو عين الضرر ، وبالجملة كلَّ نفع وضرر يعتمد به ، فهو من عنده تعالى ، وأيضاً كلَّ نفع أو ضرر من غيره فهو بقويقه أو خذلانه سبحانه .

#### الحديث الثامن : حسن .

«في مثل هذا الموضوع فيه تقدير أي تكتفى بلبس القميص والإزار من غير

و واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر ، فإذا نزل القضاء خلياً بينه وبين كل شيء .

درع و جنة في مثل هذا الموضع « حافظ » أى ملك حافظ لأعماله و ملائكة واقية له من البلايا دافعة لها عنه كما قال تعالى : « له عقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » <sup>(١)</sup> و روى على بن إبراهيم في تفسيرها عن أبي الجاورد عن أبي جعفر عليه السلام « من أمر الله » يقول : بأمر الله من أن يقع في ركي <sup>(٢)</sup> أو يقع عليه حائل أو يصييه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير ، وهم ملكان يحفظانه بالليل و ملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبانه ، وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : إنما نزلت « له عقبات من خلفه و رقب من بين يديه يحفظونه بأمر الله » .

و قال الطبرسي (ره) في سياق الوجوه المذكورة في تفسيرها : والثاني أنهن ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحولون بينه وبين المقادير عن على عليه السلام ، وقيل : هم عشرة أملأك على كل آدمي يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أى يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظ ، وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبوه ، وقيل : يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب ، و من الجن و الانس والهوام ، و قال ابن عباس : يحفظونه مما لم يقدر نزوله ، فإذا جاء المقدر بطل الحفظ ، وقيل : من أمر الله أى بأمر الله ، وقيل : يحفظونه عن خلق الله فمن بمعنى عن ، قال كعب : لو لا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم و مشربكم و عوراتكم لتخطفنكم الجن ، انتهى .

و روى الصدوق (ره) في التوحيد باسناده عن أبي حيان التميمي عن أبيه و كان مع على عليه السلام يوم صفين ومعاوية مستقبله على فرس له يتأكل تحته فأكل

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) الركي جمع الركبة : البتر ذات العاء .

٩ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن عليّ بن أسباط قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : كان في الكنز الذي قال الله عز وجل : « وكان تحته كنز لهما » كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، عجبت من يقين بالموت كيف يفرح

و على عليه السلام علي فرس رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه المرتزق ويده حرفة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو متقدّلسيفه ذالفارقار ، فقال رجل من أصحابه : احترس يا أمير المؤمنين فاتّا تخشى أن يقتلوك هذا الملعون ؟ فقال على عليه السلام : لئن قلت ذاك أبا غير مأمون على دينه وأنه لا شقي القاسطين وأعن الخارجين على الأئمة المهتدين ، ولكن كفى بالأجل حارساً ، ليس أحد من الناس إلا و معه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يفرد في بيته أويقع عليه حائط أو يصبه سوء ، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصبه ، وكذلك أنا إذا حان أجل إبنتها أشفها مخضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته و رأسه - عهداً معهوداً و وعداً غير مكذوب .

و قيل : الثناء في قوله واقية للنقل إلى الاسمية إذ المراد الواقعية من خصوص الموت و قيل : واقية أي جنة واقية كأنها من الصفات الفالبة أو الثناء فيها للمبالغة عطف تفسيري للحافظ ، انتهى .

و قد مضى الكلام فيه في الحديث الخامس .

**الحاديـث التاسع :** ضعيف على المشهور معتبر عندـى .

وقوله : كان فيه ، تأكيدقوله كان في الكنز ، و اختلاف الأخبار في المكتوب في اللوح لا ضير فيه لأن الجميع كان فيه و اختلاف العبارات للنقل بالمعنى مع أن الظاهر أنها لم تكن عربية وفي النقل من لغة إلى لغة كثيراً مما تقع تلك الاختلافات .  
فإن قلت : الحصر في الحديث السادس بما ينافي تجويز الزرادة على الأربع ؟  
قلت : الظاهر أن الحصر بالإضافة إلى الذهب والفضة مع أن المضارعين قربة ، وإنما التفاؤل بالأجمال والتفصيل ، و نسبة التعجب إلى الله تعالى مجاز ، و الغرض الأخبار

وعجبت ملن أيفن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت ملن رأى الدّنيا وتقلبها بأهلها كيف يرَّ كن إلّيها، وينبغى ملن عقل عن الله أن لا يتّهم الله في قضايه ولا يستطئه في رزقه ، عن ندرة الواقع أو عدمه .

و قال بعض المحققّين : إنّما اختلفت الفاظ الرّوايتين مع أنّهما إخبار عن أمر واحد لا نّهما إنّما تخبران عن المعنى دون اللفظ فاعلّ المفظ كان غير عربيّ ، أمّا ما يتراءى فيهما من الاختلاف في المعنى فيمكن إرجاع إحداهما إلى الأخرى وذلك لأنّ التوحيد والتسمية مشتركان في الثناء ولعلّهما كانوا مجتمعين فاكتفى في كلّ من الرّوايتين بذكر إحداهما ، ومن أيفن بالقدر علم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيّبه ، فلم يحزن على مافاته ولم يخش إلاّ الله ، ومن أيفن بالحساب نظر إلى الدّنيا بعين العبرة ورأى تقلبها بأهلها فلم يرَ كن إلّيها فلم يفرح بما آتاه ، فهو هذه خصال متدازمه أكثف في إحدى الرّوايتين ببعضها ، وفي الأخرى باخر ، وأمّا قوله : ينبعي... إلى آخره ، فعلى من كلام الرضا عليه دون أن يكون من سلة مافي الكنز و على تقدير أن يكون من جملة ذلك فذكره في إحدى الروايتين لا دنا في السّكوت عنه في الأخرى ، انتهى .

«لن عقل عن الله» اي حصل له معرفة ذاته وصفاته المقدّسة من علمه وحكمته ولطفه ورحمته ، أو أعطاه الله عقولاً كاملاً أو علم الامور بعلم ينتهي إلى الله بأن أخذه عن أنبيائه وحججه عليهما السلام إنما بلا واسطة أو بواسطة ، أو بلغ عقده إلى درجة يفيض الله علومه عليه بغير تعليم بشر ، أو تفكّر فيما أجرى الله على لسان الأنبياء والأوصياء وفيما أراه من آياته في الآفاق والآنس والآفاق وتقرب أحوال الدنيا وأمثالها ، والثاني أظهر لقول الكاظم عليهما السلام : ياهشام ما بعث الله أنبيائه ورسله إلى عباده إلاّ ليعلّموا عن الله ، وقال أيضاً : انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبها .

«أن لا يتّهم الله في قضايه» بأن يظنّ أنّ ماله يقدّره الله له خير معتقداته ،

فقلت : جعلت فداك أريد أن أكتبه قال : فضرب والله يده إلى الدّوّاه ليضعها بين يدي ، فتناولت يده ، فقبّلتها وأخذت الدّوّاه فكتبته .

١٠ - محمد بن يحيى ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ الْحَكْمَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَنْـ  
العرزمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان قنبر غلام على يحبه عليهما  
جهباً شديداً فإذا خرج على صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف ، فرأاه  
ذات ليلة فقال : يا قنبر مالك ؟ فقال : جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال : ويحك  
أمن أهل السماء تحرستني أؤمن أهل الأرض ؟ فقال : لا ، بل من أهل الأرض فقال :

أوي فعل من السعي والجزع ما يوهم ذلك «ولا يستبطئه» اي لا يبعد بطيئاً «في رزقه» إن  
تأخر بأن يعرض عليه في الإبطاء بلسان الحال أو المقال ، وبدل على رجحان كتابة  
الحديث وعدم الاتصال على الحفظ .

#### الحادي عشر : مجهول .

وقبّر كان مولى أمير المؤمنين عليهما السلام ومن خواصه وقتلـه الحجاج لمنه الله  
على حبه عليهما السلام ، روى الكشـي باسناده عن أبي الحسن العسكري عليهما السلام أن قنبراً  
مولى أمير المؤمنين عليهما السلام أدخل على الحجاج بن يوسف فقال : ما الذي كنت تلـى من  
على بن أبي طالب عليهما السلام قال : كنت أوضـيه فقال له : ما كان يقول إذا فرغ من  
وضـوه ؟ فقال : كان يتـلو هذه الآية : «فلما نسوا ماذ كـرـوابه فتحـنا عليهم أبواب كلـ  
شيء حتى إذا فروا بما أوتوا أخذـناهم بقـة ما ذـاهـم مـيلـسـون ، فـقطـع دـابرـ الفـومـ  
الـذـينـ ظـلمـواـ وـالـحمدـلـهـ ربـ العـالـمـينـ»<sup>(١)</sup> فقال الحجاج : أظـنهـ كان يتـأـواـ لـهـ عليناـ ؟  
قال : نـعمـ ، قـالـ : ما أـنتـ صـانـعـ إـذـا ضـرـبـ عـلـاوـتـكـ ؟ـ قـالـ : إـذـا أـسـعـدـ وـتـشـقـىـ،ـ فـأـمـرـ بـهـ .  
قولـهـ عليهما السلامـ :ـ فـإـذـا خـرـجـ ،ـ روـيـ أـنـهـ عليهـ السلامـ كانـ يـخـرـجـ فـيـ أـكـثـرـ الـليـالـيـ إـلـىـ  
ظـهـرـ الـكـوـفـةـ فـيـعـدـالـلـهـ هـنـاكـ .

إنَّ أهْلَ الْأَرْضِ لَا يُسْتَطِعُونَ لِي شِئْاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ فَارْجِعْ ، فَرَجَعْ .  
 ١١- عَلَىٰ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَىٰ ، عَنْ يُونُسَ ، عَمِّنْ ذَكَرَهُ قَالَ : قَيلَ  
 لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْكَ تَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَالسَّيْفِ يَقْطَرُ دَمًا ! فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَادِيَّاً مِنْ  
 ذَهَبٍ ، حَمَّاهُ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمَلُ ، فَلَوْ رَأَمْهُ الْبَخَاتِيُّ لَمْ تَصُلْ إِلَيْهِ .

«إِلَّا» باذن الله من السماء، إنما نسب إلى السماء لأنَّ التقديرات فيها، والاذن  
 بالتخلية كمامٌ .

الحديث الحادي عشر : مرسل .

«بِهَذَا الْكَلَامِ» أى بدعوى الامامة «وَالسَّيْفِ» أى سيف هارون «بِقَطْرٍ» على بناء  
 المعلوم من باب نصر و «دَمًا» نسيز ، و كونه من باب الافعال و دمًا مفعولاً بعيد ، وفي  
 القاموس : البخت بالضم الابن الخراسانية كالبخشية . والجمع بخاتي وبخاتي وبخات .  
 انتهى .

وذكر بعض المؤور خين أنَّ عَسْكَرَ بَعْضِ الْخَلْفَاءِ وَصَلَوَ إِلَى مَوْضِعِ فَنْظَرِ وَاعْنَ  
 جَانِبِ الطَّرِيقِ إِلَى وَادِي لَوْحٍ مِنْهَا ذَهَبَ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا تَوَجَّهُوا إِلَيْهَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ نَعْلٌ  
 كَثِيرٌ كَالْبَغَالِ فَقَتَلَتْ أَكْثَرَهُمْ .

.....

إلى هنا تم الجزء السابع - حسب تجزئتنا - ويليه الجزء الثامن - إنشاء الله تعالى - وأوله «باب الرضا بالقضاء» و كان الفراغ منه في الثامن والعشرين من شهر شوال المبارك سنة ١٣٩٦ . والحمد لله أولاً وآخرأ .

و أنا العبد المذنب الثاني  
السيد هاشم الرسولي المحلاوي

## الفهرست

رقم الصفحة	العنوان	عدد الاحاديث
٢	باب طينة المؤمن و الكافر	٧
١٦	« آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف	٣
٤٢	« آخر منه	٣
٣٢	« ان رسول الله أول من أجاب وأقر الله عزوجل بالربوبية	٣
٣٦	« كيف أجابوا و هم ذر	١
٥٣	« فطرة الخلق على التوحيد	٥
٦٣	« كون المؤمن في صلب الكافر	٢
٦٤	« اذا أراد الله عزوجل أن يخلق المؤمن	١
٦٨	« في ان الصبغة هي الاسلام	٣
٧١	« في ان السكينة هي الایمان	٥
٧٣	« الاخلاص	٦
٨٩	« الشرياع	٢
١٠٠	« دعائم الاسلام	١٢
١٢٠	« ان الاسلام يحزن به الدم	٦

عدد الأحاديث	العنوان	لوقم الصدقحة
٥	باب أنَّ الْإِيمَانَ يُشَرِّكُ الْإِسْلَامَ وَلَا عَكْسٌ	١٥١
٣	» آخر منه	١٥٩
٨	» في أنَّ الْإِيمَانَ مُبْتَدَأٌ لِجُوازِ الْبَدْنِ كُلُّهَا	٢١٣
١	» السبق إلى الْإِيمَان	٢٦٦
٢	» درجات الْإِيمَان	٢٧٢
٣	» آخر منه	٢٧٧
٣	» نسبة إِلَى إِسْلَامٍ	٢٨٢
٤	» خصال المؤمن	٢٩١
١	» بـ بدون العنوان -	٢٩٨
١	» صفة إِلَيْمَان	٣١٣
٤	» فضيل الْإِيمَانَ عَلَى إِسْلَامٍ وَالْيَقِينَ عَلَى الْإِيمَان	٣٢٤
٤	» حقيقة الْإِيمَانَ وَالْيَقِين	٣٣١
٥	» التفكير	٣٣٨
٧	» المكارم	٣٤٣
١١	» فضل الْيَقِين	٣٥٤